

شرح ديوان المتنبي

وَضَعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

وَقَدْ أَمَّنَتْ هَذِهِ الطَّبَعَةُ بِالدَّقَّةِ وَالْبَسْطِ وَالِاسْتِيعَابِ . بِحَيْثُ تَلَقَّتْ
فِيهِ الشَّيْءَ بِمَجْمُوعِ شُرُوحِ الْمُتَنَبِّي وَشَرَحَتْ فِيهِ الشَّوَاهِدَ وَالنَّظَائِرَ وَمَا إِلَيْهَا
وَصَارَ بِذَلِكَ مُغْنِيًا عَنْ جَمِيعِ الشُّرُوحِ

الجزء الثاني

الناشر دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

وقال يمدح سيف الدولة ويهنته بعيد الأنهى سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ،
أنشده إياها في ميدانه بحلب وهما على فرسيهما :

لِكُلِّ أَمْرِي مِنْ دَفَرِهِ مَا تَعَوَّدَا

وَعَادَاتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّمُنُ فِي الْمِدَا^(١)

وَأَنْ يُكَذِّبَ الْإِرْجَافَ عَنْهُ بَضْدُهُ وَيُغْنِي بِمَا تَنْوِي أَعَادِيهِ أَسْعَدَا^(٢)

وَرُبُّ مُرِيدٍ ضَرَّهُ ضَرَّ نَفْسُهُ وَهَادٍ إِلَيْهِ الْجَيْشَ أَهْدَى وَمَا هَدَى^(٣)

وَمُسْتَكْبِرٍ لَمْ يَفْرِفِ اللَّهُ سَاعَةً رَأَى سَيْفَهُ فِي كَفِّهِ فَتَشَّهَدَا^(٤)

(١) يقول : كل امرئ يعمل باداته ، وما تعودت وتربى عليه ، لا يتكلفه ، وعادة
هذا المدوح أن يذو أعداءه ويقتلهم ويظعنهم برحمة . جعله سيفاً ووصفه بالطمن ،
فكانه جعله سيفاً ورعماً .

(٢) وأن يكذب : عطف على الطمن - في البيت السابق - ويمشى : عطف على
يكذب ، وسكن الياء ضرورة . والإرجاف : توليد الأخبار الكاذبة التي يكون معها
اضطراب في الناس . يقول : وعادته أن يكذب إرجاف عداته عنه بضد إرجافهم ؛ فهم
يرجعون بقصوره وفشله وهو يكذبهم بوفوره وقلبه ، وهم ينوون معارضته فيتحرشون
به فيكون ذلك سبب ظفروه بهم ، إذ يمتلك رقابهم وأموالهم فيصير أسعد مما كان . ويروى
بدل « تنوى » تحوى : أى أنه أملك لما في أيديهم منهم ، لأنه متى أراد احتواء .

(٣) ضره : مصدر ، وهو مفعول مرید . يقول : ورب عبدو أراد أن يضره فضر
نفسه بتحرشه به ، وقاد إليه الجيش بنية الإيقاع به ، فكان الجيش غنيمة له ، فكانه
أهدى إليه هدية وذل بذلك عن القصد . قوله أهدى : من الهدية ، وما هدى : من
الهداية . وعبارة العكبرى : رب قاصد أن يضره فعاد الضرر عليه ، ورب هاد : أى
قائد إليه الجيش ليهديه الطريق فأصله بقصده له ، فصار مهدياً إليه - من الهدية - لأنه
يضم الجيش فيكون غنيمة له ، فيكون الهادى مضلاً ومهدياً إليه ليضمه .

(٤) يقول : ورب كافر متكبر عن الإيمان بالله رآه والسيف في يده . فآمن وآتى
بكلمة الشهادة : إما خوفاً منه ، وإما ظناً بأن دينه الحق حين رأى نور وجهه
وكمال وصفه .

هُوَ الْبَحْرُ غُصْنٌ فِيهِ إِذَا كَانَ سَاكِناً عَلَى الدَّرِّ وَأُحْذَرُهُ إِذَا كَانَ مُزِيداً^(١)
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْبَحْرَ يَفْشُرُ بِالْفَتَى وَهَذَا الَّذِي يَأْتِي الْفَقَى مُتَعَمِّداً^(٢)
تَنْظُلُ مُلُوكُ الْأَرْضِ خَاشِعَةً لَهُ تَفَارِقُهُ هَلَكَى وَتَلْقَاهُ سُجَّداً^(٣)
وَتُنْحِي لَهُ الْمَالَ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا وَيَقْتُلُ مَا يُنْحِي التَّبَسُّمُ وَالْجُداً^(٤)

(١) يقول : إنه نفاع ضرار ، فمن جاءه مسالماً ظفر بإحسانه ، ومن جاء مغاضباً عرض نفسه للتهلكة ، مثله في ذلك مثل البحر : إذا سكن البحر أمكن ركوبه والنوص على ما فيه من الجواهر ، وإن جاش وقذف بالزبد وجب الحذر منه . وعبرة الخطيب التبريزي : لا تأتاه وهو غضبان .

(٢) يقال عثر الدهر بفلان : نسبه . يقول : إن البحر يثر براكه - أي يهلكه - عن غير قصد وعمد ، أما المدحوح فإنه يهلك أعداءه متعمداً . وهذا المعنى قريب من قوله في إحدى قوافيه السابقة :

وَيُخَشَى عُبَابُ الْبَحْرِ وَهُوَ مَكَانُهُ فَكَيْفَ بَمَنْ يَفْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَابَا
وقال ابن جني : المعنى : ليس إغناء البحر من يفتيه عن قصد ، وهذا يفتي من يفتيه عن تعمد . قال : ويثر : قد يأتي في الخير والشر ، فرد عليه الواحدى : وقال فيه خطأ من وجهين ، لأن العرب لا تقول عثر الدهر بفلان إلا إذا أسابه بنكبة . ومعنى يثر بالفتى : يهلكه من غير قصد ، لأن العثر بالشيء لا يكون عن قصد ، فهو يقول : البحر يفرق عن غير قصد ، وهذا يهلك أعداءه عن قصد وتعمد . وليس يمكن أن تحمل عثرة البحر بالفتى على إغنائه .

(٣) يقول : من تمرّد عليه وفارقه من الملوك هلك ، ومن سألهم منهم خضع له وسجد ، لأنه سيدهم .

(٤) الصوارم : السيوف ؛ والقنا : الرماح ؛ والجدا - مقصوراً - العطاء . يقول : إنه يأخذ بشجاعته وإقدامه وطعنه وضربه مال الأعداء ثم يفتيه بالعطاء عند التبسم والنشاط إذا جاءه العفاة ، وهذا كما قال أبو تمام :

إِذَا مَا أَغَارُوا فَاحْتَسِرُوا مَالَ مَقْشَرٍ
أَغَارَتْ عَلَيْهِ فَاحْتَوَتْهُ الصَّنَائِعُ

ذَكَى تَظْنِيهِ طَلِيْعَةً عَيْنِهِ
وَصُولٌ إِلَى الْمُسْتَضْمَاتِ بِخَيْلِهِ
لِذَلِكَ سَمِيَ ابْنُ الدُّمُسْتَقِ يَوْمَهُ
سَرَبَتْ إِلَى جِيحَانٍ مِنْ أَرْضِ آمِدٍ
يَرَى قَلْبَهُ فِي يَوْمِهِ مَا تَرَى غَدًا^(١)
فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لَا وَرَدًا^(٢)
مَمَاتًا وَسَمَاءُ الدُّمُسْتَقِ مَوْلِدًا^(٣)
ثَلَاثًا لَقَدْ أَذْنَاكَ رَكُضٌ وَأَبْعَدًا^(٤)

(١) التظنى : أمسه التظنن ، قبلت النون الثانية ياء ، ومعناه الظن ، وطليلة الجيش
الريثة تتقدم أمامه تستطلع طلع العدو ؛ والضمير - في قوله ماترى غدا - للعين .
يقول : إنه من الذكاء والنفاذ وتقوب البصيرة بحيث يرى ظنه الشيء قبل أن تراه عينه ،
كالطليلة تتقدم أمام الجيش ؛ ثم أوضح فقال : يرى قلبه في يومه بظنه ماتراه عينه غدا .
وهذا من قول أوس بن حجر :

الْأَلْمِىُّ الَّذِى يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَأَن قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

وعبارة ابن جني : هو لصحة ذكائه وصحة ظنه إذا ظن شيئا رآه بعينه لا محالة
(٢) يقول : إنه يصل بخيله إلى الغابات البعيدة التي يتعذر الوصول إليها حتى لو كان
قرن الشمس - وهو أول ما يبدو منها عند طلوعها - ماء لبلغه وأورده خيله ، شجاعة
واقداما . وهذا مبالغة .

(٣) لذلك : أى لأجل ماقلته في البيت السابق ، ويومه : أى اليوم الذى أسر
فيه ، والضمير فى سماء : إلى اليوم . يقول : لكون سيف الدولة على ماوصفت من
الشجاعة والإقدام وما إليهما لم يثن حتى أدرك الدمستق وابنه ، ففر الدمستق جريحا
وأخذ ابنه أسيرا ، ومن ثم سمي الابن ذلك اليوم مماتًا ، لأنه وقد أسر يثنس فيه من
الحياة ، وسمى أبوه هذا اليوم مولدا لأنه نجح فيه من أخطار المنية فصار كيوم ولدته أمه .
والحاصل أن ذلك اليوم كان مماتًا لابن حيلة للأب .

(٤) جيحان : نهر يلاذ الروم : وآمد : بلد بالثغور . يقول : بلغت جيحان من
آمد فى ثلاث ليال - وهى مسافة بعيدة لا تقطع فى مثل هذه المدة - وبذلك أذناك
الركض من جيحان - على بعده من محل قيامك - وأبعدك عن آمد - على قرب عهدك
بمغادرتها - وعبارة ابن جني : أذناك سيرك إلى النهر وأبعدك من آمد ، قال
الواحدى ناقدا : وهذا - أى كلام ابن جني - لا يفيد معنى ، لأن كل من سار ، هذا
وصفه ، ولكنه يريد : وصلت إلى جيحان بسيرك ثلاثا من أرض آمد ، وهذه مبالغة

قَوْلِي وَأَعْطَاكَ ابْنَهُ وَجِيُوشَهُ جَمِيعًا وَلَمْ يُعْطِ الْجَمِيعَ لِيُحْمَدَا^(١)
عَرَضْتَ لَهُ دُونَ الْحَيَاةِ وَطَرَفِهِ وَأَبْصَرَ سَيْفَ اللَّهِ مِنْكَ مَجْرَدًا^(٢)
وَمَا طَلَبْتَ زُرْقُ الْأَسِنَّةِ غَيْرَهُ وَلَكِنْ قُسْطَنْطِينَ كَانَ لَهُ الْفِدَا^(٣)
فَأَصْبَحَ يَحْتَابُ الْمُسُوحَ خَفَافَةً وَقَدْ كَانَ يَحْتَابُ الدَّلَاصَ الْمُسَرَّدَا^(٤)
وَيَمْشِي بِهِ الْعُكَّازُ فِي الدَّيْرِ تَائِبًا وَمَا كَانَ يَرْضَى مَشَى أَشْقَرَ أَجْرَدَا^(٥)
وَمَا تَابَ حَتَّى غَادَرَ الْكُرَّ وَجْهَهُ جَرِيحًا وَخَلَّى جَفْنَهُ النَّعْمُ أَرْمَدَا^(٦)

لا يقطعها أحد يسير في ثلاثة أيام ، ويفهم من هذا أنك وصلت إلى هذا النهر من آمد في ثلاث ليال على ما بينهما من البعد .

(١) يقول : فانهزم الدمستق وترك ابنه وجيوشه أسرى في يدك ؛ ولم يك ذلك إعطاء منه يتنقى أن تحمده عليه لأنه إنما تركهم قهرا وعجزا .

(٢) عرضت : ظهرت واعترضت ؛ والطرف العين . وقوله : منك تجريد يقول : للاراك كنت قيد عينه لعظمك في نفسه فشغلها بتوقيع بطشك فلم ير حوله سواك وحلت بذلك بينه وبين الحياة فصار في حكم الميت في تخاذل الحواس ، لأنه أيقن هلاكه ورأى منك سيف الله مشهورا مجردا عليه .

(٣) الأسنة : نصال الرماح ؛ وقسطنطين : هو ابن الدمستق . يقول : إن الرماح لم تكن لتطلب غير الدمستق ، ولكن ابنه كان فداء له ، لأن الجيش اشتغل بأسره وأسر من معه ، فانهزم الدمستق ذلك ونجا بنفسه .

(٤) المسوح : ثياب تنسج من الشعر . ويحتابها : يقطعها ويدخل فيها ؛ والدلاص : الدرع البراقة الصافية ؛ والمسرود : المنظوم للنسوج بعضه في بعض ، يقول : إنه ترك الحرب خوفا منك وترهب ولبس المسوح بعد أن كان يلبس الدروع .

(٥) العكاز : عصا في طرفها زج ، يقول : وصار يمشي في دير الرهبان على العكاز تائبا من الحرب بعد أن كان لا يرضى مشى الحيل السراع - لأن الجواد الأشقر عند العرب أسرع الحيل - بعد أن يش ونال منه الهم . والأجرد : القصير الشعر .

(٦) غادر : ترك ؛ والكر : عطف القرن على قرنه في الحرب ؛ والنعم : غبار الحوافر ؛ يقول : إنه لم يترك الحرب إلا بعد أن ترك كر الفرسان - في الطعن والضرب -

فَلَوْ كَانَ يُنَجِّي مِنْ عَلَيَّ تَرَهَّبُ تَرَهَّبَتِ الْأَمْلَاقُ مَتْنِي وَمَوْحِداً^(١)
وَكُلُّ أَمْرِي فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ بَعْدَهَا
يُعِيدُ لَهُ نَوْباً مِنَ الشُّمْرِ أَسوداً^(٢)
هَنِيئاً لَكَ الْعِيدُ الَّذِي أَنْتَ عِيدُهُ وَعِيدُ لَنْ سَمِي وَضَحَى وَعِيداً^(٣)

وجهه جريحاً ، وبعد أن رمدت عينه من غبار الجيش ، يعنى أنه اضطر إلى ذلك بكثرة ما أصابه من الجراحات والأدواء .

(١) الأملاك : الملوك : يقول : إن ترهبه هذا لا ينجيه من سيف الدولة ، ولو كان ذلك ينجيه لترهبت سائر الملوك اثنين اثنين وواحداً واحداً . « هذا » وقوله وموحداً — بفتح الحاء — هو أحد ما جاء من مفعل الممثل الفاء مفتوح العين .

(٢) بعدها : أى بعد فطة المستق ؛ ويروى بعده ، فيكون الضمير له . يقول : لو كان ينجى من على ترهب لكان كل امرئ من أعداء سيف الدولة يعد له مسوحاً يترهب فيها فينجو منه .

(٣) سَمِي : أى ذكر اسم الله ، يعنى عند ذبح الضحايا ، يقول : لهنك العيد الذى أنت عيده : أى تحمل فيه محل العيد فى القلوب — إذ أن العيد مما يتهيج به الناس ، فكذلك هذا العيد يتهيج بك ، كما قال :

جاء نَوْرُوزُنا وَأَنْتَ مراده

ثم قال :

وَأَنْتَ عِيدُ لَنْ سَمِي وَضَحَى وَعِيدَ

أى أنت عيد لكل مسلم . هذا : وقد قال ابن جنى : ارتفع العيد بفعل محذوف ، وأصله: ثبت العيد هنيئاً لك ، لحذف الفعل وأقام الحال مقامه ، فرفض العيد كما يرفضه الفعل . وهذا هو الصحيح ؛ وانتصب هنيئاً عند قوم ؛ على مذهب قولهم : ثبت لك هنيئاً — وقيل: بل هو اسم وضع موضع المصدر . كأنه قيل : هناك هنيئاً ، وربما وضعوا اسم الفاعل فى هذا الموضع ، كما روى عن بعض نساء العرب وهى ترقص ابناً لها :

قُمْ قَائِماً قُمْ قَائِماً قَمِيتَ عبداً نائماً
وَعُشْرَاءَ رَائِماً وَأَمَّةَ مُرَاغِماً

وَلَا زَالَتِ الْأَعْيَادُ لُبْسَكَ بَقْدَهُ تَسْلُمُ مَحْرُوقًا وَتُعْطَى مُجَدَّدًا^(١)
فَذَا الْيَوْمُ فِي الْأَيَّامِ مِثْلُكَ فِي الْوَرَى
كَأَنَّكَ كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدًا^(٢)

[ناقة رائم عاطفة على ولدها وعبد مراغم مضطرب على مواله . تريد : قم قياما]
(١) اللبس : ما يلبس ، استعاره للأعياد ، فأجراها مجرى اللبوسات . يقول :
لا زلت تلبس الأعياد التكررة عليك في الدهر ، فإذا مضى عيد أهلك عيد بعده جديد ،
فصار الماضي خلقا واتقادا جديدا . هذا : والأعياد جمع عيد . قال الجوهري : إنما جمع
أعياد بالياء للزومها في الواحد . وقيل للفرق بين أعواد الخشب وبينه ؛ وسمى العيد
عيدا لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد ، وعيد المسلمون : شهدوا عيدهم ، والعيد ؛ ما اعتادك
من هم أو شوق أو فرح ونحوه . قال الشاعر :

* والقلب يعتاده من حبها عيد

وقال يزيد بن الحكم الثقفي يمدح سليمان بن عبد الملك :

أَمْسَى بِأَسْمَاءَ هَذَا الْقَلْبُ مَقْمُودًا إِذَا أَقُولُ حَمًّا يَعْتَادُهُ عِيدًا^(١)
كَأَنَّيْ يَوْمَ أَمْسَى مَا تُكَلِّمُنِي ذُو بُغْيَةٍ يَلْتَنِي مَالِيسَ مَوْجُودًا
كَأَنَّ أَحْوَرَ مِنْ غِزْلَانٍ ذِي بَقَرٍ أَهْدَى لَنَا شَبَةَ الْعَيْنِينَ وَالْجِيدَا
(٢) وبديع قول أبي تمام في هذا المعنى :

وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِفَةٍ كَانَ أَيَّامَهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جُمْعُ

قال ابن جني في شرحه هذا البيت - بيت المتن - : في البيت نظر ، وهو أنه خص
العيد وحده - دون الأيام - بما ذكر من الشرف وكان ينبغي أن تكون أيامه كلها
كذلك لأن جميعها مشتمل عليه ثم قال : والجواب : أن العيد قد اجتمع فيه أمران :
أحدهما - وهو الأظهر - اشتغاله على سيف الدولة والآخر كونه عيداً : فصار له مزية على
غيره مما ليس بعيد . قال العكبري بعد أن أورد كلام ابن جني . هذا : ويجوز أن يقال

(١) قوله يعتاده عيداً فعيداً في موضع الحال تقديره يعتاده السكر عائداً ، ففي قوله
يعتاده ضمير السكر دل عليه قوله صحا ، وقوله : شبه العينين والجيدا ، أراد وشبه الجيد
لحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضَلَ الْعَيْنُ أُخْتَهَا وَحَتَّى يَصِيرَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدًا^(١)
فَيَاَعْجَبًا مِنْ دَائِلٍ أَنْتَ سَيِّفُهُ أَمَا يَتَوَقَّى شَفَرَتِي مَا تَقْلَدُ^(٢)

إنما جله في الشرف كيوم النحر لأنه من أشرف الأيام. وقال أهل التفسير في قوله تعالى « يوم الحج الأكبر » قيل هو يوم النحر ؛ ومنه الأثر : أن يهوديا قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو علينا معشر اليهود نزلت : « اليوم أكلت لكم دينكم » لا تخذناه عيداً ، فقال عمر . إني لأعلم أى يوم نزلت وفي أى ساعة نزلت . . . يوم النحر . . . وهو عندنا من أشرف الأيام . . . فلهذا خص النبي هذا اليوم بالشرف في الأيام كشرفه - أى المدوح - في الورى .

(١) هو : ضمير الشأن ؛ والجد : الحظ والبخت . يقول : إن الجد له فعله حتى في التساويين ، مثل العين والعين واليوم واليوم : قدرى العينين تفاضلان فتصح إحداها وتسلم الأخرى ، مع أنهما تجمعهما بنية واحدة ؛ وترى اليوم يسود اليوم ، وكلاهما ضوء شمس . يعنى : أن يوم العيد كسائر الأيام في الصورة ، ولكن الجد مازاه من سائر الأيام فجعله يوم فرح وسرور ؛ وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْبِلَادَ رَأَيْتَهَا تَثْرَى كَمَا تَثْرَى الرِّجَالُ وَتُعْدِمُ
حِظَّ تَعَاوُرُهُ الْبَقَاعَ لَوَقْتَهُ وَادِّ بِهِ صِفْرًا وَآخِرُ مُقْعَمٍ

[ثرا الرجل يثرى : فهو ثر ، وأثرى يثرى : فهو مثر]

(٢) الدائل : صاحب الدولة . أخرجه مخرج تامر ولابن ، يريد به الخليفة وشفرتا السيف . حداه ، يقول : أما يخشى الخليفة - وقد تقلدك سيفاً له - أن تكون سيفاً عليه ، فلا يأمن جانبك ؟ ولا يخفى ما في هذا البيت وما بعده من التعريض الذى خفى سببه . وقال ابن القطاع : صفح هذا البيت فروى دائل - بالذال المهملة - من الدولة ، ولا معنى للدولة فيه ، والصحيح بالذال المعجمة ، وهو الرجل التقليد سيفه للتبخر في مشيته . والدائل : السيف الطويل أيضاً ، وكذلك الفرس الطويل الذنب ؛ فإن كان قصيراً وذنبه طويل قيل ذيل الذنب . والدائل : الدرع الطويلة . قال النابغة :

وَكُلُّ صَمُوتٍ ثَلْثَةٌ تُتَبِعِيهِ وَنَسْجُ سُلَيْمٍ كُلُّ قَضَاءٍ دَائِلٍ^(١)

(١) الصموت : الدرع التى إذا صبت لم يسمع لها صوت : والثلة : الدرع الساجنة

وَمَنْ يَجْعَلِ الضَّرْغَامَ بَارًا لِيَصِيدَهُ تَصِيدُهُ الضَّرْغَامُ فِيمَا تَصِيدُ^(١)

والذائل : الطويل من كل شيء .

(١) الضرغام : الأسد . يقول : من اتخذ الأسد بازاً يصيد به آتى عليه الأسد فصاده . وقد ضرب هذا مثلاً للمعنى السابق . يعنى أنك فوق من تضاف إليه . وفى هذا المعنى يقول دعبل :

فَكَانَ كَالْكَلْبِ ضَرَّاهُ مُكَلَّبُهُ لِيَصِيدَهُ فَنَدَا يَصْطَادُ كَلَابَهُ
ومن هذا الباب البيت المشهور :

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةُ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي^(١)

هذا : وقوله تصيده الضرغام رواها ابن جنى : يصيره الضرغام . قال ابن جنى : قلت له - أى للتنبي - جلست من شرطاً صريحاً ، فهلا جعلتها بمنزلة الذى ولم تضمن الصلة معنى الشرط حتى لا تتركب الضرورة ، كقوله تعالى « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم » الآية . فقال : هذا يرجع إلى معنى الشرط والجزاء وأنا جئت بلفظ الشرط لأنه أبلغ وأردت الفاء - فى يصيره - ثم حذفها . . . والذى قاله جائز ، والوجه الذى قلت له أولى . وسيبويه يرى فى هذا التقديم والتأخير ، فتقديره على مذهبه : يصير الضرغام من يجعله بازاً فيما تصيده ؛ واكتفى بهذا القول عن جواب الشرط ومثله :

يَا أَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ يَا أَقْرَعُ إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ

والتقدير : أنك تصرع إن يصرع أخوك . انتهى كلام ابن جنى ؛ وقال العكبرى : وأما قول المتنبي : أردت الفاء ثم حذفها ، فجائز حسن قد جاء فى الكلام الفصيح ومنه الحديث : قال سعد بن مالك : مرضت عام الفتح فعادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

أو الواسعة ، وتبعية ، نسبة إلى تبع - أحد ملوك اليمن - وقوله ونسج سليم : يعنى سليمان ابن داود عليهما السلام ، والقضاء من الدروع : التى فرغ من عملها وأحكمت .

(٢) استد : استقام . قال الأصمى : اشتد - بالشين المعجمة - ليس بشيء ؛ قال ابن

برى : رأيت هذا البيت فى شعر عقيل بن علفة يقوله فى ابنه عميس حين رماه بسهم وبعده :

فَلَا ظَفِرَتْ يَمِينُكَ حِينَ تَرْمِي وَشَلَّتْ مِنْكَ حَامِلَةُ الْبَنَانِ

رَأَيْتُكَ تَحْضِرُ الْحِلْمَ فِي مَحْضِ قُدْرَةٍ وَلَوْ شِئْتَ كَانَ الْحِلْمُ مِنْكَ الْمَهْدَى (١)
وَمَا قَتَلَ الْأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَ (٢)
إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ

وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ نَمَرَدَا (٣)

وَوَضِعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْمَلَا

مُضِرٌّ كَوَضِيعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى (٤)

وَلَكِنْ تَفُوقُ النَّاسَ رَأْيًا وَحِكْمَةً كَمَا قُتِلَتْهُمْ حَالًا وَنَفْسًا وَنَحْدًا (٥)

قلت يارسول الله : إن لي مالا وليس لي من يرثني إلا ابنة لي فأصدق بنصف مالي ؟
قال : لا ، قلت : فالثلث ؟ قال : الثلث ، واثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير
من أن تذرهم عالة يتكفون الناس * التقدير : فهو خير ، لحذف الفاء .

(١) الهند : السيف ، يقول : رأيتك خالص الحلم في قدرة خالصة لا يشوبها عجز
ولا تقصير ، ولو شئت لجعلت القتل بالسيف مكان الحلم .

(٢) الحر : الكريم ، ضد اللئيم ؛ والكاف - من قوله كالعفو - اسم بمنزلة مثل
فاعل قتل ، ومن لك بالحر أى من تكفل لك به ونحوه ، واليد : النعمة ؛ ويحفظ :
يروى يعرف : أى يقدر العفو عنه . يقول : إن العفو عن الكرام قتل لهم ، فمن صفح
عن حر استرقه بهذا الصفح . فيذل له وينقاد ، كما قال بعضهم :

غُلَّ يَدًا مُطْلَقَهَا وَاسْتَرْقَ رَقَبَةً مُمْتَقَهَا

ثم قال : ومن يتكفل لك بالكريم الذى يحفظ النعمة ويراعى حقها ؟

(٣) هذا البيت تأكيد لما سبقه . يقول : إن الكريم يقدر الإكرام حق قدره ،
فإذا أنت أكرمت الكريم صار كأنه مملوك لك ، أما اللئيم فإنك إذا أكرمته زاد عتوا
وجرأة عليك .

(٤) بالعلی : متعلق بمضّر . يقول : ينبغي أن يعامل كل إنسان حسبما يستحق ، فمن
استحق العطاء لم يستعمل معه السيف ، ومن استحق القتل لم يكرم بالعطاء ، ومن قتل
هذا أضر بعلاه وهدم أركان دولته .

(٥) المهدى : الأصل ؛ والنصوبات - فى البيت - تمييز . يقول : أنت أعرف

يَدِقُّ عَلَى الْأَفْكَارِ مَا أَنْتَ فَاعِلٌ فَيَتَرَكُ مَا يَخْفَى وَيُؤْخِذُ مَا بَدَأُ^(١)

بمواقع الإساءة والإحسان من كل إنسان ، لأنك فوق كل أحد في الرأي والحكمة ، كما أنك فوقهم بالحال — إذ كنت أميراً — وبالنفس — إذ كنت أعلام همه — وبالأصل — إذ كنت من أصل شريف .

(١) بدا : ظهر . يقول : إن ما تفعله أدق من أن تقف عليه الأفكار وتستوضحه فهي تتناول ما ظهر لها منه ، فتجول فيه ، وتترك ما خفي منه لرأيك ، لأنه لا تصل إليه ، وتقف دونه — يشير إلى تصرفاته مع الخليفة — وهذا المعنى هو الأظهر والأوجه والانسب بما تقدم هذا البيت من الآيات ؛ ولكن أئمة الشراح قد اعتسفوا ، وصرفوا النظر عن الآيات التي تقدمت ، ففسروا البيت كأنه قائم بنفسه ... قال بعضهم : إن ما ابتدعه من المكارم يدق على أفكار الشعراء فيذكرون ما ظهر منها ، ويتركون ما خفي وقال آخرون : إن المقتدين بسيف الدولة في المكارم ، يأخذون ويتركون ما خفي . أقول : ولو أراد ذلك لما أتى بالأفكار ، ولقال : يدق على الكرام . وقال ابن جني : هذا البيت مثل قول عمار الكلابي :

ما كلُّ قولِي مشروحاً لكم فخذوا ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
قال ابن فورجه : عمار الكلابي محدث لحنه ، وقد أدرك زماننا ، وهو رجل بدوي أمي لحنه ، وهذا البيت من آيات أولها :

ماذا لقيتُ من المستعربين ومن	قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
إن قلتُ قافيةً بكرةً يكونُ لها	معنى خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا
قالوا لحنَتَ وهـ هذا ليس مُنتصباً	وذلك خفضٌ وهذا ليس يرتفعُ
وحَرَضُوا بين عبدِ الله من حُمقٍ	وبين زيدٍ فطالَ الضربُ والوجعُ
قلتُ واحدةً فيها جوابهمُ	وكثرةُ القولِ بالإيجازِ تنقطعُ
ما كلُّ قولِي مشروحاً لكم فخذوا	ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
حتى يصيرَ إلى القومِ الذين غَدُوا	بما غُذيتُ بهِ والقولُ مجتمعُ
فيرفوا منه معنى ما أُوهُ بهِ	حتى كأنى وهم في لفظه شرعُ
كم بين قومٍ قد احتالوا لمنطقيهم	وبين قومٍ على أعراهم طبعوا

أَرْلَ حَسَدَ الْحَسَادِ عَنِّي بِكِبْتِهِمْ فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَدًا^(١)
 إِذَا شَدَّ زَنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِيهِمْ ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ مُقْعَدًا^(٢)
 وَمَا أَنَا إِلَّا سَمْهَرِي حَلْتَهُ فَرَيْنَ مَعْرُوضًا وَرَاعَ مُسَدَّدًا^(٣)

وبين قوم رأوا شيئاً معاينة وبين قوم حكوا بعض الذي سمعوا
 إني غُذيتُ بأرضٍ لا تشبُّ بها نارُ الجُوس ولا تُبْنى بها البيعُ
 قد نقله أبو الطيب إلى اللدح ، وأقام دقة صنيعه في اقتناء الكارم مقام دقة معنى
 الشعر ، وأقول : وكل هذا بعيد عن غرض المتنبي كما قلت .

(١) الكبت : الإذلال . يقول : أنت الذي غمرتني بنعمك حتى صرت محسدا ونجم
 لي حساد يحسدوني ويقصدونني بالسوء فأكفي شرهم بإذلالهم ورد كيدهم في نحورهم ،
 وإعراضك عنهم ، ومعنى المصراع الثاني من قول أبي الجورمية العبدى :
 فما زلتَ تُعْطِني وماليَ حاسد من الناسِ حتى صِرتُ أَرْجَى وأُحْسَدُ
 وقال بعده أبو نواس :
 دَعَيْتُ أَكْثَرَ حَاسِدِي بِرِخْلَةٍ إِلَى يَدِي فِيهِ انْخَصِبُ أَمِيرُ
 وقال البحتري :

وَالْبَسْتَنِي الثَّمَمَى الَّتِي غَيَّرَتْ أَخِي عَلَى فَأُضْحَى نَارِحَ الْوَدِّ أَجْنِبَا
 (٢) فيهم : متعلق برأيك ؛ والهوام : الرؤس . يقول : إذا قوى ساعدي حسن رأيك
 فيهم بأن آنست منك إعراضا عنهم ، كان ذلك خذلانا أى خذلان لهم ، فلو ضربتهم إذ
 ذاك بسيفي وهو في غمده لقطع وأصمى ، وروى بدل فيهم : في يدي ، وبدل بسيف .
 بنصل ، فيكون المعنى : أنك إذا كنت حسن الرأي في ، فما أبالي بالحساد ، والقليل من
 إنكارك عليهم يكفيني ؛ وهذا من قول أبي تمام :

يَسُوهُ الَّذِي يَسْطُو بِهِ وَهُوَ مُقْعَدٌ وَيَفْضَحُ مِنْ يَسْطُو بِهِ غَيْرَ مَقْعَدٍ
 (٣) السمهري : الرمح . ومعروضا . أى محمولا بالعرض ، وذلك يكون حين لا يقصد
 به الطعن : ومسددا : موجها إلى الطعون . يقول : أنا زين لك في السلم . أمدحك
 وأشيد بذكرك ، وشجى لا يترزع في حلق أعدائك ، أذود عنك وأنافح بلساني وأكيد

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُؤَاةٍ قَلَائِدِي
 إِذَا قُلْتُ شِعْراً أَضْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِداً^(١)
 فَسَارَ بِهِ مَنْ لَا يَسِيرُ مُشْعِراً وَغَنَى بِهِ مَنْ لَا يُغْنِي مُغَرِّداً^(٢)
 أَجِزَنِي إِذَا أَنْشَدْتَ شِعْراً فَإِنَّمَا بِشِعْرِي أَنْتَكَ لِلْمَدْحُونَ مُرْدِّداً^(٣)

أعداءك بقوارع لسانى . فأنا لك كالرمح : إن حملته بالعرض كان زينا لك ، وإن حملته مسدداً راع أعداءك .

(١) جعل شعره فى حسنه كالقلائد التى يتقلدها ، يقول : إن الدهر من روبة شعرى لأن الناس جميعا يروونه ويتناشدونه فى كل وقت ، فكان الدهر كله إنسان ينشد شعرى ، ويروى بدل قلائدى : قصائدى .

(٢) يقول : إن شعرى ينشط الكسلان إذا سمعه ، فيسير على سماع شعرى مجدداً مشيحاً ، وإذا سمعه من لا يغنى استراح إليه وطرب وغنى به مغرداً ، وللراد أن شعره سار فى الآفاق حتى لم يبق من لا يرويه وينشده ولو لم يكن من روبة الشعر . والتغريد : رفع الصوت للتطريب . أو تقول : إن شعره لحسنه أولع الناس بحفظه وروايته ، فسيروا فى الآفاق من لا يربم مكانه ، وغنى به من لاعادة له بالفناء لشدة طربه به واهتزازة .

(٣) يقول : إذا أنشدك شاعر شعراً فأجعل جائزته لى ، لأن الذى أنشدت إنما هو شعرى أنتاك به المادحون يرددونه عليك . يعنى أنهم يسلخون معانى أشعارى فىك ، ويأخذون ألفاظى فيأتون بها إليك . كما قال بشار :

إِذَا أَنْشَدَ حَمَادٌ قُلَّ أَحْسَنَ بَشَارُ

وقال أبو هفان :

إِذَا أَنْشَدَ كَمَ شِعْراً فَقُولُوا أَحْسَنَ النَّاسُ

وقال أبو تمام فى غير هذا المعنى :

فَمَهْمَا تَكُنْ مِنْ وَقْعَةٍ بَعْدُ لَا تَكُنْ رِسْوَى حَسَنِ مِمَّا فَعَلْتَ مُرْدِّدَ

هذا : والجائزة العطية ، ويقال أصل الجوائز : أن قطن بن عبد عوف من بنى هلال ابن عامر بن مصصة ولى فارس لعبد الله بن عامر ، فرز به الأحنف فى جيشه غازياً إلى خراسان فوقف لهم على قطرة . فقال أجيروهم ، فجعل ينسب الرجل ، فيعطيه على قدر حسبه . قال الشاعر :

وَدُعْ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي فَإِنِّي
 أَنَا الصَّائِحُ الْمَخِيءُ وَالْآخِرُ الصَّادِي ^(١)
 تَرَكْتُ الشَّرِيَّ خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنُفْعَاكَ عَسْجَدًا ^(٢)
 وَقَبِدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَبْدًا تَقَبَّدًا ^(٣)
 إِذَا سَأَلَ الْإِنْسَانُ أَيَّامَهُ الْغَنَى وَكُنْتُ عَلَى بَعْدِ جَعْلِكَ مَوْعِدًا ^(٤)

فِدَى لِلْأَكْرَمِينَ بَنِي هِلَالٍ عَلَى عِلَاتِهِمْ أَهْلِي وَمَالِي
 هُمْ سَخَّوْا الْجَوَازِرَ فِي مَعْدَةٍ فَصَارَتْ سُنَّةً أُخْرَى اللَّيَالِي

وقال بعض أهل اللغة : أصل ذلك أن أميراً واقف عدوا بينهما نهر ، فقال : من جاز هذا النهر فله كذا ، فكلما جاز منهم واحد أخذ جائزة ، وقيل : إنما سميت جائزة لأنها تجوز لصاحبها ؛ من قولك : هذا يجوز وهذا يمتنع .
 (١) الصدى : الصوت الذى يحيك من الجبل وغيره ، كأنه يحكى قولك وصياحك ، وهذا مثل . يقول : لا تحفل بشعر غير شعري ، فإن شعري هو الأصل ، وغيرى كالصدى له .
 (٢) السرى : سير الليل ؛ والصعد : الذهب . يقول : لقد أثريت بما توالى على من نعمائك ، حتى لو شئت لأخذت لحلى نعال الذهب ؛ ومن ثم تركت السير إليك لغيري من المعوزين القترين ، ليسيروا إليك كما سرت ، ويحظوا كما حظيت .
 (٣) فى ذراك : فى كنفك . يقول : إنما أقت عندك حبالك ، لأنك قيدتني بإحسانك وهذا كما قال أبو تمام :

وَتَرَكِي سُرْعَةَ الصَّدْرِ اغْتِبَاطًا بَدْلُ عَلَى مُوَاقَعَةِ الْوُرُودِ
 وقال أيضا :

هَمِي معلقةً عليك رقابها مغلولة - إن الوفاء إسرارها
 (٤) يقول : إذا طلب الإنسان إلى أيامه أن تغنيه وكنت بعيداً عنه ؛ وعده بالغنى لدى وصوله إليك ، وعبرة الواحدى : الدهر يحيل عليك ، فمن اقترح عليه الغنى يشير عليه بإتيانك ، ومن هذا قول أبي تمام :

شكوتُ إلى الزمان نُحُولَ حَالِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى عَبْدٍ الْحَمِيدِ

وقال بمصر وهو يريد سيف الدولة :

فَارَقْتُكُمْ فَإِذَا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ قَبْلَ الْفِرَاقِ أَذَى بَعْدَ الْفِرَاقِ يَدُ^(١)
إِذَا تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ أَعَانَ قَلْبِي عَلَى الشَّوْقِ الَّذِي أَجِدُ^(٢)

(١ و ٢) ما — من قوله فإذا ما كان — اسم موصول بمعنى الذي ، مبتدأ وخبره :
يد — في آخر البيت — وأذى : خبر كان . يقول : غادرتكم فإذا جفاؤكم الذي كنت
أحسبه أذى قبل الفراق قد صار نعمة بعده . وعبرة ابن جني — وثقلها
الواحدى — : الأذى بعثى على مفارقتكم ، فصار الأذى يداً لأنه كان سبباً
للفرقه . ثم قال المتنبي : إذا تذكرت الحال التي كانت بيننا فتشوقت إليكم ذكرت ذلك
الجفاء فأعان قلبي على الشوق فلا يغلبه شوق إليكم . هذا هو ما ذهب إليه ابن جني
والواحدى ، ولكن الإمام العروضى قال : إن هذا غلط ، وإنما معنى البيت الأول :
ما كنت أحسبه عندكم أذى كان إحسانا إلى جنب ما ألقاه من غيركم ، وذلك كما
قال الآخر :

عَتَبْتُ عَلَى سَلَمٍ فَلَمَّا هَجَرْتُهُ وَجَرَبْتُ أَتَوَّامًا بَكَيْتُ عَلَى سَلَمٍ
ثم قال : إذا تذكرت ما بيني وبينكم من صفاء المودة أعانني ذلك على مقاومة
الشوق إذا علمت أنكم على العهد والوفاء بالمودة .

وقال في سباه يمدح محمد بن عبيد الله العلوي المشطب :

أَهْلًا بَدَارَ سَبَاكَ أَغْيَدُهَا أَبْعَدُ مَا بَانَ عَنْكَ خُرْدُهَا^(١)
ظَلَّتْ بِهَا تَنْطَوِي حَتَّى كِيدٍ نَضِيجَةٍ فَوْقَ خِلْبِهَا يَدُهَا^(٢)

(١) سباه : أسره بحبه ؛ والأغيد : اناغم التثنى لنا ؛ والمراد : الحبيبة . وذكر على معنى الشخص . والخرد : جمع خريدة ، وهي البكر التي لم تمس ، أو الحية . لما دعا للدار — التي سباه من كان بها — بأن تكون مأهولة قال : أبعد شيء فارقك جوارى هذه الدار الناعمات الأبرار ؛ قوله : أهلا ، منصوب بمضمر ؛ والتقدير : جعل الله أهلا بتلك الدار : أي جعلها عامرة بالأهل ، وهو في الحقيقة دعاء لها بالسقيا لأن عادة الشعراء إذا وقفوا على ديار أحبايهم حيوها بالسلام ودعوا لها بالسقيا ورجوع الأهل ، كقول جرير : سقى الرمل جَوْنٌ مُسْتَهْلٌ رَبَابُهُ وما ذاكَ إِلَّا حُبٌّ مِّنْ حَلٍّ بِالرَّمْلِ^(١)

« أي من أجل حب من حل بالرمل » وقوله أبعد : روى أبعد ؟ — على أنه استفهام — ويكون المعنى : أبعد ما بان عنك خردها ولم زدك عند رحيلها زاداً تدعو لها ، وروى أبعد — بالنصب — على أنه حال من الأغيد ، والعامل في الحال : سباك . يريد سباك أبعد ما بان عنك : أي أنه أسرك بحبه ، وهو على البعد منك . قال الواحدى والرواية الصحيحة أبعد ما بان . أقول : وهي التي أبتناها في هذا الديوان .

(٢) ظلت : أصله ظلت ، فحذفت إحدى اللامين تخفيفاً ؛ وحلب الكبد : غشاؤها ويدها : مبتدأ ؛ والخبر : الظرف المقدم عليه ، والجملة : نعت آخر لكبد . وقال العكبري يدها ارتفعت بنضيجة ، إذ أنها تعمل عمل الفعل ، كما تقول : مررت بامرأة كريمة جارتها ، ثم قال : وجعل البدنضيجة وأضافها إلى الكبد لأنها دام وضعا على الكبد ، فأنضجت بما فيها من الحرارة ؛ فلهذا جاز إضافتها إلى الكبد . والعرب تسمى الشيء باسم غيره إذا طالت صحبتة إياه ، كما قالوا لفناء الدار : العذرة^(٢) وإذا جاز تسميته باسم ما يصحبه كانت الإضافة أهون . يقول : ظلت بتلك الدار تثنى على كبدك التي أنضجت حرارة الوجد واصما يدك فوقها ، والمخزون يفعل ذلك كثيراً لما يجد في كبده من حرارة الوجد ، كأنه يخاف أن تنشق كما قال الحماسي :

(١) الجون : السحاب الأسود ، والرباب . ما كان دون السحاب ، ومستهل : منهل .

(٢) العذرة : الغائط . قال اللغويون : إنما سمى فناء الدار عذرة لأنها كانت تلقى

بأفنية الدار

يَا حَادِي عِيرَهَا وَأَحْسِنِي أَوْجَدُ مَتَا قَبِيلَ أَقْدَهَا^(١)

وَأَذْكُرُ أَيْامَ الْحَمَى نَمَ أَنْتَنِي عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصْدَعَا^(٢)
وقال الآخر :

لَمَّا رَأَوْهُمْ لَمْ يَحْشُوا مُذْرِكَا وَضَمُّوا أُنَامِلَهُمْ عَلَى الْأَكْبَادِ
(١) العير : الإبل التي تحمل عليها الميرة ، و يروى عيسها : وهي كرام الإبل ، وقوله
قبيل أقدها : أراد قبيل أن أقدها ، فلما حذف أن : عاد الفعل إلى الرفع كبيت
الكتاب — كتاب سيويه — :

* أَلَا أَيُّهَا اللَّائِمِيُّ أَخْضَرَ الْوَعَى^(٣) *

(١) للصمة بن عبد الله القشيري من أبيات جميلة أولها :
حَنَنْتُ إِلَى رَبِّيَا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَرَارِكَ مِنْ رَبِّيَا وَشَقْبَا كَمَا مَعَا
فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِمًا وَتَجَزَّعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَتَمَّمَا
قَفَا وَدَعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحَمَى وَقَلَّ لِنَجْدٍ عَفْدَنَا أَنْ يُودَعَا
بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضُ مَا أَطْلَبَ الرَّبَّيَا وَمَا أَحْسَنَ الْمَصْطَافَ وَالْمَرْبَّيَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبَشَرَ أَعْرَضَ دُونَنَا وَجَالَتْ بَنَاتُ الشُّوقِ يَمْحَنُّ نَزْغَا
بَكْتُ عَيْنِي الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتَهَا عَنْ الْجَهْلِ بَدَا الْحِلْمُ أَسْبَلْنَا مَعَا
تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَمَى حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِئْتُ مِنَ الْأَصْفَاءِ لَيْتَا وَأَخَذَا
وَأَذْكُرُ أَيْامَ الْحَمَى [البيت]
وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحَمَى بِرَوَاجِعِ إِلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ هِينِكَ تَذَمُّعَا

الشعب : الحمى ؛ والبشر : جبل ، وأعرض : أبدى عرضه وجانبه ، وبنات الشوق
نوازعه . وزعجا جمع نازع أى مشتاق ، والبيت صفحة العنق ، والأخذع : عرق فيها .
(٢) صدر بيت لطرفة بن العبد من معلقته ، وعجزه :

* وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِيَرِي *

وبعده :

قِنَا قَلِيلًا بِهَا عَلَى فَلَا أَقْلَ مِنْ نَظَرٍ أَزُودُهَا^(١)

وقوله راحسبني إلخ : جملة اعتراضية . دعا الحاديّين ، ثم ترك ما دعاهما له فذكره في البيت التالى ، وآتى بهذه الجملة المعترضة الجميلة . قال المكبرى : نادى الحاديّين ، وحذف ما ناداهما له ؛ وذكره فيما بعد البيت ، وهذا مما يسمى الاعتراض : اعترض له كلام آخر هو من شأنه وقصته ، ولو كان كلاما ليس من قصته وشأنه فسد ، وإذا كان منه كان جائزاً . كقول الآخر :

وقد أدركتني والحوادث جمّة أسنة قوم لا ضِعافٍ ولا عزَلٍ

فصل بين الفعل والفاعل بما هو من نصته ، لان إدراك الأسنة من جملة الحوادث .

(١) يقول — للحاديّين اللذين يعدوان عيها أو عيسها — : احبسها على قليلا لأنظر إليها وأزود منها نظرة فلا شيء أقل منها . وقريب من هذا المعنى قول ذى الرمة :

وإن لم يكن إلا مُعَرَّجُ سَاعَةٍ قَلِيلًا فَإِنِ نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا^(١)

وروى بعضهم أقل — بالرفع — على أن « لا » بمنزلة ليس ، كيبت الكتاب :

من فرّ عن نيراتها فأنا ابن قيس لا براح^(٢)

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتى فدعني أبادرهما بما ملكت يدي

[يقول طرفة : يامن يلومنى على حضور الحرب لئلا أقتل ، وعلى أن أنفق مالى فى اللذات : ما أنت مخدّى إن نزلت على حكمك ، وإذن دعنى أسبق الموت بالتمتع باتفاق مالى ... يعنى أن الموت لا يد منه ، فلا معنى للبخل وترك اللذات] .

(١) قبله :

ألمأ على الدار التى لو وجدتها بها أهلها ما كان وحشاً مقيماً

ألمأ : إزلاً ، ووحشاً موحشاً ، والقليل : النوم فى الظهيرة ؛ والمرج : التعريج وهو الإقامة . وقليها : مبتدأ ؛ ونافع : خبره . والمعنى ظاهر .

(٢) من أبيات لسعد بن مالك — شاعر جاهلى من شعراء الحماسة — وأول الأبيات :

يا بؤس للحرب التى وسعت أراهم فاستراحوا

وبسده :

والحرب لا يبقى لها حيمها التخيل والمزاح

فَفِي فُؤَادِ الْحَبِّ نَارُ جَوْيَ أَحَرُّ نَارِ الْجَحِيمِ أَبْرَدُهَا^(١)
شَابَ مِنَ الْمَجَرِ فَرَقُ لَيْتِهِ فَصَارَ مِثْلَ الدَّمَقْسِ أَسْوَدُهَا^(٢)
بَانُوا بِمَجْرُوعَةِ لَمَّا كَفَلْ يَكَادُ عِنْدَ الْقِيَامِ يُعَمِّدُهَا^(٣)

يريد : ليس عندى براح .

(١) عنى بالحب : نفسه ، والجوى : الحرقه وشدة الوجد من عشق أو حزن ، والجحيم : النار العظيمة الشديدة التوقد . وكل نار توقد على نار : جحيم ؛ وجحت النار : اضطربت وكثر جرها ولهبها وتوقدها ؛ ومكان جاحم : شديد ؛ قال الأعشى :

يُعَمِّدُونَ لِلْمِجَاءِ قَبْلَ لِقَائِهَا غَدَاةَ احْتِضَارِ الْبَاسِ وَالْمَوْتِ جَاحِمُ
يقول : إن نار الجوى أشد حرارة من نار الجحيم ؟

(٢) اللمة من الشعر : ما ألم بالنكب . وجاوز شعمة الأذن ، ويسمى الشعر القليل في الرأس : وفرة ، فإذا كثر عن ذلك : قيل جمة ، فلذا ألم بالنكب : قيل لمة . والفرق حيث يفرق الشعر من الرأس . والدقمس : الحرير الأبيض ؛ وأسودها . مسودها يقول : لعظم ما ألم به من هجر الحبيب أبيض شعره حتى صار ما كان أسود من لمة أبيض .

(٣) الخرعويحة : الشابة اللينة الطرية ؛ وقوله يكاد : يريد قرب من ذلك ، وكاد : فعل وضع لمقاربة الفعل ، وإثباته نفي في المعنى ، فأراد : قرب من ذلك ولم يفعل . قال اللغويون . كدت أفعل : معناه عند العرب قاربت الفعل ولم أفعل ، وما كدت أفعل : معناه فعلت بعد إبطاء . يقول : ذهبوا بأمرأة ناعمة إذا قامت يكاد ردفها يقعدھا لكثرة ما عليه من

إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي النَجْدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَقَّاحُ

يَا بُوْسُ لِلْحَرْبِ - يقول : يا بُوْسُ الحرب ، ومعنى وضعت أراھط حطمت وأسقطتهم فلم يكن لهم ذكر في هذه الحرب فاستراحوا من مكابذتها كالنساء . وقوله : فأنا ابن قيس أي أنا المشهور في النجدة لما سمعت ؛ والبراح : مصدر برح الشيء براحا ، إذا زال من مكانه والجاحم : المكان الشديد الحر ، والتخيل : التكبر ، من الخيلاء . يقول : إنها تزيد نخوة النخو ، وذلك أن أصحاب الغناء يتكرمون عن الخيلاء ويغتنال للفتش ، فلذا جرب فلم يحمّد افتضح وسقط ؛ والمراح - بكسر الميم - النشاط .

رَبِّحِيْلَةَ أَسْتَمِرِّ مُقَبَّلَهَا سَبَخَلَةَ أَيْبَضَ مُجَرَّدَهَا^(١)
يَا عَاذِلَ الْعَاشِقِينَ دَعِ فِتْنَةً أَضْلَهَا اللَّهُ كَيْفَ تُرْشِدَهَا^(٢)
لَيْسَ يُحِيكَ الْمَلَامُ فِي هِمَمٍ أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدَهَا^(٣)

اللحم . وهم يصفون المرأة بثقل العبيزة وكثرة لحمها . وقد تعاور هذا المعنى شعراء العربية كثيراً ؛ قال ذو الرمة :

تَنَوُّهُ بِأَخْرَاجِهَا قَلَالِيًا قِيلُمُهَا وَعَشِيَّ الْهَوَيْنَا عَنْ قَرِيبٍ فَتَبَهَّرُ^(١)
ويقول أبو العتاهية .

بَدَّتْ بَيْنَ حُورٍ قِصَارٍ أَنْطَى تُجَاهِدُ يَالْمَشَى أَكْفَالُهَا
وقال أبو دلامة :

وَقَدْ حَاوَلْتُ نَحْوِي الْقِيَامَ لِحَاجَةٍ فَأَثْقَلَهَا عَنْ ذَلِكَ الْكَفْلُ النَّهْدُ

(١) الرمحلة والسبعة : من نعوت النساء ، وهى الجسيمة الطويلة العظيمة . والمقبل موضع التقييل ، وهو الشفة ، وتحمد فيها السمرة . قال ذو الرمة :

لَمِيَاءٌ فِي شَفَتَيْهَا مُحْمَرَةٌ لَعَسُ وَفِي اللَّثَاثِ وَفِي أَنْيَابِهَا شَنْبُ

والمجرد : ماتعري من الثوب ، وهو الأطراف وصفها بسمرة الشفة وياض اللون ، وخص المجرد لأنه إذا ابيض المجرد - الذى تصيبه الريح والشمس ، وهو الذى يظهر للرائين - كان سائر بدننا - الذى لا تصيبه الريح ولا الشمس - أشد يابضاً .

(٢) الفتنة : الجماعة ، يريد العاشقين . يقول : يا من يلوم العشاق على عشقهم دع لومك قوما أضلهم الله فى الهوى حتى تهلكوا فيه واستولى عليهم حتى استبد بهم ، فكيف ترشدهم بعد ذلك ؟ أى أنهم لا يصنون إلى لومك ، لما بهم من ضلال العشق .

(٣) أحاك فيه النوى وحاك : آثر . يقول : إن لومك لا يؤثر فى هم أقربها منك فى تقديرك أبدها عنك فى الواقع : أى أن الذى تظنه ينفع فيه لومك هو الأبعد ما تظن :

(١) قوله : تنوء بأخراها يقول : إن أخراها - وهى عجزتها - تنيش : أى تسقطها إلى الأرض لضخمها وكثرة لحمها فى أردافها ، ومن ثم كان قيامها إذا هى قامت ، بعد لآى أى بعد مشقة وجهد وإبطاء .

بِشْرِ اللَّيَالِي سَهَرْتُ مِنْ طَرَبِي شَوْقًا إِلَى مَنْ يَبِيتُ يَرْتَقِدُهَا^(١)

(١) يذم الليالي التي لم ينم فيها لما أخذه من القلق وخفة الشوق إلى الحبيب الذي يرقد الليالي ساليا لا يجد من أسباب السهر ما كان يجده هو . وابن الخلى من الشجى ؟ وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا فقالوا لنا ما أقصرَ الليلَ عندنا
وإليك ما أورده العكبري في شرح هذا البيت قال : المقصود بالدم محذوف ، وهو
نكرة موصوفة بسهرت ، والمعاند إليه من صفته محذوف أيضاً ، والتقدير ليل سهرت
فيها ؛ ومثله في الكتاب العزيز (ومن آياته يريكم بها البرق خوفاً ، وقد
جاء في الشعر حذف النكرة المبرورة الموصوفة بالجملة في قول الرازي :

مَالِكٌ عِنْدِي غَيْرُ سَهْمٍ وَحَجَرٌ وَغَيْرُ كِبْدَاءٍ شَدِيدَةٌ الْوَتَرُ

* تَرَمِي بِكُنْفِي كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرِ^(١) *

يريد بكفي رجل خذفه وهو ينويه ؛ وقوله من طربي : مفعول له ، وهو بمعنى اللام ،
كما تقول جئت من أجلك ولأجلك ، وأكرمته لخافة شره ومن مخافة شره ؛ وشوقا :
يحتمل أن يكون مفعولا لأجله عمل فيه طربي فيكون الشوق علة للطرب ، والطرب علة
للسهر ، ولا يعمل سهرت في قوله شوقا لأنه قد تعدى إلى علة فلا يتعدى إلى أخرى إلا
بماطف ، كقولك أفت سهرنا وخوفاً ، وسرت طربنا وشوقاً . ويحتمل أن ينصب بمحذوف
كأنه قل شفت شوقاً ، وشاقني انتذكر شوقاً ، وشقت فعل مالم يسم فاعله ، كما يقول المملوك
قد بمت ، أي باعني مالكي ، وكقول الجارية — وقد سئلت عن المظر — غشنا ماشئنا :
أي أغائنا الله ، وقوله : إلى من ، يتعلق بالشوق لأنه أقرب للذكور إليها ، وإن شئت
علقت به بالطرب إذا نصبت شوقاً بالطرب ، وإن نصبت به بالمحذوف لم تعلقه بالطرب ، لأنك
تفصل بشوق وهو أجنب من الطرب وصلته ، وكان الوجه أن يقول : يرقد فيها ، كما تقول

(١) قوس كبداء : غليظة القبض تملأ الكف . وقوله ترمي . يروي جادت من الجودة
وقل ابن جني : يروي أيضاً بفتح ميم «من» أي بكفي من هو في الرمي من أرمي البشر ،
وكان على هذا زائفة . وعلى هذا لا شاهد فيه .

يوم الجمعة خرجت فيه . ولا تقول خرجته إلا على سبيل التوسع في الظرف فجعله مفعولا به على السمة كقوله :

* ويوم شهدناه سُلَيَّا وعامرا^(١) *

ففي البيت أربعة حذف : حذف المقصود بالدم — وهو ليال — وحذف من سهرت فيها ، وحذف الضمير من سهرت ؛ فكأنه يقول سهرتها . والرابع حذف من يرقد فيها . وروى سهرت وسهرت — بالراء والبدال — وقد فرق أهل اللغة بينهما فقالوا : السهر — بالراء — في كل شيء ، وبالبدال للدغ والعاشق . واستدلوا بقول النابغة :

* يُسَهِّدُ مِنْ نَوْمِ الْمَشَاءِ سَلِيمُهَا^(٢) *

وبقول الأعشى :

* وَبِتُّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهِّدًا^(٣) *

(١) عجزه :

قَلِيلٌ سِوَى الطُّغْنِ النَّهَالِ نَوَافِلُهُ *

شهدناه : أى شهدنا فيه ؛ وسليم وعامر قيلتان من قيس غيلان ؛ والنوافل هنا : النخائم يقول : يوم لم يغم فيه إلا النفوس أما أوليناها من كثرة الطغن والنهال المرتوية بالدم . وأصل التهل : أول الشرب ، والعلل : الشرب بعد الشرب ، والطغن هنا جمع طغنة :

(٢) عجزه :

* لِحَلِيِّ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهَا قِمَاقِمُ *

يقال فلان يسهد : أى لا يترك أن ينام .

(٣) صدره :

* أَلَمْ تَفْتَمِّضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا *

وهذا البيت مطلع أبيات يمدح بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعلمه :

وما ذاك مِن عَشْقِي النِّسَاءِ وَإِنَّمَا تَنَاسَيْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ خُلَّةَ مَهْدَا

وقوله: بئس: اختلف أصحابنا والبصريون في نعم وبئس، فقال أصحابنا هما اسمان، وقال البصريون: بل هما فعلان ماضيان لا يتصرفان، وواقفهم من أصحابنا: علي بن حمزة المقرئ. حجتنا على أنهما اسمان أن حرف الجر يدخل عليهما لما قد جاء عن العرب أنها تقول ما زيد بنعم الرجل. قال حسان بن ثابت الأنصاري رضى الله عنه:

أَلَسْتُ بِنِعَمٍ الْجَارُ يُؤَلِّفُ بَيْتَهُ
لِذِي الْعَرَفِ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَمُعْدِمًا^(١)
وحكى عن بعض قصحاء العرب أنه قال: نعم السير على بئس العير، وقول الفراء: إن أعرايا بئر بأننى قليل له نعم المولود، مولودتك، فقال: والله ما هى بنعم الولد، نصرها بكاء وبرها سرقة. فدخل حرف الجر عليهما دل على أنها اسمان. وحجة أخرى: أن حرف النداء يدخل عليهما وهو لا يدخل إلا على الأسماء في قولهم: يا نعم المولى ويا نعم النصير: ولا يجوز أن يقال المقصود بالنداء محذوف للعلم به والتقدير فيه: يا الله نعم المولى. فحذف النادى لدلالة حرف النداء عليه، كما يحذف حرف النداء لدلالة النادى عليه، فإن قيل ذلك، فجوابنا: النادى إنما يقدر محذوفا إذا ولى حرف النداء فعل أمر. وما جرى مجراه، كقراءة علي بن حمزة والحسن ويعقوب والأعرج «ألا يا اسجدوا» نديره: يا هؤلاء اسجدوا. وكقول ذى الرمة:

أَلَا يَا أَسْلَمَى دَارِمْ عَلَى الْبَلِي
وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِمَجْرَعَاتِكَ الْقَطْرِ^(٢)
وكقول الآخر:

أُمْسَلَمْ يَا أَسْمَعَ يَا ابْنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ
وَيَا سَائِسَ الدُّنْيَا وَيَا جَبِلَ الْأَرْضِ^(٣)

إلى آخر الأبيات. وقوله ليلة أرمدنا: يريد ليلة أرمدنا — أى عيناه — أى أصحابها رمد، وهورج العين، والسليم: الملدوغ، والمسهد: الذى منع النوم، والحلة: الصداقة ومهدد: اسم امرأة.

(١) قوله يؤلف بيته لذي العرف: أى يجعله مألفاً لذي العرف أكان غنياً أم فقيراً.

(٢) مى: هى محبوبته، وعلى: بمعنى مع، ومنهلاً: منصباً، والجرعاء: مؤنث الأجرع: الموضع المختلط ترابه بالخصى؛ والقطر: المطر. يدعو لها بالحبس.

(٣) هذا البيت لأبى نخيلة يمدح به مسلمة بن عبد الملك. وقد أورده القالى على الوجه الآتى:

أراد يهَذَا : وشواهد كثيرة ، وإنما اختص هذا دون الخبر بفعل الأمر ، لأن المنادي مخاطب ، والأمور أيضاً مخاطب ، فحذفوا الأول من مخاطبين اكتفاء بالثاني ، ولا خلاف أنه نعم المولى خبر ؛ فيجب أن لا يقدر المنادي محذوفاً ، فدل على أن النداء لا يكاد ينفك عن الأمر ، أو ما جرى مجراه من الطلب والنهي ، ولذلك لا يكاد يوجد في كتاب الله نداء ينفك عن أمر أو نهى ، ولهذا لما جاء الخبر في قوله تعالى « يا أيها الناس ضرب مثل فليستمعوا له » شفعه الأمر — وهو استمعوا له — فلما كان الأمر والنداء جملتي خطاب جاز أن يحذف المنادي من الجملة الأولى ، وليس كذلك فإنعم المولى ، لأن نعم : خبر ، فلا يجوز أن يقدر المنادي محذوفاً ، ودليل آخر على أنها اسمان ، أنها لا يحسن اقتران الزمان بهما كسائر الأفعال ، لأنك لا تقول : نعم الرجل غداً ولا أمس ولا بشس الرجل غداً أو أمس ، ودليل آخر : أنها غير متصرفين ، والتصرف من خصائص الأفعال ودليل آخر : أنها لم يكونا ضليين حاضيين لأنه يجوز دخول اللام عليها في خبر أن ، تقول إن زيدا نعم الرجل وعمرأ لبس الغلام . وهذه اللام لا تدخل على الماضي ، وهي تدخل على الاسم ، وعلى الفعل المضارع ، فدل على أنها اسمان . ودليل آخر : أنه قد جاء عن العرب نعيم الرجل وليس في أفعال العرب فاعل ، فدل على أنها اسمان . وحجة البصريين اتصال الضمير المرفوع بهما على حد اتصاله بالفعل المتصرف . وحجة أخرى : اتصالها بتاء التانيث الساكنة التي لا يقلبها أحد في الوقف هاء كما قلبوها في رحمة وشجرة ، وذلك قولهم نعمت الجارية ، وهذه التاء يختص بها للفعل الماضي .

أَسْلَمَ إِنِّي يَا ابْنَ كَلٍّ خَلِيفَةً وَيَا فَارِسَ الْمَلِيجِ وَيَا قَمَرَ الْأَرْضِ
شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ اللَّتْقِ

وَمَا كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ نِعْمَةً يَقْضَى
وَأَلْقَيْتَ لَمَّا أَرَأَيْتُكَ زَائِراً عَلَى خَلْقٍ سَابِغِ الطُّولِ وَالْعَرَضِ
وَنَوَّهْتَ مِنِّي ذِكْرِي وَمَا كَانَ خَامِلاً
وَلَكِنْ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ

وإذن لا شاهد فيه :

أَحْيَيْتَهَا وَالْدُمُوعُ تُنَجِّدُنِي شَوْوْنَهَا وَالظَّلَامُ يُنَجِّدُهَا^(١)
لَا نَاقَتِي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلَا بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرَّهَانِ أَجْبِدُهَا^(٢)

(١) إحياء الليل : سهره ، وأنجده : أعانه ؛ والشئون : قبائل الرأس ، وهى مجارى الدموع ، والضمير فى أحيتها وينجدها : لىالى ، والضمير فى شئونها للدموع . يقول : كان للدموع من الشئون إمداد ، وللىالى من الظلام إمداد ، يعنى أن تلك اللىالى طالت وطال البكاء فيها ، ويجوز أن يكون الضمير فى ينجدها عائدا إلى الشئون ، وذلك أن من شأن الظلام أن يجمع المموم على العاشق وفى اجتماعها عون للشئون على تكثير البكاء . يبين هذا قول قيس المجنون :

يَضُمُّ إِلَى اللَّيْلِ أَطْفَالَ حُبِّهَا كَمَا صَمَّ أَزْرَارُ الْقَمِيصِ الْبِنَائِقِ^(١)
(٢) الرهان : السباق ، وأجهد الدابة وجهدها : حملها فى السير فوق طاقتها يقول : إن نأقتى — ويريد نعله — لا تقبل الرديف — وهو الذى يرتد فى خلف الراكب — وإذا راھنت عليها لم أجدها بالسوط ؛ وهذا كما قال فى قافية قد تقدمت :

وَحُبِّيْتُ مِنْ خَوْصِ الرِّكَابِ بِأَسْوَدٍ مِنْ دَارِشٍ فَفَدَوْتُ أُمِّي رَاكِبَا
وهذا المعنى من قول أبى نواس :

إِلَيْكَ أَبَا الْعَبَّاسِ مِنْ بَيْنِ مَنْ مَشَى عَلَيْهَا امْتَطَيْنَا الْحَضْرَى الْمَلْسَنَا
فَلَا تُصَلِّمْ تَعْرِفُ حَنِينًا إِلَى طَلَا وَلَمْ تَذَرِ مَا قَرَعَ الْفَنِيْقُ وَلَا الْهِنَا^(٢)
ومثله قول الآخر :

رَوَّاحِلُنَا سِتٌّ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ نُجْتَنِبَنَّ الْمَاءَ فِي كُلِّ مَنْهَلٍ

(١) أراد بالأطفال : الأحزان المتولدة عن الحب . والبنائق : جمع بنية ، وهى طوق اثوب الذى يضم النحر وما حوله ، وإذا أنشد البيت :

* كَمَا ضَمَّ أَزْرَارَ الْقَمِيصِ الْبِنَائِقُ

كأهو فى أصله ، فالبنائق : العرى التى تدخل فيها الأزرار :

(٢) نعل حضرمي : إذا كان ملسنا وهو الذى فيه طول ولطافة على هيئة اللسان والطلا : الولد من ذوات الظلف ، وانقرع : الجرب ، والفنيق ، الفعل المكرم من الإبل الذى لا يركب ولا يهان لكرامته ، والهناء : انمطران . تقول هنأت البعير : إذا طليته بالهناء وهو انمطران .

شِرَاكُهَا كُورُهَا وَمِشْفَرُهَا زَمَامُهَا وَالشُّوعُ مِقْوَدُهَا^(١)
أَشَدُّ عَصْفِ الرِّيحِ يَسْبِقُهُ تَحْتَى مِنْ خَطْوِهَا تَأْيِدُهَا^(٢)
فِي مِثْلِ ظَهْرِ الْمِجَنِّ مُتَّصِلٍ بِمِثْلِ بَطْنِ الْمِجَنِّ قَرَدُهَا^(٣)

(١) الشراك : سيرانعل ؛ والكور : رحل الناقة ؛ والمشفر من الناقة : بمنزلة الشفة من الإنسان ؛ وزمام النعل : ما تشد إليه شسوعها ، وهى السور التى تكون بين خلال الاصابع ، والمقود : الحبل الذى تقاد به الدابة . جعل شراك نعله بمنزلة الرحل للناقة ، وزمامها بمنزلة للمشفر لها ، والشسوع بمنزلة المقود .

(٢) عصف الرياح : شدة هبوبها ومن روى بضم العين فهو جمع عصفوف يقال ربح عاصف وعصفوف : بمعنى ، والجمع عصف . ويريد بقوله تأييدها : تأنيها وتأييدها . يقول : أهون سيرناقتى — يعنى نعله — يسبق أشد سير الرياح . يصف التنبي نفسه بأنه شديد العدو منتعلا ، وقال الواحدى فى قوله تأييدها : التأيد تفعل من الأيد ، وهو التقوى ، وليس المعنى على هذا ، وإنما أراد التعلل من الاتئاد وهو الترفق واللين ، ولم يحسن بناء التعلل منه ، وحقه تأودها ، وقال ابن القطاع : يقال آد الشيء يئيد أيدياً : إذا قوى . ولو قال تأودها لكان قد بالغ ، وآد الشيء يئود أوداً : إذا أثقل . وفى كلام العرب ما آذك فهو لى آئد : أى ما أثقلت فهو لى مثقل ، فيكون المعنى أشد عصف الرياح يسبقه ثقل سيرها . وهذا غاية المبالغة ، وكذلك لو قال : تأودها لكان أيضاً قد بالغ ، فالتؤد والتؤيد الترفق . يقال : وأد يئد وأدا . والتاء — فى التؤدة — مبدلة من واو ، مثل تخمة ، فيكون المعنى : أشد عصف الرياح يسبقه ترفق سيرها ؛ وهذا هو المبالغة . وقيل : إن التأيد فى بعض اللغات الترفق ، وأنشد الحليل فى ذلك :

تَأْيِدٌ عَلَى هَذَاكَ الْمَلِيكَ فَإِنْ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا

أى ترفق :

(٣) فى مثل ظهر المجن : أى يسبقها تأييدها فى مفازة مثل ظهر المجن . فمثل نعت للحدوف : أى فى مفازة أو فلاة ، والمجن : الترس ، ومتصل نعت سبى لمفازة المخذوفة . وقرددتها : فاعل متصل ، وتروى متصل — بالرفع — على أنها خبر مبتدأ مؤخر ، وهو قرددتها ، والقردد : الأرض المرتفعة الغليظة أو أرض فيها نجاد ووهاد . قال ابن جنى شبه الأرض بظهر المجن لما كانت خالية من النبات ، وظهر المجن نأتى ، وبطنه لاهلىء

مُرْتِمَاتٌ بِنَا إِلَى ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ غِيْطَانَهَا وَقَدْ فَدَّهَا^(١)
إِلَى فَتَى يُصْدِرُ الرِّمَاحَ وَقَدْ أَنَهَلَهَا فِي الْقُلُوبِ مُورِدَهَا^(٢)
لَهُ أَيْدٍ إِلَى سَابِقَةٍ أَعَدَّ مِنْهَا وَلَا أَعَدَّهَا^(٣)

فهو كالصعود والحدور أى أن هذه المفازة محدبة مثل ظهر الحن يتصل ما ارتفع منها بأما كن منخفضة مثل بطن الحن : يعنى أنها ذات جبال ووهاد .

(١) مرتميات : خبر مقدم ، وغيطانها : مبتدأ مؤخر ؛ وتروى مرتميات - بالنصب - صفة لمفازة ، وغيطانها ، فاعل مرتميات : والغيطان ؛ جمع غائط ، وهو الطمئن من الأرض . والفدغ : الأرض الغليظة المرتفعة . يقول : إن هذه المفاوز غيطانها وفدغها ترمينا إلى المدوح بقطنا إياها بالسير ، فكأنها تلقينا إليه ،

(٢) إلى فتى : بدل من ابن عبيد الله . ويصدر الرماح : ينزع من الطمئن من الملعون . وأنهلها : سقاها . وموردها - بضم الميم - على أنه اسم فاعل - وهو المدوح - فاعل أنهلها ؛ ويروى بفتح الميم على معنى المصدر ، فيكون المعنى أنهلها في القلوب ورودها : يعنى أنها وردت قلوب الأعداء ؛ والأولى أجود . يقول : ينزع الرماح وقد سقاها من دماء قلوب الأعداء . وعبرة الواحدى : يرجعها ويردها وقد سقاها بموضع ورودها في قلوب الأعداء دماءهم .

(٣) الأيادى : النعم ، وإلى : صلة سابقة ، أو صلة الأيادى مضمنة معنى الإحسان ، كأنه قال : له إحسان إلى ، لأنه يقال لك عندى يد ، ولا يقال لك إلى يد ، والعرب تصل الفعل بالمعنى لا باللفظ : قال تعالى « وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن » والمعنى لطف بي . وقوله أعد منها : يريد أى غذى نعمته ، وريبب إحسانه ، بنفسى من جملة نعمه ؛ فأنا أعد منها ، وقال ابن جنى : أنا بعضها ، كما قال الحماسى :

لَا تَلْتَنِى بَعْدَ أَنْ رِشْتَنِى فَإِنِّى بِنَفْسِ أَيْدِيكََا

يريد أنه وهب له نفسه ؛ وتروى : أعد منها : أى أنه يعد بعض أيديه ، ولا يأتى على جميعها عدا لكثرتها ، وهو قوله ولا أعددها . كأن هذا من قوله تعالى « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » أى لا تعدوا جميعها . ومن قوله تعالى « وأحصى كل شيء عددا » .

يُعْطَى فَلَا مَطْلَةَ يُكْدَرُهَا بِهَا وَلَا مَنَّةٌ يُنْكَدُهَا^(١)
خَيْرُ قُرَيْشٍ أَبَا وَأَجْدُهَا أَكْثَرُهَا نَائِلًا وَأَجْوَدُهَا^(٢)

(١) الصَّمِيرُ فِيهَا : لِلْمَطْلَةِ ، وَفِي يَكْدَرُهَا وَيُنْكَدُهَا : لِلْأَيَادِي ؛ وَيُرْوَى مَطْلَهُ وَمَنَّهُ ، وَبِهِ بَدَلُهَا . يَقُولُ : إِنَّهُ لَا يَمِطُّ قَبْلَ الْعَطَاءِ وَلَا يَمْنُ بَعْدَهُ . وَيُنْكَدُهَا : أَيُ يَنْغُصُهَا وَيَقْلِلُ خَيْرَهَا ؛ وَكَانَ يُقَالُ : الْمَنَّةُ تَهْدِمُ الصَّنِيعَةَ ؛ وَقَدْ مَدَحَ الْمُؤَلَّى جُلَّ وَعِزُّهُ قَوْمًا فَقَالَ : « ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا اتَّفَقُوا مِنَّا وَلَا أَذَى » وَقَالَ الشَّاعِرُ :

أَفْسَدْتُ بِالْمَنْ مَا قَدَّمْتُ مِنْ حَسَنٍ لَيْسَ الْكَرِيمُ إِذَا أُعْطِيَ عِمَّانَ
وعبارة العكبري : يَقُولُ : لَهُ أَيَادٍ لَا يَكْدَرُهَا مِطْلٌ وَلَا يُنْكَدُهَا مِنْ ؛ وَلَمْ يَرِدْ أَنَّ لَهُ مِطْلًا لَا يَكْدَرُهَا ، وَمِنَّا لَا يُنْكَدُهَا ، وَإِنَّمَا أَرَادَ اتِّقَاءَ الْمِطْلِ وَالْمَنْ عَنْهُ الْبَتَّةَ ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

• عَلَى لَاحِبٍ لَا يَهْتَدِي بِمَنَارِهِ

لَمْ يَرِدْ أَنَّ فِيهِ مَنَارًا لَا يَهْتَدِي بِهِ ، وَلَكِنَّهُ نَفَى أَنْ يَكُونَ بِهِ مَنَارٌ . وَالْمَعْنَى : لَا مَنَارَ يَهْتَدِي بِهِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ الْآخَرُ فِي وَصْفِ مِفَازَةٍ :

لَا تَفْزَعُ الْأَرْنبَ أَهْوَالُهَا وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ

لَمْ يَرِدْ أَنَّ فِيهَا أَرْنبًا لَمْ يَفْزَعْ وَلَا ضَبًّا ، وَلَكِنَّهُ نَفَى أَنْ يَكُونَ فِيهَا حَيَوَانٌ . وَعِبَارَةُ الْوَاحِدِي : يُعْطَى فَلَا مَطْلَةَ بِالْأَيَادِي يَكْدَرُهَا : أَيُ إِنَّهُ لَا يَمِطُّ إِذَا وَعَدَ إِحْسَانًا ، وَلَا يَمْنُ بِمَا يُعْطَى فَيُنْكَدُهَا .

(٢) يَقُولُ : إِنَّ أَبَاهُ خَيْرُ قُرَيْشٍ ، لِأَنَّهُ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهُوَ خَيْرُهُمْ أَبًا ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ أَحَدٌ أَبَوْهُ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي الْمَدُوحِ . وَالنَّائِلُ : الْعَطَاءُ ، وَأَبَاً وَنَائِلًا : مُنْصَوِّبَانِ عَلَى التَّمْيِيزِ ؛ وَالْمُرَادُ بِقُرَيْشٍ : الْقَبِيلَةُ ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ : أَجْدُهَا وَأَجْوَدُهَا وَالْمَجْدُ قِيلٌ هُوَ الْأَخْذُ مِنَ الشَّرَفِ وَالسُّودِ : مَا يَكُونُ ، وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : الشَّرَفُ وَالْمَجْدُ يَكُونَانِ بِالْأَبَاءِ ، يُقَالُ رَجُلٌ شَرِيفٌ مُلْجِدٌ : أَيُ لَهُ أَبَاءُ مُتَقَدِّمُونَ فِي الشَّرَفِ . قَالَ : وَالْحَسْبُ وَالْكَرَمُ^(١) يَكُونَانِ فِي الرَّجُلِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبَاءُ لَهُمْ شَرَفٌ ، فَلِأَجْوَدُهَا : أَسْخَطُهَا .

(١) الْمُرَادُ بِالْكَرَمِ هُنَا : ضِدُّ الْقَوْمِ .

أَطْعَمَهَا بِالْقَنَاءِ أَصْرَبَهَا بِالسَّيْفِ جَجَجَاحُهَا مُسَوِّدَهَا^(١)
 أَفْرَسَهَا فَارِسًا وَأَطْوَلَهَا بَاعًا وَمِنَوَارَهَا وَسَيِّدَهَا^(٢)
 تَاجُ لَوْيٍّ بَنِي غَالِبٍ وَبِهِ سَمَّا لَهَا فَرَعُهَا وَتَحَدَّهَا^(٣)
 شَمْسُ ضُحَاهَا هَلَالُ لَيْلَتِهَا دُرُّ تَقَاصِيرِهَا زَبَرْجَدُهَا^(٤)
 يَأْلَيْتُ بِضَرْبَةٍ أَنْيَحَ لَهَا كَمَا أَنْيَحَتْ لَهُ مُحَمَّدُهَا^(٥)

(١) الججججججج : السيد الشريف ، وقد تقدم الكلام عليه ، والسود : الذى سوده قومه . قال الواحدى : ذكر القنأة والسيف مع الطعن والضرب تأكيداً للكلام ، كما قال تعالى « يطير بجناحيه » وكما يقال : مشيت برجلي ، ولكنه بمعنى
 (٢) فارساً : حال . أى هو أفرسها إذا ركب فرسه ، وأكد الكلام بذكر الحال لأن أفرس يكون من الفرس والفراصة . وطول الباع مما يمدح به الكرام . يقال فلان طويل الباع : إذا امتدت يده بالكرم . ويقال للثيم : ضيق الباع ؛ والغوار : للكثير الغارة .

(٣) لوى : أبو قريش . يقول : هو لهم بمنزلة التاج ، به يتشرفون ويتزينون ، وبه علا فرعهم وأصولهم : أى الأبناء والآباء ، والحدت : الأصل ؛ وقوله لها : أتى بها لقيم الوزن ، أو ليؤكد الإضافة ، وإلا فقوله سما فرعها : كلام تام حسن .

(٤) انتقاصير : القلائد التى تعلق على القصرة ؛ والقصرة : اصل العنق ، مفردها : تقصار وتقسارة . يقول : هو فيها بينهم كالشمس فى النهار ، والهلل فى الليل ، والهرم والزبرجد فى القلادة . أى هو أفضلهم وأشهرهم ، وبه زينتهم وغرهم ، قال العكبرى : ويجوز أن يكون أراد أحسنهم لأن الشمس أكثر ما يكون نورها وحسنها عند الضحى وهلال ليلتها ، لأنهم يعتمدون عليه ، ويتطلعون إليه ، كما يتطلع إلى الهلال ليلة يستهل فيها . يريد أن أعين الناس تنظر إليه إذا ركب وخرج إلى الناس كما تنظر إلى الهلال عند بدوه .

(٥) كان هذا الممدوح قد أصابته ضربة على وجهه فى بعض الحروب ، قال العكبرى كان محمد بن عبيد الله هذا الممدوح قد واقع قوماً من العرب بظاهر السكوفة وهو شاب دون العشرين قتل منهم جماعة وجرح فى وجهه فكسته الضربة حسناً ، يقال : لبت الضربة التى قدر لها محمدنا — يعنى الممدوح — كما قدرت الضربة له ، كانت بي : أى

أَثَرَ فِيهَا وَفَى الْحَدِيدِ وَمَا أَثَرَ فِي وَجْهِهِ مُهَنْدُهَا^(١)
فَاغْتَبَطَتْ إِذْ رَأَتْ تَزَيُّنَهَا بِمِثْلِهِ وَالْجِرَاحُ تَحْسُدُهَا^(٢)

ليتفى كنت فداءه من تلك الضربة فوقعت بى دونه . ويجوز — كما قال الواحدى — أن يكون الممدوح أتاح وجهه للضربة حيث أقبل للحروب وثبت حتى جرح ، فمنى أبو الطيب رتبته فى الشجاعة ، وأضاف محمداً إلى الضربة إشارة إلى أنها كسته الحد فأكثرت حتى صار هو محمداً بها .

(١) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند . يقول : إن الضربة والسيف قصدا إهلاكه فردهما عن قصدهما ، فذلك تأثيره فيهما . فقوله : وما أثر فى وجهه مهندها : أى لم يشنه ولم يجه فلم يؤثر تأثيراً قبيحاً ، وإنما زاده حسنا ، لأن الضربة على الوجه شعار للغوار ، والعرب يقتخرون بذلك . قال الحصين بن الحمام المرى :

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كَلُومُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَاءُ^(١)
والطعن والضرب فى الظهر عندهم مسبة وفضيحة . قال الشاعر :

وَلَكِنَّمَا يَحْزَى أَمْرُؤُا يَكْلِمُ اسْتَهُ قَنَا قَوْمِهِ إِذَا الرَّمَّاحُ هَوِينَا
ولك أن تقول : إنه أثر فى الضربة والسيف ضعفا بإرعاش يد الضارب لهيبته واستعظام الإقدام عليه ، فلم يؤثر السيف فى وجهه أثر يعتد به ، أو لم يصرفه عن المضى فى القتال .

(٢) يقول : إن هذه الضربة عدت نفسها سعيدة حين رأت أنها قد تزينت بحصرها فى وجهه ، وحسدتها بemie الجراحات ، إذ لم تصب موضعا كرميا مثل هذا . وقوله : بمثله يريد به ، والمثل : صلة ، تقول مثلى لا يفعل هذا ، أى أنا لا أفعله . قال الشاعر :

يَا عَاذِلِي دَغْنِي مِنْ مِثْلِكَ مِثْلِي لَا يَقْبَلُ مِنْ مِثْلِكَ

(١) الكلوم : الجروح ، وقيل البيت :

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أُنْقَدَمَا
وبعده :

نَفَلْتُ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَزَّ وَأَكْرَمًا

وَأَيُّقِنَ النَّاسُ أَنَّ زَارِعَهَا بِالْمَكْرِ فِي قَلْبِهِ سَيَحْصِدُهَا^(١)

معناه أنا لا أقبل منك ، ومن هذا قوله تعالى « ليس كمثل شيء » والنقطة حسن الحال ، أو هي النعمة والسرور . تقول غبطته بما نال أغبطه غبطاً وغبطة فاغبط هو ، كقولك منعته فامتنع وجبسته فاحتبس ؛ قال حريث بن جبلة الهذلي :
وَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُغْتَبِطٌ إِذَا هُوَ الرَّئِيسُ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ^(٢)
قال الجوهري : أنشدته مغتبط -- بكسر الباء — أى مغبوط ، أى والاسم النقطة وهي حسن الحال .

(١) الضمير في قلبه : يعود إما إلى الزارع — أى الضارب — أى زرعها بمكر في قلبه ، وإما إلى المدحوح : أى أن الضارب قد زرع هذه العداوة في قلبه . يقول : إن هذه الضربة جاءت مماكرة وغدراً ، لا سواحجة وكفاحاً ، وأن ضاربها قد بذل بذراً خبيثاً لا بد حاصده : أى ملاق جزاءه عليه من المدحوح .

(١) قلبه :

فَاسْتَقْدِرَ اللَّهُ خَيْرًا وَأَرْضَيْنِ بِهِ فِينَا الْعُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ
وبسده :

يَبْكِي عَلَيْهِ غَرِيبٌ لَيْسَ يَتَرَفُّهُ وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورٌ
حَتَّى كَأَن لَّمْ يَكُنْ إِلَّا تَذَكُّرُهُ وَالْدَهْرُ أَيْتَمًا حَالٌ دَهَارِيرُ
[قوله استقدر الله خيراً : أى اطلب منه أن يقدر لك خيراً . وقوله : فبينما العسر فالعسر مبتداً ، وخبره محذوف ، تقديره : فبينما العسر كأن أو حاضر . إذ دارت مياسير ؛ أى حدثت وحدثت ، والياسير : جمع ميسور ؛ والرمس : القبر ، والأعاصير : جمع إعصار وهي الريح تهب بشدة . وقوله : كأن لم يكن إلا تذكرة ، فيكن تامة ، وتذكره فاعل بها ، واسم كأن . مضمر ، تقديره كأنه لم يكن إلا تذكرة ، والهاء — في تذكره — على الهاء المقدرة ، والدهر : مبتداً ، ودهارير : خبره ، وأيتما حال : ظرف ، والعامل فيه : ما في دهارير من معنى الشدة . وقولهم : دهر دهاري أى شديد كقولهم : ليلة ليلاء . وقيل : الدهارير ، جمع الدهور ، أراد أن الدهر ذو حالين من بؤس ونعم . وقال الزمخشري : الدهارير : تصارييف الدهر ونوائيه ، مشتق من لفظ الدهر ، ليس له واحد من لفظه ، كمبايد] .

أَصْبَحَ حُسَادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ يُحْدِرُهَا خَوْفُهُ وَيُصْعِدُهَا^(١)
تَبْكِي عَلَى الْأَنْصِلِ الْقُمُودُ إِذَا أَنْذَرَهَا أَنَّهُ يُجَرِّدُهَا^(٢)
لَعَلَّهَا أَنَهَا تَصِيرُ دَمًا وَأَنَّهُ فِي الرِّقَابِ يُفْعِدُهَا^(٣)
أَطْلَقَهَا فَالْعَدُوُّ مِنْ جَزَعٍ يَذُمُّهَا وَالصَّدِيقُ يَحْمَدُهَا^(٤)

(١) الواو — في وأنفسهم — واو الحال . يقول : إنه رمى حاده بالقيم المقعد . فهم لا يستقرون على حال من القلق خوفاً منه وذعراً ، وهذا كما قال :

أَبْدَى الْقِدَاةُ بَكَ السَّرُورَ كَأَنَّهُمْ فَرَحُوا وَعِنْدَهُمُ الْمَقِيمُ الْمَقْعَدُ
(٢) و (٣) يقول : إذا أنذر القمود — جمع غمد — بتجريد السيوف بكت القمود على السيوف لعلها أن السيوف للذكورة مستغمد في دماء الأعداء حتى تلتطخ بها وتصير كأنها دم ، وأن للمدح سيجعل الرقاب غموداً لها بدلاً منها . وهذا المعنى تعاورة الشراء من قديم . قال عنترة :

وَمَا تَذَرِي جُرْيَةَ أَنْ تَنْبِلِي يَكُونُ جَفِيرَهَا الْبَطْلُ النَجِيدُ^(١)
وقال حسان :

وَنَحْنُ إِذَا مَا عَصَنَّا السِّیَوفَ جَعَلْنَا الْجَاهِمَ أَغَادَهَا
وقال الحماسي :

مَتَابِرُهُنَّ بَطُونُ الْأَكْفِ وَأَغَادُهُنَّ رُؤُوسُ الْمُلُوكِ^(٢)
ويقول ابن الرومي :

كَسَاهُمُ الْعِزُّ إِنْ عَرَوْا مَنَاصِلَهُمْ فَمَا لَهَا غَيْرَ هَامِ الصَّيْدِ أَجْفَانُ
(٤) يقول : أطلق الأنصل فذمها العدو خوفاً وجزعاً منها ، وحمداً الصديق لحسن بلائها في العدو .

(١) الجفير : الكنانة والجبعة التي تجعل فيها السهام .

(٢) قبله :

وإِنَّا لَتُصْبِحُ أَسِيفَنَا إِذَا مَا اضْطَبَحْنَ يَوْمَ سَفُوكِ

(اضطبحن : شربن وقت الغداة ، وجعل اليوم سفوكاً لأن السفك يقع فيه . وقوله

(٣ — ٢) المتني

تَنْقَدِحُ النَّارُ مِنْ مَضَارِبِهَا وَصَبَّ مَاءُ الرَّقَابِ بِمُخْمِدِهَا (١)
 إِذَا أَضَلَّ الْهَمَامُ مَهْجَتَهُ يَوْمًا فَأَطْرَافُهُنَّ تَنْشُدُهَا (٢)
 قَدْ أَجْمَعْتَ هَذِهِ الْخَلِيقَةَ لِي أَنْكَ يَا ابْنَ النَّبِيِّ أَوْحَدُهَا (٣)
 وَأَنْكَ بِالْأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِمًا شَيْخَ مَعْدَةٍ وَأَنْتَ أَمْرُدُهَا (٤)

(١) يقول : إنها من شدة الضرب تهوى إلى الأرض فتندح منها النار فيخمدها ما ينصب من السماء عليها .

(٢) الهمام هنا : الملك العظيم ، والمهجة : الروح ، ونشد الضالة : طلبها ليعرف مكانها يقول : إذا قتل ملك ولم يعرف قاتله ، فأعما سيفوفه هي التي تطلب مهجته منها ، لأن سيوف المدوح قوئل اللوك ؛ أو تقول : إن سيوف المدوح هي التي تثار له ، و يروى بدل تنشدها : منشدها اسم مكان : أى أن سيوفه هي المكان الذي تطلب بهجة القتول منه ، لأن سيوفه - كما قلنا - قوئل اللوك ؛ و يروى فأطرافهن ينشدها - بنصب أطرافهن - وينشدها - بالياء المثناة التحتية - أى ينشدها في أطرافهن .

(٣) الخليفة : الخلائق والخلق . يقول : إن هذه الخلائق قد أجمعوا موافقين لي أنك أوحدهم فضلا ونسبا وشجاعة وكرما . وقال الواحدى : يجوز أن يكون على التقديم والتأخير : أى أوحدها لي : أى أوحدها إلى إحساناً وإفضالا ، ولا يكون في هذا كثير مدح ويجوز أن يكون أجمعت فقالت لي والقول يضر كثيرا ، كقوله تعالى « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل مننا » أى ويقولان : ربنا تقبل .

(٤) وأنك : مخففة من أنك ضرورة ، والمحتلم : الغلام بلغ مبلغ الرجال ، وهو حال من التاء في كنت ، وشيخ معد : خبر كان ، والضمير في أمردها : لمعد ؛ وقوله : وأنت أمردها : عطف على الحال : أى محتلما أمرد . يقول : وأنك بالأمس حين كنت غلاما أمرد كنت شيخ معد يرجعون إلى رأيك ، فكيف اليوم مع علو السن ووفور العقل ؟ هذا : وهامى ذه طرفة نحوة للعلامة العكبرى قال : قوله وأنك : أراد أنك بالتشديد ، تخفف ضرورة مع الضمير ، كقول الآخر :

منأرهن : أراد أنها إذ تنتضى فكانها تخطب واعظة للأعداء زاجرة لهم . يقول : إن سيوفنا تصير إذا شربت الصبوح من دم الأبطال في يوم سفوك للدماء بهذه الحالة)

فَلَوْ أَنَّكَ فِي يَوْمِ الرَّخَاءِ سَأَلْتَنِي طَلَاكَ لَمْ أَبْغَلْ وَأَنْتَ صَدِيقٌ^(١)
وإنما يحسن التخفيف مع المظهر كقوله :

وَصَدْرٌ مُشْرِقُ النُّحْرِ كَانَ مُدْيَاهُ حُقَّانٌ^(٢)

لأن الضائر ترد الأشياء إلى أصولها . وإذا خففت مع المظهر فتعملها في مقدر ، وهو ضمير الشأن ، وترفع بعدها الجملة خبراً عنها ، تقول : علمت أن زيد قائم ، ومنه « وآخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين » و « أن لعنة » : في قراء نافع وعاصم وأبي عمرو وقنبل ، وإذا وليها الفعل لم يجمعوا عليها مع النقص الذي دخلها وحذف اسمها : أن يليها ما يجوز أن يليها وهي مثقلة فكان الأحسن أن يفصل بينها وبينه بأحد أربعة أحرف : السين ، وسوف ، ولا ، وقد ؛ فتقول : علمت أن سيقوم ، وسوف يقوم ، وأن لا يقوم ، وقد يقوم ، قال تعالى « علم أن سيكون منكم مرضى » قال جرير :

زَعَمَ الْفَرْدَقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مَرِيضًا أَبْشَرَ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مَرِيْعُ^(٣)

(١) بعده :

فَإِذَا رَدَّ تَرْوِيحٍ عَلَيْهِ شَهَادَةٌ وَلَا رُدُّ مِنْ بَعْدِ الْحَرَارِ حَتِيقُ

ويروى قراؤك - بدل طلاقك - وصديق : فعيل للواحد والجمع والمؤنث ، والحرار مصدر حرى حرى من باب تمب : أي صار حراً ، والمراد بالرخاء : قيل لزوم العقد ، والرخاء السعة : أي وقت إمكانه ، ولم أبغل : أي به : أي بل كنت أجيبك إليه . وقوله فما رد الخ : أي لو سألتني ذلك في وقت يقبله ، وهو ما قبل العقد لعلت ، ولكنه في وقت لا يقبله ، وهو بعد لزوم العقد لأنه لا يرد تزويج بعد إتمام شروطه ولزومه بالشهادة ، كما لا رد بعد البتق حقيق إلى الرق .

(٢) مشرق : مضى ، والنحر موضع القلادة من الصدر ؛ وحقان : تنبيه حق ، وهو الوعاء المنحوت من العاج وغيره . يقول : إن هذا الصدر مضى أعلاه ، وكأن الثدين فيه حقان في الاستدارة والصغر .

(٣) مربع - بكسر الميم - لقب وعوة أبي سعيد راوى جرير ، وكان الفوزدق قد حلف ليقنته ، ومطلع القصيدة :

بِأَنَّ الْخَلِيطُ بِرَأْمَتَيْنِ فَوَدَّعُوا أَوْ كَلَامًا رَفَعُوا لِبَيْنِ تَجَزَعُ

فَكَمْ وَكَمْ نِفْمَةٌ مُجَلَّلَةٌ رَبَّيْتَهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلِدُهَا^(١).

وقال أمية بن أبي الصلت :

وقد علمنا لو أن العِلمَ ينفعنا أن سوف يُتبع أولانا بأخرانا
وأما قوله تعالى « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » جاء بنير حرف من هذه الحروف
الأربع ، فذلك لأن ليس نصفة في الفعلية لعدم تصرفها ؛ وقد جعلها أبو علي حرفاً زماناً ،
ثم رجع عن ذلك . وقوله محتمل : حال ، والعامل في الحال : كان ، قال أبو الفتح وجماعة
من أهل الصناعة : من جعل كان لا تعمل في الأحوال : فغير مأخوذ بكلامه ، لأن
الحال فصلة في الخبر منسكورة ، فرائحة الفعل تعمل فيها لما ظنك بكان ، وهي فعل
متصرف يعمل الرفع والنصب في الاسم الظاهر والضمير ، وليست كان في نصبها الأحوال
بأسوأ حالا من حروف التنبيه والإشارة ؛ قال الشريف ابن الشجري : قال العمري : كان
لا تعمل في الحال ، ويعمل العامل في الحال وأنت بالأمس : أي الفعل للضمير الذي عمل
في قوله وأنت بالأمس قال : وهذا سهو من قائله ، لأنك إذا عقلت قوله بالأمس
بمحذوف ، فلا بد أن يكون بالأمس خبراً لأن أو لكان ، لأن الظرف لا يتعلق
بمحذوف ، إلا أن يكون خبراً أو صفة أو حالا أو صلة ؛ ولا يجوز أن يكون خبراً لأن
ولا لكان ، لأن ظروف الزمان لا تكون أخباراً عن الجثث ولا صفات ولا صلات
ولا أحوالاً لها ، فإذا استحال أن يتعلق بالأمس بمحذوف علقته بكان ، وأعملت كان
في محتمل . وقوله : شيخ معد : خبر كان .

(١) مجللة : شاملة من جمل المطر الأرض : طبقها ؛ وربيتها : تهيتها بأن قربتها
بأمثالها ؛ وكان منك مبدؤها : أي ابتداؤها ، أي أنك ابتدأتني بالصنعة ثم ربيتها فلم
تكن واحدة تنسى على طول العهد ، بل متعددة متوافرة . وقوله قصبة : قال العكبري
رويت - نصبا وسجرا - : فمن نصب أراد الاستلهم ، ومن جر أراد الخبر ، وهذا
الأجود ، لأنه أراد الخبر عن كثرة ماله .

وآخرها :

ورأيت نَبْلَكَ يَا فَرَزْدَقَ قَصْرَتْ

ورأيت قَوْسَكَ ليس فيها مِزْنَعٌ

وَكَمْ وَكَمْ حَاجَةٌ سَمَّخَتْ بِهَا أَقْرَبُ مِنِّي إِلَيَّ مَوْعِدُهَا^(١)
وَمَكْرُمَاتٍ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ الْبِرِّ إِلَى مَنَزِلِي تُرَدِّدُهَا^(٢)
أَقْرَ جِلْدِي بِهَا عَلَى فَلَا أَقْدِرُ حَتَّى لَمَاتِ أَجَدُهَا^(٣)
فَقَدْ بَهَا لَا عَدِثُهَا أَبَدًا
خَيْرُ صَلَاتِ الْكَرِيمِ أَعُوذُهَا^(٤)

(١) سمحت بها : أى قضيتها إلى ؛ وموعدها : أى موعد قضائها : أى أن موعد قضائها أقرب إلى من نفسى . يريد قصر الوعد وسرعة الإنجاز . وقال الخطيب التبريزى هو من كلام الصوفية ، وهذا يدل على أنه كان متصرفا فى أفاين الكلام .
(٢) المكربة : ما يكرم به الإنسان من بر والطف ، يريد بها هنا ثابا أهداها إليه ، ولذلك يقول فى البيت التالى : أقر جلدى بها على . وقوله على قدم البر : استعارة جملة بارعة . وقال الواحدى : قوله على قدم البر : أى أن حاملها كان من جملة الهدية لأنه كان غلاما للمدوح . ويجوز أن يراد أنها على أثر بر سابق ، وتردها : أى تعيدها إلى وتكررها على . ويروى تردها على الصدر .
(٣) أى اعترف جلدى بها لظهورها على . فكانته باكتسائه بها ناطق مقرر ، كما قال الناشء الأكبر :

لَوْلَمْ يَبُحْ بِالشُّكْرِ لَفُظِي نَخَبْرَتِ يَمِينِي بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَشِمَالِيَا
(٤) أعودها : أكرها عوداً . يطلب منه إعادة العطية .

وقال أيضاً في صباه :

كَمْ قَتِيلٍ كَمَا قُتِلْتُ شَهِيدٍ
بِإِبْيَاضِ الثُّلِيِّ وَوَرْدِ الْخُدُودِ^(١)
وَعُيُونِ الْمَا وَلَا كَمُيُونٍ فَتَكَتَ بِالْمَتِيمِ الْمَعْمُودِ^(٢)

(١) الطلا : الأعناق ؛ وشهيد : صفة لقتيل . وأصل الشهيد : من قتل مجاهداً في سبيل الله ، ثم توسع فيه فأطلق على من مات غرقاً أو حرقاً وما إليهما . وجعل التنوين من قتله الحب شهيداً ، وقد رووا في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « من عشق ففغ ثم مات مات شهيداً » هذا : وقد قال العكبري : كم : كلمة موضوعة للعدد ؛ وذهب أصحابنا إلى أنها مركبة ، وذهب البصريون إلى أنها مفردة ، حجتنا أن أصلها ما زيدت عليها الكاف لأن العرب تصل الحرف في أوله وآخره ، فلما وصلت من أوله نحو هذا ، ومما وصلت في آخره نحو « إما ترينى ما يوعدون » فكذلك كم : زادوا الكاف على ما ، فصارتا كلمة واحدة ، وكان الأصل أن يقال في كم مالك ؟ : كما مالك ؟ إلا أنه حذف الألف لكثرة الاستعمال ، ونظير « كم » لم ، لأن الأصل في لم : ما ، فزيدت عليها اللام ، فصارتا كلمة واحدة ، وحذفت الألف لكثرة الاستعمال ، وسكنت للميم ، فقال : لم . فعلت ؟ وزيادة الكاف كثيرة . قال الله تعالى « ليس كمثل شيء » أى ليس مثله : وحكى عن بعض العرب أنه قيل له : كيف تصنعون الأقط ؟ قال كمين ، قال الراجز .

* لَوَاحِقَ الْأَقْرَابِ فِيهَا كَالْمَقَقِ *

أى الملق وهو الطول ؛ وحجة البصريين أن الأصل هو الأفراد ، والتركيب فرع ، ومن تمسك بالأصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل ، ومن عدل عن الأصل اقتصر إلى إقامة الدليل لعدوله عن الأصل ، واستصحاب الحال أحد الأدلة المعبرة .

(٢) الما : جمع مهاة ، وهى بقر الوحش ، تشبه عيون النساء بعيونها فى حسنها وسعتها . فتكت : قتلت بغتة ، والمتيم : الذى استعبده الحب ؛ والعمود : الذى أضناه الحب وأوجعه ، وعنى بالمتيم العمود : نفسه ، يقول : كم قتيل قل بعين أحبته التى هى كعيون الما ، وليست تلك العيون التى قتله كالعيون التى قتلتى وفتكت بى فإنها لا تشبه بغيرها ؟

دَرَّ دَرَّ الصَّبَا أَيْامَ تَجْرِيرِ ذُبُولِي بَدَارِ أُمْلَةٍ عُودِي^(١)
عَمْرَكَ اللَّهُ هَلْ رَأَيْتَ بُدُورًا طَلَعَتْ فِي بَرَاقِعِ وَعُقُودِ^(٢)
رَامِيَاتٍ بِأَسْنَمٍ رِيَشَهَا الْهَدُ بُ تَشْقُ الْقُلُوبُ قَبْلَ الْجُلُودِ^(٣)

(١) الدر : اللبى ؛ ويقال لمن يدعى له : در دره : أى كثر خيره ، لأن الخير فى ذلك عند العرب . ويقال لمن يدعى عليه لادر دره . وأيام : منادى ؛ وتجريرو الذى يقول : كناية عن النشاط واللهو لأن النشاط أو النشاط يجر ذيله ولا يرفعه . ودار أُملة : موضع بظهر الكوفة . يتنى أن تعود هذه الأيام له .

(٢) قوله عمر ك الله : قال العكبرى - تقلا عن الجوهرى صاحب الصحاح - وكثيرا ما يعتمد عليه - هو مصدر ، يقال : أطال الله عمر ك وعمر ك - بالفتح والضم - وهما وإن كانا مصدرين بمعنى : إلا أنه استعمل أحدهما فى القسم - وهو المفتوح - فإذا دخلت عليه اللام رفعت بالابتداء - فقلت لعمر الله ، واللام لتوكيد الابتداء ، والخبر محذوف ؛ والتقدير لعمر الله قسمي ، فإن لم تأت باللام نصبت نصب المصادر وقلت عمر الله ما فعلت كذا وعمر ك الله ما فعلت كذا ، ومعنى لعمر الله وعمر الله : أحلف ببقاء الله ودوامه ، وإذا قلت عمر ك الله فكأنك قلت بتعمير ك الله : أى بإقرارك له بالبقاء . وقول عمر بن أبى ربيعة :

أَيُّهَا الْمَنْكَحُ الثَّرِيَا سُهَيْلَا عَمْرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

يريد : سألت الله أن يطيل عمر ك ، لأنه لم يرد القسم بذلك ، وسهيل تورية ، وكذلك الثريا ، وهما رجل وامرأة ، ولم يرد النجمين ، وهو فى قول المتنبي مصدر ، معناه : سألت الله أن يعمر ك تعميرا . . . يخاطب المتنبي صاحبه وشبه النساء بالبدور .

(٣) راميآت : صفة لبدور - فى البيت السابق - والمراد بالأسهم : العيون . والهدب الشعر الذى على أشفار الأجفان ، شبهه بريش السهم . يقول : إن هذه الأسهم تنفذ إلى القلوب فتشقها دون أن تشق الجلد . بخلاف الأسهم المعروفة . قال كثير :

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ رِيَشُهُ الْكُحْلُ لَمْ يُصِيبْ

ظَوَاهِرَ جِلْدِي وَهُوَ فِي الْقَلْبِ جَارِحٌ

وقال جميل :

وَمَا صَائِبٌ مِنْ نَابِلٍ قَذَفَتْ بِهِ يَدٌ وَمَرَّ الْعُقْدَتَيْنِ وَثِيقُ

يَتَرَشَّفَنَّ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ^(١)

بَأَوْشَكَ قَتْلًا مِنْكَ يَوْمَ رَمَيْتَنِي نَوَافِدَ لَمْ تُعَلِّمْ لَهْنُ خُرُوقِ^(١)
(١) رشف الريق وترشفه : مصه . وقوله أحلى من التوحيد : أى كلمة التوحيد .
ويروى حلاوة التوحيد : أى هن فيه كحلاوة التوحيد . قال ابن جنى : يروى أن المتنبي
أنشده هكذا : هن فيه حلاوة التوحيد . وقالوا - للتخلص من هذه المبالغة المفرطة -
إن التوحيد نوع من عمر العراق . . والوجه أن يقال إن مثل هذه المبالغات مقبول مستساغ في
مذهب الشعراء ؛ على أن أفعل قد لا يراد به تفضيل الأول على الثانى في كل المواضع ،
وهنا مثلاً قد يراد أن هذا الترشف بلغ المبالغ في الحلاوة حتى ليشبه حلاوة كلمة التوحيد ،
وقد جاء مثل هذا كثيراً في كلام العرب ، وعبرة الواحدى : كنى بمصن ريقى لحبهن
إيائى ، فكانت الرشفات في فمى أحلى من كلمة التوحيد ، وهى لا إله إلا الله ، وهذا
إفراط وتجاوز حد ؛ وقال ابن القطاع ذهب كثير من الناس إلى أن لفظة أفعل من كذا
توجب تفضيل الأول على الثانى في جميع المواضع ، وذلك غلط ، والصحيح أن أفعل

(١) بين هذين البيتين بيتان هما :

لَهُ مِنْ خَوَافِي النَّسْرِ حُمْ نِظَائِرٌ وَنَصْلٌ كَنَصْلِ الزَّاعِبِ فَتِيقٌ
عَلَى نَبْعَةِ زَوْرَاءَ أَيْمًا خِطَامُهَا فَمَتْنٌ وَأَيْمًا عُودُهَا فِعِيقٌ
صاب السهم نحو الرمية يصوب فهو صائب إذا قصد ولم يجر ، والتابل : ذو النبل وعمر
العقدتين ؛ يريد وترا أحكت عقدتا طرفيه ، وأصل المر : الحبل الشديد القتل . وقوله
من خوافى النسـر : يريد ريش السهم ، وريش النسـر أجود للسهم من ريش كل طائر ،
والحم جمع أحم ، وهو الأسود ، وجعلها نظائر في مقاديرها لأن ذلك أقصد للسهم .
وقوله كنصل الزاعبى : أى كنصل الرمح الزاعبى . قال الأصمى : الزاعبى هر الذى إذا
هر فكأن كعوبه يجرى بعضها بعض للينه وتثنيه ، من قولهم : من يزعب بحمله إذا
مر به مرأ سهلاً . وقوله فتيق : يريد حاداً رقيقاً . وقوله على نبعة : يريد قوساً ، وأكرم
القسى ما كان من النبع - شجر معروف - وقوله بأوشك قتلانك : أى بأسرع . وزوراء
أى معوجة ، وكلما كانت القوس أشد انعطافاً كان سهمها أمضى . وأيما : يريد أما ،
وخطام القوس : وترها ، ومتن : أى ذو صلابة وقوة . وقوله وأيما : عودها فتيق
يصف كرم هذه القوس وعقتها .

كُلُّ خُمْصَانَةٍ أَرْقَ مِنْ الْخُمْسِ بِقَلْبٍ أَقْسَى مِنَ الْجَلْمُودِ^(١)

يجيء في كلام العرب على خمسة أوجه : أحدها أن يكون الأول من جنس الثاني ولم يظهر لأحدهما حكم يزيد على الأول به زيادة يقوم عليها دليل من قبل التفضيل ، فهذا يكون حقيقة في انفضل لا مجازا ، وذلك كقولك : زيد أفضل من عمرو ، وهذا السيف أصرم من هذا . والثاني : أن يكون الأول من جنس الثاني ، ومتملا للعاق به ، وقد سبق للثاني حكم أوجب له الزيادة بالدليل الواضح ، فهذا يكون على المقاربة في التشبيه لا التفضيل ، نحو قولك : الأمير أكرم من حاتم وأشجع من عمرو ؛ وبیت المتنبي من هذا القبيل : أى يترشفن من فمى رشفات هن قريب من التوحيد . والثالث : أن يكون الأول من جنس الثاني أو قريبا منه ، والثاني دون الأول ، فهذا يكون على الإخبار المحض ، نحو قولك : الشمس أضوأ من القمر ، والأسد أجراً من النمر . والرابع : أن يكون الأول من غير جنس الثاني وقد سبق للثاني حكم أوجب له الزيادة واشتهر الأول من جنسه بالفضيلة ، فيكون هذا على سبيل التشبيه المحض ، والترض أن يحصل للأول بعض ما يحصل للثاني ، نحو قولك : زيد أشجع من الأسد وأمضى من السيف . والخامس : أن يكون الأول من غير جنس الثاني والأول دون الثاني في الصفة جدا ، فيكون هذا على المبالغة المحضة ، نحو قامته أتم من الرمح ووجهه أضوأ من الشمس ، وجاء في الحديث : « ما أقلت النبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لمجة من أبى ذر » ذهب من لا يعرف معانى الكلام إلى أن أباذر أصدق العالم أجمع ، وليس الأمر كذلك ، وإنما نبى عليه الصلاة والسلام أن يكون أحد أعلى منه رتبة في الصديق ، ولم ينبف أن يكون في الناس مثله في الصديق ، ولو أراد ما ذهبوا إليه لقال : أبو ذر أصدق من كل من أظلت وأقلت . وروى الأكثر : أحلى من التوحيد ؛ ومن روى حلاوة التوحيد أراد هى عندى مثل حلاوة التوحيد ، خذف المضاف ورفع .

(١) الخمصانة — بفتح الخاء وضمها : الضامرة البطن . وعنى برقتها : نومتها وصفاء لونها ؛ وقوله بقلب الخ : أى مع قلب أصلب من الحجر . يقول : أجسامهن ناعمة وقلوبهن قاسية . وقوله كل : قال البكبرى : يجوز فيه الرفع على البدل من الضمير في يترشفن ، وعلى هذا يرفع أرق : حملا على كل . ويجوز نصبه ، وهو في موضع خفض نمتا لخمصانة ، ويجوز نصب كل حملا على التعت لبدورا ، فيكون بدل تبیین .

ذَاتِ فَرْعٍ كَأَنَّمَا ضُرِبَ الْعَنْبَرُ فِيهِ بِمَاءٍ وَزِدَ وَعُودٌ^(١)
 حَالِكٌ كَالْعُدَافِ جَثْلٌ دَجُوجِيٌّ أَثِيثٌ جَفَدٌ بِلَا تَجْعِيدٍ^(٢)
 تَحْمِيلُ الْمِسْكِ عَنْ غَدَائِرِهَا الرِّيحُ وَتَفَرُّ عَنْ شَنِيبٍ بَرُودٌ^(٣)
 جَمَعَتْ بَيْنَ جِسْمٍ أَحْمَدَ وَالشَّقَمِ وَبَيْنَ الْجُفُونِ وَالتَّسْهِيدِ^(٤)
 هَذِهِ مُنْجَحِي لَدَيْكَ لِحْيَتِي فَأَنْقِصِي مِنْ عَذَابِهَا أَوْ فَرِيدِي^(٥)
 أَهْلُ مَا بِي مِنَ الضَّنَى بَطْلٌ صِيدَ بِتَضْفِيفِ طُرُقٍ وَبِجِيدٍ^(٦)

(١) ذات : صفة أخرى لمحصانة ؛ والفرع : شعر الرأس . وضرب : خلط ، وقوله
 وعود ؛ - في آخر البيت - متعلق بمحذوف : أى ودخن بعود ، لأن ماء العود لا طيب
 له ، وإنما تفوح رائحته بالاحتراق ؛ وهذا مثل قولهم :

* عَلَقْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا *

قال الشريف بن الشجرى فى أماليه : قوله وعود : برد ودخان عود ، لأن العود
 لا ماء له . يقول المتنبي : إن شعرها طيب الرائحة ، فكأنه خلط بهذه الأصواع من
 الطيب .

(٢) حالك : نعت فرع : والحالك : الشديد السواد . والعداف : الغراب الأسود .
 والجثل : الكثير الملتف ؛ والدجوجى : المظلم ؛ والأثيث : الكثيف ؛ وقوله جعد بلا
 تجعيد : أى خلق جعدا من غير أن يجعد .

(٣) الغدائر : جمع غديرة ، وهى الذؤابة . وتفر : تبسم ، وعن شنيب : أى عن
 شعر شنيب ، والشنب : البياض والبريق وتحزير أطراف الأسنان ، وقيل طيب نكمتها ؛
 وقيل تفليجها ؛ والبرود : البارد . ويروى عن شتيت ، وشعر شتيت : مفرق مفليج ،
 يقول : إنها طيبة الريح فكان الريح إذا مرت بها تحمل المسك من غدايرها .
 (٤) أحمد : يعنى نفسه ؛ والتسويد : السهر . يقول : جمعت بين جسمى والسقام وبين
 جفونى والسهاد .

(٥) المهجة : دم القلب ، وتوضع موضع الروح ؛ والحين : الهلاك . يقول : هذه
 روحى أسلمها إليك ، ولكن لأجل هلاكى ، فإن شئت فأنقِصى من عذابها بالوصل ،
 وإن شئت زِيدِهَا عَذَابًا بِالْهَجْرِ . وقال العكبرى : إن جعل هذه إشارة : فليدرك يتعلق
 بمعنى الإشارة ، وإن جعلها نداء - بحذف النداء - كان متعلقا بالاستقرار .

(٦) أهل : مبتدأ ؛ وبطل : خبره . أى يستحق ما بى من الضنى بطل الخ والطرة :

كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدِّمَاءِ حَرَامٌ شُرْبُهُ مَا خَلَا دَمَ الْعَنْقُودِ^(١)
فَاسْتَقِيهَا فِدَى لِمَعْنِيكَ نَفْسِي مِنْ غَزَالٍ وَطَارِفِي وَتَلِيدِي^(٢)
شَيْبُ رَأْسِي وَدَلَّتِي وَنَحْوِي وَدُمُوعِي عَلَى هَوَاكَ شُهُودِي^(٣)

شعر الجبهة ؛ وتصنيفها : تسويتها — وهذا البيت كالعلة لما قال في البيت السابق . يقول :
افعل ما شئت فأني أهل لذلك ومستحق له ، لأن الرجل الشجاع إذا صادته المرأة بتصنيف
طرتها وحسن عنقها فهو أهل لما حل به . ويحتمل أنه إنما قال هذا كالتشبي من نفسه
واللائم لها على هذا العشق . وقال ابن القطاع : قوله أهل مابي الخ : معناه أنا أهل مابي
وحقيق به وأنا بطل صيد وعبرة ابن جني : أنا أهل ذلك وحقيق بحسن ما رأيت وأنا
بطل صيد الخ .

(١) دم العنقود : الحمر ؛ ويروى : أبنه العنقود . قال الواحدى : وليس الأمر على
ما قاله ، لأن شرب الحمر لا يخل ، إلا أن يريد بدم العنقود : الضير ، أو مالا يسكر من
للطبوخ . . . أقول : إن مثل هذا إنما يقوله الفقهاء وأشباه الفقهاء ، وكلام المتنبي سائق في
مذهب الشراء ، وهو من قبيل قول أبي نواس :

فِي مَجْلِسِ ضَحِكَ السُّرُورِ بِهِ عَنْ نَاجِذِيهِ وَحَلَّتِ الْحُمُرُ

أى حلت الحمر المحرمة . والمعنى — ان المجال بلغ من البهجة والراح والانبساط الغاية
التي لا بعدها . قال العكبرى : وسميت الحمر لما لأنها تسيل من العنقود كما يسيل دم القنوت
وقال : قوله ما خلا : إذا قلت جاء القوم ما خلا زيدا : فليس إلا النصب ، وإذا قلت جاء
القوم خلا زيد : كان الجر لا غير ، وقال ابن جني : إذا أسقطت «ما» جررت ، وكان أقوى
من النصب ، لاحتماله إياه .

(٢) طارفي وتليدي : معطوفان على نفسى ؛ وقوله من غزال : تخصيص له بالفداء
من جملة الغزلان ؛ ومثله أفيديك من رجل . والطارف — ومثله الطريف — ما استحدث
عندك من مال ؛ والتاليد — ومثله التليد — ما كان عن إرث الآباء . يقول : استقى
الحمرة فأنا أفيديك بنفسى وما أملك . قال العكبرى : أنت الضمير في استقيها ؛ لأنه أراد
بالدم الحمر ، وذكر ضمير عينيك ، والأفعال بعد ، لقوله من غزال على لفظه لا معناه ،
لأن المراد بالغزال المشوقة وتقدير الكلام : فدى لمعنيك من غزال نفسى وطارفى وتليدي
(٣) شيب رأسى : مبتدأ ، وما بعده : عطف عليه ؛ وشهودى خبره ، وعلى هواك :

متعلق بشهودى . وهذا من قول الآخر :

أَيَّ يَوْمٍ سَرَزْتَنِي بِوَصَالٍ لَمْ تَرْغَبِي ثَلَاثَةَ يَوْمٍ بِصُدُودٍ^(١)
 مَا مُقَامِي بِأَرْضٍ نَحْلَةً إِلَّا كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ^(٢)
 مَقَرَّشِي صَهْوَةً الْحِصَانِ وَلَكِنْ قَبِيصِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدٍ^(٣)
 لِأُمَّةٍ فَاضَةٍ أَضَاءَ دِلَاسٌ أَخْكَتْ نَسْجَهَا يَدَا دَاوُدَ^(٤)
 أَنْ فَضَلِي إِذَا قَنَعْتُ مِنَ الدَّهْرِ بِعَيْشٍ مُعْجَلٍ التَّنْكِيدِ^(٥)
 ضَاقَ صَدْرِي وَطَالَ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ
 قِيَامِي وَقَلَّ عَنْهُ قُودِي^(٦)

أَوْ مَا كَفَاكَ تَغْيِيرِي وَنَحُولُ جَسَدِي شَاهِدَا

(١) أي منصوب على الظرفية : أي في أي يوم . وراعه : أفزعته . يقول : لم تسرنني يوما بالوصول إلا رعتني ثلاثة أيام بالصد والإعراض . وقال العسكري : أي نصب ، وهو استفهام خرج مخرج النفي ، كما تقول لمن يدعي أنه أكرمك : أي يوم أكرمتني قط .
 (٢) المقام بمعنى الإقامة ؛ ونحلة : قرية لبني كلب قرب بلبك . يقول : إن أهل هذه القرية أعداء لي ، كما كانت اليهود أعداء للسيد المسيح . قال الواحدى : وبهذا البيت لقب بالثني ، لتشبيهه نفسه بالسيد المسيح في هذا البيت ، وبصالح عليه السلام فيما بعده .
 (٣) للفرش : موضع الفراش . ومقرشي الخ : في موضع الحال ، والصهوة : مقعد الفارس من ظهر الفرس . والحصان : الفرس الفحل . والمسرودة : الدرع المنسوجة من الحديد . يقول : إنني شجاع ، مكاني ظهر الفرس ، وثيابي الدروع : أي أنني أبدأ بهذه القرية على هذه الحالة تيقظا وتأهباً .

(٤) لأمة : درع ملثمة الصنعة ، بدل من قوله مسرودة : وفاضة : سائفة ؛ يقال درع فاضة : أي تفيض على جسم لابسها فتعمه . والأضاة : الغدير ؛ شبه الدرع به لبريقها وصفائها ؛ والدلاس : البراقة اللينة للساء ؛ ودرع دلاس وأدرع دلاس ، الواحد والجمع على لفظ واحد ، وداود : هو سيدنا داود ، أول من عمل الدرع ، كما قال جل شأنه : «وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ» . يقول : قبضي لأمة محكمة النسيج من صنع داود الخ .

(٥) يقول : إذا قنعت من الدهر بعيش قد عجل لي نكده وأبطأ على خيره ، فأين فضلي ؟ يعني إذن لأفضل لي ، فكأنه قد خفي فليس يرى . ثم قال - في البيت الثاني - : لقد نصبت في طلب الرزق ولم أحصل من ذلك بطائل ، ومن ثم ضاق صدري لكثرة ما نصبت وطال سفرى وقل قمودى عن السفر .

أَبَدًا أَفْطَحُ الْبِلَادَ وَتَجْمَعُ فِي نُحُوسٍ وَهَمَّتِي فِي سُودٍ^(١)
وَلَمَّسْتُ مُؤَمِّلٌ بَفَضٍ مَا أَبْلَغُ بِاللُّطْفِ مِنْ عَزِيزٍ حَمِيدٍ^(٢)
لِسِرِّي لِبَاسُهُ خَشِنُ الْقَطَنِ وَمَرْوِيٌّ مَرْوٍ لَيْسُ الْقُرُودِ^(٣)
عِشْ عَزِيزًا أَوْ مِتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفَقِ الْبُنُودِ^(٤)

(١) يقول : إنه طموح ، بعيد الهمة ؛ دائب السى وإن قل حظه من الرزق كما قال أبو تمام :

هَمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجَدْتُ أَلْفَ لِلْحَضِيضِ فَهَوَ حَضِيضُ
وقال الآخر :

وَلِي هَمَّةٌ فَوْقَ نَجْمِ السَّمَاءِ وَلَكِنْ حَالِي تَحْتَ النَّرَى
فَلَوْ سَاعَدَتْ هَمَّتِي حَالَتِي لَكُنْتُ تَرَى غَيْرَ مَا قَدْ تَرَى

(٢) يقول : لعل العزير الحيد سبحانه وتعالى مبلغني فوق ما أرجو ، فيكون ما أرجوه الآن بعض ما سأبلغه . أو نقول : إن الكلام على القلب : أى لعل بلطف العزير الحيد أبلغ بعض ما أرجوه . وعبرة الواحدى يقول : لعل راج بعض ما أؤمله بلطف الله ؛ ثم قال : وفيه وجه آخر ، وهو أن المرجر محبوب ، والمكروه لا يكون مرجوا . بل يكون محذورا ، فهو يقول : لعل راج بعض ما أبلغه وأدركه من فضل الله : أى ليس جميع ما أبلغه مكروها ، بل بعضه مرجو ومحبوب . وقال ابن القطائع : أؤخذ في قوله ولعل مؤمل الخ ؛ إذ كيف يؤمل بعض ما يبلغ ؟ وإعنا وجه الكلام أن يقول : ولعل أبلغ بعض ما أؤمل ، وليس كذلك ، بل المعنى : ولعل أبلغ آمالى ، وأزيد عليها حتى يكون ما أؤمله بعض ما أبلغه وقيل معناه : أنا أؤمل أكثر ما أطلب ، فلعل بالغ بعض ما أؤمله ، لأن ما أؤمله بعض ما أبلغه أو لأن ما أؤمله لا يبلغ إليه أحد .

(٣) السرى : للباقد الشريف . وللروى : ثياب رفاق تنسج بمرو - وهى بله بخارس - يقول : لعل بالغ بعض ما أؤمله بلطف الله لسرى - يعنى نفسه - يتكشف في لباسه قلبه القطن الحشن - والعرب تمدح بخشونة اللبس واللطم ، وتيب الترف والنعيم أما الثياب الرقيقة فهى لبس اللثام - ويروى بسرى : أى أبلغه بإقدام هذا السرى وهيمته .
(٤) البنود : الأعلام الكبيرة ، وخفق البنود : اضطرابها . يقول : إما أن تعيش عزيزاً متمتاً من الأعداء ، أو تموت موت الكرام في الحرب ، لأن القتل في الحرب يدل على شجاعة للقتول ، والقتل خير من العيش في ذل .

فَرُمُوسُ الرِّمَاحِ أَذْهَبُ لِلْفَيْظِ وَأَشْنَى لِغِلِّ صَدْرِ الْخُودِ^(١)
لَا كَمَا قَدْ حَيَّيْتَ غَيْرَ حَمِيدٍ وَإِذَا مِتُّ مِتَّ غَيْرَ قَبِيدٍ^(٢)
فَاطْلُبِ الْعِزَّ فِي لَطْفِي وَذَرِ الذَّلَّ وَلَوْ كَانَ فِي جَنَانِ الْخُلُودِ^(٣)
يُقْتَلُ الْعَاجِزُ الْجَبَانُ وَقَدْ يُفَجِّرُ عَنْ قَطْعِ بَحْنِقِ الْمَوَلُودِ^(٤)
وَيُوقِي الْفَتَى الْخَشْوَ وَيَذْخَرُ ضَنْ فِي مَاءِ لَبَةِ الصَّنَدِيدِ^(٥)
لَا بِقَوْمِي شَرَفْتُ بَلْ شَرَفُوا بِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِمَجْدُودِي^(٦)

(١) الغل : الحقد . يقول : إذهاب الفيظ بالرمح أكثر من إذهابه بالسلم ، وأشنى لغل صدر الخوود من أعدائه . وقال الفكري : تقول ذهبت بالفيظ ولا تقول ذهبت بل أذهت ، والوجه أن يقول أشد إذهاباً لفيظ ، لأن أفعل لا يبنى من الإفعال إلا في ضرورة الشعر . ولكنه جاء على حذف الزوائد ؛ ولو قال بالفيظ لاستغنى .

(٢) يقول : عش عزيزاً أو مت في الحرب كريماً ولا تمس كما عشت إلى الآن ذمياً لا تستطيع أن تصطنع الناس فيحمدوك ، فإذا أنت مت وجدوا مثلك كثيراً فلا يفتقدونك ولا يكثرثون لموتك ، لأنهم إنما يبالغون من له إقدام وشجاعة وأفاعيل يذكرونها . . . هذا ؛ ويقال حي يحيى حياة وحى - بالإدغام - وقوله تعالى «ويحيى من حي بينة» قال الفراء : كتابها على الإدغام بياء واحدة هي أكثر القراءات .

(٣) لطفي : من أسماء جهنم وهي معرفة لا تنصرف ، والكلام كله مبالغة في طلب العز والبعد من الذل ، وإلا فلا عز في جهنم ولا ذل في الجنة .

(٤) الخنق : خرقه قنق بها الرأس وتشد تحت الحنك . يقول : قد يقتل العاجز الجبان ، فليس العجز والجبن من أسباب البقاء ، فلياك والعجز والجبن حبا للبقاء .

(٥) الخش : الجري . على الليل والدخال في الأمور والحروب ؛ وخوض : بالغ في الخوض . واللبنة : أعلى الصدر ؛ وماؤها : دمها ، والصنديد : السيد الشجاع . والبيت تسكته لما ذكره في البيت السابق . يقول : كما أن العاجز الجبان قد يقتل بسلم الشجاع الملوأ وقد خاض في الحروب حتى غاص في دماء الصناديد ، بحث على الإقدام كما نهى عن الجبن فيما قبله .

(٦) هذا كما قال القائل :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوْدَتْ عِصَامًا وَعَلَّتَهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا

وَبِهِمْ فَخْرٌ كُلٌّ مِّنْ نَّفَقَ الضُّا
 دَ وَمَوْذُ الْجَانِ وَعَوْتُ الطَّرِيدِ ^(١)
 إِن أَكُنْ مُعْجَبًا فَمُعْجِبٌ عَجِيبٌ
 لَمْ يَجِدْ قَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدٍ ^(٢)

وَصِيرَتْهُ مَلِكًا مُّهَامًا حَتَّى عَدَا وَجَاوَزَ الْأَقْوَامَا ^(٣)

وقال عامر بن الطفيل :

وإني وإن كنتُ ابنَ سيّد عامرٍ وفارسها المشهور في كل مَوَكِبٍ
 فما سودتني عامرٌ عَنْ وِرَاثَةِ أَبِي اللَّهِ أَنْ أَتَمُّو بَامَ وَلَا أَبِ
 وَلَكِنِّي أَحْيَى حَمَاهَا وَأَتَقَى أَذَاهَا وَأُرِي مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكَبٍ ^(١)
 قال الواحدى : لو اقتصر للتني على هذا البيت لكان الأُم الناس نسا . لكنه
 قال بعده البيت التالى .

(١) كل من نطق الضاد : العرب ، لأن الضاد لا توجد في غير العربية . يقول :
 على أنه بقوى نخر العرب جميعا ، وبهم عوذ الجاني : أى أن من نجى جناية وخاف على
 نفسه لجأ إلى قومي ليأمن على نفسه ، وبهم غوث الطريد - وهو الذى نفي وطرد - أى
 أنه يستغيث بهم فيغيثونه وينصرونه .

(٢) للمعجب : الذى يعجب بنفسه . والعجيب : الذى يعجب غيره . يقول : إن
 كنت متعجبا بنفسى فهذا المعجب صادر من رجل عجيب لا يرى لأحد منزلة يمتاز بها عليه ،
 فليس عجبى إذا بمنكر .

(١) عصام : هو حاجب الثمان بن اللندر ، وهو عصام بن شهر الجرمي ، وفي اللث
 كن عصاميا ولا تكن عظاميا . يريدون به قول عصام هذا ، والمعطامى . الذى يفتخر
 بأبائه ويتكلم على مجدهم .

(٢) أممو : من السمو ، وهو العلو والارتفاع ؛ وقوله بمنكب : يريد أرى من
 رماها بجماعة رؤساء من الفوارس ، والمنكب : رأس العرفاء . وقيل أعوان العرفاء
 من النكبة ، وهى العرافة .

أَنَا تَرْبُ النَّدَى وَرَبُّ الْقَوَافِي وَسِمَامُ الْعِدَا وَغَيْظُ الْحُسُودِ^(١)
أَنَا فِي أُمَّةٍ تَذَارِكُنَا اللَّهُ هُوَ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي شُودِ^(٢)

(١) تَرْبُ الْإِنْسَانِ : مَنْ وَلَدَ مَعَهُ فِي وَقْتٍ ، وَالنَّدَى : الْجُودُ ، وَالنَّمَامُ : جَمْعُ سَمٍ .
يَقُولُ : أَنَا أَخُو الْجُودِ وَلَدْنَا مَعًا ، وَأَنَا رَبُّ الْقَوَافِي وَمُبْدِعُهَا ، إِذْ لَمْ أَسْبِقْ إِلَى مِثْلِهَا ،
وَأَنَا قَاتِلُ أَعْدَائِي كَمَا يَقْتُلُ السَّمُ ، وَأَنَا غَيْظُ حَسَادِي ، لِأَنَّهُمْ يَتَمَنُّونَ مَكَانِي فَلَا يَدْرُكُونَهُ
فَيَقْتَاظُونَ .

(٢) تَذَارِكُنَا اللَّهُ : حِجَّةٌ مَعْرُوضَةٌ ، وَهِيَ إِمَّا دَعَاءُ لَهَا : أَيْ تَذَارِكُهُمُ اللَّهُ بِالْإِصْلَاحِ وَنَجَاتِهِمْ
مِنْ لُؤْمِهِمْ ، أَوْ دَعَاءُ عَلَيْهِمْ : أَيْ أَدْرِكُهُمُ اللَّهُ بِالْإِهْلَاكِ لِأَنْجُو مِنْهُمْ . هَذَا وَنُمُودُ قَبِيلَةٍ مِنْ
الْعَرَبِ الْأَوَّلِ وَاخْتَلَفَ الْقُرَاءُ فِي إِعْرَابِهِ فِي كِتَابِ اللَّهِ : فَمِنْهُمْ مَنْ صَرَفَهُ : وَمِنْهُمْ مَنْ
لَمْ يَصْرِفْهُ ، فَمِنْ صَرَفَهُ : ذَهَبَ إِلَى الْحَيِّ لِأَنَّهُ اسْمُ عَرَبِيٍّ مَذْكُورٍ سَمِيَ بِمَذْكَرٍ ؛ وَمَنْ لَمْ
يَصْرِفْهُ : ذَهَبَ بِهِ إِلَى الْقَبِيلَةِ ، وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ .

وأهدى إليه عبيد الله بن خلكان - من خراسان - هدية فيها سمك من سكر ولوز في غسل ، فرد إليه الجامة وكتب عليها هذه الأبيات بالزعفران :

أَقْصِرْ فَلَنْتَ بِزَايِدِي وَدَا
بَلَّغَ لَمَدَى وَتَجَاوَزَ الْحَدَا^(١)
أَرْسَلْتَهَا مَمْلُوءَةً كَرَمًا
فَرَدَدْتُهَا مَمْلُوءَةً خَمَدَا^(٢)
جَاءَتْكَ تَطْفَحُ وَهِيَ فَارِغَةٌ
مَشْنَى بِهِ وَتُظْهِرُهَا فَرْدَا^(٣)
تَأْتِي خَلَاقُكَ الَّتِي شَرَفَتْ
أَنْ لَا تَحْنَنَّ وَتَذْكُرُ الْعَهْدَا^(٤)

(١) أقصر عن الشيء : إذا كف عنه وهو قادر عليه ، وقصر عنه : إذا عجز عنه ، وقصر فيه : إذا لم يبلغ ، والضمير في بلغ : الرد ، والجملة استئناف . يقول : إن ودي إليك قد بلغ الغاية وتجاوز الحد بحيث لا يقبل الزيادة ، فكف عن البر فإنك لا تزيدني بذلك ودا . وهذا من قول ذي الرمة :

وما زال يفلو حُبُّ مَيَّةٍ عِنْدَنَا وَبِرْدَادُ حَتَّى لَمْ نَجِدْ مَا يَزِيدُهَا

(٢) أرسلتها أى الجامة . ومملوءة حمدا : يريد ما كتبه إليه على جوانبها .

(٣) طفع الإناء : امتلأ . وتطفح : حال : أى طافحة : ومشنى : حال أخرى ، والضمير في به : للحمد ، أى الأبيات التى عليها يقول : جاءتك الجامة طافحة بالحمد وإن كانت فارغة مما كان فيها ، وقد شفعتها بالحمد - لأنه كتب هذه الأبيات على جوانبها - فصارت بذلك شيئين لا شيئاً واحداً كما تظنها .

(٤) الخلائق : ما خلق عليه الإنسان . يقول : إن أخلاقك الشريفة تأبى عليك أن لا تشاق إلى أوليائك وتذكر عهودهم ؛ قال العكبرى : قوله أن لا تحن : أن هاهنا هى الخففة من الثقلية ، ودخلت لالتفصل بينها وبين الفعل ، فلماذا رفع تحن وتذكر ؛ ومثله قراءة أبى عمرو وحمة والكسائى فى قوله تعالى « وحسبوا ألا تكون فتنة » بالرفع ، (٤ - التنتي ٢)

لَوْ كُنْتُ عَصْرًا مُنْبِتًا زَهْرًا
كُنْتُ الرَّيِّعَ وَكَانَتْ الْوَرْدَا^(١)

* *

وروى جماعة هذا الحرف — أن لا تخن وتذكر — بالنصب ، وجعلوا أن هي الناصبة ، ولم يعتدوا بلا ، كقراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم .

(١) اسم كانت : ضمير الحلائق . يقول : لو كنت زمانا ينبت الأزهار لكنت زمان الربيع ، وكانت أخلاقك الورد : أى أنك بين الرجال كالربيع بين الأزمنة ، وأخلاقك بمنزلة الورد من الأزهار . هذا : والعصر ، والعصر ، والعصر ، والعصر : الدهر . قال امرؤ القيس فى العصر :

الْأَعْمُ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي وَهَلْ يَمِينٌ مَن كَانَ فِي الْمَصْرِ اخْلَالِي
والجمع : أعصر وأعصار وعصر وعصور . قال العجاج :

* وَالْمَصْرِ قَبْلَ هَذِهِ الْمَصُورِ *^(١)

والمصراعان : الليل والنهار . قال حميد بن ثور :

وَلَنْ يَلْبَثَ الْمَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ إِذَا طَلَبَا — أَنْ يَدْرَكَمَا تَابِعَا^(٢)

(١) أول هذا الرجز :

جَارِي لَا تَسْتَنْكِرِي عَذِيرِي سِيرِي وَإِشْفَاقِي عَلَى بَعِيرِي

العذير : الأمر الذى يحاوله الإنسان فيعذر فيه : أى لا تستنكرى ما أحاوله معذورا فيه . وسيرى عطف بيان له ، أو بدل منه . وجارى : منادى مرخم : أى بإجارية . راجع الرجز فى أراجيز العرب للبكرى .

(٢) قبله :

أرى بضرى قد رابنى بعد صحة وحسبك داء أن تصح وتسلم

أى أن الصحة والسلامة مؤديتان إلى الهرم ، وهو الداء الذى لا دواء له .

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائي المنبجي :

أَلْيَوْمَ عَهْدُكُمْ فَأَيْنَ الْمَوْعِدُ هَيْهَاتَ لَيْسَ لِيَوْمٍ عَهْدُكُمْ غَدُ^(١)

(١) يقول .. مخاطباً أحبته - : اليوم ألقاكم مودعا ، فمتى يكون اللقاء بعد هذا الفراق ؟ ثم استأنف فقال : هيهات - أى بعدما أطلب - ليس لهذا اليوم - يوم لقائكم للوداع - غد : أى لا أطمع فى أن أعيش بعد فراقكم ، فلا غدى بعد هذا اليوم . وأين ، وإن كانت سؤالا عن المكان : إلا أن المراد بها هنا ما يرد بمتى : أى السؤال عن الزمان . وهيهات : كلمة تبعيد ؛ قال جرير :

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَهَيْهَاتَ خِلٌ بِالْعَقِيقِ نُحَاوِلُهُ^(١)
والثناء مفتوحة ، مثل كيف ، وأصلها هيهاه ؛ وكذلك وقف عليها أحمد البرى عن ابن كثير والكسائى بالهاء رداها إلى الأصل وقد كسرهما جماعة من العرب ؛ قال حميد الأرقط يصف إبلا قطعت بلاداً حتى صارت فى اتقفار :

يُصْبِحُنَ بِالْقَفْرِ أَتَاوِيَاتٍ مُعْتَرِضَاتٍ غَيْرَ عُرْضِيَّاتٍ

* هَيْهَاتَ مِنْ مُصْبِحِهَا هَيْهَاتَ^(٢)

وقد أبدلوا الهاء الأولى منهازمة فقالوا أيهات كهراق وأراق ؛ قال الشاعر :

* أَيِهَاتَ مِنْكَ الْحَيَاةُ أَيِهَاتَا *

وقال الجوهري فى صحاحه : قال الكسائى من كسر التاء وقف عليها بالهاء ، ومن فتحها وقف عليها بالتاء ، وإن شاء بالهاء ، قل أبو محمد عبدالله بن برى النحوى فى أخذه على الجوهري : قال أبو على الفارسى : من فتح التاء وقف بالهاء ، لأنه اسم مفرد ، ومن كسر وقف عليها بالتاء ، لأنه جمع لهيات المفتوحة وقال الاخفش : يجوز فى هيات أن تكون جماعة ، فتكون التاء التى فيها تاء الجمع التى للتأنيث ، ولا يجوز ذلك فى اللات .

(١) نحاوله : يروى نواصله ، والعقيق . اسم واد بالمدينة ، والحل : الصديق .

وهيات : اسم فعل بمعنى بعد .

(٢) يقال رجل أتاوى : إذا كان غريباً فى غير بلاده . فقوله يصبحن أتاويات : أى

غريبة من صواحبه لتقدمهن وسبقهن ، ومعتراضات : أى نشيطة لم يكسلهن السفر ، غير عرضيات : أى من غير صعوبة ، بل ذلك النشاط من شيمهن .

الْمَوْتُ أَقْرَبُ مِخْلَبًا مِنْ بَيْنِكُمْ وَالْعَيْشُ أَبْعَدُ مِنْكُمْ لَا تَبْعُدُوا^(١)
 إِنَّ الَّتِي سَفَكَتْ دَمِي بِجَفْوَتِهَا لَمْ تَذَرِ أَنَّ دَمِي الَّذِي تَتَقَلَّدُ^(٢)
 قَالَتْ وَقَدَّرَاتٍ أَصْفَرِ ارْأَيْ مَنْ بِهِ وَتَنَهَّدَتْ فَأَجَبْتَهُمَا الْمَتْنَهْدُ^(٣)
 فَضَتْ وَقَدْ صَبَغَ الْحَيَاءُ بَيَاضَهَا لَوْ نِي كَمَا صَبَغَ اللَّجَيْنِ الْمَسْجِدُ^(٤)

والعزى ؛ لأن لات و كيت لا يكون مثلها جماعة ، لأن التاء لازداد في الجماعة إلا مع الألف ؛ فإن جعلت الألف والتاء زائدتين بقى الاسم على حرف واحد .

(١) المخلب : للمفترس من السباع وجوارح الطير ، واستعاره للموت لأنه يهلكه الحيوان كأنه يفرسه . يقول : إذ ترمعون انفراق فإن الموت سيدركني قبل أن تفارقوني فرعاً من البين . والحياة تكون عنى أبعد منكم . وقوله لا تبعدوا : دعاء لهم : أى لا بعدتم عنى ولا فارقتموني أبداً ، ومن رواه بفتح العين فهو من البعد - بفتحيتين - بمعنى الهلاك : أى لا تهتككم ولا لجعت بكم . قال تعالى « ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود » أما بضم العين فهو من البعد - بمعنى البين والفراق - وقوله غلبا : يروى مطلباً ، ومعناه أطلب الموت قبل فراقكم : أى لو خيرت بينها لطلبت الموت ولم أطلب فراقكم .

(٢) يقول : إن التي عصفت بي وأنت على وقتلتني يعيونها لم تدر أن دمي في عنقها وأنها بامتى ياتم قتلى . يقال تقلد الإثم ونحوه : أى لزمته تبعته . وتقلد الأمر : أخذه في عنقه ، وأصله من القلادة ، ومنه تقليد القضاة القضاء : أى جعله في أعناقهم . وكذلك تقليد الولاية .

(٣) يقول : لما رأت اصفرار وجهي - وجداً بفراقها - قالت من به ؟ أى من فعل به هذا الذي أراه ؟ أو من الطالب به ؟ وتنهدت : أى علاصدها لشدة تنفسها ، وزفرت استعظاما لما رأت - فأجبتها وقلت : الذي فعل بي هذا - أو الطالب بي - هو المتنهد أى أنت . وقال العسكبرى : يجوز أن يكون قالت : جواباً لظرف محذوف : أى لما رأت اصفراراً قالت ؛ ويجوز أن يكون خبر إن - في البيت قبله - ويكون عبر البيت : لم تدر الخ - جملة في موضع نصب على الحال .

(٤) اللجين : الفضة ؛ والمسجد : الذهب ؛ وقوله : وقد صبغ الحياء بياضها لوني غدى الصبغ إلى مفعولين ، لأنه يضمن معنى الإحالة ؛ كأنه قال : أحال الحياء بياضها لوني . يقول : إنها استحيت فاصفر لونها ، كأنها خضت قد منها ذهب . قال الواحدي : إن الحياء لا يصفر اللون بل يحمره . ولكن هذا الحياء كان مختلطاً بالحروف ، لأنها خافت

قَرَأَيْتُ قَرْنَ الشَّمْسِ فِي قَرِّ الدُّجَى مُتَأَوِّدًا غُصْنَ بَيْرٍ يَتَأَوَّدُ^(١)
عَدْوِيَّةً بَدْوِيَّةً مِنْ دُونِهَا سَلَبُ النُّفُوسِ وَنَارُ حَرْبٍ تُوقَدُ^(٢)
وَهَوَاجِلٌ وَصَوَاهِلٌ وَمَنَاصِلٌ وَذَوَابِلٌ وَتَوَعُّدٌ وَتَهْدُدُ^(٣)
أَبْلَتْ مَوَدَّتَهَا أَلْيَالِي بَعْدَنَا وَمَشَى عَلَيْهَا الدَّهْرُ وَهُوَ مُقَيَّدُ^(٤)

الفضيحة على نفسها ، أو خافت أن يسمع الرقيب هذا الكلام ، أو خافت أن تطالب بدمه ، فاستشمارها خوف ما جنت من القتل غلب سلطان الحياء فأورث صفرة .

(١) قرن الشمس : أول ما يدومها وهو أصفر ، وقرن الشمس : مفعول أول لرأيت ؛ والمفعول الثاني : الظرف بعده ؛ ومتأودا : أى متايلا ، حال من قر ؛ وغصن : مبتدأ ؛ ويتأود : خبره ؛ والضمير في به : للقمر ؛ والجملة : بدل من متأودا : أى حال كونه متأودا يتأود به غصن ؛ ويجوز أن يكون غصن : فاعل متأودا ، ويتأود : نعت لغصن : أى حال كونه متأودا به غصن يتأود . يقول : إنها لما اصفر لونها كانت تلك الصفرة في ياضها كالشمس إذا حلت في القمر الذي يميل به غصن قامتها : يعنى أن قامتها تتأيل بوجهها في حال مشيتها . وقال ابن جني : قد جمعت بين حسن الشمس والقمر ، وجعل قامتها غصنا متايلا شبيها بالقضيب لاعتداله وتمايله وتثنيه . يريد كانت كالقمر في ياضها فلما اصفرت خيلا صارت الصفرة في ياضها كقرن الشمس .

(٢) عدوية : أى من بنى عدى ، وبدوية : نسبة إلى البادية ، أو البدو - على غير قياس - وعدوية : خبر مبتدأ محذوف : أى هى عدوية ؛ أو قاتلتى عدوية ، ومن دونها : خبر مقدم ، وسلب النفوس : مبتدأ مؤخر . يقول : إنها من قومها في منعة ، قبل الوصول إليها تسلب أرواح طالبيها وتوقد نيران الحروب ، فمن حاول الوصول إليها صلى بنار الحرب . (٣) وهواجل الخ : عطف على سلب النفوس - في البيت السابق - والهواجل : جمع هوجل ؛ وهو اللعازة لا أعلام بها والصواهل : الخيل والناصل : السيوف ، والذوابل الرماح . يقول : دون الوصول إليها هذه الأشياء ، قال العكبرى : والهواجل أيضاً النوق ويجوز أن يريد بها النوق ، ليسكون أليق بالبيت ، لأن ذكر النوق مع الخيل أشبه من ذكر الأرض مع الخيل .

(٤) أبلت : من البلى ، ومشى عليها : أى على مودتها . يقول : آبلها بعد العهد وأنساها مودتها إيانا . وقوله ومشى عليها الدهر وهو مقيد : مبالغة في الإبادة : أى وطشها وطأ تقيلا كوطء القيد ، وذلك أن القيد لا يقدر على خفة الشئ ورفع الرجلين ، فهو يطأ

بَرَحْتَ يَأْمَرُضَ الْجَفُونَ بِمَرَضٍ مَرَضَ الطَّبِيبُ لَهُ وَعَيْدَ الْمَوَدِّ (١)
فَلَهُ بَنُو عَيْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الرِّضَا وَلِكُلِّ رَكْبٍ عَيْسُهُمْ وَالْفَدَقُ (٢)

وطأ ثقيلاً . وقال ابن جني : هذا مثل واستعارة ، وذلك أن المقيد يتقارب خطوه ، فهو يريد أن الدهر دب إليها فقيرها . قال الواحدى : وهذا فاسد بقوله عليها ، ولو أراد ما قال : لقال ومشى إليها الدهر ، كما قال أبو تمام :

فِي أَحْسَنِ الرُّسُومِ وَمَا تَمَشَّى إِلَيْهَا الدَّهْرُ فِي صُورِ الْبِعَادِ

(١) برح به الأمر وأبرح به : جهده واشتد عليه . وأراد بالمرض : نفسه . والعود الذين يزورون المريض خاصة ، يقول : لقد برحت به الجفون الذوابل ، واشتد عليه ما يلاقيه من جراء حبها حتى مرض طيبه وزواره . حين هالهم مرضه . رحمة له ورثاء لحاله . وقد ذهب ابن جني إلى أن المعنى : برحت : تجاوزت الحد ، وعنى بالمرض : جفنها ، ومرض الطبيب وعيد العود مثل : أى تجاوزت يامرض الجفون الحد حتى أحوجت إلى طبيب وعود ، يبالغ في شدة مرض جفنها . . . قال ابن فورجة . يتقده . : أبرح جنى في التعسف ، ومن الذى جعل مرض الجفون متناها ، وإنما يستحسن من مرض الجفون ما كان غير مبرح ، كقول أبي نواس :

ضَعِيفَةٌ كَرُّ اللَّحْظِ تَحْسَبُ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ عَهْدٍ بِالْإِفَاقَةِ مِنْ سُقْمٍ
ولو أراد تهايه لقال تحسبها في برسام (١) ، أو نزع روح . . إلى أن قل والدليل على كون المرض هو التنفي : قوله بعد :

* فله بنو عبد العزيز بن الرضا *

وقوله يأمريض الجفون : يروى يامرض الجفون — بكسر الراء — وهو قليل في الاستعمال ، إنما يقولون فلان مريض ، والقياس لا يمنع من قولك : رجل مرض كسقم قل الأعشى :

يَقْضَى بِهَا الْمَرْءُ حَاجَاتِهِ وَيَشْفَى عَلَيْهَا الْفُؤَادُ السَّقِيمَ

(٢) فله : أى للمريض المذكور . وهو التنفي . والعيس : كرام الإبل ، والفدق : المفازة . يقول : إن هؤلاء الممدوحين هم الذين ينتجعهم ويلبغ بهم آماله ، بينما سائر الناس من الراكبين المسافرين الذين يقصدون غير هؤلاء ليس لهم إلا الإبل والصحراء : أى لا يحصلون من سفرهم على شيء سوى التعب وجوب الطريق . وقال ابن جني : يريد أنه

(١) البرسام : التهاب الصدر .

مَنْ فِي الْأَنْامِ مِنَ الْكِرَامِ وَلَا تَقُلْ
مَنْ فِيكَ شَأْمٌ سِوَى شُجَاعٍ يُفْصَدُ^(١)
أَعْطَى قَلْتُ لُجُودِهِ مَا يُقْتَتَى وَسَطًا قَلْتُ لِسَيْفِهِ مَا يُؤْلَدُ^(٢)

اختار هؤلاء القوم دون الناس وترك المقاصد لمن يريدونها من الركبان . وقال ابن القطاع : يريد أنهم يهودون على كل أحد فكأنهم يعطون لكل ركب ركابهم وأرضهم .
(١) من : استفهام ، معناه الإنكار ؛ وشأم : أى ياشأم . يقول : ليس في الخلق كلهم كريم يصمد إليه غير شجاع ، ولا تقل : من فيك ياشأم ؟ أى لا تخص الشأم وحدها بهذا الكلام ، لأنه ليس أوحدها حسب ، بل هو أوجد جميع الخلق وتقدير الكلام : من في الأنام من الكرام يقصد سوى شجاع ، ولا تقل ياشأم من فيك ، فإنه أوجد الدنيا كلها ، لا واحد الشأم ، ووجه آخر : أن معناه الاستفهام ، وقد حذف منه الفعل ، كأنه قال : قل باسمع من في الأنام من الكرام ؟ ولا تقل ذلك للشأم ، لأنه قد علم أنه ليس من يقصد إلا هذا المدوح . هذا : والشأم تذكر وتؤنث . قال ابن برى : شاهد التأنيث قول جواس بن القمطل :

جِئْتُمْ مِنَ الْبِلَادِ الْبَعِيدِ نِيَاظُهُ وَالشَّامُ تُنْكَرُ كَهَامَا وَفَتَاهَا
(كهلها وفتاحها : بدل من الشأم) وشاهد التذكير قول الآخر :

يَقُولُونَ إِنْ الشَّامَ يَقْتُلُ أَهْلَهُ فَمَنْ لِي إِنْ لَمْ آتِ بِمُخْلُودٍ ؟
وقال ابن جني : الشأم مذكر ، وأجاز تأنيثه في الشعر ، والنسبة إليها شأى ، وشأم على فعال ، ولا تقل شأم ، وما جاء في ضرورة الشعر فمحمول على أنه اقتصر من النسبة على ذكر البلد ، وشاهد شأم في النسبة قول أبي الدرداء ميسرة :

فَهَاتِنَاكَ النَّجْمُومُ وَهَنْ خُرْسٍ يَنْحُنُّ عَلَى مُعَاوِيَةَ الشَّامِ
وامرأة شامية ، وشامية - مخففة .

(٢) لجوده : خبر مقدم ، وما يقتنى : مبتدأ مؤخر ، وكذا سيفه مايولد ويقتنى : من القنية والادخار ، وسطا : قهر ، والسطو : القهر بالبطش . يقول : لما أخذ في العطاء أكثر حتى قلت في نفسي : إنه سيعطى جميع ما يقتنيه الناس ، ولما سطأ على الأعداء أكثر اقتتل حتى قلت : إنه سيقتل كل مولود ، فتكون المقتنيات جميعاً لجوده ، والنسل كله لسيفه قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : أعطى فقلت لجوده مخاطباً : لا يقتنى أحد مالا

وَتَحَيَّرَتْ فِيهِ الصَّفَاتُ لِأَنَّهَا أَلْفَتْ طَرِيقَهُ عَلَيْهَا تَبَعْدُ (١)
 فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ كُلِّ مَفْصِلَةٍ يَذْمُنُ مِنْهُ مَا الْأُسْنَةُ تَحْمَدُ (٢)
 نَعَمْ عَلَى نَعْمِ الزَّمَانِ يَصُحُّهَا نَعَمْ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي لَا تَجْحَدُ (٣)
 فِي شَأْنِهِ وَلِسَانِهِ وَبَنَانِهِ وَجَنَانِهِ عَجَبٌ لِمَنْ يَتَفَقَّدُ (٤)

لأنهم يستغنون بك عن الجمع والادخار ، وسطا قللت لسيفه : انقطع النسل ، فقد أفنيت العباد . ووجه آخر : أعطى قللت : جميع ما يقتنى الناس من جوده وهباته ، وسطا قللت لسيفه ما يولد بمد هذا : يشير إلى إبقائه على من أبقى مع اقتداره على الإفاء ، فجلهم طلقاه وعقاه . قال ابن جني : ظاهره وباطنه : هجاء — يعنى المصراع الثانى — وأحسن منه قول أبى تمام :

لَمْ تَبْقَ مُشْرَكَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتُ إِنَّ لَمْ تَتَّبْ أَنَّهُ لِلْسَيْفِ مَا تَلِدُ
 فجعله على المشركة وما ولدت ، واحتاط بأن قال إن لم تتب ؛ وأبو الطيب قاله على الإطلااق على العلماء والأشراف والملوك — فكأنه هجا الرجل وجعله يقتل من صادف بلا معنى يوجب القتل .

(١) يقول : إن أوصاف المادحين له حارت ، كيف تحصى فضائله : لأنها وجدت طرائق المدوح ومسالكه التى تحمد وينوه بها بعيدة على الأوصاف ، لا تدركها .
 (٢) المترك : ساحة القتال ؛ والمفرية : المشقوقة . يقول : إنه يقطع كلى أعدائه ، فالكلى تدم منه ما تحمده الأُسنة ، وهو الإصابة فى الطعن وجودة الشق ، والكلى تدم هذا لأنه مناف للرحمة ، والأُسنة تحمده لأنه بذلك أحسن استخدامها . وقال الواحدى : الناس يرون الكللى مشقوقة فيذمون له إذا لا رحمة له ، ويرون الأُسنة منكسرة فيحمدونه لشجاعته ، فأضاف الحمد والدم إلى الكللى والأُسنة لأنهما السبب :

(٣) نعم : مبتدأ ، خبره : نعم ، وعلى — الأولى — متعلقة بصبا : والجملة نعت نعم ، وعلى — الثانية — متعلقة بمستقر محذوف نعت نعم : يقول : إن النعم التى يصبا المدوح على الأعداء — مضافة إلى نعم الزمان — هى نعم على الأولياء مضافة إلى نعمه التى لا تنجده ، يعنى اعتراز أوليائه بذلة أعدائه وما يستفيدونه من الفنائم بنسبتهم .

(٤) الشأن : الحال والأمر ، والبنان : الأنامل ، والجنان : القلب . يقول : فى أحواله كلها إذا تفقدتها عجب ، لأنها لم تكمل فى أحد سواء ، فأبى خصاله رأيت حمدتها .

أَسَدٌ دَمُ الْأَسَدِ الْهَزْبَرِ خِضَابُهُ مَوْتُ فَرَيْصِ الْمَوْتِ مِنْهُ تَرْعَدُ^(١)
 مَا مَنَبِجٌ مُذْ غَبَتِ إِلَّا مُقَلَّةٌ سَهَدَتْ وَوَجْهَكَ نَوْمُهَا وَالْإِئْتِدُ^(٢)
 فَالْلَّيْلُ حِينَ قَدِمْتَ فِيهَا أَبْيَضُ وَالصُّبْحُ مِنْذُ رَحَلَتْ عَنْهَا أَسْوَدُ^(٣)
 مَا زِلْتَ تَذْنُو وَهِيَ تَعْلُو عِزَّةً حَتَّى تَوَارَى فِي ثَرَاهَا الْفَرْقَدُ^(٤)
 أَرْضٌ لَهَا شَرَفٌ سِوَاهَا مِثْلُهَا لَوْ كَانَ مِثْلُكَ فِي سِوَاهَا يُوجَدُ^(٥)

(١) أسد : خبر عن مبتدأ محذوف : أى هو أسد ، ودم الأسد : مبتدأ ، وخضابه : خبر ، وموت - كذلك - خبر مبتدأ محذوف : أى هو موت ، والجملة بعده نعت له ، والهزبر : الشديد ؛ والفريص : جمع فريصة ، وهى لمة عند الكنف تضطرب عند الخوف . يقول : هو شجاع يتلطف بدم الأسد حتى يصير كالخضاب له ، وهو موت لأعدائه ، حتى ليخافه الموت وترتعد منه فرائضه .

(٢) الإئتمد : نوع من الكحل . يقول : ليست منبج - وهى بلد المدوح ، وعلى مرحلتين من حلب - مذ غبت عنها إلا كالقلة الساهدة ، ووجهك لها بمنزلة النوم والكحل - وهما اللذان تصلح بهما العين - يعنى أن صلاح منبج بحضورك .

(٣) هذا من قول أبى تمام :

وَكَاثَتْ وَلَيْسَ الصُّبْحُ فِيهَا أَبْيَضُ فَأَضَحَّتْ وَلَيْسَ اللَّيْلُ فِيهَا أَسْوَدُ

(٤) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به ، وبجانبه آخر أخفى منه ؛ فهما فرقدان ؛ قال قائلهم :

وَكُلُّهُ أَخٌ مَفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَنَرُ أَيْبِكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ

يقول : مازلت تقرب من هذا البلد ، وكلما قربت منه ازداد رفعة بقربك حتى صار ثراه فوق الفرقدين رفعة وعلاوا .

(٥) أرض : خبر عن محذوف : أى هى أرض ؛ وسواها : مبتدأ ، خبره مثلها . وقال بعض الشراح : خبره لها شرف ، والضمير فى لها : يرجع إلى سواها ، ومثلها : نعت شرف ، وهو على حذف مضاف : أى مثل شرفها . يقول : هى أرض لها شرف ، وسواها لها شرف مثل شرفها ، لو وجد فيها مثلك : أى إنما شرفها بك ؛ فلو وجد مثلك فى غيرها لسواها هذا الغير فى الشرف .

أَبْدَى الْعِدَاءُ بِكَ السُّرُورَ كَأَنَّهُمْ
قَطَعْتَهُمْ حَسِداً أَرَاهُمْ مَا بِهِمْ
حَتَّى أُنْثَنُوا وَلَوْ أَنَّ حَرَّ قُلُوبِهِمْ
نَظَرَ الْعُلُوجُ فَلَمْ يَرَوْا مِنْ حَوْلِهِمْ
بَقِيَتْ جُمُوعُهُمْ كَأَنَّكَ كُلُّهَا
فَرَحُوا وَعِنْدَهُمُ الْمَقِيمُ الْقَعِيدُ^(١)
فَتَقَطَّعُوا حَسِداً لِمَنْ لَا يَحْسُدُ^(٢)
فِي قَلْبِ هَاجِرَةٍ لَذَابِ الْجِلْدِ^(٣)
لَمَّا رَأَوْكَ وَقِيلَ هَذَا السَّيِّدُ^(٤)
وَبَقِيَتْ بَيْنَهُمْ كَأَنَّكَ مُفْرَدُ^(٥)

(١) يقول : إن أعداءك أظهروا السرور بقدمك خوفاً منك لا ابتهاجا بك ،
وعندهم من الحسد والخوف ما يقيمهم ويقعدهم : أى يزعجهم ويقلقهم .

(٢) قطعتم حسداً : أى أنهم حسدوك فماتوا بشدة حسدك إياك ، فكانك قطعتم
أرباباً . وقوله أراهم ما بهم : أى أراهم الحسد ما بهم من التقصير عنك والنقص دونك ،
فقطعوا من الحسد لمن لا يحسد أحداً ، لأنه ليس فوقه أحد فيحسده ، ولأن الحسد
ليس من أخلاقه . فقوله حسداً : هو تمييز ؛ وفاعل أراهم : ضمير الحسد .

(٣) اثنتوا : رجعوا ؛ والجلد : الصخر ، والهجرة : نصف النهار عند اشتداد
الحر وحماة القيظ ؛ وقيل شدة الحر . يقول : حق انصرفوا عنك وعن مباهاةك
عالمين بتخلفهم عنك وفي قلوبهم من حرارة الحسد والوجدة مالمو كان في هاجرة لذاب
الحجر . وقوله ولوان : حرك الساكن وأسقط الهمزة كقراءة ورش . « ومن
اظلم » ونحوه .

(٤) العليج - فى الأصل - حمار الوحش السمين القوى ، أطلقوه على الغليظ الضخم
الجاحى من كفار العجم ؛ والمراد هنا : قواد الروم . يقول : لما نظروا إليك ورأوا
هيبتك وأنت سيد القوم ، لم يروا من حولهم من ساداتهم : أى لم يخطر لهم سيد من
ساداتهم على بال ، أوقد شغلوا بالنظر إليك عن النظر إلى غيرك ؛ فصاروا كأنهم لا يرون
أحداً سواك ممن حولهم ، ورأوا منك مادهم على سيادتك ، فقانونا هذا هو السيد .
لا سواء من ساداتهم .

(٥) هذا البيت مترتب على ما قبله . يقول : إنك كنت وحدك مثلهم جميعاً ، لأنك
وحدك اغترقت أعينهم وشغلها عن غيرك وصار غيرك كأنه لا وجود له بجانبك ، بحيث لو
فقدوا كنت كل من بذلك المكان ، فأنت مفرداً مثلهم جميعاً . وهذا المعنى ينظر لقول
أبى نواس :

لَهْفَانِ بَسْتَوِي بِكَ الْغَضَبَ الْوَرَى
لَوْ لَمْ يُنْهِنِكَ الْحَجَى وَالشُّوْدُ^(١)
كُنْ حَيْثُ شِئْتَ تَسِرْ إِلَيْكَ رِكَابُنَا
فَالْأَرْضُ وَاحِدَةٌ وَأَنْتَ الْأَوْحَدُ^(٢)
وَصُنِ الْحَسَامَ وَلَا تَذِلْهُ فَإِنَّهُ يَشْكُو بِمِيتِكَ وَالْجَمَاجِمُ تَشْهَدُ^(٣)

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد
وعبارة الواحدى : المعنى أنهم لصغرهم في جنبك كأنهم لا وجود لهم : وإذا قدوا
كنت أنت كل من بذلك المكان ، ثم حقق هذا المعنى بالمصراع الثانى ، وأتى بكاف
التشبيه دلالة على أن هذا تمثيل لا حقيقة ، ومعنى لا وجوداً :

(١) لهفان : حال من التاء في بقيت بينهم ؛ وأصل اللف : حرارة الجوف من
شدة وكرب ونحو ذلك . والمراد باللهفان هنا : الملتئذ غضباً . ويستوى : يستعمل ،
من الوباء ، وأصله يستوى ، تخفف للضرورة . والورى : فاعل يستوى ، والحجى :
العقل ؛ والشوود : السيادة . ونهيه : كفه ورده . من النهى . يقول : بقيت غضبان
حتى استوى الناس الغضب الذى بك : أى ظنوه وباء مهلكاً لهم ، لو لم ينهك شوؤدك
وحملك عن إهلاكهم .

(٢) يقول : كن في أى موضع شئت من البلاد ، فإننا نتجمع ونصمد إليك ، فإن
الارض التى تعدو وروح عليها واحدة ليس هناك أرض غيرها ، وأنت أو حدها لا نظير
لك فيها ، وأذن لا مندوحة عن السفر إليك وإن طال ، لعدم وجود غيرك ممن يستأهل
أن يصمد إليه . وقال ابن جنى : فالأرض واحدة : أى ليس علينا للسفر مشقة لإلغنا إياه
قال العروضى : ليت شعرى : أى مدح للممدوح فى أن يآلف التنبى السفر .

(٣) الإذالة : الامتهان والابتذال ؛ وصنه استره . والجماجم : جمع جمجمة ؛ وهى
قحف الرأس . يقول : لقد أكثرت من القتل ، فأغمد سيفك وكفى ما حصل ، فإن
سيفك يشكو منك من كثرة ضربها به ؛ والجماجم التى حطمتها . تشهد له . وقال ابن جنى
صنه فإنه به يدرك الثأر ، وتحمى به الدمار . قال ابن فورجه : كيف أمن أن يقول
ما أذله إلا لإدراك الثأر ، وإحماء الدمار ؟ وهذا تعليل لو سكت عنه كان أحب إلى أبى

يَبْسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ وَهُوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غَمْدِهِ وَكَأَنَّمَا هُوَ مُنَمَّدٌ^(١)
 رِيَّانٌ لَوْ قَذَفَ الَّذِي أَسْقَيْنَهُ لَجَرَى مِنَ الْمُهْجَاتِ بَحْرٌ مُزِيدٌ^(٢)
 مَا شَارَكْتُهُ مَنِيَّةً فِي مُهْجَةٍ إِلَّا وَشَفَرْتُهُ عَلَى يَدَيْهَا يَدٌ^(٣)
 إِنَّ الرِّزَايَا وَالْعَطَايَا وَالْقَنَا حُلَفَاءُ طَى غَوَّرُوا أَوْ أُنْجَدُوا^(٤)
 صِيحٌ يَا لِحُلُمَةِ تَحْنِيكَ وَإِنَّمَا أَشْفَارُ عَيْنِكَ ذَابِلٌ وَمُهَنَّدٌ^(٥)

الطيب ، وإعما المعنى : أكثرت القتل فحسبك وأغمد سيفك ، فقال : صن سيفك ، وإعما يريد أغمده .

(١) النجيع الدم . يقول : إن الدم جمد على سيفك حتى صار كالغمد له ، فبرى وهو مجرد كأنه مغمد . . وهذا من قول البحري :

سَلَبُوا وَأَشْرَقَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِمْ مُحَرَّمَةٌ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسَلَبُوا
 ومن قول الآخر :

وَفَرَّقْتُ بَيْنَ ابْنِي هُشَيْمٍ بِطَعْنَةٍ لَهَا عَانِدٌ يَكْسُو السَّلِيبَ لِإِزَارَةٍ^(١)
 (٢) ريان - بالنصب - حال ، العامل فيه يس ؛ وبالرفع : خبر مبتدأ محذوف .
 يقول . سيفك ريان فلو مع ما سقته من دماء قلوب الأعداء لجرى منه بحر مزبد .
 يعنى أنك أكثرت به القتل .

(٣) النية : الموت ؛ والهجة : الروح ؛ وشفرته حده . يقول : لم يشترك سيفه والنية في سفك دم إلا كان سيفه يبدأ ليد النية : أى أنها تستعين به كما يستعين العامل يده في العمل . وعبرة ابن جني : يعنى أن لسيفه الأثر الأقوى الأظهر في القتل .

(٤) الرزايا : جمع رزية ؛ وهى المصيبة . والقنا : الزماح ؛ والحلفاء : جمع الحليف وهو الصديق المخالف . وغوروا : نزلوا الغور ، وهو المنخفض من الأرض ، وأنجدوا : نزلوا النجد ، وهو الأرض المرتفعة . يقول : إن هذه الأشياء لا تفارقهم أينما تنفوا ويمموا : أى أنهم حيثما كانوا رزايا ومصائب لأعدائهم ، وعطايا لأوليائهم ، كما قال أبو تمام :

فَإِنَّ الْمَنَايَا وَالصَّوَارِمَ وَالْقَنَا أَقَارِبُهُمْ فِي الرَّوْعِ دُونَ الْأَقَارِبِ
 (٥) جلهمة : اسم طيء . وطىء لقب له . واللام : لام الاستغاثة . والواو - فى

(١) عند العرق : ضال فلم يكذب برفاً ، وهو عرق عائد . ودم غناد يسيل جانباً

مِنْ كُلِّ أَكْثَرٍ مِنْ جِبَالٍ تِهَامَةٍ قَلْبًا وَمِنْ جَوْدِ الْغَوَادِي أَجُودٌ^(١)

وإنما - للحال ، وأشفار العين : منابت الأهداب . يقول : إذا صحت بالجلمة أسرع إليك وأحدث بك ، فهابك كل أحد ، حتى إذا نظرت إلى أي إنسان بعينك فكأنك أشرعت إليه رماحا وسللت عليه سيوفا . ققامت أشفار عينيك مقام الذابل - الرمح - والمهند - السيف . وقال الواحدى : كان الأستاذ أبو بكر يقول : يريد أنهم يتسارعون إليك ويملاؤن الدنيا عليك رماحاً وسيوفا . . هذا كلامه . وتحقيقه : حيثما يقع بصرك رأيت الرماح والسيوف فتصلاً من كثرتها عينيك ، وتحيط بعينيك إحاطة الأشفار بها ؛ وهذا ينظر إلى قول بعضهم :

وإذا دُعُوا لِنَزَالِ يَوْمِ كَرِيهَةٍ سَتَرُوا شَعَاعَ الشَّمْسِ بِالْخِرْصَانِ
[الخِرْصَان : الرماح ؛ والخِرْصَان : الدروع] وقال سلامة بن جندل :

إِنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِحٌ فَرَعٌ كَلَنَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرَعُ الظَّنَائِبِ

« يقول سلامة : إذا أتانا مستتب كانت إغاثته الجد في نصرته ، يقال : قرع لذك الأمر ظنبوبه : إذا جد فيه . والظنبوب : هو طرف العظم اليابس من الساق ؛ فالشاعر حل قرع الصوت على ساق الخف في زجر الفرس قرعا للظنبوب »

(١) الجود : المطر الغزير ؛ والغواذى : السحاب المنتشرة صباحا . يقول - يصف رجال جلمة - : من كل رجل أكبر قلبا من الجبال - يريد قوة قلبه وشده - وأجود من مطر السحاب . وقوله أجود : خبر مبتدأ محذوف : أى وهو أجود من جود الغواذى وقلبا : تمييز . هذا : وتهامة اسم مكة . وقال الجوهري : تهامة ، بلد : والنسبة إليها تهامى وتهام ، إذا فتحت التاء لم تشدد . كما قالوا يمان وشأم ، إلا أن الألف في تهام من لفظها والألف في يمان وشأم عوض من ياء النسبة قال ابن أحرر :

وَكُنَّا كَابَنَى سُبَاتٍ تَقَرَّقَا سَيَّوَى ثُمَّ كَانَا مُنْجِدًا وَتَهَامِيَا

وَأَلْقَى التَّهَامِي مِنْهَا بِلَطَاتِهِ وَأَحْلَطَ هَذَا لَا أَرِيْمُ مَكَانِيَا^(١)

وقوم تهامون : كما قالوا يمانون . وقال سيويه : من الناس من يقول تهامى ويمانى وشامى - بالفتح - مع التشديد ؛ وقد قلنا : الجود : المطر الغزير تقول : جاد المطر

(١) السبات : الدهر ، ولطاته : ثقله ، وأحلط هذا : أى أقام ، أو خلف مجتهداً ، ولا أريم مكانيا : لا أبرحه .

يَلْقَاكَ مُرْتَدِيًا بِأَحْمَرَ مِنْ دَمٍ ذَهَبَتْ بِخُضْرَتِهِ الطَّلَى وَالْأَكْبَدُ^(١)
 حَتَّى يُشَارَ إِلَيْكَ ذَا مَوْلَاهُمْ وَهُمْ الْمَوَالِي وَالْخَلِيقَةُ أُعْبِدُ^(٢)
 أَنَّى يَكُونُ أَبَا الْبَرِيَّةِ آدَمَ وَأَبُوكَ وَالْثَقْلَانِ أَنْتَ مُحَمَّدُ^(٣)
 يَفْنَى الْكَلَامُ وَلَا يَحِيطُ بِوَصْفِكَ
 أَيُحِيطُ مَا يَفْنَى بِمَا لَا يَفْنَى^(٤)

يجود جودا فهو جائد ، والجمع جود ، مثل صاحب وصحب ، وقد جادت الأرض فهي مجودة : أى أصابها مطر جود : قال الراجز :

أَرْعَيْتَهَا أَكْرَمَ عُودٍ عُودَا الصِّلَّ وَالصَّفْصِلَّ وَالْيَعْضِيدَا
 وَالْخَازِبَازِ السِّنْمَ الْمَجُودَا بَحِيثُ يَدْعُو عَامِرُ مَسْعُودَا

الصل : نبت ، وكذلك الخازباز ، والصفصل ، واليعضيد : شجر ونبت سنم مرتفع وهو الذى خرجت سنمته ، رهو ما يعلو رأسه كالسنبل ، وعامر ومسعود : راعيان (١) بأحمر : أى بسيف أحمر . والباء متعلقة بيلقاك ، أو بمرتدياً ؛ ومن دم : صفة أحمر ، وخضرة السيف : لون فرده ، والطلّى : الأعناق . يقول . يلقاك كل منهم متقلدا سيفاً قد تلتطخ بدم الأعناق والأكبدا ، فأحمر واستترت خضرته ، وذهبت بها الطلّى والأكبدا . هذا : والأكبدا : جمع كبدا ؛ وقيل هو على هذا الجمع جمع كبدا كبدا وأعبدا وجمع كبدا - بكسر الباء : أكباد وكبود كوتد وأوتاد .

(٢) يقول : حتى يشير الناس إليك فيقولوا هذا مولى طيء : أى رئيسهم وسيدهم ، وهم سادة الخلق والخلق عبيدهم . ويروى بدل « حتى » حى أى هم حى يشير الخلق إليك بأنك سيدهم وهم سادوا الناس .

(٣) وأبوك : مبتدأ ، ومحمد - خبره ، والثقلان أنت : جملة معترضة : يقول : كيف يكون آدم أباً الورى وأبوك محمد الطائى وأنت الثقلان . أى أنك جميع الإنس والجن ، جمع الله فيك ما فرقه فهما من الفضل والكمال . روى أن أباً تمام قال لابن أبى داود - لما اعتذر إليه - أنت جميع الناس . ولا طاقة لى بنضب جميع الناس ؛ فقال له : ما أحسن هذا المعنى ! فمن أين أخذته . قال من قول أبى نواس :

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنَكِرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ

(٤) ينفد : ينفى : قال ابن جنى : لو اتفق له أن يقول ما ينفى بما لا ينفى ، أو ما ينفد

وقال وقد وشى به قوم إلى السلطان فكتب إليه من الحبس :
 أَيَا خَدَدَ اللَّهُ وَرَدَّ أُنْدُودٍ وَقَدْ قُدُودَ الْحَسَانِ الْقُدُودِ^(١)
 فَهَنْ أَسْلَنَ دَمَا مُقْلَبِي وَعَذَّبَنِي قَلْبِي بِطُولِ الصُّدُودِ^(٢)

بملا ينفد : لكان أحسن في صناعة الشعر ، وقد أتى بالمعنى مع اختلاف اللفظ ، وهو حسن جيد ، لأن ينفد : بمعنى ينفى .

(١) التخديد . الشق ، والقذ . القطع طولا . والحسان القدود ، إضافة لفظية ، مثل الحسن الوجه . يدعو على ورد الحدود أن يشققه الله فيزول حسنه ، وأن يقطع قدود الحسان القدود ؛ قال ابن جني . وهو دعاء على التعجب والاستحسان ، كقول جميل .

رمى الله في عيني بُشِينَةً بِالْقُدَى وفي المرء من أنيابها بالقوادح^(١)
 قال الواحدى . وهذا المذهب بعيد من قول أبي الطيب ، لأنه أخرجه في معرض المجازاة لما ذكر فيها بعد . يريد جزاءه من الله جزاء بما صنع به بالتخديد والقذ قال . وهنا مذهب ثالث ، وهو إعماد دعا على تلك المحاسن لأنها تيمته ، فإذا زالت زال وجده بها ، وحصلت له السلاوة ، كما قال أبو حفص الشهرزورى .

دعوت على ثفره بالقلح وفي شعر طرته بالجلح^(٢)
 لعل غرامي به أن يقل فقد برحت بي تلك الملح
 قال العكبرى : والذي ذكره ابن جني أحسن ، لأن الحب لا يدعو على محبوه أبدا ، والذي أنشده الواحدى للشهرزورى ليس هو مما صدر عن محب : لأن الحب الصادق يقف عند المعاني لا عند المحاسن .

(٢) يقول : من أبكين عيني حتى بضت دما : وعذبني قلبي بنار الصد وهو عذاب

(١) يقال . قد أسرع في أسنانه القوادح . جمع قاذحة ، وهى الجرائم التى تأكل السن ، أو سواد يظهر في الأسنان .

(٢) القلح صفرة في الأسنان ، ووسخ يركبها ، والجلح : ذهاب الشعر من مقدم الرأس .

وَكَمْ لِلْهَوَى مِنْ قَتَى مُدْنَفٍ وَكَمْ لِلنَّوَى مِنْ قَتِيلٍ شَهِيدٍ ^(١)
فَوَاحْشَرَتَا مَا أَمَرَ الْفِرَاقَ وَأَعْلَقَ نِيرَانَهُ بِالْكَبُودِ ^(٢)

— لو علمت — أليم . هذا : ولك أن تجعل دما : مفعولا ثانيا لأسلن ومقلق مفعولا أول ، ولك أن تجعله تمييزا مقدما ، قال العكبري النحوي الكوفي : وهذا جائز عندنا ، وعند المازني والبرد من البصريين ، ومنعه باقيهم كقولك تصيب عرقا زيد حجبنا نقل وقياس ، أما النقل فقول الشاعر :

أَتَهْجُرَ سَلَمَى بِالْفِرَاقِ حَبِيبَهَا وما كان نفساً بالفراق تطيب ^(١)
تقديره : وما كان الشأن والقصة تطيب سلمى نفساً ، فدل على جوازه ، وأما القياس فإن هذا العامل فعل متصرف ، فجاز تقديم معموله عليه كسائر الأفعال المتصرفة ، ألا ترى أن الفعل إذا كان متصرفاً — نحو ضرب زيد عمرا — يجوز تقديم معموله عليه ، فقول : عمرا ضرب زيد ؟ وحجة البصريين أنه لا يجوز تقديمه على العامل فيه ، وذلك أنه فاعل في المعنى . فإذا قلت : تصيب زيد عرقاً فالتصيب هو العرق ، وكذلك لو قلت حسن زيد غلاما : لم يكن زيد حظ في الفعل من جهة المعنى ، بل التفاعل في المعنى هو الغلام فلما كان هو الفاعل في المعنى لم يحز تقديمه .

(١) يقول : كم للهوى من شاب نال منه المرض كل الليل ، وكم للفراق من قتيل شهيد ! يعني أن الحب يسقم ، والفراق يقتل ، وقال بعض الشراح : كم للفراق من قتيل قد عف عن الحنا ، فكان موته لذلك شهادة ، هذا : والدنف : المرض الملازم الحامر ورجل دنف ودنف ومدنف ومدنف : براه المرض حتى أشفى على الموت ؛ فمن قال : دنف لم يشنه ولم يجمعه ولم يؤثته ، كأنه وصف بالمصدر ، ومن كسر ثنى وجمع وأنت : فقال رجل دنف — بالكسر — ورجلان دنفان ، ورجال أدناف ، وامرأة دنقة ، ونسوة دنقات وقد دنف المريض — بالكسر — أى ثقل ، وأدنف ، مثله ؛ وأدنفه ، يتعدى ولا يتعدى ؛ والشهيد — في الأصل — من قتل مجاهداً في سبيل الله ، ثم اتسع فيه فأطلق على كل من يقتل مأجوراً .

(٢) الكبود : جمع كبد .

(١) للمخبل السعدي ، وسلي جاءت ليلى في بعض الدواوين ، والرواية الصحيحة في البيت وما كان نفس بالفراق تطيب .

وَأَغْرَى الصَّبَابَةَ بِالْمَاشِقِينَ وَأَقْتَلَهَا لِلْمُحِبِّ الْقَمِيدِ^(١)
وَأَلْهَجَ نَفْسِي لِغَيْرِ أَهْلَانَا بِحُبِّ ذَوَاتِ اللَّمَى وَالنُّهُودِ^(٢)
فَكَانَتْ وَكُنَّ فِدَاءَ الْأَمِيرِ وَلَا زَالَ مِنْ نِعْمَةٍ فِي مَزِيدِ^(٣)
لَقَدْ حَالَ بِالسَّيْفِ دُونَ الْوَعِيدِ وَحَالَتْ عَطَايَاهُ دُونَ الْوُعُودِ^(٤)
فَأَنْجَمُ أَمْوَالِهِ فِي النَّحُوسِ وَأَنْجُمُ سُؤْلِهِ فِي الشُّعُودِ^(٥)

(١) أغرى من غرى بالشيء : إذا أولع به . والصبابة : رقة الشوق ، والعميد : كالممود الذي أضناه العشق وهذه .

(٢) ألهج بالشيء يلهج لهجا : أولع به ؛ والحناء : الفحش ، وكلام خن ، وكلة خنية ؛ وقد خنى عليه - بالكسر - وأخنى عليه في منطقه : أخفى . قال أبو ذؤيب :
وَلَا تُخْنُوا عَلَيَّ وَلَا تَشْطُوا بقول الفخر إن الفخر حوب

(لا تشطوا : لا تبعدوا ولا تهجروا ؛ يقال : شط وأشط ؛ والحبوب : الهلاك والإثم والوحشة) وقوله بحب : متعلق بألهج ؛ واللمى : سمرة في الشفة . يقول :
مَا أُولِعَ نَفْسِي بِحُبِّ السَّمْرِ الشَّهَادِ ، النَّاهِدَاتِ ، لِغَيْرِ الْفَحْشِ وَالْفَجُورِ .

(٣) كانت : أى نفسى - المذكور . فى البيت السابق - واسم كن : يعود على ذوات اللمى ، وفى مزيد : خبر زال . يدعو للمدوح ، يقول : كانت نفسى وأجبانى اللاتى وصفتهن ، فداء له ، ولا زال فى مزيد من النعم .

(٤) يقول : لا وعيد عنده للأعداء - وإنما يناجزهم بالسيف - ولا وعد عنده للأولياء - وإنما يبادرهم بالسيف والعطاء ، فهو يجعل ما ينوى فعله ، علما منه بما تؤول إليه الأمور ، وإقداماً منه على مطالبه ، وإذن حال سيفه بينه وبين الوعيد وحال سيئه - بمحصله عاجلا - بينه وبين الوعود . هذا : والوعيد التهديد ، وهو يستعمل فى الشر خاصة . والوعور : جمع وعد . وهو - وإن كان يستعمل الخير والشر : إلا أن المراد به هنا : الخير .

(٥) تفريع على عجز البيت السابق . يقول : إن أمواله فى نحوس لأنه يفرقها ويسخو بها ، وسؤاله فى شعود لأنه يذل أمواله لهم فيتنعمون بها ، ويتالون منه مايقترحون عليه ، وهذا كما يقول أبو تمام :

طَلَمْتُ عَلَى الْأَمْوَالِ أَنْحَسَ مَطْلَعِ

وَعُدَّتْ عَلَى الْأَمَالِ وَهَى سُودُ

(٥ المتن ٢)

وَلَوْ لَمْ أَخَفْ غَيْرَ أَعْدَائِهِ عَلَيْهِ لَبَشَّرْتُهُ بِالْخُلُودِ (١)
رَمَى حَلَبًا بِنَوَاصِي الْخَيْلِ وَسُمِرَ يُرْفَنَ دَمًا فِي الصَّعِيدِ (٢)
وَبَيْضِ مُسَافِرَةٍ مَا يُقْمَنَ لَا فِي الرِّقَابِ وَلَا فِي الْعُمُودِ (٣)
يَقْدَنَ الْفَنَاءَ غَدَاةَ اللَّقَاءِ إِلَى كُلِّ جَيْشٍ كَثِيرٍ الْقَدِيدِ (٤)
قَوْلِي بِأَشْيَاعِهِ الْخَرَشْنِي كَشَاءِ أَحْسَنَ بَرَارِ الْأَسُودِ (٥)
يُرُونَ مِنَ الذَّغْرِ صَوْتَ الرِّيحِ صَهِيلَ الْجِيَادِ وَخَفَقَ الْبُنُودِ (٦)

(١) يقول : إني إنما أخاف عليه الدهر ونوبه التي لا ينجو منها أحد ، فأما أعداؤه فإنهم لا يصلون إليه بسوء فلو لم يكن خوفي عليه إلا من جهة أعدائه لبشرته بالخلود .
(٢) النواصي : جمع ناصية ، وهي شعر مقدم الرأس ؛ والسمر : الرماح والصعيد : وجه الأرض . يعني : أنه وجه إليها الجيش ورماحاً تريق دماء أعدائه على الأرض . وفي رواية : بنواصي الجياد .

(٣) البيض : السيوف . يقول : إنه لكثرة حروبه وغزواته لا تزال سيوفه تنتقل من الرقاب إلى الأجنان - العمود - ومن الأجنان إلى الرقاب ، فليست لسيوفه إقامة في شيء من ذلك ، ولهذا جعلها مسافرة .

(٤) يقدن : أي الرماح والجياد والسيوف .

(٥) ولي : أدبر ؛ وأشياع الرجل : أتباعه ومشايخه الذين يطيعونه ؛ والنشاء : جمع شاة ، وإنما قال أحسن على لفظه ، لا معناه ، فلفظه الواحد ، وزئير الأسد صوته ، والخرشني هو بدر الخرشنى ، أحد قواد الدولة العباسية ، وقد كان والياً لحلب ، وهو منسوب إلى خرشنة - بلد من بلاد الروم - يقول أدبر ومعه جنوده وأتباعه كالغتم حين تسمع صوت الأسد .

(٦) يرون - بضم الياء - أي يظنون ويخيل إليهم ؛ والضمير : للخرشني وأتباعه ؛ والذعر : الخوف والفرع ؛ وصوت الرياح : مفعول أول ؛ وصهيل الجياد : مفعول ثان ؛ والبُود : الرايات ، وخفقتها : اضطرابها . يقول : إنهم لشدة خوفهم - وهم هاربون - كانوا يظنون صوت الرياح صهيل خيل المدوح وراءهم وخفق راياته . وهذا من قول جرير :

مَا زِلْتُ تَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ خَيْلاً تَكْرَهُ عَلَيْكُمْ وَرِجَالاً

فَمَنْ كَالْأَمِيرِ ابْنِ بِنْتِ الْأَمِيرِ أَوْ مَنْ كَأَبَائِهِ وَالْجُدُودِ^(١)
 سَمَوْا لِلْعَالِي وَهُمْ صَبِيَّةٌ وَسَادُوا وَجَادُوا وَهُمْ فِي الْهُودِ^(٢)
 أَمَّا لِكَ رَقِيٍّ وَمَنْ شَأْنُهُ هَبَاتُ اللَّجَيْنِ وَعَتَقُ الْعَبِيدِ^(٣)
 دَعْوَتِكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَا وَالْمَوْتُ مِنِّي كَحَبْلِ الْوَرِيدِ^(٤)
 دَعْوَتِكَ لَمَّا بَرَّانِي الْبَلَاءُ وَأَوْهَنَ رِجْلِي ثِقْلُ الْخُلْدِيدِ^(٥)
 وَقَدْ كَانَ مَشِيهُمَا فِي النَّعَالِ فَقَدْ صَارَ مَشِيهُمَا فِي الْقِيُودِ
 وَكُنْتُ مِنَ النَّاسِ فِي مَحْفَلٍ فَهَذَا أَنَا فِي مَحْفَلٍ مِنْ قُرُودِ^(٦)

(١) من : استفهام معناه الإنكار . يقول : لا أحد مثله ولا مثل آبائه وجدوده .
 وقال ابن بنت الأمير لأن جده لأمه كان أميراً أيضاً : يعنى أن الإمارة انحدرت إليه
 من أبويه .

(٢) يقول : إنهم ورثوا المجد والسؤدد والجود عن آبائهم فحكم لهم بالمجد والجود
 والسؤدد وهم صغار على ما عهد من أجدادهم وآبائهم . هذا : والمعالى : جمع معلاة .
 وهى كسب الشرف . قال ابن برى : ويقال فى واحدة المعالى : معلوه ، والصبية : جمع
 صبي ؛ والمهود : جمع مهد ؛ وهو مضجع الطفل .

(٣) الرق العبودية ، والهبات : العطايا ، واللجين : الفضة ؛ والعنق الحرية ، وهو
 اسم من عتق العبد إذا خرج عن الرق . يقول : يامن يملك نفسى عبودية ويا من شأنه
 أن يهب الفضة ويعتق العبيد : دعوتك إلى آخر ما يلى ، وقوله ومن شأنه - بفتح الميم -
 اسم بمعنى الذى ، وشأنه : مبتدأ ، خبره : هبات . ورواها ابن جنى ، ومن شأنه ، جعلها
 جارا ومجرورا : فيكون خبرا مقدما ، وهبات : مبتدأ مؤخر .

(٤) الوريد : عرق فى العنق يضرب مثلا فى شدة القرب ، يقال : هو أقرب إليه
 من جبل الوريد .

(٥) البلاء : الامتحان ، والغم يلى الجسم ، وبراء : هزله وأخلجه ؛ وأوهنه :
 أضعفه والبلاء يروى البلى : أى الفناء .

(٦) المحفل : الجماعة يجتمعون فى موضع ، وعنى بالقرود : المسجونين معه من
 اللصوص وأصحاب الجنايات الشقى الشكول . يقول : كنت أجالس أهل الفضل فصرت
 أجالس أوباش الناس .

تُعَجِّلُ فِي وُجُوبِ الْحُدُودِ وَحَدَى قُبَيْلِ وُجُوبِ الشُّجُودِ (١)
 وَقِيلَ عَدَوْتَ عَلَى الْعَالَمِينَ بَيْنَ وَلَا دِي وَبَيْنَ الْقُودِ (٢)
 فَمَا لَكَ تَقْبَلُ زُورَ الْكَلَامِ وَقَدَرُ الشَّهَادَةِ قَدَرُ الشُّهُودِ (٣)
 فَلَا تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحِينَ وَلَا تَقْبَلَنَّ بِمَحَكِ الْيَهُودِ (٤)
 وَكُنْ فَارِقًا بَيْنَ دَعْوَى أَرَدْتُ وَدَعْوَى فَعَلْتُ بِشَأْنِ بَعِيدِ (٥)
 وَفِي جُودِ كَفِّكَ مَا جَدْتُ لِي بِنَفْسِي وَلَوْ كُنْتُ أَشَقَى ثَمُودِ (٦)

- (١) تعجل : أى أتعجل ؟ . فهو استفهام إنكارى - على تقدير الهمة - ويحتمل أن يكون خبراً ، والحدود : جمع الحد ، وهو العقوبة . وحدى : عطف على وجوب . يقول إنما تجب الحدود على البالغ ، وأنا صبي لم تجب على الصلاة بعد ، فكيف أحد ؟ قال ابن جنى : وليس يريد أنه فى الحقيقة صبي غير بالغ ، وإنما يصغر أمر نفسه عند الوالى ، ألا ترى أن من كان صبيّاً لا يظن به اجتماع الناس إليه للشقاق والخلاف ؟
- (٢) عدوت - من العدوان - أى البغى . والولاد : الولادة . يقول : ادعى على الناس - وأنا طفل لم أستطع الجلوس وحدى بعد - أنى جرت وخرجت على الناس ...
- يعنى أن الناس مفترون . يدفع بهذا عن نفسه الظنة .
- (٣) يقول : إن الناس إنما شهدوا على زوراً فلم تقبل شهادتهم ، وقدر الشهادة على قدر الشاهد : إن كان الشاهد عدلاً : قبلت شهادته ، وإن كان من السفلة السقاط : ردت .
- (٤) الكاشح : العدو الذى يضرر العداوة فى كشحه . ويقال ما عبأت به : أى ما باليت . وقوله بمحك اليهود : أى لجأهم ، وروى بمخل : وهو الكيد والسعاية . قال ابن جنى : جعل خصومه يهوداً ولم يكونوا فى الحقيقة يهوداً ..
- (٥) دعوى - فى الموضعين - مضافة إلى الجملة المحكية ، والشأ والشوط والمسافة والغاية ، والباء متعلقة بفارقاً . يقول : إن بين دعوى من يقول : أردت أن أفعل كذا ودعوى من يقول : فعلت كذا ، بونا بعيداً فافرق بينهما لأنهم إنما ادعوا على أنى أردت أن أفعل ولم يدعوا على أنى فعلت ، وبينهما فرق ظاهر ، وكانوا قد وشوا به أنه يريد أن يأخذ البلد .
- (٦) ما - من قوله ما جدت لى - مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مبتدأ مؤخر
- وفى جود كفيك : خبر مقدم وأشقى ثمود : هو «قدار» عاقر ناقة صالح . يقول : إن جودك لى بنفسى هو فى جملة عطايا كفيك .

ونام أبو بكر الطائي وهو ينشد فقال :

إِنَّ الْقَوَائِي لَمْ تُنِيكَ وَإِنَّمَا
مَحَقَّتْكَ حَتَّى صِرْتَ مَا لَا يُوجَدُ^(١)
فَكَانَ أَذْنُكَ فَوْكَ حِينَ سَمِعْتَهَا وَكَانَهَا مِمَّا سَكِرْتَ الْمُرْقِدُ^(٢)

وقال يمدح محمد بن زريق الطرسوسي :

مُحَمَّدُ بْنُ زُرَيْقٍ مَا نَرَى أَحَدًا
— إِذَا فَقَدْ نَاكَ يُعْطَى قَبْلَ أَنْ يَعِدَا
وَقَدْ قَصَّ دُنُكَ وَالتَّرْحَالُ مُقْتَرَبٌ
وَالدَّارُ شَاسِعَةٌ وَالزَّادُ قَدْ نَفِدَا^(٣)
فَخَلَّ كَفِّكَ تَهْمِي وَاثْنِ وَايِلَهَا
إِذَا اكْتَفَيْتُ وَإِلَّا أَغْرَقَ الْبِلَدَا^(٤)

(١) يقول : إن الشعر لم يكن سبب نومك هذا ، ولكن السبب أنك حسدتنى على شعري ، فمحققتك وأبطل وجودك حتى صرت كالعدم .

(٢) المرقد : ما إذا شربه الإنسان غلبه النوم . يقول : حين سمعت شعري ، نعمت فكان ما سمعت منه بأذنك مرقد شرهته بفيك ؛ وقوله مما سكرت : أى من أجل سكرتك : أى خدرتك وتفتركت : فما ؛ مصدرية .

(٣) الترحال ؛ الرحيل ؛ والشسوع : البعد ؛ ونفد : فرغ .

(٤) همى الماء : سال ، وشناه صرفه ورده ، والوابل : المطر الغزير : يقول : أطلق يديك هامية بالعطاء ، واصرف عني معظم مطرها إذا اكتفيت ، يعنى أن فى قليل عطائها غناء وكفاية ، ولا حاجة إلى كثيرها الذى هو كالوابل يفرق البلد .

وقال يمدح أبا عبادة بن يحيى البحرى :

ما الشوقُ مُقْتَنِمًا مِنِّي بذا الكمدِ حَتَّى أَكُونَ بِلاَ قَلْبٍ وَلَا كَبِدٍ ^(١)
ولا الدِّيارُ الَّتِي كَانَ الحبيبُ بها تَشْكُو إِلَيَّ وَلَا أَشْكُو إِلَى أَحَدٍ ^(٢)

(١) الكمد : الحزن مع الهم : يقول : إن شوقى إلى الأحبة لا يقنع منى بهذا الحزن الذى أنا فيه حتى يحرق كبدى وبوله عقلى فأصير مجنوناً ذاهب العقل .

(٢) اضطربت كلمة الشراح فى تأويل هذا البيت : فقال بعض الشراح : يعنى أن دار الحبيب لا تشكو إلى إذ لا نطق لها ، ولا أنا أشكو فيها إلى أحد إذ لم يبق بها ساكن ومن شأن المحزون أن يتأسى بسمع شكوى غيره ويرتاح إلى بث شكواه ، لأن الشكوى إذا ظهرت خف المصاب . وقال ابن جنى : المعنى لم يبق فى فضل للشكوى ، ولا فى الديار لأن الزمان أبلاها ، قال ابن فورجه : ذهب ابن جنى إلى أن تقدير الكلام : ولا الديار تشكو إلى ، وقد علم أن الديار كلما كانت أشد دثوراً وبلى : كانت أشكى ، لما تلاقى من الوحشة بفراق الأحبة ، فكيف جعل الديار لا فضل فيها للشكوى ؟ وشكواها ليست بحقيقة وإنما هى مجازية ، وإنما تكون على ما ذكر لو أن شكواها حقيقة وكانت تقصر عنها لضعفها وبلاها ، كما يصح ذلك فى العاشق ، كقول البيهقي .

لم يبقَ لى رَمَقٌ أَشْكُو إِلَيْكَ به وإنما يتشكى من به رَمَقٌ
وأيضاً لو كان كما ادعى لم يكن لعطف هذه الجملة على قوله « ما الشوق ، مقتنماً » معنى وإنما عطفها عليها دل على أنها منها ؛ وإنما يعنى : لا الشوق يقنع منى بهذا الكمد ، ولا الديار التى كان الحبيب بها تقنع منى به . وتم الكلام بقوله : الحبيب بها ، ثم ابتداء فقال هذه الديار تشكو إلى وحشتها بفراق أهلها ، ولا أنا أشكو إلى أحد : إما لجلدى ، أو لأنى كتوم لأسراى ، فيكون قد نظر إلى قول القائل :

فإنى مثْلُ ما تجدينَ وَجْدَى ولكنى أَسِيرٌ وَتُغْلِبِينِ

قال الواحدى : يمكن توجيه المعنى من غير أن يتم الكلام فى الصراع الأول ، وهو أن يكون : ولا تقنع الديار التى كان الحبيب بها يشكو إلى : أى يطلعنى على أمره ، وأنا لا أفنى سرى ، على رواية يشكو - بالياء - ومن روى بالتاء كانت الديار الشاكية : يريد بلسان الحال مادفت إليه من الوحشة والخلاء ، فتشكو : يريد به الحال لا الاستقبال ولا أشكو إلى أحد ، لأنه ليس بها غيرى .

ما زالَ كُلُّ هَزِيمٍ الْوَدْقِ يُنْجِلُهُمَا
وَالشَّقْمُ يُنْجِلُنِي حَتَّى حَكَتْ جَسَدِي ^(١)
وَكُلَّمَا فَاضَ دَمْعِي غَاضَ مُصْطَابِرِي ^(٢)
فَأَيْنَ مِنْ زَفَرَاتِي مَنْ كَلِفْتُ بِهِ ^(٣)
لَمَّا وَزَنْتُ بِكَ الدُّنْيَا فَمِلْتَ بِهَا ^(٤)
وَبِالْوَرَى قَلَّ عِنْدِي كَثْرَةُ الْعَدَدِ

(١) الودق : الطر ، وهزيم الودق ؛ يريد سبحانه هزيم الودق ، وهو الذي لا يستمسك كأنه منهزم عن مائه : ويقال غيث هزيم ومنهزم ، وأكثر ما يستعملان في صفة السحاب . وهو الذي لرعده صوت : يقال سمعت هزيمة الرعد ، ولا يستعمل في صفة الودق . وفي معنى البيت يقول مغلد بن بكار الموصلی :

يَا مَنْزِلَا ضَنْ بِالْإِسْلَامِ سَقَيْتَ صَوْبًا مِنَ الْغَمَامِ
مَا تَرَكَ الْمَرْءُ مِنْكَ إِلَّا مَا تَرَكَ السَّقْمُ مِنْ عِظَامِي

ويقول ابن وهب :

لَيْسَا الْبَلِي فَكَأَنَّمَا وَجَدَا بَعْدَ الْأَحْيَةِ مِثْلَ مَا أَجَدَا
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

حَمَلَتْ مَعَالِمُهُنَّ أَعْبَاءَ الْبَلِي حَتَّى كَأَنَّ نَحْوَهُنَّ نَحْوِي

(٢) غاض : نقص ؛ والمصطبر : الاصطبار ؛ والجلد : القوة والصبر . يقول : كأن دموعي جارية من جلدي ، لأنني كلما بكيت نقص صبري ، فكأن دموعي من صبري .
(٣) الزفرات : الأنفاس الحادة ؛ وكلف به : أولع ؛ ومن زفراتي : متعلق بمعنى أين ، تقديره : أبعد حبيبي من زفراتي أم قريب ؟ . يقول : أين من عشقته وأولعت به من معرفة ما بي من الشوق إليه والحسرة على فراقه ؟ وأين تقع من صولتك أيها الممدوح صولة الأسد ؟ أنكر أن يعرف الحبيب حاله ، وأن تكون صولة الأسد كصولة الممدوح . وفيه من البديع حسن التخلص .

(٤) يقول : لما رجعت كفتك - وقد وضعت الدنيا وأهلها في الكفة الأخرى - علمت أن الرزانة للفضل ، لا للأشخاص : أي إذا رجع الواحد على الكثير كان ذلك الكثير قليلا بالمقياس إلى ذلك الواحد الراجح . قال البحتري :

مَا دَارَ فِي خَالِدِ الْأَيَّامِ لِي فَرَحٌ أبا عُبَادَةَ حَتَّى دُرَّتْ فِي خَلْدِي ^(١)
 مَلَكٌ إِذَا امْتَلَأَتْ مَالاً خَزَائِنُهُ أَذَاقَهَا طَعْمَ مُكَلِّ الْأُمِّ لِلْوَلَدِ ^(٢)
 مَا صِيَ الْجَنَانِ يُرِيدُ الْحَزْمُ قَبْلَ غَدٍ بِقَلْبِهِ مَا تَرَى عَيْنَاهُ بَعْدَ غَدٍ ^(٣)
 مَاذَا الْبَهَاءُ وَلَاذَا الثَّوْرُ مِنْ بَشَرٍ وَلَا السَّمَاخُ الَّذِي فِيهِ سَمَاحُ يَدٍ ^(٤)

ولم أرَ أمثالَ الرجالِ تفاوتتْ لدى المجدِ حتى عُدَّ ألفُ بَوَاحِدٍ
 (١) الخلد : البال والروع . يقول . لم يقع في قلب الأيام أن تسرنى حتى وقعت
 أنت في قلبي أن أصمد إليك . والمعنى : ما أقبلت على الدنيا حتى أملتك وقصدتك . وهذا
 ينظر إلى قول الآخر :

إِنْ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِسَلْمَى لَزَمَانٍ بِهِمْ بِالْإِحْسَانِ
 (٢) الشكل : فقد الأم ولدها . جعل الجزائن كالأم ، والمال كالولد . يقول : إذا
 امتلأت خزائنه بالمال فرق بينه وبينها ، فكأنها أم فقدت ولدها ؛ وهذا كقول
 أبي نواس :

إِلَى فَتَى أُمِّ مَالٍ أَبَدًا تَسْعَى بِحَيِّبٍ فِي النَّاسِ مَشْقُوقِ
 (٣) الماضى : النافذ ؛ والجنان : القلب ؛ والحزم : ضبط الأمر وإحكامه والأخذ
 فيه بالثقة . يقول : إن حزمه في الأمور يريه في يومه ما يكون بعد الغد ، فيرى قلبه
 ما تراه عينه بعد غد : يعنى أنه يفتن إلى الأشياء قبل حدوثها كما قال أوس بن حجر :
 الْأَلْمِىُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا
 ويقول أبو تمام :

وَلِذَاكَ قِيلَ مِنَ الظَّنُونِ جَلِيَّةٌ حَقٌّ وَفِي بَعْضِ الْقُلُوبِ عُيُونُ ^(١)
 ولقد كرر المتنبي هذا المعنى في شعره . والمراد بهذا كله : صحة الحدس وجودة الظن .
 (٤) ماذا : أى ليس هذا البهاء ولا هذا النور الخ . فماذا : مركبة من ما النافية وذا
 الإشارية ؛ والبهاء : الحسن ؛ وسماخ : من رفعه فهو على جعل «ما» تيمية ؛ ومن رواء
 بالنصب جعله خبرا لما ، وهى مشبهة بليس . يقول : أنت أجل من أن تكون بشراً ،

(١) من مدحة له فى الواثق . . ولذلك : أى لأننا كنا رأينا فيه الخلافة وتفرسناها فيه .

أَيُّ الْأَكْفِ تُبَارِي الْغَيْثَ مَا اتَّفَقَا حَتَّى إِذَا افْتَرَقَا عَادَتْ وَلَمْ يَعُدْ^(١)
 قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْمَجْدَ مِنْ مُضَرٍ
 حَتَّى تَبَخَّرَ فَهُوَ الْيَوْمَ مِنْ أَدَدٍ^(٢)
 قَوْمٌ إِذَا أَمْطَرَتْ مَوْتًا سُيُوفُهُمْ
 حَسِبَتْهَا سُحْبًا جَادَتْ عَلَى بَلَدٍ^(٣)
 لَمْ أَجِرْ غَايَةَ فِكْرِي مِنْكَ فِي صِفَةٍ
 إِلَّا وَجَدْتُ مَدَاهَا غَايَةَ الْأَبَدِ^(٤)

لأن ما نشاهده فيك من الحسن والنور لا يكون في بشر ، وليس سماحك سماح يد ، وإنما هو سماح غيث وبحر . وكل هذا مبالة ، وفي معناه :

يَجْلُ عَنْ التَّشْبِيهِ لَا الْكُفَّ بَلَّةٌ وَلَا هُوَ ضَرْغَامٌ وَلَا الرَّأْيُ مَخْذَمٌ
 (١) باراه : عارضه وفعل مثل فعله . وقوله ما اتفقا : ما : مصدرية : أي مدة اتفاقهما ؛ وقد وقعت الجملة موقع الحال ، وضمير الثاني : يرجع إلى أي الكف والغيث ؛ يقول : أي كف سوى كف هذا المدوح تبارى الغيث في الجود ما اتفقا ما طرين ، وإذا افترقا بإقلاع السحاب عادت الكف إلى عاداتها ولم يعد الغيث : يريد أن الغيث يمتطر ثم ينقطع ، وكفه تجودولا ينقطع جودها ، فهي تزيد على الغيث . والمعنى أنها تعود إلى الجود وشيكا ، أما الغيث فلا يعود عوده ، لأنه قد ينقطع زماناً طويلاً .

(٢) مضر : هو ابن نزار بن معد بن عدنان . وتبحر . انتسب إلى بني بختر ؛ وهم حى من طيء من عرب اليمن . وأدد : ابن قحطان أبو اليمن : يقول : كنت أظن المجد مضرباً حتى شله المدوح إلى بني بختر ، فهو اليوم يبحر أددى .

(٣) يريد بالموت : الدم ، لأن سفوح الدم يسبب الموت ، وإذا أمطرت السيوف الدم فقد أمطرت الموت . شبهها - وهي تمطر الدم - بالسحب تجود بالمطر .

(٤) يقول : لم أفكر في صفة من صفاتك إلا وجدت غايتها لا تنتهي كغاية الدهر .

وقال يمدح على بن إبراهيم التنوخي :

أَحَادُ أُمِّ سُدَّاسٍ فِي أَحَادٍ لِيُتِلَّتْنَا الْمُنُوطَةُ بِالتَّنَادِ^(١)

(١) أحاد : يريد أحاد ، خذف همزة الاستفهام للضرورة - وإن لم يكن بالفصح - وأحاد من الأبنية التي سمعت عن العرب ، ومثلها ثناء ، وثلاث ، ورباع ، وقاسه المولدون إلى العشرة ، قال الكمي :
فَلَمْ يَسْتَرِثُوكَ حَتَّى رَمَيْتَ فَوْقَ الرَّجَاءِ^(١) خِصَالاً عَشَاراً

(١) فوق الرجاء أي فوق الرجاء الذي كانوا يرجون أنك تبلغه

» من قصيدة للكميت يمدح بها أبان بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وقبله .

رَجَوَكَ وَلَمْ يَبْلُغِ الْعُمُرَ سَنَكَ وَلَا نَبْتَ فَيْكَ اتْفَارَا

لَأُدْنِي خَسَا أَوْ زَكَ مِنْ سَنِكَ إِلَى أَرْبَعِ بَقَوْنَ اتْتَظَارَا

يقول : تبينا فيك السؤدد لسنة أو سنتين من مولدك فرجوا أن تكون سيداً أميراً مطاعاً رفيع الذكر ولم تبلغ عشر سنين . وقوله ولا نبت فيك اتفارا أي اتفرت ولم تنبت أسنانك بعد .

قال أهل اللغة : إذا سقطت روائح الصبي قيل ثغر فهو مشغور ، فإذا نبت قيل : اتفر ، وأصله اتفر ، فقلت الثاء تاء ، ثم أدغمت .

وقوله : لأدنى خسا أوزكا ، فالحسا بفتح الحاء : الفرد « والزكا » بفتح الزاى : الزوج و « خسارة » و « زكا » ينونان ولا ينونان .

والمعنى : أنهم رجوك أن تكون كذلك لأقل ما يعبر عنه بخسا وزكا ، وهو سنة أو سنتان ، إلى أن صار لك أربع سنين ، فظهر للناس مادهم على ما رجوه منك وتفرسوك عند كمال سنك .

وقوله : بقون ، أي : انتظروك ، يقال : بقوت الشيء إذا انتظرتة .

واتظاراً منصوب بـ « بقون » لأنه في معنى انتظروك انتظاراً ، ومعنى يسترثوك يحدونك راثاً أي بطيئاً ، من « الريث » وهو البطء .

ورميت زدت ، يقال رمى على الحسین وأرمى ، أي زاد .

يقول : لما نشأت نشء الرجال ، أسرعت في بلوغ الغاية التي يطلبها طلاب المعالي ، ولم يقنعك ذلك ، حتى زدت عليهم بشر خصال ، فقت السابقين وأياست الذين راموا أن يكونوا لك لاحقين

ولا يستعمل أحاد في موضع الواحد ، فلا يقال هو أحاد - أى واحد - إنما يقولون جاءوا أحاد : أى واحداً واحداً ، وكذلك سداس. والليلة : تصغير ليلة ، والمراد بالتصغير ههنا : التعظيم ، على حد قول لبيد :

وكلُّ أناسٍ سوفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُونِيَّةٌ تَصْفَرُ مِنْهَا الْأَنَامِلُ^(١)

(يعنى لبيد : الموت الذى هو أعظم الدواهي) والتنادى : يوم القيامة ، سمي كذلك لأن النداء يكثر في ذلك اليوم. قال الواحدى : أراد واحدة أمست في واحدة وست في واحدة - إذا جعلتها فيها كالشيء في الظرف ولم ترد الضرب الحسابى - سبع ، وخص هذا العدد لأنه أراد ليالى الأسبوع ، وجعلها اسبعا لئلا يالى الدهر كلها لأن كل أسبوع بعده أسبوع آخر إلى آخر الدهر. يقول : هذه الليلة واحدة أم ليالى الدهر كلها جمعت في هذه الليلة الواحدة حتى طالت وامتدت إلى يوم القيامة ؟ وعبارة بعض الشراح : يقول : إن هذه الليلة منوطة بيوم القيامة ، فهي لطلوها بمنزلة ليالى الدهر كلها ، إلا أن كل واحدة من تلك الليالى طويلة أيضاً حتى كأنها ست ليال في ليلة - أى سبع ليال - يعنى أن ليلته دهر بلياليه ، وكل ليلة منه أسبوع ، وهى نهاية البالغة في الطول . وقال ابن جنى : يريد : ينادى أصحابه بما يهتم به ، ألا ترى إلى قوله :

• أفكر في معاقرة المنايا •

وعلى هذا استطال الليلة التى عزم في صباحها على الحرب ، بهوقاً إلى ما عزم عليه ، وإنما حقر الليلة لعظم طولها ؟ ومنه قول الحباب بن المنذر الأنصارى .

(١) قبله :

أَلَا تَسْأَلَانِ الْمَرْءَ مَاذَا يَحْـالُوفُ أَتَحْبُفُ فَيَقْضَى أَمْ ضَلَالٌ وَبَاطِلٌ

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم أَلَا كُلُّ ذِي لَبٍّ إِلَى اللَّهِ وَاسِلٌ

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ

وقوله أحب فيقضى ، فالتحجب النذر . يقول : أشيء أوجه على نفسه فهو يسى في قضائه أم ضلال ؟ .

كَأَنَّ بَنَاتِ نَعَشٍ فِي دُجَاهَا خَرَائِدُ سَافِرَاتٍ فِي حِدَادٍ^(١)
أَفْكَرُ فِي مُعَاقَرَةِ النَّأْيَا وَقَوْدِ التَّحْلِيلِ مُشْرِقَةً لِمُوَادِي^(٢)

• أَنَا جُذِيلُهَا الْحَكْلُ وَعُذِيْقُهَا الْمَرْجَبُ^(١)

أقول : وهذا البيت على غموضه وقبحه وأخطائه - لا يخرج عن معنى قوله :
مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ لَيْلِي لَا صَبَاحَ لَهُ كَانَ أَوَّلَ يَوْمِ الْحَشْرِ آخِرُهُ
(١) بنات نعش : كواكب معروفة . وقوله في دجاءها : حال من بنات نعش ، عاملها
معنى التشبيه ، والضمير في دجاءها : لقوله ليلتنا . والخرايد : العذارى لم يمسن ، أو
الحيات الطويلات السكوت ؛ والسافرات : الكاشفات عن وجوههن ؛ والحداد : ثياب
سود تلبس عند الحزن ؛ وقوله في حداد متعلق بسافرات ، أو حال من الضمير للستر
فيها . شبه بنات نعش - وهى مضيئة في سواد الليل - بالحسان السافرات في اثياب السود
قال ابن جني : لما شبههن ببياض النجوم في سواد الليل كان حقّه أن يذكر جوارى أيضا .
والخرد ليس من البياض في شيء ، إلا أنه في الأمر الغالب إنما يكون للبعض دون السود
الآ ترى أن السود فيهن التبذل ؟ وأراد شيئا ، فذكر ما يصحبه مستدلا عليه ، فشبه
بنات نعش في ظلمة الليل بوجوه جوار سافرات في ثياب سود . قال الواحدى : ولعله
أراد أن الحياء يكون في البياض دون السود ، والبيت من قول ابن المعتز :

وَأَرَى الثَّرَيَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا خُرُودٌ تَبَدَّتْ فِي ثِيَابِ حِدَادٍ

(٢) معاقرة للنأيا : أى ملازمتها ، وأن يكون معها في عقر دارها ، وهو للمرك ،

يعنى ملازمة الحروب ، ومشرفة الموادى : أى طوال الأعناق حال ، وهى نسكرة ، لأن
اسم التماثل إذا كان بمعنى الحال والاستقبال : لم يعرف بالإضافة إلى المعرفة ، لأن الإضافة
فيه ينوى بها الاتصال . يقول : طالت على هذه الليلة مما أفكر في الحرب ، وقود التحيل
إلى الأغواء .

(١) الجذل هنا : الأصل من الشجرة ، تحتك به الإبل فتشتق به : أى قد جرتنى

الأمر ، ولى رأى وعلم يشتق بهما ، كما تشتق هذه الإبل الجربى بهذا الجذل ؛ والعذيق .
تصغير عذق - بالفتح - وهو النخلة ، والترجيب : إرفاد النخلة من جانب لجنبها من
السقوط : أى أن لى عشيرة تضدنى وتمننى وترفدنى .

زَعِيمٌ لِّقَنَا الْخَطِيءُ عَزَمِي بَسَفِكَ دَمَ الْخَوَاضِرِ وَالْبَوَادِي ^(١)
إِلَى كَمْ ذَا التَّخَلُّفُ وَالتَّوَانِي وَكَمْ هَذَا التَّمَادِي فِي التَّمَادِي ^(٢)
وَشُغْلُ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ الْمَعَالِي بِبَيْعِ الشُّعْرِ فِي سُوقِ الْكَسَادِ ^(٣)
وَمَا مَاضِيَ الشَّابَابِ بِمُسْتَرَدٍّ وَلَا يَوْمٌ يَمُرُّ بِمُسْتَعَادٍ ^(٤)
مَتَى لَحِظْتُ بَيَاضَ الشَّيْبِ عَيْنِي فَقَدْ وَجَدْتُهُ مِنْهَا فِي السَّوَادِ ^(٥)

(١) زعيم : أى كفى ، خبر مقدم عن عزى . واقنا : الرماح . والخطي - للنسب
إلى الخط - موضع بالجماعة ؛ وقوله دم الخواضر والبوادي : أى دم سكانهما ، وهما جمع
حاضرة وبادية ، والحاضرة : اسم يقع على المدن والقرى والريف ، ومساواها البادية ، وهى
الصحراء . يقول : عزى كفى بسفك دم الناس جميعاً : حاضرم والباد .
(٢) التماذى فى الأمر : بلوغ مداه ، والتماذى فى التماذى : أن يتتابع تماذيه . يقول :
إلى كم أتأخر عما أطلبه من المعالى وأقصر فى ذلك ؟ وإلى كم أتماذى فى التقصير تماذياً
متتابعاً ؟

(٣) كسد الشيء : لم ينفق لقلة الرغبة فيه . يقول : وإلى كم أشغل نفسى عن طلب
المعالى بنظم الشعر فى مدح من لا قيمة عنده للشعر :
(٤) هذا كما قال :

* ولكن ما يمضى من العيش فانت *

يريد التحضيض على طلب المعالى : أى أطلب الأهم فالأهم ، فإن أيامك لنهب عمرك .
وروى ابن حنئ بمستفاد - بدل بمستعاد .

(٥) يقول : متى رأت عيني بياض الشيب فى شعري فكأنى وجدته فى سوادها
كراهية له ، وإذا أبيض سواد العين عمى صاحبها ، فكأنه يقول الشيب كالمعى ؛ وعبرة
ابن جنى : كأن مافى وجهه من الشيب ثابت فى عينيه ؛ وعبرة الخطيب التبريزى : إذا
لحظت بياض الشيب ، فكأنما لحظت به بياضاً فى العين ، ولا يمكنه أن يلحظ سواد
عينيه إلا فى المرأة ، ولولا أنه بين سواد العين للحل على سواد القلب لاحتماله ذلك . وهذا
من قول أبى دلف :

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى بَيضاء قَدْ طَلَعَتْ كَأَنَّمَا طَلَعَتْ فِي نَاضِرِ الْبَصَرِ
وَيَقُولُ أَبُو تَمَامَ :

لَهُ مُنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَيْضُ نَاصِعٌ وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ

مَتَى مَا زِدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهِي فَقَدْ وَقَعَ اُنْتِقَاصِي فِي اَزْدِيَادِي ^(١)
 اَرْضِي اَنْ اَعِيشَ وَلَا اَكْفَى عَلَى مَا لِلْاَمِيرِ مِنَ الْاِيَادِي ^(٢)
 جَزَى اللَّهُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ خَيْرًا وَإِنْ تَرَكَ الْمَطَايَا كَالْمَزَادِ ^(٣)
 فَلَمْ تَلَقَ ابْنَ اِبْرَاهِيمَ عَنَسِي وَفِيهَا قُوْتُ يَوْمٍ لِلْقُرَادِ ^(٤)
 اَلَمْ يَكْ يَبْنِنَا بَلَدًا بَعِيدٌ فَصَيَّرَ طُولُهُ عَرْضَ النَّجَادِ ^(٥)
 وَابْعَدَ بُسْدَنَا بَعْدَ التَّدَانِي وَقَرَّبَ قُرْبَنَا قُرْبَ الْبِعَادِ ^(٦)

(١) يقول : إذا بلغ الشباب نهايته ، فزيادة العمر بعد ذلك وفور نقصان لما هناك من ضعف الشيخوخة ؛ وهو معنى بديع تعاوره الشعراء ، قال عبد الله بن طاهر :
 إذا ما زَادَ عُمرُكَ كَانَ نَقْصًا ونقصانُ الحياةِ مَعَ التَّامِّ
 وقال آخر :

إذا اتَّسَقَ الهَلَالُ وصارَ بَدْرًا تَبَيَّنَتِ الحَاقِقَ مِنَ الهَلَالِ
 (٢) الأيادي : النعم . يقول : كيف أَرْضَى بِحَيَاتِي وَلَا أَجْزَى المَدُوحِ عَلَى مَا لِعِنْدِي
 من سالف النعم التي أسداها إلى ؟

(٣) المَزَاد : جمع مَزَادَة ، وهي قربة الماء . يقول : إِنْ اِلْتَقَادُ أَضْنَاهَا السَّيْرَ ، وَهَزْلَهَا
 حَتَّى تَرَكَهَا كَالْمَزَادِ الَّتِي كَانَتْ مَعْنَى وَتَفْدَ مَاؤُهَا ، جُفَّتْ لَطُولُ السَّفَرِ ، وَعِبَارَةُ ابْنِ جَنَى :
 يَرِيدُ : قَدْ هَزْلَهَا وَأَنْضَاهَا السَّيْرَ حَتَّى صَارَتْ كَالْمَزَادِ الْبَالِي ، لِحَذْفِ الصِّفَةِ ، قَالَ ابْنُ فُورَجٍ
 لَا دَلِيلَ عَلَى حَذْفِ الصِّفَةِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ كَالْمَزَادِ الَّتِي نَحْمِلُهَا فِي مَسِيرِنَا إِذْ قَدْ خَلَّتْ مِنَ الْمَاءِ
 وَالزَادَ لَطُولُ السَّفَرِ . وَالْأَلْفُ وَاللَّامُ - فِي الْمَزَادِ - لِلْعَهْدِ ، وَالْمَعْنَى : إِنْ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ أَذْهَبَ
 لِحُكْمِ الْمَطَايَا ، وَأَفْنَى مَا تَزُودُنَا مِنْ مَاءٍ وَزَادَ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْمَطَايَا لَحْمٌ ، وَلَا فِي الْمَزَادِ زَادٌ .
 (٤) العنسي : الناقة الصلبة . والقُرَاد : دويبة تلزق بالابل ونحوها - كالتقليل
 للإنسان - يقول : لَمْ تَصِلْ نَاقَتِي إِلَى هَذَا الْمَدُوحِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَنْضَاهَا السَّيْرَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ
 فِيهَا مِنَ الدَّمِ مَا يَقُوتُ الْقُرَادُ :

(٥) الضمير في صير : للمسير . والنجاد : حمائل السيف ، والمراد بالبلد هنا : المفازة
 يقول : إِنْ الْمَسِيرَ أَذْنَانِي إِلَيْهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مَقْدَارُ عَرْضِ حَمَائِلِ السَّيْفِ .
 وهو غاية القرب ؛ والعرب تقدر في القرب : بَقَابِ الْقَوْسِ وَحَمَائِلِ السَّيْفِ .
 (٦) الضمير في الفعلين للمسير ، والمصدر الاول - فِي كُلِّ مِنَ الشَّطْرَيْنِ - مَفْعُولٌ بِهِ

فَلَا جِنَّهُ أَغْلَى مَحَلِّي وَأَجْلَسَنِي عَلَى السَّبْعِ الشَّدَادِ^(١)
تَهَلَّلَ قَبْلَ تَسْلِيمِي عَلَيْهِ وَالَّتِي مَالَهُ قَبْلَ الْوَسَادِ^(٢)
تَلُومُكَ لِي عَلَى لَفْزِ ذَنْبٍ لِأَنَّكَ قَدْ زَرَيْتَ عَلَى الْعِبَادِ^(٣)
وَأَنَّكَ لَا تَجُودُ عَلَى جَوَادٍ هِبَاتِكَ أَنْ يُنْقَبَ بِالْجَوَادِ^(٤)

والصدر الثاني : مفعول مطلق . يقول : إن السير أبعد ما كان بيننا من البعد ، فجعله كبعد التداني الذي كان بيننا ، وقرب قربنا ، فجعله مثل قرب البعاد الذي كان بيننا : أي قربني إليه بحسب ما كان بيني وبينه من البعد ، فجعل البعد بعيداً عنى وجعل القرب قريباً منى . وحاصل المعنى : أننا كنا في غاية البعد فصرنا في غاية القرب . قال المكبرى : قال الحكيم أقرب القرب مودات القلوب وإن تباعدت الأجسام ، وأبعد البعد تنافر القلوب وإن تدانت الأجسام ، ثم قال المكبرى : وأخذت المعنى فقلت :

وَكَمْ مِنْ قَرِيبٍ قَلْبُهُ عِنْدَكَ نَازِحٌ وَكَمْ مِنْ بَعِيدٍ قَلْبُهُ بِكَ مُفْرَمٌ
(١) يقول : رفع منزلي في مجلسه حتى نلت من الرفعة ما كأتى به فوق السموات السبع . والشداد : التقنة المحكمة الصنعة .

(٢) تهلل : تلاًأ وجهه واستبشر برؤيى . والوساد : ما يتسكا عليه . ومثل هذا قول الآخر :

إِذَا مَا أَنَاهُ السَّائِلُونَ تَوَقَّدَتْ عَلَيْهِ مَصَابِيحُ الطَّلَاقِ وَالْبَشْرِ
والمصراع الثاني من قول على بن جبلة :
أَعْطَيْتَنِي يَا وَلِيَّ الْحَمْدِ مُبْتَدَأًا عَطِيَّةً كَافَاتٍ مَذْحِي وَلَمْ تَرْنِي
مَا شِئْتُ بَرَقَكَ حَتَّى نِلْتُ رَيْقَهُ كَأَنَّمَا كُنْتُ بِالْجُدْوَى تَبَادَرْنِي
فَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى شُكْرَيْنِ بَيْنَهُمَا تَلْقِيحُ مَذِجٍ وَنَجْوَى شَاعِرٍ فَطِنِ
شُكْرٍ لَتَفْجِيلٍ مَا قَدَّمْتُ مِنْ مَنِّ عِنْدِي وَشُكْرٍ لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ

(٣) زريت على العباد : أى حقرت أفعالهم ومناقهم بزيادتك عليهم .
(٤) هباتك . فاعل تجود ، وأن يلقب : مؤول بمصدر فى موضع نصب بإسقاط حرف الجر . يقول : إن هباتك لا تجود على أحد بلقب الجواد لأنه لا يستحق هذا اللقب غيرك لأن جودك فوق كل جود .

كَأَنَّ سَخَاءَكَ الْإِسْلَامُ تَخَشَى إِذَا مَا حُلْتَ عَاقِبَةَ اِرْتِدَادٍ^(١)
كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عُمُونَ ، وَقَدْ طُبِعَتْ سَيُوفُكَ مِنْ رُقَادٍ^(٢)
وَقَدْ صُنِفَتِ الْأَسِنَّةُ مِنْ هُمُومٍ فَأَيَّ يَخْطُرُنَ إِلَّا فِي فُؤَادٍ^(٣)

(١) حلت : تحولت وتغيرت . يقول : إنك تدين بالسخاء وتستغده كما تدين بالإسلام وتعد تحولك عنه كأنه الردة ، فتخاف هذا التحول كما تخاف الردة التي عقابها القتل ودخول النار . وهذا كقول أبي تمام :

مَضَوْا وَكَأَنَّ الْمَكْرُمَاتُ لَدَيْنِهِمْ - لِكثْرَةِ مَا أَوْصَوْا بِهِمْ - شَرَائِعُ
ثُمَّ قَلْبُهُ قَقَالٌ :

كَرَّمٌ تَدِينُ بِمَحْلُوهِ وَبِمُرِّهِ فَكَأَنَّهُ جُزْءٌ مِنَ التَّوْحِيدِ
(٢) الهام : الرؤوس ، والهيجا : من أسماء الحرب ؛ تمد وتقصر ، وطبع السيف : طريقه وعمله . جعل الرؤوس في الحرب كالعيون ، وجعل سيوفه كالرقاد يقول : إن سيوفك لاتقع إلا على الهام ولا تغل إلا في الرؤوس : كالنوم محله في الجسد : العين . أو تقول : إن سيوفك ألقت الرؤوس ألفة الرقاد للعين ، فلا تغل إلا فيها ، وعبارة الخطيب التبريزي : سيوفك كالرقاد ، فلا تمنع منه العيون ، بل تطرأ عليها : حبت أم كرهت .
(٣) الأسننة : نصال الرماح . ويخطرون : إما بضم الطاء على إرادة المموم ، وإما بكسرها على إرادة الرماح . يقول : إن أسنتك لاتقع إلا في قلوب أعدائك ، كأنها المموم لاهل لها غير القلوب ، والبيت منقول من قول أبي تمام :

كَأَنَّهُ كَانَ تَرَبَّ الْحَبُّ مُذْ زَمَنِ فَلَيْسَ يَحْجُبُهُ خِلْبٌ وَلَا كِبِدٌ^(١)
وفي معنى البيت يقول دجبل في سيدنا علي :

كَأَنَّ سِنَانَهُ أَبْدَأُ ضَمِيرٌ فَلَيْسَ لَهُ عَنِ الْقَلْبِ انْقِلَابُ
وَصَارِمُهُ كَبَيْعَتُهُ بِحُمٍّ فَوْضِعُهَا مِنَ النَّاسِ الرَّقَابُ^(٢)

(١) الخلب : حجاب القلب ، وقيل حجاب ما بين القلب والكبد ، ومنه قيل للرجل الذي يحبه النساء إنه لخلب نساء : أي يحبه النساء .

(٢) خم - بضم الخاء ، وقيل بفتحها - موضع بالجلفة ، بين مكة والمدينة ، قضبت فيه عين هناك .

وَيَوْمَ جَلَبَتَهَا شُفَّتِ النَّوَاصِي مُعَقَّدَةَ السَّبَابِبِ لِلطَّرَادِ (١)
وَحَامَ بِهَا الْمَلَاكُ عَلَى أَنْاسٍ لَهُمْ بِاللَّادِقِيَّةِ بَنَى عَادِ (٢)
فَكَانَ الْغَرْبُ بَحْرًا مِنْ مِيَاهٍ وَكَانَ الشَّرْقُ بَحْرًا مِنْ جِيَادِ (٣)
وَقَدْ خَفَقَتْ لَكَ الرَّايَاتُ فِيهِ
فَظَلَّ يَمُوجُ بِالْبَيْضِ الْحِدَادِ (٤)

ويقول منصور النمرى :

وَكُنْ مَوْقِعَهُ بِمُجْمَعَةِ الْفَتَى سُكْرُ الْمَدَامَةِ أَوْ نُعَاسُ الْمَاجِعِ
ويقول مهلهل :

الطَّاعِنُ الطَّمَنَةَ النُّجْلَاءُ تَحْسَبُهَا نَوْمًا أَنَاخَ بِحَفْنِ الْعَيْنِ يُفْنِيهَا
بِلَهْذَمٍ مِنْ هُمُومِ النَّفْسِ صِفَتُهُ فَلَيْسَ يَنْفَكُ يَجْرَى فِي مَجَارِيهَا
(١) الضمير في جلبتها : للخيول ، وإن لم يجر لها ذكر . لدلالة القرائن عليها ؛
والأشعث : الغبر ، والنواصي : جمع ناصية ، وهى شعر مقدم الرأس وجعلها شعث
النواصي لمواصلة السير عليها والحرب والغارة ؛ والسباب : شعر العرف والذنب . وهذا
الشعر يقعد عند الحرب ، كما قال :

عَقَدُوا النَّوَاصِي لِلطَّمَانِ فَلَا تَرَى فِي الْخَيْلِ - إِذْ يَمْدُونَ - إِلَّا أَنْزَاعًا
وقوله ويوم إلخ : أى أذكرك ذلك اليوم ، قال العكبرى : المعنى ويوم جلبت الخيل
للقتال مغبرة من كثرة الطراد عليها ، وقد عقدت نواصيها وأذناها ، يومئذ ظفرت
بمطلوبك من الأعداء .

(٢) حام : دار ، من قولهم : حام الطير حول الماء : أى دار حوله ليشرب منه ؛
والباء في بها : متعلقة بحام والضمير : للخيول ، والبنى الظلم : يقول : دار الهلاك
بخيالك على أناس بغوا باللاذقية وظلموا ظلم عاد وعصوا عصيانهم .

(٣) يقول : إن الأعداء وقعوا بين بحرَيْن : أحدهما من الجانب الغربى ، وهو بحر
الماء — لأن اللاذقية على ساحل البحر — والآخر من الجانب الشرقى ، وهو جيش
المدوح ، شبه الخيل بالبحر لكثرتها ولما فيها من بريق الأسلحة .

(٤) فيه : أى في بحر الجياد ، والبيض : السيوف ، والحداد : الرقاق ، يقول
اضطربت الأعلام في هذا البحر — بحر الجياد — وتحركت لك — لا عليك —
فظل ذلك البحر يموج ويتحرك بالسيوف .

لَقُّوْكَ بِأَكْبَدِ الْإِبِلِ الْأَبَايَا فَسَقْتَهُمْ وَحَدُّ السَّيْفِ حَادٍ (١)
 وَقَدْ مَزَّقَتْ ثَوْبَ النِّعَى عَنْهُمْ وَقَدْ أَلْبَسْتَهُمْ ثَوْبَ الرِّشَادِ (٢)
 فَمَا تَرَكَوْا الْإِمَارَةَ لِاخْتِيَارٍ وَلَا انْتَحَلَوْا وِدَادَكَ مِنْ وَدَادِ (٣)
 وَلَا اسْتَفْلَوْا زُفْدٍ فِي التَّعَالَى وَلَا انْقَادُوا سُورًا بِاِقْيَادِ (٤)
 وَلَكِنْ هَبَّ خَوْفُكَ فِي حَشَايَاهُمْ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي رِجْلِ الْجِرَادِ (٥)
 وَمَاتُوا قَبْلَ مَوْتِهِمْ فَلَمَّا مَنَنْتَ أَعَدْتَهُمْ قَبْلَ الْمَعَادِ (٦)
 غَمَدَتِ صَوَارِمًا لَوْ لَمْ يَتُوبُوا مَحْمُوسَةً بِهَا نَحْوُ الْمَدَادِ (٧)

(١) الأبايا : جمع الآية ، أى الآية الممتعة . يقول : لقوك عاصين غليظة أكبادهم
 كأكباد الإبل التى تأبى على أربابها ولا تنقاد لإلهم ، فذللتهم وسقمتهم أمامك كما تساق
 الإبل ، وحاديهم الذى يسوقهم هو حد سيفك ، والإبل توصف بغلظ الكبد كما قال :
 * لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبِلِ

(٢) يقول : أخرجتهم من صلال العصية إلى رشد الطاعة . وفيه من البديع المقابلة
 بين النى والرشاد .

(٣) استعمل الشيء : ادعاء . يقول : إنك اضطرتهم إلى ترك الإمارة فتركوها
 خوفاً ، وادعوا جبك ادعاء ، لا لأنهم يودونك حقيقة .

(٤) استفلوا من السفال : أى تسفلوا وانخطوا ؛ وانقادوا : أطاعوا .

(٥) هب : ثار واضطرب . والحشا : ما انضمت عليه الضلوع . والرجل من الجراد
 القطعة منه . يقول : إنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك رغبة في فعله ولكن لأن ريح الخوف
 عصفت بهم وفرقتهم كما تفرق الريح رجل الجراد .

(٦) يقول : ماتوا خوفاً منك قبل أوان موتهم ، فلما مننت بالعمو عنهم كان ذلك
 إحياء لهم قبل يوم البعث : وهذا منقول من قول أبى تمام .

مَعَادِ الْبَعْثِ مَعْرُوفٌ وَلَكِنْ

نَدَى كَفَيْكَ فِي الدُّنْيَا مَعَادِي

(٧) الصوارم : السيوف القواطع . والمداد : الخبر ، يقول : سللت عليهم سيوفاً ،
 فلما عفوت عنهم أغمدتها ، ولو لم يتوبوا وينقادوا لك لهُونهم نحو المداد .

وَمَا الْغَضَبُ الطَّرِيفُ وَإِنْ تَقَوَّى
بِمُنْتَصِفٍ مِنَ الْعُكْرَمِ التَّلَادِ (١)
فَلَا تَقْرُزْكَ أَلْسِنَةُ مَوَالٍ تَقْلِبُنَّ أَفْئِدَةً أَعَادِي (٢)
وَكُنْ كَالْمَوْتِ لَا يَرْنِي لِبَاكِ بَكِي مِنْهُ وَيَرَوِي وَهُوَ صَادٍ (٣)
فَإِنَّ الْجَرْحَ يَنْفِرُ بَعْدَ حِينٍ إِذَا كَانَ الْبِنَاءُ عَلَى فَسَادٍ (٤)
وَإِنَّ الْمَاءَ يَجْرِي مِنْ جَمَادٍ
وَإِنَّ النَّارَ تَخْرُجُ مِنْ زِنَادٍ (٥)

(١) الطرّيف : المستحدث . وانتصف منه : استوى حقه ، والتلاد : القديم . يقول
إن الغضب الحادث وإن كان قويا نزاعا إلى الانتقام لا يغلب الكرم القديم الذى يقتضى
العفو والصفح ، فلا ينتصف منه باستيفاء حق الانتقام .

(٢) موال : جمع مولى ، وهو الولي والصديق . يقول : إن ألسنتهم تظهر لك
اللؤدة والمحبة وقلوبهم تضمر لك العداوة ، يريد لا تغتر بذلك ، لأن تلك الألسنة الموالية
تقلبها أفئدة معادية .

(٣) رنى له يرنى : إذا رحم : ونسدى : العطشان . يقول : كن قاسياً عليهم
كالموت لا يرحم الباكي من خوفه ؛ ويروى بما يشرب من الدماء وهو مع ذلك عطشان
لحرصه على الإهلاك . وقال ابن جنى : كأنه لطلبه الشرب بعد الرى صاد ، أى لطلب
النفس ؛ ومعنى يروى : ينال ما لو أدركه لروى ؛ وفي معناه :

* كَالْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ رِىٌّ وَلَا شَيْعُ *

(٤) نفر الجرح : هاج وورم بعد البرء . وقوله إذا كان البناء على فساد : أى إذا
ثبت اللحم على ظاهره وله غور فاسد . يقول : إنهم يطوون العداوة فى أنفسهم إلى أن
تمكنهم الفرصة . وهذا من قول البحترى :

إِذَا مَا الْجَرْحُ رُمَّ عَلَى فَسَادٍ تَبَيَّنَ فِيهِ تَقْرِيطُ الطَّيِّبِ
قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : إذا كان البناء على غير قواعد كان الفساد
أقرب إليه من الصلاح .

(٥) الجماد : الصخر ؛ والزناد : جمع زند ، وهو العود الذى تقدح بالنار .
يقول : إن العداوة تكمن فى اللؤدة كمن النار فى الزناد والماء فى الجماد . كما قال
نصر بن سيار :

وَكَيْفَ يَبِيتُ مُضْطَجِعًا جَبَانٌ فَرَشْتَ لَجْنِبِهِ شَوْكَ الْقَتَادِ^(١)
يَرَى فِي النَّوْمِ رُحْمَكَ فِي كَلَاهُ وَيَحْشَى أَنْ يَرَاهُ فِي الشَّهَادِ^(٢)
أَشْرْتَ أَبَا الْحَسَنِ بِمَدْحِ قَوْمِ
نَزَلْتُ بِهِمْ فَسِرْتُ بِفَيْرٍ زَادِ^(٣)
وَوَلَّيْتُ مَدْحَهُمْ قَدِيمًا وَأَنْتَ بِمَا مَدَحْتَهُمْ مُرَادِي^(٤)

وَإِنَّ النَّارَ بِالزَّنْدَيْنِ تَوْرِي وَإِنَّ الْفِعْلَ يَقْدُمُهُ الْكَلَامُ
وكل هذا تحذير له من أعدائه ، أن لا يفعل عنهم ، وإن لم يكونوا أكفاء له .
وعبارة ابن جني : الأشياء تكمن وتستتر ، فإذا استترت ظهرت .

(١) يريد بالجبان : عدوه ؛ والقناد : شجر له شوك . يقول : إن خوفه إياك
يجول دون نومه ، كما لو فرشت له شوك القناد ، وعبارة بعض الشراح كيف يبيت عدوك
مضطجعا . وكما ألقى جنبه للنوم وجد نفسه يتقلب على مثل شوك القناد ، من خوفك .
يعنى : أنه لا يزال متيقظا لك لا يأخذه نوم عن محاولة الكيد لك ودفع خوفك عنه .
(٢) يقول : لشدة ارتباعه وذعره يراك في نومه كأنك طعنت كليته برمحك ، فهو
يخشى أن يرى ذلك في اليقظة ، كما قال أشجع السلى :

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصْدَانِ ضَوْهَ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامِ
فَإِذَا تَنَبَّهَ رُغْمَتُهُ وَإِذَا غَفَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سُيُوفُكَ الْأَحْلَامِ

ولقد قصر أبو الطيب في تعبيره عن اليقظة بالسهاد ، لأن السهاد امتناع النوم ليلا ،
ولا يسمى المتصرف بالنهار ساهدا .

(٣) و (٤) يقول : مدحت قوما أشرت على — يا أبا الحسين — بأن أمدحهم ،
فما كان إلا أن فارقتهم دون أن يزودوني شيئا ، وظنوا أنى كنت أمدحهم وأثنى عليهم
بذلك المديح ، مع أنى إنما كنت أعنيك أنت بذلك المدح والثناء . وفي هذا المعنى
يقول أبو نواس :

وَإِنْ جَرَتْ الْأَلْفَاظُ مِنَّا بِمَدْحَةٍ لِفَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي تَنْغِي
ويقول كثير :

مَتَى مَا أَقْلُ فِي آخِرِ الدَّهْرِ مِدْحَةً فَمَا هِيَ إِلَّا لِابْنِ لَيْلَى الْمَكْرَمِ
وقد ذهب إليازجى — بعد أن اعترف بأن الرواية أشرت : بفتح الشين والثناء

وَإِنِّي عَنْكَ بَعْدَ غَدٍ لَعَادٍ
وَقَلْبِي عَنْ فَنَائِكَ غَيْرُ غَادٍ ^(١)
مُحِبُّكَ حَيْثُمَا اتَّجَهْتُ رِكَابِي
وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْبِلَادِ ^(٢)

— إلى أن الأظهر أن تكون بكسر الشين وضم التاء ، من الأشهر ، وهو الفرح بالشيء والاعتزاز به ، كأنه يقول : إني اغتررت بمدحهم فلم أنل منهم شيئاً ، وهو حسن في ذاته ، إلا أنه يقتصر إلى ثبت .

(١) العدو الذهاب صباحاً ، ثم كثر حتى استعمل في مطلق الذهاب : أي وقت كان والفناء : الساحة والمزل . يقول : إني مرتحل عنك ، وقلبي مقيم عندك . قال العكبري وما أحسن ما قال عن فنائك ولم يقل عنك . وهذا كقول أبي تمام :

مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلَيْتُ رِكَابِي فِي الْبِلَادِ
(٢) يقول : حيثما توجهت فأنا محبك ، وحيثما كنت فأنا ضيفك ، لأنني إنما آكل مما أعطيتني وزودتني ، وهذا من قول أبي تمام :

وَمَا سَافَرْتُ فِي الْأَفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَدِّكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي

وقال يمدح بدر بن عمار الأسدي الطبرستاني ، وهو يومئذ يتولى حرب طبرية
من قبل أبي بكر محمد بن رائق سنة ٣٢٨

أَحْلَمًا نَرَى أَمَ زَمَانًا جَدِيدًا أَمَ الْخَلْقُ فِي شَخْصٍ حَيٍّ أُعِيدَا^(١)
تَجَلَّى لَنَا فَأَضَاءَنَا بِهِ كَأَنَّا نُجُومٌ لَقِينَا سُوءَا^(٢)
رَأَيْنَا بَيِّدَرٍ وَأَبَاءَهُ يَبْذُرُ وَلُودًا وَبَذَرَا وَلِيدَا^(٣)

(١) أم الأولى : متصلة معادلة للهمزة على معنى أى ، كأنه قال : أى هذين نرى ؟
فهو الآن مدح وقوع أحدهما لا محالة ؛ فجرى ذلك مجرى قولك أزيداً ضربته أم عمرأ :
أى لست أشك فى ضربك أحدهما ، ولكن أيهما هو . وأم — الثانية — منقطعة ،
وهى للاضراب — بمعنى بل — مع الاستفهام ؛ والخلق : مبتدأ ؛ وجملة أعيدا : خبر
يتعجب من جمال زمان المدوح . يقول : أهذا الذى نراه حلم أم صار الزمان جديداً ؛
فهو غير ما نعهده ؟ وانقطع الاستفهام ثم قال : بل أعيد الخلق — الذين ماتوا من قبل
— فى شخص رجل حى — وهو المدوح — أى جمع فيه ما كان لهم من الفضائل
والمكارم وسائر المعاني المحمودة ، فكأنهم أعيدوا فى شخصه ، كما قال أبو نواس :

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنَكِرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ

(٢) أضاء : يكون لازماً ومتعدياً . يقول : ظهر لنا هذا المدوح فسرنا به فى
الضوء : يعنى أعدتنا سعادته ، كالنجوم التى تسعد بروجها ،

(٣) ولوداً : أى والدآ ؛ ووليداً : أى مولوداً . يقول : رأينا برؤية بدر بن عمار
بدرأ مولوداً ، وبرؤية آبائه والدآ لبدر ؛ وعبارة الواحدى : رأينا برؤية بدر وآبائه
والدآ للقمر وقرأ مولوداً . جعله فى الضياء والشهرة والعلو والحسن كالقمر ، والقمر
لا يكون مولوداً ولا والدآ ، فجعله كالقمر المولود وآباه كالوالد للقمر ، وعنى بالبدرين
الآخرين : قمرين ، ولو أراد بهما اسم المدوح : لم يكن فيه مدح ولا صفة . قال :
ويقال الإشارة فى هذا إلى أن المدوح فيه معانى البدور من الضوء والحسن والكمال
لا معانى بدر واحد . وعبارة ابن جنى : رأينا هذا المدوح وآباه قد ولد منه قمر فى
الحسن ، فكأنه قد صار للقمر والدآ ؛ ورأينا هذا المدوح قرأ وليداً ، والبدر
لا يكون والدآ ولا مولوداً حقيقة ، ولكنه أراد الإغراب وحسن الصنعة فكأنه قال
أنت قمر وأبوك أبو القمر .

طَلَبْنَا رِضَاهُ بِتَرْكِ الَّذِي رَضِينَا لَهُ فَتَرَكْنَا السُّجُودَ^(١)
 أَمِيرُ أَمِيرٍ عَلَيْهِ النَّدَى جَوَادٌ بِخَيْلٍ بَأْنٍ لَا يَجُودُ^(٢)
 يُحَدِّثُ عَنْ فَضْلِهِ مُكْرَهَا كَانَ لَهُ مِنْهُ قَلْبًا حَسُودًا^(٣)
 وَيُقَدِّمُ إِلَّا عَلَى أَنْ يَفِرَّ وَيَقْدِرُ إِلَّا عَلَى أَنْ يَزِيدَ^(٤)

(١) يقول : رضينا أن نسجد له لا مستحقاه غاية الخضوع منا له ؛ فلم يرض ذلك ؛
 فتركنا ما رضينا له — وهو السجود — طلباً لرضاه .

(٢) أمير خبر مبتدأ محذوف أى هو أمير ؛ وأمير الثانى خبر مقدم والندى مبتدأ
 مؤخر . أى هو أمير ، الندى أمير عليه ، أى ملك عليه أمره فلا يعصيه ، أى لا يكون
 بخيلاً ألبتة ؛ ثم قال : وهو جواد بكل شئ إلا بأن يترك الجود ، فإنه لا يجود بهذا الترك
 والمصراع الأول من قول النمرى :

وَقَفْتُ عَلَى حَالِيكَمَا فَإِذَا النَّدَى عَلَيْكَ — أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ — أَمِيرٌ
 وَقَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

إِلَّا إِنْ النَّدَى أَضْحَى أَمِيرًا عَلَى مَالِ الْأَمِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ

(٣) يقول : لا يجب أن يمدحه أحد بحضرته تنزها عن ذلك المدح ، كأن له من
 نفسه قلباً يحسده ، فلا يجب إظهار فضله ومناقبه ، كما قال :

أَنَا بِالْوُشَاءِ إِذَا ذَكَرْتَكَ أَشْبَهُ تَأْتِي النَّدَى وَيُذَاعُ عَنْكَ فَتُكْرَهُ
 وَقَدْ قَالَ أَبُو تَمَامٍ :

وَكَاثِمًا نَافَسْتَ قَدْرَكَ حَظُهُ

وَحَسَدْتَ نَفْسَكَ حِينَ أَنْ لَمْ تُحْسَدِ

اجتمع التنبي وأبو تمام في حسد النفس والقلب ؛ فأبو تمام يقول كأنك نافست
 قدرك وحسدت نفسك فطفقت تباهى في الشرف ، وتزيد على كل غاية تصل إليها ، وإن
 كنت مفرداً فيها ليس لك فيها شريك ؛ وأبو الطيب يقول : كأن قلبك يحسبك على
 فضائلك ، فهو يكره أن تشتغل بذكرها ، وهذا نوع آخر من اللدخ لكنهما اجتماعاً
 في حسد النفس والقلب .

(٤) يقول : يقدم على كل عظيم إلا على الفرار في الحرب ، فهو أهول عنده من كل

كَأَنَّ نَوَالَكَ بَغْضُ الْقَضَاءِ فَمَا تُعْطِي مِنْهُ نَجْدُهُ جُدُوداً^(١)
وَرُبُّيَّمَا حَمَلَتْهُ فِي الْوَعَى رَدَدَتْ بِهَا الذُّبْلَ السَّمْرَ سُوداً^(٢)
وَهَوْلٍ كَشَفَتْ وَنَضَلٍ قَصَفَتْ وَرُمَحٍ تَرَكَتْ مُبَاداً مُبِيداً^(٣)
وَمَالٍ وَهَبَتْ بِلَا مَوْعِدٍ وَقِرْنٍ سَبَقَتْ إِلَيْهِ الْوَعِيدُ^(٤)

كل هول ؛ ويقدر على كل صعب إلا على أن يزيد على ما هو عليه من علو الشأن وجلال
القدر ، فإنه لا غاية له ورأه ، وهذا من قول أبي تمام :

فلو صورتَ نفسك لم تَزِدْهَا على ما فيك من كرم الطباع
(١) النوال : العطاء ؛ والجودود : جمع جد ، وهو البخت والسعد . يقول : كأن
عطائك مشتق من القضاء ، فإذا وصلت أحداً يبر سعد يبرك فصار برك حظاً له . قال
الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : أن القضاء سعد ونحس ، ونوالك سعد كله ، فهو
أحد شقي القضاء .

(٢) التاء - في ربما - للتأنيث وما زائدة ، والذبل : جمع ذابل ؛ والذبل السمر :
الرماح . يقول : رب حملة لك على أعدائك في الحرب رددت بها رماحك السمر سوداً :
أى لطختها بالدماء حتى جفت عليها فاسودت ، والدم إذا جف اسود .

(٣) وهول : عطف على حملة . يقول : ورب هول كشفته عن صجبك بنجذتك ،
ورب سيف كسرت به قوة ضربتك ، ورب رمح أتلفته بالطنن في الأضلاع وقد أتلف
نفس الملعون . فقوله مبداً مبداً : حالان من الرمح ، ومثل هذا المعنى في السيف
قول البعيث :

وَأِنَّا لَنُعْطِي الْمَشْرِفِيَّةَ حَقَّهَا فَتَقَطَّعُ فِي أَيْمَانِنَا وَتَقَطَّعُ
ويقول أبو تمام :

وما كنتَ إلا السَّيْفَ لاقِي ضَرِيْبَةً فَتَقَطَّعَهَا ثُمَّ انْتَنَى فَتَقَطَّعَهَا
(٤) القرن : الكفو في الحرب ، يقول رب مال وهبته بغير موعد ، بل تعطيه
ابتداء ؛ ورب كفؤ لك في الحرب : سبقت إليه من غير تهديد ، وهذا كقوله :
لقدْ حالَ بالسَّيْفِ دُونَ الْوَعِيدِ وَحَالَ عَطَايَاهُ دُونَ الْوَعُودِ

بِهَجْرٍ سِيُوفِكَ أَعْمَادَهَا تَمَنَّى الطَّلَى أَنْ تَكُونَ النُّمُودَا^(١)
إِلَى الْهَامِ تَصْدُرُ عَنْ مِثْلِهِ تَرَى صَدْرًا عَنْ وَرُودٍ وَرُودَا^(٢)
قَتَلْتَ نَفُوسَ الْعِدَا بِالْحَدِيدِ حَتَّى قَتَلْتَ بَيْنَ الْحَدِيدَا^(٣)
فَأَنْقَذْتَ مِنْ عَيْشِهِنَّ الْبَقَاءَ وَأَبْقَيْتَ مِمَّا مَلَكَتِ النُّفُودَا^(٤)
كَأَنَّكَ بِالْفَقْرِ تَبْنِي الْغِنَى
وَبِالْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ تَبْنِي الْخُلُودَا^(٥)

(١) الطلا : الأعناق ، والعمود : جمع غمد ، جفن السيف . يقول : إن سيوفك لأنها لاتفتر عن ضرب الأعداء وممارسة الحروب - تبقى أبداً هاجرة أعمادها ، ومن ثم تمنى الاعناق أن تكون أعماداً لها حتى تنال من الهجر ما نالت الأعماذ : أى حتى تهجرها السيوف ولا تجتمع معها أبداً . وهو معنى دقيق رائع .

(٢) الهام : الرؤوس يقول : إن سيوفه لاتعود إلى أعمادها أصلاً قد هجرتها إلى الرؤوس لأنها أبداً تصدر عن رأس لترد رأساً غيره ، فيكون صدورها عما وردت عليه وورودا على مثله . قوله إلى الهام : متعلق بهجر في البيت السابق - أى بهجر سيوفك أعمادها إلى الهام ، ويكون البيت مضمناً . ولك أن تجعلها متعلقة بتصدر الواقعة حالا : أى صادرة عن مثل ما هجرت إليه . والصدر - فى الأصل - صدور الشاربة عن الماء بعد الرى ، والورود عكسه ؛ وصدر وورودا : مفعولان ل ترى ، وورود : متعلق بصدر : (٣) يقول : ما زلت تقتل الناس بالسلاح حتى قتلت السلاح بين : أى كسرتة وثلمته وهذا مثل قول أبى تمام :

وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ مِنْ الضَّرْبِ وَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا الشُّمْرُ
(٤) أنقذت : أفنيت ؛ والنفود : الفناء ؛ والضمير فى عيشهن : لنفوس الأعداء وأفنيت بقاء نفوس الأعداء : أى أهلكهم بإحلال آجالهم ، وأبقيت نفود المال الذى تملك : أى أتلفته حتى لم يبق منه إلا العدم . يقول : إنك أهلكك أعداءك وفرقت أموالك .

(٥) يقول : لإفراط سرورك بالعطاء وبذل المال كأنك تبني بذلك الغنى ؛ لأنك تسر بما تعطيه سرور غيرك بما يأخذه . فكأن الفقر عندك هو الغنى ، وكأن الموت فى الحرب خلود فلا تنفك تسى إليه .

خَلَائِقُ تَهْدِي إِلَى رَبِّهَا وَآيَةُ تَجْدٍ أَرَاهَا الْعَبِيدَ^(١)
 مُهَذَّبَةٌ حُلُوةٌ مَرَّةٌ حَقَرْنَا الْبَحَارَ بِهَا وَالْأُسُودَ^(٢)
 بَعِيدٌ عَلَى قُرْبِهَا وَضَفْهُا
 تَقُولُ الظُّنُونُ وَتُنْضِي الْقَصِيدَ^(٣)
 فَأَنْتَ وَحِيدُ بَنِي آدَمَ وَلَسْتَ لِفَقْدِ نَظِيرٍ وَحِيدًا^(٤)

(١) فاعل أراها : ضمير يعود إلى الرب . يقول : هذه خلائق - يعني ما ذكر في الآيات السابقة - يستدل بها على قدرة خالقها ؛ إذ هي أخلاق عجيبة لا يقدر عليها إلا الله الواحد ائقادر ، وهي آية مجد أراها الله عباده حتى يستدلوا بها على المجد والعلاء أو تقول : هذه خلائق من الكرم والفضل والإقدام ومحاسن الشيم تدل على ربها : أى صاحبها ، وهو المدوح ، وتدعو إلى معرفته ؛ وآية مجد أراها العباد كي ينجوا منهجه .

(٢) يقول : هذه الخلائق مهذبة لاعيب فيها ، حلوة للأولياء بما تنبثق به عليهم من النعماء ، مرة على الأعداء بما تنصب عليهم من النقمة والأواء ؛ ولقد حقرنا بها الأسود والبحار لأنك تربو عليهما في الشجاعة والسخاء .

وقال ابن جني : حلوة : فكل أحد يشفقها ويستحسنها ، ومرة : لأن الوصول إليها صعب لبذل المال والمخاطرة بالنفس ، وحقرنا البحار لإفراط سخائك والأسود لإفراط إقدامك .

(٣) بعيد : خبر مقدم ؛ ووصفها مبتدأ مؤخر ؛ وعلى : بمعنى مع ؛ وغاله أهلكه . وأنضاء : هنزله . يقول . إن وصف أخلاقك بعيد مع قربها منا ، لأننا نراها ، ولكن لا نقدر على وصفها ؛ إذ أن الظنون تهلك دون إدراك غايتها ، ويهزل الشعر إعياء قبل الوصول إلى حقيقتها .

(٤) يقول : أنت وحيد لأنه وجد لك نظير قديما ثم فقد ، وإنما لأنه لم يوجد لك نظير ألبتة في بني آدم . وعبرة الواحدى : لم تصر وحيدا ، لأنك فقدت نظيرا كان لك ، بل أنت وحيد لم تزل ، والوحدة لازمة لك ، فهي صفة لك ، وقال غيره : أنت وحيد بني آدم في كل خلائقك ، ولست بواجد لك نظيرا ، فلست مفردا من قعدك للنظير ، فأنت غير منفك من هذه الحال : أى أنت وحيد لم تزل

وقال لما استعظم قوم ما قاله في آخر مرثية جدته :

يَسْتَغْظَمُونَ أَيْيَاتًا نَأَمْتُ بِهَا لَا تَحْسُدَنَّ عَلَيَّ أَنْ يَنْأَمَ الْأَسَدُ (١)
لَوْ أَنَّ نَمَّ قُلُوبًا يَفْقَهُونَ بِهَا أَنْسَاهُمُ الذُّعْرُ مِمَّا تَحْتَهَا الْحَسَدُ (٢)

وقال يمدح محمد بن سيار بن مكرم التميمي :

أَقْلُ قَمَالِي بَلَّةً أَكْثَرُهُ مَجْدُ

وَذَا الْجَدُّ فِيهِ نِلْتُ أُمَّ لَمْ أَنْلَ جَدُّ (٣)

(١) آيات : تصغير آيات ، صفرها تحقيرا لها . ونأم الأسد زار : والأسد مفعول تحسدن ، ويعنى بالأسد نفسه . يقول : إنهم يستعظمون آياتا هي عندي حقيرة . ثم قال لا تحسدن الأسد على زاره .

(٢) ثم : بمعنى هناك ، والإشارة إلى حيث هم : أى لو أن لهم أو معهم قلوبا ، والضمير - في قوله تحتها - للآيات ، والحسد : مفعول أنساه . يقول : لو كان لهم قلوب يعقلون بها ما تضمنته آياتي من الوعيد لأنساهم الذعر منها الحسد .

(٣) الفعل هنا : مصدر فعل فعلا : كذهب ذهابا ؛ والفعل : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه . وبلة : اسم فعل بمعنى دع ، وأكثره منصوب به ، والجـد - بالكسر - الاجتهاد ، وبالفتح : الحظ ؛ يقول : أقل فعلى مجد دع أكثره : أى إذا عرفت أن الأقل مجد ، أغناك ذلك عن تعرف الأ أكثر . يعنى أنى لأفعل فعلا إلا ومهماى المجد ، فكل أفعالى - قليلها وكثيرها - إنما هي في سبيل المجد وهذا الجـد والإشاحة في سبيل المجد ، وترك التواني في ذلك يعد حظا لى سواء نلت مطلوبى أم لم أنل ، لأن ذلك آية علو النفس وبعد الهمة ، وحسبى ذلك حظا . وعبرة الواحدى : معنى المصراع الأول من هذا البيت : أنى لا أفعل شيئا إلا ومنغزى المجد ، وإياه أطلب ولو صرح بالأقل لقال : نوى وأكلى وشربى للمجد ؛ ولو صرح بالأ أكثر لقال : تقريرى بنفسى وركوبى المهالك ؛ وشهودى الحرب كله مجد أى لأجل المجد وتحصيله . يقول : إذا عرفت كون الأقل مجدا أغناك ذلك عن تعرف الأ أكثر . وقوله وذا الجـد ، معناه أن الجـد في طلب المجد جد معجل ، لأن استعمال الجـد في الأمور جد ، لأنه يستمر عادة باستعمال الجـد في الأمور .

سَأَطْلُبُ حَتَّىٰ بِالْقَنَاءِ وَمَشَايِخٍ كَانَتْهُمْ مِنْ طُولِ مَا اتَّخَمُوا مُرْدٌ^(١)
 يُقَالُ إِذَا لَاقَوْا خِفَافٍ إِذَا دُعُوا كَثِيرٍ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٍ إِذَا عُدُّوا^(٢)
 وَطَعْنُ كَانَ الطَّعْنُ لَا طَعْنَ عِنْدَهُ وَضَرْبٍ كَانَ النَّارُ مِنْ حَرِّهِ بَرْدٌ^(٣)
 إِذَا شِئْتُ حَفَّتْ بِي عَلَى كُلِّ سَابِجٍ رِجَالٌ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِي فَيْمِهَا شَهْدٌ^(٤)
 أَذْمٌ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ أَهْيَلُهُ فَأَعْلَمُهُمْ قَدَمٌ وَأَخْزَمُهُمْ وَغَدٌ^(٥)

(١) يقول : سأطلب حتى بالقاء ومشايخ . فلا يفارقهم اللثام ولا ترى لحام ، فكأنهم مرد والثام في الحرب عادة العرب ، لثلا تسقط عمائهم . وقال الواحدى : كنى بالقنا عن نفسه ، وبالمشايخ عن أصحابه . يعنى أنه يطلب حقه بنفسه وبغيره ، وأراد أنهم محنكون مجربون ؛ ولذلك جعلهم مشايخ ، هذا : والمشايع جمع شيخ ، وكذا مشيخة ومشيغة وأشياخ وشيوخ . والثام : ما يجعل على الوجه من فاضل العمامة .

(٢) يقال وما بعده : نعت لمشايخ . ومراده بكونهم ثقالا : شدة وطأنهم على العدو ، أو ثباتهم لدى اللقاء ، وكنى بالخفة عن سرعة الإجابة إذا دعوا للنجدة ، وبالكثرة عن سد الواحد مسد الجماعة : أى أنهم - على قلتهم في العدد - ينفون غناء السواد الأعظم . وعبارة ابن جنى : وصفهم بالقلة ، لأنهم إذا انتصفوا من أعدائهم وغلبوهم في قلة عددهم فهو أغر لهم من الكثرة .

(٣) وطعن عطف على القنا . والضمير - في عنده - يعود إلى الطعن الأول ، وجملة لا طعن عنده . في موضع رفع خبر كان . يقول : وأطلب حتى بطعن شديد كأن كل طعن غيره بالقياس إليه لا شيء ، وبضرب حار كأن حر ، النار بالإضافة إليه برد ، وكل هذا مبالغة .

(٤) السابج : الفرس السريع الجرى . يقول : إنه مطاع في قومه ، فحق شاء أحاطت به رجال يستعذبون طعم الموت كما يستعذب العسل : وقوله : في فئها ، أراد : في أفواهها ، فأوقع الواحد موقع الجمع .

(٥) صغر الأهل تحقيراً لهم . والقدم : المعى في ثقل وقلة فهم . والوغد : الأحمق الخسيس .

وَأَكْرَمَهُمْ كَلْبٌ وَأَبْصَرُهُمْ عَمٍ وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ وَأَشْجَمُهُمْ قِرْدٌ^(١)
وَمِنْ نَكْدِ الدُّنْيَا عَلَى الْخُرِّ أَنْ يَرَى
عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدٌّ^(٢)

(١) وأكرمهم كلب : أى خسة الكلب . وأبصرهم عم : أى أبصرهم بالأمر - من البصرة - أعمى القلب ، وأسهدهم فهد : أى أسهرهم وأيقظهم ينام نوم الفهد - وبه يضرب الثلث فى كثرة النوم . وفى حديث أم زرع : وصفت امرأة زوجها ، فقالت إن دخل فهد ، وإن خرج أسد ، ولا يسأل عما عهد ، تصف زوجها باللين والسكون إذا كان معها فى البيت ، شبهته بالفهد إذا خلا بها ، وبالأسد إذا رأى عدوه ؛ ثم قالت : ولا يسأل عما عهد كرمًا ، منه وحسن خلق . والقرد يضرب به الثلث فى الجبن والحذر ويقال : إن القرد لا ينام إلا وفى كفه حجر ، ولا ينام الليل حتى يجتمع إليه الكثير .

(٢) النكد : قلة الخير ، والمراد بالحر : للكريم - ضد اللثيم - يقول : من نكد الدنيا أن الكريم لا يجد مندوحة من إظهار الصداقة فيها لعدوه مع علمه أنه له عدو ، ليأمن شره ويدفع غائلته .

قال ابن جنى : لو قال : مامن مذاجاته ، لكان أشبه ؛ والذى قاله أحسن فى اللفظ وأقوى فى المعنى وحسنه أنه ذكر العدو وضده . وفى قوة المعنى : أن الداجى : المسائر للعداوة وقد يسائر للعداوة من لا يظهر الصداقة ، فإذا أظهر الصداقة لم يكن له من إظهارها بد ، فهل يعانى من ذلك أمرًا عظيمًا ؛ ونكدًا فى الحياة ، فهو أسوأ حالا من الداجى . وقال الخطيب التبريزى : إنما أراد بهذا السلطان الذى لا بد من صداقته بإخلاص القول والنية ، فبأيها أدخل دخل منه الضرر ، وهذا الذى يقوله الخطيب أشبه بمذهب المتن . هذا : وقوله : أن يرى مؤول بمصدر مبتدأ خبره من نكد . وقوله بد : اسم «ما» المشبهة بليس ، ومن صداقته : خبر . قال العكبرى : وأراد مامن إظهار صداقته خذف المضاف . وفى الواحدى - بعد هذا البيت - هذان البيتان :

فَيَانَكِدِ الدُّنْيَا مَتَى أَنْتَ مُقْصِرٌ عَنْ الْخُرِّ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ ضِدٌّ
يَرُوحُ وَيَفْدُو كَارَهَا لَوْصَالِهِ وَتَضَطَّرُّهُ الْأَيَّامُ وَالزَّمَنُ النَّكْدُ
وَلَا يَوْجِدَانِ فِي سَائِرِ نَسَجِ الدِّيَّوَانِ .

بِقَلْبِي وَإِنْ لَمْ أَرَوْ مِنْهَا مَلَاةً

وَبِي عَنْ غَوَانِيهَا وَإِنْ وَصَلَتْ صَدُّ^(١)
خَلِيلَايَ دُونَ النَّاسِ حُزْنَ وَعَبْرَةً عَلَى فَقْدٍ مَنْ أَحْبَبْتُ مَا لَهَا فَقَدْ^(٢)
تَلَجَّ دُمُوعِي بِالْجَفُونِ كَأَنَّمَا جُفُونِي لَعْنَتِي كُلِّ بَاكِيةٍ خَدُّ^(٣)

(١) بقلبي : خبر مقدم عن ملالة ؛ والضمير في منها : للدنيا ؛ والغواني : جمع غانية وهي المرأة التي غنيت بجمالها عن الزينة . يقول : لقد مللت الدنيا وإن لم أستوف حظي منها ، لما أراه من قبيح صنعها ، من مثل الإساءة إلى أهل الفضل وقعودها بهم عما يستحقونه ، ومن ثم كان بقلبي منها ملالة ، وبى إعراض عن نساؤها ، وإن كنت من الشباب بحيث يرغبن في وصالي ، والله أبو العلاء المعري حين يقول :

وَقَدْ غَرَضْتُ مِنَ الدُّنْيَا فَهَلْ زَمَنِي مُعْطٍ حَيَاتِي لِغَرٍّ بَعْدُ مَا غَرَضْتُ^(١)

(٢) جعل الحزن والعبرة خليلين له دون الناس ؛ لأنهما يلزامانه ولا يفارقانه ، فكأنهما خليلان له . يقول : فقدت من كنت أحبه وصاحبني لفقده حزن وعبرة لست أقدمها . وقوله : دون الناس حال مقدمة عن النكرتين بعدها ، وعلى فقد : صلة الحزن ، أو العبرة على التنازع ، وجملة مالهما فقد : صفة .

(٣) يقال لج به الحزن ونحوه : لزمه : فلم يزايله ، وى تلج : من قولهم ألح السحاب بالسكان : إذا أقام به ، يقول : لا تغلج جفوني من الدموع فكأن جفوني خد كل باكية في الدنيا . يعنى أن ما يسيل من جفونه مثل الذى يسيل على خد كل باكية ، يريد المبالغة في كثرة ما يجرى من جفونه . ولعل الأقرب أن يكون المراد : لست أخلو من بكاء ودموع ، كما لا تغلج الدنيا من باكية تجرى دموعها .

(١) غرضت : ضجرت وشممت . والغر : الذى لم يجرّب الأمور ؛ وقبل البيت :

إِذَا الْفَتَى ذَمَّ عَيْشًا فِي شَبَابِهِ فَمَا يَقُولُ إِذَا عَصَرَ الشَّبَابَ مَضَى
وَقَدْ تَعَوَّضْتُ مِنْ كُلِّ بَمِشْبِهِ فَمَا وَجَدْتُ لِأَيَّامِ الصَّبَا عِوَضًا
وبعدهما البيت بعده :

جَرَبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِي فَمَا تَرَكْتُ لِي التَّجَارِبُ فِي وَدِّ أَمْرِي غَرَضًا

وَأَمَّا لَتُفَنِّبِنِي مِنَ الْمَاءِ نُفْبَةً ، وَأَضْرِبُ عَنْهُ مِثْلَ مَا تَصْبِرُ الرَّبْدُ^(١) ،
وَأَمْضِيْ كَمَا يَمْضِي السَّانُ لِطَيْتِيْ ، وَأَطْوِيْ كَمَا تَطْوِي الْمَجْلَحَةُ الْعُقْدُ^(٢) ،
وَأَكْبِرُ نَفْسِي عَنْ جَزَاءِ بَغِيْبَةٍ ، وَكُلُّ أَغْتِيَابٍ جُهْدٌ مِنْ مَالِهِ جُهْدُ^(٣) ،
وَأَرْحَمُ أَقْرَامًا مِنَ السِّبْ وَالغَبَا ، وَأَعْذِرُ فِي بُغْضِي لِأَنَّهُمْ ضِدُّ^(٤) ،
وَيَمْنَسْنِي مِمَّنْ سِوَى ابْنِ مُحَمَّدٍ أَيَادٍ لَهُ عِنْدِي تَضِيْقُ بِهَا عِنْدُ^(٥)

(١) و (٢) النوبة : الجرعة من الماء . والربد : النعام : يقال ظليم أربد ونعامة ربداء . وذلك لما في لونها من الغيرة . يضرب بها المثل في الصبر على العطش ، والطية المكان الذي تطوى إليه الراحل ويتوى القصد إليه وأطوى : أجوع ومعناه أطوى بطن عن الزاد . والمجلحة : الذئب المصممة . يقال جلع الذئب على القوم : إذا حمل عليهم غير مبال ، وإنما يفعل ذلك عند السعار وشدة الجوع . والعقد : جمع الأعقد ، وهو الذي في ذنبه عقدة ، وقيل : الذي انقعد لحمه ضمراً وهزالاً . يصف المتنبي نفسه بالجلد والمضاء والإشاحة في أموره ، وعدم إسفافه ، وقلة مبالاته بالمشرب والمطم ، شنشنة النفوس الطموح الكبيرة التي لا يهتمها بر البدن والاحتفال به .

(٣) الغيبة : الاسم من الاغتيال ، وهو الوقوع في عرض الغائب ؛ والجهد : الطاقة يقول : إني أكبر نفسي أن أجازي عدوى بالاغتيال ، لأن ذلك طائفة من لاطاقة له بمواجهة عدوه ومحاربتة . ولله قول أياس ابن قنادة :

نَعَابُ أَيْدِينَا وَيَحْمِلُ رَأِينَا وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ

(٤) أصل الی : العجز عن الحجة ؛ والی في الكلام : الحصر . والغبا : الغباوة . أي قلة الفطنة . يقول : إذا رأيت أناساً من أهل الی والعباء رحمتهم وأشفقت عليهم ، وإذا أبصرتهم عذرتهم ، لأنهم أضداد لي بسبب مايتنا من التباين ، والضد يفضض ضده .

هذا ومفعول أعذر - كما قال العكبري - محذوف ، والمفعول محذوف كثيراً كقوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) أي شيئاً .

(٥) الأيادي : النعم ؛ يقول : يمنعني من الانصراف إلى غيره ماله عندي من النعم التي يضيق لفظ عند عن أن يجعل ظرفاً لها لكثرتها وتوافرها إذ لايسعها مفهوم هذا اللفظ .

تَوَالَى بِلَا وَعْدٍ وَلَكِنَّ قَبْلَهَا شَمَائِلُهُ مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ بِهَا وَعْدٌ^(١)
 سَرَى السَّيْفُ مِمَّا تَطْبَعُ الْهِنْدُ صَاحِبِي
 إِلَى السَّيْفِ مِمَّا يَطْبَعُ اللَّهُ لَا الْهِنْدُ^(٢)
 فَلَمَّا رَأَى مُقْبِلًا هَزَّ نَفْسَهُ إِلَى حُسَامٍ كُلِّ صَفْحٍ لَهُ حَدٌّ^(٣)

هذا ، وقال العكبري : رفع عند - وهي لاتستعمل إلا ظرفا - لأنه حمل الكلام على المعنى فكأنه قال : يضيق بها المكان ؛ وكقول الرجل لصاحبه ينازعه في الأمر : كذا عندي . فيقول الآخر : أولك عند ؟ أي أولك فهم ؟ فجعلها اسما ، وعند : أوسع من أخواتها الظروف لأن القائل إذا قال فوق وتحت ووراء وقدام فقد خص جهة من الجهات المذكورة ، وإذا قال : الحيز عند فلان ، احتمل الكلام أن يكون في كل الجهات . قال : وقال يونس يوما في كلامه : عند ، فقال أبو عبيدة : أيقال عند ؟ فقال : نعم ، يقال عند وعند وعند وعند . وقال أبو عبيدة : ما كان عندي ذلك ، فقال له أولك عند ؟ وقال الطائي :

وما زال منشورا عَلَى نَوَالِهِ وَعندي حَتَّى قَدْ بَقِيَتْ بِلَا عِنْدُ

(١) توالى - بحذف إحدى التاءين - أي توالى . ويرى : توالى . والضمير للأيدى ؛ وشمائله : أي أخلاقه ، اسم لكن ، وخبرها وعد . وفي البيت تقديم وتأخير وتحرير الكلام : ولكن شمائله قبلها وعد بها من غير وعد ، أي أن هذه النعم تتتابع منه ابتداء من غير أن يسبقها وعد ولكن سبق العهد بكرم أخلاقه وماله من عوائد الجود يقوم مقام الوعد بها وإن لم يعد .

(٢) صاحبي : بدل من السيف يقول . سرى إليه ومعنى السيف يصحني في طريق فكان مسرى سيفي إلى سيف آخر - يعني الممدوح - إلا أن سيفي مما طبعته - أي عملته - الهند ، أما هذا السيف فهو مما طبعه الله .

(٣) حسام - أي سيف قاطع - فاعل هز ؛ أو بدل من ضميره على جعل الفعل للممدوح ، وصفح السيف جانبه ، وله نعت صفح . يقول : لما رآني مقبلا عليه هز نفسه للقائى كما يهز السيف . وقوله كل صفح له حد ، من أحسن الكلام : أي كل وجه من صفحيه حد ينفذ في أعدائه ، فهو يقطع بصفحه كما يقطع بحده .

فَلَمْ أَرَقْبِلِي مَنِ مَشَى الْبَحْرُ نَحْوَهُ
وَلَا رَجُلًا قَامَتْ تَعَانِقُهُ الْأُسْدُ^(١)
كَأَنَّ الْقَيْسِيَّ الْعَاصِيَّاتِ تَطْبِعُهُ هَوَىٰ أَوْ بِهَا فِي غَيْرِ أَنْمَلِهِ زُهْدُ^(٢)
يَكَادُ يُصِيبُ الشَّيْءَ مِنْ قَبْلِ رَمِيهِ وَيُمْكِنُهُ فِي سَهْمِهِ الْمُرْسَلِ الرَّدُّ^(٣)
وَيُنْفِذُهُ فِي الْعَقْدِ وَهُوَ مُضَيِّقٌ مِنَ الشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ وَاللَّيْلِ مُسَوِّدُ^(٤)
بِنَفْسِي الَّذِي لَا يُزْدَمِي بِحَدِيقَةٍ ، وَإِنْ كَثُرَتْ فِيهَا الذَّرَائِعُ وَالْقَصْدُ^(٥)

(١) قال الواحدي : تحقيق الكلام : فلم أرقبلي من مشى نحوه رجل كالبحر في الجود ، وعانقه رجل كألسد في الشجاعة .

(٢) أراد بالعاصيات : القسي الشديدة التي تستعصى على النازع فلا يستطيع جذبها يقول : إنها تطبعه إذا جذبها حباً له أو زهداً في غير أنامله .

(٣) ويمكنه عطف على يصيب . يقول ، إن الإصابة لمساعدتها إياه تكاد تسبق رمية ، وبكاد السهم لاقياده له يرجع من طريقه إليه ؛ وهذا مبالغة في وصف اقتداره على الرمي .

(٤) وينفذه : عطف أيضاً على يصيب ؛ قال أبو العلاء : وإذا عطفته على «يكاد» ففيه سرف وفيه إغرابات التنبي في شعره ويقوى ذلك أيضاً أن يكون أراد به في الحقيقة يصبت عقد الشعرة ، والعقد : العقدة . يقول : ويكاد ينفذ سهمه في العقدة الضيقة من الشعرة السوداء في الليل المظلم ، وكل هذا من المبالغة التي تعدواها .

(٥) أزداهم : استخفه : والذرائع : الوسائل . يقول : أفدى بنفسى الممدوح الذي هو من الفطنة وثقوب البصيرة بحيث لا يغتر بأعدائه الذين يتقربون إليه بثق وسائل الود والولاء وقلوبهم مطوية على البغض والحسد واللجدة . وقال ابن جني : هذا هجو كأنه قال : بنفسى غيرك أيها الممدوح ، لأنني أزدهيك بالخدعة وأسخر منك بهذا القول ، لأن هذا مما لا يجوز مثله . قال : وهذا مذهبه في أكثر شعره ، لأنه يطوى المدح على هجاء حذقا منه بصناعة الشعر ، كما كان يقول في كافور من أبيات ظاهرها مدح وباطنها هجاء : قال ابن فورجة - يرد على ابن جني - : إنما قل ذلك في مدائح كافور استهزاء به ، لأنه كان عبداً أسود لم يكن يفهم شيئاً ، ولم يفهم ما ينشده ، فأما على بن محمد ابن سيار فمن صميم بني تميم ، عربي لم يزل يمدح وتتأبه الشعراء ، وليس في هذا البيت ما يدل (٧ - المتنبي ٢)

وَمَنْ بَعْدَهُ قَرُّ وَمَنْ قُرْبُهُ غِنَى ، وَمَنْ عَرَضُهُ حُرٌّ وَمَنْ مَالُهُ عَبْدٌ^(١)
وَيَضْطَنِعُ الْمَعْرُوفَ مُبْتَدِئًا بِهِ . وَيَمْنَعُهُ مِنْ كُلِّ مَنْ ذَمُّهُ حَمْدٌ^(٢)

على أنه يعنى غيره بل يعنيه به . يقول : بنفسى أنت ، ووصفه وأتبع ذلك بأوصاف كثيرة على نسق واحد لو كان كلها وصفا لغيره كانت هذه القصيدة خالية من مدحه ، وليس في إنفاذ الرمي في عقدة من شعره في ليل مظلم أول محال ادعى للدوح ، وما هذا إلا هوس عرض له فقذفه .

(١) ومن عرضه حر : أى لا مغمز فيه عزيزة الحر ، ومن ماله عبد : أى تمتن مبدول في سبيل المجد . وفي البيت من الطباق مالا يخفى :

(٢) يقول : إنه يعطى المستحقين وذوى القدر قبل أن يسألوه ، ويمنع معروفه عن كل ساقط لثيم ؛ إذا ذم أحداً كان ذمه حمداً له لدلالة ذلك على أنه لا يشاكله . وعبارة ابن جنى : يصنع المعروف مع المستحقين ، ويعطى من له قدر ومن يزكو عنده المعروف ويمنعه من كل ساقط . إذا ذم أحداً فقد مدحه ، يصفه بالتيقظ ومعرفة ما يأتى وما يدع . قال ابن الشجرى - لما ذكر كلام ابن جنى هذا - : لا يخلو من أحد معنيين . أحدهما أنه يورى عن الذم الصريح بكلام يشبه المدح ، أو يريد أن يضع المدح الصريح موضع الذم . وليس يلحقه بهذين عيب ولا يستحق أن يحرم معروفاً ؛ والمعنى غير ما ذهب إليه ، وذلك أنه وصف المدوح بالتيقظ ومعرفة ما يأتى وما يدع فيضع الصنائع في مواضعها فيعطى ذوى الأقدار قبل أن يسألوه ، كما قيل : السخى من جاد بماله تبرعا ، وكف عن أموال الناس تورعا ، ويمنع ماله من كل ذنى . إذا ذمه الناس فقد مدحوه ، الذم له مقام المدح لغيره ، يعنى أنه يقل عن المدح والمجاء كما قال :

صَفَرْتُ عَنِ الْمَدِيحِ فَقُلْتُ أَهْجَى كَأَنَّكَ مَا صَفَرْتُ عَنِ الْمَجْأِ

والذم : مضاف إلى المفعول ، والمفاعل محذوف ، والتقدير من ذم الناس إياه حمد ، كقوله تعالى «لقد ظلمك بسؤال نعجتك» أى بسؤاله ؛ وابن جنى ذهب إلى أن الذم مضاف إلى الفاعل والمفعول محذوف . ففسر على هذا التقدير ، فأفسد المعنى لأنه أراد من ذمه الناس حمد . ومن في قوله نكرة والجملة بعده نعت له فكأنه قال : من كل إنسان ذمه حمد ولا يجوز أن يكون بمعنى الذى لأن «كلا» لا يضاف إلى معرفة ، إلا أن يكون مما يصح تبيينه ، كقولك رأيت كل البلد ، ولا تقول لقيت كل الرجل الذى أكرمته ؛ فإن قلت : كل رجل أكرمته : حسن ذلك ، وصحت إضافته إلى المفرد النكرة ، كما تصح إضافته إلى الجمع المعرفة ، نحو لقيت كل الرجال الذين أكرمهم .

وَيَحْتَقِرُ الْحَسَادَ عَنْ ذِكْرِهِ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ فِي الْخَلْقِ مَا خُلِقُوا بَعْدُ^(١)
وَتَأْمَنُهُ الْأَعْدَاءُ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ ،
وَلَكِنْ عَلَى قَدَرِ الَّذِي يُذْنِبُ الْحَقْدُ^(٢)
فَإِنْ يَكُ سَيَّارُ بْنُ مُكْرِمٍ انْقَضَى فَإِنَّكَ مَا الْوَرْدُ إِنْ ذَهَبَ الْوَرْدُ^(٣)

(١) يقول : إنه يحتقر حساده فيعرض لآعن عتبهم أو مؤاخذتهم حسب ، بل حتى عن أن يجرى ذكرهم له على لسان لأنهم لديه والعدم سواء . وعبارة بعض الشراح : يحتقر الحساد عن أن يتكلم فيهم ، وإذا لم يذكرهم كانوا كأنهم معدومون لم يخلقوا بعد ، لأن من لم تذكره لم يذكره الناس وذل قدره .

(٢) على قدر خبر مقدم ؛ والحقد : مبتدأ مؤخر . بقول إن أعداءه يأمنون جانبه لا لأنه ضعيف ذليل لا يستطيع إيذاءهم ، ولكن لأن الحقد يكون على قدر الذنب ، فإن كان حقيرا لم يحقد عليه ، وإذا لم يحقد عليه أمن الذنب : يعني أنه يحتقر أعداءه ولا يكثر لهم لأنهم ليسوا هناك ، وقال ابن جني : ليس يؤاخذ الذنب بقدر جرمه وإنما يؤاخذ على قدر الذنب ولا قدر عنده لمن أجرم ، فهو لا يعبأ بأحد من أعدائه ، لأنه أكبر قدراً من أن يعاقب أمثالهم .

(٣) يقول : إن كان جديك قد مات فإن فضائله ومحاسنه باقية فيك فلم يفقد إلا شخصه كما الورد يبقى بعد الورد وهو خلاصته ؛ وقد أخذ السري الرفاء هذا المعنى فقال :

يُنْجِي بِحُسْنِ فَعَالِهِ أَفْعَالِ وَالِدِهِ الْخُلَاحِلِ^(١)

كَالْوَرْدِ زَالَ وَمَاؤُهُ عَمِيقُ الرِّوَايَحِ غَيْرُ زَائِلٍ

هذا : وقد كرر المتنبي تفضيل الفرع على الأصل في غير موضع فقال :

* فَإِنَّ فِي الْخَمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْعِنَبِ *

وقال :

فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْفَزَالِ *

(١) الخلاحل : السيد في عشيرته ، والشجاع والتام .

مَضَى وَبَنُوهُ وَأَنْفَرَدَتْ بِفَضْلِهِمْ وَأَلْفٌ إِذَا مَا جُمِعَتْ وَاحِدٌ فَرْدٌ^(١)
لَهُمْ أَوْجُهُ غُرٌّ وَأَيْدٍ كَرِيمَةٌ وَمَعْرِفَةٌ عِدٌّ وَالسِّنَّةُ لُدٌّ^(٢)

(١) يقول : مضى جدك وبنوه وبقيت وحدك منفردا بفضائلهم جميعا . فأنت واحد صورة ، جماعة معنى ، كالألف الذى هو واحد فى الصورة ، جمع فى المعنى . وفى هذا المعنى يقول البحرى :

وَلَمْ أَرْ أَمْثَالَ الرَّجَالِ تَفَاوَتْ إِلَى الْمَجْدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدٍ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا وَاحِدٌ كَقَبِيلَةٍ يُعَدُّ وَأَلْفٌ لَا يُعَدُّ بِوَاحِدٍ

هذا : وقد أنث الألف فى قوله جمعت على معنى الجماعة ، وعطف وبنوه على الضمير المرفوع . وهو مذهب الكوفيين . ومنه أهل النصرة . قال العكبرى النحوى السكوفى وحجتنا بحجته فى الكتاب العزيز ، وفى أشعار العرب : فى الكتاب العزيز « ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى » أى فاستوى جبريل ومحمد - صلى الله عليه وسلم - فعطف وهو على الضمير المستكن فى استوى ، فدل على جوازه ؛ وفى الشعر قول عمر بن أبى ربيعة

قُلْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ زُهْرًا تَهَادَى كَنْعَاجَ الْفَلَا تَمَسُّنَ رَمْلًا
فعطف على الضمير المرفوع فى أقبلت من غير تأكيد . وقال الآخر :

وَرَجَا الْأَخْيَاطُ فِي سَفَاهَةٍ رَأْيِهِ مَا لَمْ يَكُنْ وَأَبٌ لَهُ لَيْنٌ أَلَا

فعطف على الضمير المستكن فى يكن من غير تأكيد ؛ وحجة البصريين أنه قد جاء فى الكتاب العزيز بالتوكيد نحو « امكن أنت وزوجك الجنة » ، و « اذهب أنت وربك » و « براكم هو وقيله » . وقالوا : لا يخلو إما أن يكون مقرا فى الفعل ، أو ملفوظا به ، فإن يك مقدرآ - نحو قمت قام وزيد - فكأنه قد عطف اسما على فعل وإن كان ملفوظا به - نحو قمت وزيد - فالتاء تنزل منزلة الجزء من الفعل ، فصار كعطف الاسم على الفعل .

(٢) لم : أى لآل سيار الذين انفرد المدوح بمناقبهم . والنمر : جمع أغر ، وهو الأبيض الشرق ، والعرب تتمدح ببياض الوجه ، وإنما يريدون بذلك النقاء والطهارة مما يعاب ، كما أنهم يكونون عن العيب والفضيحة بسواد الوجه ؛ وأيد كريمة : أى بالعطاء ومعرفة عد : أى قديمة كثيرة لاتقطع مادتها كالماء العد : أى الغزير الذى لاتقطع

وَأَرْدِيَّةٌ خُضْرٌ وَمُلْكٌ مُطَاعَةٌ ، وَمَرْكَوْزَةٌ مُنْمَرٌ وَمُقَرَّبَةٌ جُرْدٌ^(١)
وَمَا عِشْتَ مَا مَاتُوا وَلَا أَبَوَاهُمْ تَمِيمُ بْنُ مَرْثٍ وَأَبْنُ طَابِخَةَ أَدُ^(٢)
قَبْتَضُ الَّذِي يَبْدُو الَّذِي أَنَا ذَاكِرٌ
وَبَقِضُ الَّذِي يَخْفَى عَلَى الَّذِي يَبْدُو^(٣)
أَلُومٌ بِهٍ مَن لَّامَنِي فِي وَدَادِهِ
وَحَقٌّ نَحْلِيهِ انْخَلَقَ مِنْ خَيْرِهِ الْوُدُ^(٤)

مادته . واللذ : جمع الألد ، وهو الشديد الخصومة . يريد السنة قوية في مواطن الكلام
(١) خضرة الرداء : يكفى بها عن السيادة ، وذلك أن الخضرة عندهم أفضل الألوان
لأن خضرة النبات تدل على الحصب وسعة العيش . والملك : السلطان ، يذكر ووثن
ولذا قال مطاعة . أو تقول : إنه أراد الملكة . ومركوزة سمر : أى رماح تركز في
الأرض وتنصب ، والمقربة : الحبل تربط قريضة من البيوت ولا ترسل إلى المرعى للحاجة
إليها أو للخل بها ، والجرد : القصار الشعر .

(٢) يقول : مادمت حياً فلم يمت أحد من آبائك ومن تقدمهم في النسب لأن جميع
محاسنهم موجودة فيك فهم حينئذ بك أحياء لأموات . فما الأولى : شرطية زمانية ، وما
الثانية : نافية . وكان الوجه أن يقول : فما ماتوا ، ولكنه حذف انفاء ضرورة كقوله :

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرْهَا

والشرُّ بالشرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَانِ

أراد فالله يشكرها . وتميم بن مر ، وأد بن طابخة : قيلتان مشهورتان من العرب ،
إليهما ينتسب المدوح . وتميم وماعطف عليه : بدل تفصيل .

(٣) يقول : إن الذى أذكره وأشيد به من فضائله هو بعض ما يظهر لى والذى
يظهر لى هو بعض ما كان خافياً على ، يعنى أنه قد بقى من تلك انفضائل ما لم يعلمه ، وبقي
بما علمه ما لم يذكره . يريد كثرة فضائله . فبعض - فى الشطرين - خبر مقدم عن الموصول الثانى
(٤) يقول : من لامنى فى وده لته بما وصفت من فضله فيبتين أنه خليف بمودتى .

لأنه خير الأمراء وأنا خير الشعراء ، وجدير بخيرة الناس أن يود بعضهم بعضاً . وحق
له كذا - بضم الحاء - إذا كان جديراً به ، وقد تقدم الكلام على ذلك .

كَذَا فَتَنَحَّوْا عَنْ عَلِيٍّ وَطُرُقِهِ
 بَنِي اللَّؤْمِ حَتَّى يَنْعَبَرَ الْمَلِكُ الْجَعْدُ^(١)
 فَمَا فِي سَجَايَاكُمْ مُنَازَعَةُ الْعَلَى
 وَلَا فِي طِبَاعِ التُّرْبَةِ الْمَسْكُ وَالنَّدَّ^(٢)

وودع صديقاً له يقال له أبو البهي فقال ارتجالاً عند مسيره عنه :
 أَمَا الْفِرَاقُ فَإِنَّهُ مَا أُعْهِدُ هُوَ تَوَامِي لَوْ أَنَّ بَيْنَنَا يُولَدُ^(٣)

(١) كذا : أى كذا هو كما وصفت ، فتنحوا عن طريقه حتى يعبر فإنكم لستم ممن يجاريه في طرق المجد ؛ وبني اللؤم : أى يابني اللؤم . والجعد الكريم . شبه بالثرى الجعد ، وهو اللين الندي ، وإذا قيل فلان جعد اليدى أو جعد الأنامل ؛ أرادوا أنه بخيل لثيم لا يفيض حجره . وأنكر الأصمعي الجعد بمعنى الكريم ، قال : زعموا أن الجعد : السخي ، وأنا لا أعرف ذلك ، وإنما الجعد : البخيل .
 (٢) يقول : ليس في طبائعكم أن تنازعوه العلى ، كما أنه ليس في طبع التراب أن يفوح بالمسك والند .

(٣) التوأم : ما يكون مع غيره في بطن واحد . فتلد المرأة اثنين ، أو الشاة أو غيرها ويقال للثنين إذا ولدا في بطن : هما توأمان ؛ وفي التأنيث توأمة وتوأمتان ، والجمع توأم وتوأم . قال عنتره :

بَطْلٌ كَانَ ثِيَابَهُ فِي مَرْحَةٍ يُحْذَى نِعَالُ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ^(١)

(١) مدح ممدوحه بأربع خصال كرام : أحدها أنه جعله بطلاً : أى شجاعاً . الثاني : أنه جعله طويلاً شبهه بالسرحة - وهى الشجرة الكبيرة - الثالث أنه جعله شريفاً للبسه نعال السبت . الرابع أنه جعله تام الخلق نامياً ، لأن التوأم يكون أنقص خلقاً وخلقاً وقوة وعقلاً ، والسبت الجمل المدبوغ .

وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ سَنُطِيعَهُ لَمَّا عَلِمْنَا أَنَّ لَا نَخْلُدُ^(١)
وَإِذَا الْجِيَادُ أَبَا الْبَيْتِ نَقَلْنَاهَا عَنْكُمْ فَأَرَادُوا مَارَكِبَتُ الْأَجُودِ^(٢)
مَنْ خَصَّ بِالذِّمِّ الْفِرَاقَ فَإِنِّي مَنْ لَا يَرَى فِي الدَّهْرِ شَيْئًا يُحْمَدُ^(٣)

وقال يمدح الحسين بن علي الهمداني :

لَقَدْ حَازَنِي وَجْدٌ بِمَنْ حَازَهُ بَعْدُ فَيَا لَيْتَنِي بَعْدَ وَيَا لَيْتَهُ وَجْدٌ^(٤)
أُسْرُ بَتَجْدِيدِ الْهَوَى ذِكْرُ مَا مَضَى وَإِنْ كَانَ لَا يَنْبَغِي لَهُ الْحَجَرُ الصَّلْدُ^(٥)
سَهَادٌ أَتَانَا مِنْكَ فِي الْعَيْنِ عِنْدَنَا رُقَادٌ وَقَلَامٌ رَعَى سِرُّبَكُمْ وَرَدُ^(٦)

يقول : أما الفراق فهو شيء أعهد من قديم ، حتى لو أنه مما يولد لقلت : هو توأمي : أي لا أملك من فراق حبيب ، فلو كان الفراق مولودا لحكمت بأنه توأمي . وقال الواحدى : يجوز أن يكون المعنى : حقيقة الفراق ما أعهد من فراقك ؛ يعنى إن وجد فراق هذا الحبيب ، فقد وجد فراق كل أحد ، حتى كأن الفراق فراقه هو : لا فراق غيره (١) يقول : لما علمنا أن خلودنا في هذه الدنيا محال : علمنا أن الفراق حتم علينا لازم ، فلا مندوحة لنا عن الاقياد لحكمه : إن عاجلا وإن آجلا : وعبرة الواحدى : لما كنا نموت وتنفى ، علمنا أننا نتقاد للفراق .

(٢) أبا البهي : أي يا أبا البهي — وهى كنية الممدوح — يقول : إذا نقلنا الحيل عنكم وباعدت ما بيننا فلن أجودها حينئذ أردوها . لأنه يكون أسرع في إبعادنا عنكم . (٣) يقول : من يخص الفراق بالذم من بين سائر أشياء هذا الدهر ، فأنا الذى لا أرى في الدهر شيئا محمودا : يعنى أن كل الأشياء مذمومة عندي لا أحسن الفراق دون غيره . (٤) يقول : لقد ضمني واشتمل على وجد بحبيب قد ضمه البعد واشتمل عليه ، فيا ليتني بعد لأحوزه فأكون معه ، وباليته وجد ليحوزني ويتصل بي : أي فنجتمع ولا نفرق . (٥) الصلْد : الشديد الصلب . يقول إننى أسر بأن الهوى يجدد لى ذكر ما مضى من أيام الوصال ولذاذتها ، وإن كان هذا الذكر مما يذوب له الحجر الأصم تأسفا عليه وحينئذ إليه .

(٦) فى العين وعندنا : صلة رقاد . والقلام : نبت من الحمض يكون فى السباخ . قال ابن البيطار فى مفرداته عن أبى حنيفة الدينورى القلام تسميه الأنباط قاقلى ، وهو من الحمض ، والناس يأكلونه مع اللبن ، والسرب — بالفتح المال الراعى ، وبالكسر : القطيع

مُثَلَّةٌ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ تَفَارِقِي ،
وَحَتَّى كَأَنَّ الْيَأْسَ مِنْ وَضْلِكَ الْوَعْدُ^(١)
وَحَتَّى تَكَادِي تَمْسَحِينَ مَدَامِي ، وَيَعْبَقُ فِي ثَوْبِي مِنْ رِيحِكَ النَّدَى^(٢)
إِذَا غَدَرْتَ حَسَنَاءَ وَفَتْ بِمَهْدِهَا فَمِنْ عَهْدِهَا أَنْ لَا يَدُومَ لَهَا عَهْدُ^(٣)
وَإِنْ عَشِيقَتُكَ كَانَتْ أَشَدَّ صَبَابَةً ،
وَإِنْ فَرَكْتَ فَاذْهَبْ فَمَا فِرَ كَهَا قَصْدُ^(٤)

يقول : إن السهاد إذا كان لأجلكم لد في أعيننا كالرقاد ؛ واقلام : الذي ترعاه ماشيتكم طيب عندنا كأنه ورد ، يعنى : لحي إياكم أستلذ الألم ويحسن في عيني ما ليس بالحسن .
(١) مثلة : خبر عن محذوف : أى هى - المخاطبة - مثلة ، يقول : أنت مصورة فى خاطرى حتى لكأنك حاضرة عندى لم تفارقينى ، وحتى كأن بأسى من وصلك وعدمنك بالوصل
(٢) يقول : وحتى تكادى - لتخيلك حاضرة بجانبى - تمسحين مدامى بيدك فيعقب طيبك فى ثوبى . قال ابن جنى ، ومثله :

* لَيْتَنُ بَعُدَتْ عَنِّي لَقَدْ سَكَنْتُ قَلْبِي *

(٣) يقول : إذا غدرت الحسناء لم تعد سجاياها ؛ لأن شغفتها الغدر ؛ وقد وفّت بالمهد : إذا غدرت ؛ لأن عهدها أن لا تنق على عهد ؛ فوفاؤها - إذن - غدر .
(٤) فركت المرأة زوجها تفركه فركا : أبغضته : فبى فارك وفروك ، وكذلك فركها زوجها ، والفرك - بكسر الفاء - البغض . قال رؤبة :

فَعَفَّ عَنْ أَسْرَارِهَا بَعْدَ الْفَسْقِ وَلَمْ يُضْفِمْ بَيْنَ فِرْكِ وَعَشْقِ

قال اللغويون : إن هذا الحرف يختص بالمرأة وزوجها ؛ ولم يسمع فى غير الزوجين .
ورجل مفرك : لا يحظى عند النساء . وامرأة مفركة لا تحظى عند الرجال ، أشد ابن الأعرابي :

مُفَرَّكَةٌ أَزْرَى بِهَا عِنْدَ زَوْجِهَا وَلَوْ لَوَطَّتْهُ هَيَّيَانُ مُخَالَفِ^(١)

(١) مخالف : أى مخالف عن الجودة . يقول : لو لوطخته بالطيب ما كانت إلا مفركة لسوء مخبرتها ، كأنه يقول : أزرى بها عند زوجها منظر هيان : أى يهاب ويفزع من

وَإِنْ حَقَّدَتْ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهَا رِضَى وَإِنْ رَضِيَتْ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهَا حِقْدٌ
كَذَلِكَ أَخْلَاقُ النِّسَاءِ وَرُبَّمَا يَصِلُ بِهَا الْمَادَى وَيَخْفَى بِهَا الرُّشْدُ^(١)
وَلَكِنْ حُبًّا خَامَرَ الْقَلْبَ فِي الصَّبَا يَزِيدُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَيَشْتَدُّ^(٢)
سَقَى ابْنُ عَلِيٍّ كُلَّ مَزْنٍ سَقْتَكُمْ مُكَافَأَةً يَفْدُو إِلَيْهَا كَمَا تَفْدُو^(٣)

يقول : إن المرأة إذا عشقت كان عشقها أشد من عشق الرجال ؛ لأن النساء أرق طبعاً وأقل صبراً ؛ وإذا أبغضت : جاوزت الحد كذلك في البغض ، وفي هذه الحالة لا تطمع في تلافى بغضها ، واذهب وشأنك ، لأن بغضها ليس عن قصد منها وإنما هي مغلوقة على أمرها - وقال الواحدي : وإن شئت قلت : فاذهب في ذلك، الفرك .

(١) يقول : هذه هي أخلاق النساء ، يدأنهن مع ذلك يسحرن ألباب الرجال حتى يضل بهن من يهدى غيره ويخفى عليه الرشد فيبتلى بهن . وعبرة ابن جني : يخلصن في أول الأمر فإذا تمكن من قلوب الرجال نكصن عن وصلهن ، وهذا كالتعبد للمسيح عذبه عن نفسه في البيت التالي . كأنه يقول : وإني مع طغي بأخلاق النساء وتحذري منهن لم أصن قلبي عن هواهن ووقعت في شراكهن .

(٢) قلنا : إن هذا كالاعتذار عن حبه إياهن بعد ما أبان مساوئ أخلاقهن . يقول : وسكن جبا خالط قلبه فزمن الصبا واستحكم فيه قبل أن تحكه التجارب فلم يقدر بعدها على تركه ، لأنه قد ألفه حتى صار ديدناً له .
يزداد ويشتد على كره الغداة ومر العشى . وخامر : خالط .

(٣) يدعو للسحب التي سقت قوم المحبوبة بأن يسقيها جود المدوح مكافأة لها على ما فعلت ، فيفدو إليها بالسقيا كما تفدو هي إليهم ، جعل المدوح يسقي السحاب لأنه أكثر منها ندى . وفي البيت من حسن التخلص مالا يخفى . هذا : والمزن جمع مزنة وهي المطرة ؛ قال أوس بن حجر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِرْنَةً وَغُفِرُ الظُّبَاءِ فِي الْكِنَاسِ تَقَمُّعٌ^(١)

دنا منه ، أي أت منظر هذه المرأة شيء يتحاشى فهو يفرغ ؛ وقيل : إنما الهيمان المخالف هنا ابنه منها ، إذا نظر إلى ولده منها أبغضها ولو لطخته بالطيب .

(١) يقال : تقمعت الظبية : إذا لسعتها القمعة ودخلت في أنفها فحركت رأسها من ذلك ، والقمعة ذباب أزرق يدخل في أنوف الدواب ، وقيل : يركب رموس الدواب فيؤذيها

لَتَرَوِيَّ كَمَا تَرَوِي بِلَادًا سَكَنَتْهَا
وَيَنْبُتُ فِيهَا فَوْقَكَ الْفَخْرُ وَالْمَجْدُ^(١)
بِمَنْ تَشْخَصُ الْأَبْصَارُ يَوْمَ رُكُوبِهِ
وَيَخْرُقُ مِنْ زَحَمٍ عَلَى الرَّجُلِ الْبُرْدُ^(٢)
وَتَلْقَى وَمَا تَذَرِي التَّنَانُ سِلَاحَهَا
لِكَثْرَةِ إِيْمَاءٍ إِلَيْهِ إِذَا يَبْدُو^(٣)
ضُرُوبٌ لِهَامِ الضَّارِبِ الْهَامَ فِي الْوَعَى
خَفِيفٌ إِذَا مَا أَثْقَلَ الْفَرَسَ اللَّبْدُ^(٤)
بَصِيرٌ بِأَخْذِ الْحَمْدِ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ
وَلَوْ خَبَأَتْهُ بَيْنَ أُنْيَابِهَا الْأَسَدُ^(٥)
بِتَأْمِيلِهِ يَفْنَى الْفَتَى قَبْلَ نَيْلِهِ
وَبِالذُّعْرِ مِنْ قَبْلِ الْمُهَنْدِ يَنْقُدُ^(٦)

واللزنة أيضاً : السحابة البيضاء ، وسقى وأسقى : لغتان فصيحتان .

(١) يقول : لترتوي السحاب بندا كما تروى بلادك بمطرها ، وينبت فوقك الفخر والمجد ، لأن عطايك تورث المجد والشرف فتشرف السحاب بما تتال من جدواه ، ويكون الفخر والمجد ثابتين فيها لما شربت من سقياه ، قاله ابن جني والواحدى والعكبرى .
(٢) بمن : متعلقة بتروى ، أو ينبت : أى لتروى السحاب بهذا المدح أو ينبت به الفخر : أى بجوده أو بسببه ، والبرد : الثوب . يقول : إن الناس يوم ركوبه تشخص أبصارهم إليه لحسن منظره وجلالة قدره . ويكثر زحامهم حواله حتى تتخرق ثيابهم . وزحم ، مصدر زحمه ، ومصدر زاحمه ، زحام .

(٣) يقول : لشغلهم بالنظر إليه والإيماء نحوه . يلقون مافي أيديهم ولا يشعرون به ، قال الواحدى : كأن هذا مقتبس من قوله تعالى « فلما رأيته أكبرته وقطعن أيديهن »
(٤) الهام : الرءوس . والوعى : الحرب واللبد : ماتحت السرج . يقول : إنه شجاع ضروب لرءوس الأبطال ميدان القتال ، خفيف مسرع إلى الوعى أو خفيف لحذقه بالفروسية حتى لا يشعر الفرس بثقله وهو قد بلغ منه الجهد إلى حد أنه يجد لبدته ثقيلًا .

(٥) يقول : إنه يتسبب إلى إحراز الحمد بكل الأسباب من إحسان وإقدام وما إليهما ، بصير بكسبه من حيث يعجز عنه غيره ، فلو لاح له الحمد في فكى الأسد لأحرزه حبا فيه .

(٦) النيل : العطاء ؛ والمهند : السيف الهندى ؛ وتأمله : متعلقة ينفى ؛ وبالذعر متعلق يينقد . يقول : إذا أمله الإنسان استغنى بذلك الأمل قبل أن يأخذ عطاءه . لأنه لا ينجب مؤملا . وإذا خافه إنسان تقطع من خوفه قبل أن يقتله بسيفه .

وَسَيُنِي لِأَنْتَ السَّيْفُ لَا مَا تَسْلُهُ

لِيَضْرِبَ وَمَا السَّيْفُ مِنْهُ لَكَ الْغَمْدُ^(١)
وَرُمِحِي لِأَنْتَ الرَّمْحُ لَا مَا تَبْلُهُ نَجِيمًا وَلَوْلَا الْقَدَحُ لَمْ يُثَقِّبِ الزَّنْدُ^(٢)
مِنَ الْقَاسِمِينَ الشُّكْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ لِأَنَّهُمْ يُسْدِي إِلَيْهِمْ بَأْنَ يُسْدُوا^(٣)
فَشُكْرِي لَهُمْ شُكْرَانٍ شُكْرٌ عَلَى النَّدَى
وَشُكْرٌ عَلَى الشُّكْرِ الَّذِي وَهَبُوا بَعْدُ^(٤)
صِيَامٌ بِأَبْوَابِ الْقِيَابِ حِيَادُهُمْ وَأَشْخَاصُهَا فِي قَلْبٍ خَافِيهِمْ تَعْدُو^(٥)

(١) الواو في قوله وسيني : للقسم ، وما السيف منه : خبر مقدم عن الغمد ،
و المير في منه : يعود إلى ما . يقسم بسيفه تعظيما له ، يقول : إني أقسم بسيني على أنك
إذا سللت سيفاً لضرب فأنت السيف في الحقيقة ، لاهو ، لأن مضاه إنما هو بك .
ولما جعله سيفاً جعل غمده من الحديد الذي السيف منه يعنى الدرع ، والمعنى : إذا لبست
الدرع كنت فيه كالسيف ، وكان لك كالغمد . وعبرة ابن جني : لأنت السيف ، لا الذي
تسله الأعداء . أى أنت في الحقيقة سيف لا الذي يطبع من الحديد ، فإذا لبست الدرع
والجوشن كنت كالسيف ، وكانا لك كالغمد .

(٢) النجيع : الدم ، ونجماً : تميز ، والزند : ما يقتدح به ؛ ويثقب : يورى ناراً
يقول : وحق رمحي لولاك ولولا جودة طعنك لم يعمل الرمح شيئاً كما أنه لولا قدح
القادح لم يور الزند .

(٣) قوله من القاسمين : أى هو من القوم القاسمين . وأسدى إليه : أحسن ؛
وأسدى إليه معروفاً اتخذه عنده . يقول : هو من القوم الذين يشكروني على الاخذ
والقبول كما أشكرهم على الإنعام . إذا أحسنوا إلى أحد فقبل إحسانهم ء واذلك إحساناً
منه إليهم يستحق الشكر على حد قول زهير :

* كَأَنَّكَ تُعْضِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ *

(٤) جعاً ، شكرهم له على أخذ عطائهم هبة ثانية منهم له ، فهو يشكرهم على العطاء
وعلى الشكر الذي هو عطاء ثان . وفي هذا المعنى يقول أبو يعقوب الحريرى :

كَأَنَّ عَلَيْهِ الشُّكْرَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ يُقَلِّدُهَا بِأَدْيَا وَيَمِيدُهَا

(٥) صيام : أى واقفة ، تقول صام الفرس : إذا وقف . يقول : إن خيلهم واقفة

وَأَنْفُسُهُمْ مَبْدُولَةٌ لَوْفُودِهِمْ ، وَأَمْوَالُهُمْ فِي دَارٍ مِنْ لَمْ يَفِدْ وَفَدٌ^(١)
 كَهَانَ عَطِيَّاتِ الْحَسَنِ عَسَاكَرٌ فِيهَا الْعَبْدَى وَالْمَطْهَمَةُ الْجَرْدُ^(٢)
 أَرَى الْقَمَرَ ابْنَ الشَّمْسِ قَدْ لَيْسَ الْعَلَا
 رُوَيْدَكَ حَتَّى يَلْبَسَ الشَّمَرَ اتْلُدُ^(٣)
 وَغَالِ فُضُولَ الدَّرْعِ مِنْ جَنْبَاتِهَا عَلَى بَدَنٍ قَدْ الْقَنَاقَ لَهُ قَدْ^(٤)
 وَبَاشَرَ أَبْكَارَ الْمَكَارِمِ أَمْرَدًا ، وَكَانَ كَذَا أَبَاؤُهُ وَهُمْ مُرْدُ^(٥)
 مَدَحْتُ أَبَاهُ قَبْلَهُ فَشَفَى يَدِي
 مِنَ الْعَدَمِ مَنْ تُشْفَى بِهِ الْأَعْيُنُ الرُّمْدُ^(٦)

بأبوابهم ؛ وهى كأنها تعدو فى قلوب أعدائهم لشدة خوفهم ، يعنى أنهم مخوفون وإن لم يقصدوا أحداً .

(١) الوفود : جمع وفد ، بمعنى زائر . يقول : إنهم غير محجوبين عمن يقصدهم من الوادين ، وأمواهم ترد على من لم يأتهم لأنهم يعيشونها إليهم ، فأموالهم مبدولة للحاضر والغائب .

(٢) العبدى : جمع عبد ؛ والمطهمة : الخيل الحسان التامة الخلق ؛ والجرد : القصار الشعر . يقول : عطاياه كالعساكر فيها كل شيء ، حتى العبد والخيل .

(٣) جعل المدوح قرأ وأباه شمساً ، يريد رفعهما وشهرتهما ، وجعل القمر ابن الشمس إشارة إلى أن نور القمر مستفاد من نور الشمس . يقول : قد لبس العلى ثوباً ثم خاطبه وقال تمهل حتى ينبت الشعر فى وجهك : أى حتى تكبر ؛ يعنى أنه قد بلغ ما بلغ وهو صغير لم يبلغ حد الرجولية .

(٤) غالها : ذهب بها : أى رفعها من الأرض ؛ وفضول الدرع : ما يفضل منها عن البدن إذا كانت واسعة ، وهو جمع فضل ؛ وجنباها : جوانبها ، والقناة : عود الرمح يقول : إنه من ذوى البسطة فى الجسم قد ملأ الدرع فلم يبق منها ما يفضل عن بدنه ، وقده مع ذلك طويل معتدل كقعد القناة ، ليس بأقص ولا بأحدب .

(٥) أبكار المكارم : أى التى لم يسبقه أحد إليها . يقول : إنه باشر المكارم وتخلق بها وهو بعد ناشئ أمرد ، وكذلك كان يفعل أباه .

(٦) من فى قوله من تشفى به : فاعل شفى : من باب وضع الظاهر موضع المضمرة أو بدل من ضميره ؛ جعل الدم — أى القمر — كالداء الذى يطلب له الشفاء ، وأن

حَبَانِي بِأَثْمَانِ السَّوَابِقِ دُونَهَا خِفَافَةً سِيرِي إِنَّهَا لِلنَّوَى جُنْدُ^(١)
وَشَهْوَةً عَوْدٍ إِنَّ جُودَ يَمِينِهِ ثَنَاءً ثَنَاءً وَالْجَوَادُ بِهَا فَرْدُ^(٢)
فَلَا زِلْتُ أَلْقَى الْخَاسِدِينَ بِمِثْلِهَا ، وَفِي يَدِهِمْ غَيْظٌ وَفِي يَدِي الرَّفْدُ^(٣)

أبا الممدوح شفاه بجوده وعطائه وأن من نظر إليه — أى إلى أبي الممدوح — قرت عينه بما يشاهد من بشره وطلاقة وجهه حتى لو كان به رمد لشفى وهذا كما يقول ابن الرومي:
يَا رَمِدَ الْعَيْنِ قُمْ قَبْلَانْتَهُ فَدَاوِ بِاللَّحْظِ نَحْوَهُ رَمَدَكَ

هذا : والعدم والعدم إذ ضمنت الأول : سكنت الثاني ، وإن فتحته فتحت الثاني :
كالسقم والسقم ، والرشد والرشد والحزن والحزن والرمد جمع رمة ، ورمد الرجل :
هاجت عينه فهو رمد وأرمد .

(١) حبانى : أعطانى ؛ والسوابق : الخيل ، ودونها : حال من السوابق . يقول :
أعطانى أثمان الخيل — أى المال الذى تشتري به الخيل السوابق — ولم يعطنى
الخيل مخافة أن أسير عليها وأفارقه ، لأن الخيل بجريها تعين على السفر والبعد فهى من
أسباب الفراق وأعوانه . وقوله : إنها ، لك أن تقرأها بكسر الهمزة على الاستئناف
ويكون الكلام قد تم بسيرى ؛ وفتحتها على تقدير اللام : أى حبانى بذلك لأنها .

(٢) شهوة : عطف على مخافة . وبها : صلة الجواد ، والضمير للأثمان أو لقوله
ثناء ؛ لأنها عطايا ثناء : أى مثنى مثنى . يقول : حبانى بأثمان السوابق شهوة عود منه إلى
حبانى مرة أخرى قبل انصرافى لأن جوده مثنى وإن كان هو فردا لانظير له .

(٣) بمثلها : أى بمثل أثمان الخيل ، أو بمثل عطايها المذكورة في قوله : ثناء ثناء —
كما سبق — . يدعو لنفسه يقول : لازلت أثيراً لديه محظوظاً عنده ألتقى عطايها وألقى بها
حسادى فأفطر قلوبهم ، فلا يكون لهم إلا أن يموتوا بغيظهم . وىروى غيظ بدل غيظ : أى
فراغ من غاض الماء إذا نقص وجف والرفد — بالكسر — العطاء والصلة ، وبالفتح : المصدر
رفده رفده رفداً أعطاه ؛ ومنه الرفادة وهى شئ كانت قریش تترافد به فى الجاهلية
فيخرج كل إنسان مالا بقدر طاقته ، فيجمعون من ذلك مالا عظيماً أيام المرسوم فيشتركون
به للحاح الجزر والطعام والزيب للنبيذ ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضى أيام
موسم الحج ، وكانت الرفادة والسقاية لبنى هاشم ؛ والسدانة واللواء لبنى عبد الدار ،
وكان أول من قام بالرفادة هاشم بن عبد مناف ، وسمى هاشماً لشمه الثريد : والرافدان
دجلة والفرات . قال الفرزدق يعاتب يزيد بن عبد الملك فى تقديم ابن المثنى عمر بن
هيرة الفزاري على العراق ويهجو .

وَعِنْدِي قَبَاطِيُّ الْهَمَامِ وَمَالُهُ وَعِنْدَهُمْ مِمَّا ظَفِرْتُ بِهِ الْجَحْدُ^(١)
يَرُومُونَ شَأْوِي فِي الْكَلَامِ وَإِنَّمَا يُحَاكِى الْفَتَى فِيمَا خَلَا الْمَنْطِقَ الْقِرْدُ^(٢)
فَهُمْ فِي جُوعٍ لَا يَرَاهَا ابْنُ دَايَةِ ، وَهُمْ فِي ضَجِيجٍ لَا يُحِسُّ بِهَا الْخَلْدُ^(٣)
وَمِنِّي أَسْتَفَادَ النَّاسُ كُلَّ غَرِيْبَةٍ ؛
فَجَازُوا بِتَرْكِ الدَّمِّ إِنْ لَمْ يَكُنْ خَمْدُ^(٤)

بَعَثْتُ إِلَى الْعِرَاقِيِّ وَرَافِدِيٍّ فزَارِيًّا أَحْذُ يَدِ الْقَمِيصِ^(١)

(١) القبايطى : جمع قبطية . وهى ثياب بيض تعمل فى مصر ؛ والجحد : إنكار
الشيء مع العلم به . يقول : ولا زال عندى ثياب المدوح وماله ، وعند حاسدى إنكار
ما ظفرت به من نعمته ؛ يقولون : لم يعطه ولم ينل جميع مايدعى حسداً لى وسترأ لما
فضلت به عليهم ، وقال ابن جنى فى معنى المصراع الأخير : هذا دعاء عليهم بأن لا يرزقوا
شيئاً حتى إذا قيل لهم : هل عندكم خير أوبر من هذا المدوح ؟ قالوا : لا ، فذلك هو الجحد
وليس شيء .

(٢) الشأو : الغاية : يقول : إن هؤلاء المتشاعرين يحاولون أن يبلغوا غايتى فى الشعر
وهم بالقياس إلى كالتفرد بالقياس إلى الإنسان ، يحاكيه فى جميع أفعاله ما خلا المنطق فإنه
يعجز عنه وكذلك هم لا يستطيعون أن يأتوا بمثل كلامى .

(٣) ابن داية : هو الغراب ، يقع على داية البعير - الدبر - فينقرها قال الشاعر :

إِنْ ابْنَ دَايَةِ الْفِرَاقِ لَمْ يُولَعْ وَبِمَا كَرِهْتُ لِدَائِمُ التَّنْمَلَبِ

وهو يوصف بمحدة البصر . والخلد : نوع من الفأر أعمى ، يضرب به المثل فى قوة
السمع . يقول : هم فى جوع قليلة ، لا يصبرها الغراب مع حدة بصره ، ولا يسمع
أصواتهم الخلد مع حدة سمعه . والمعنى أنهم غاية فى الحقايرة ودقة الشأن ، حتى لو أن ذلك
كان فى أجسامهم ، ما رأى جموعهم الغراب ، أوفى أصواتهم ، ما سمعها الخلد .

(٤) قوله فجازوا : أمر من المجازاة . يقول : منى استفاد الناس كل شعر بارع رافع
بديع واتحلوه . ثم انتفت إلى خطابهم وقال : فإن لم تجازونى بالحمد على تصادى فليكن

(١) يصفه بالغلول وسرعة اليد . وقوله أخذ يد القميص : أراد أخذ اليد ، فأضاف
إلى القميص لحاجته ، وأراد خفة يده فى السرقة ، وقيل : إن الأخذ الملقطوع ، يريد أنه
قصير اليد عن نيل العالى ، فجمله كالأخذ الذى لا شعر لذنبه .

وَجَدْتُ عَلِيًّا وَابْنَهُ خَيْرَ قَوْمِهِ
وَهُمْ خَيْرُ قَوْمٍ وَأَسْتَوَى الْخُرُّ وَالْعَبْدُ^(١)
وَأَصْبَحَ شِعْرَى مِنْهُمَا فِي مَكَانِهِ
وَفِي عُنُقِ الْحَسَنَاءِ يُسْتَحْسَنُ الْعِقْدُ^(٢)

جزأى مشكم ترك ذى ا يريد جماعة الشعراء الذين يسرقون كلامه ثم يتقصونه ويصفون
إناءه . وقال ابن جنى : قوله لجازوا : هو كما تقول هذا الدرهم يجوز على خبث بقده :
أى يتسامح به ، فغايتهم أن لا يذموا ، فأما أن يحمدا فلا ... قال العروضى - يتقدم-
قضيت العجب ممن يخفى عليه مثل هذا ، ثم يدعى أنه أحكم سماع تفسيره منه ، وإنما
يقول : الناس استفادوا منى كل شعر غريب وكلام بارع ، ثم رجع إلى الخطاب فقال :
لجأزوني على فوائدى بترك الذم إن لم تحمدونى عليها .

(١) على : أبو الممدوح ؛ وابنه : الحسين ، والضمير فى قومه : لعل ؛ يقول : هو
وابنه خير قومه ، وقومه خير قوم فى الدنيا ، وبعد ذلك يستوى الأحرار والعبيد فى
انحطاط الجميع عن منزلتهم ، وهذا كقول أبى تمام :

مُتَوَاطُّو عَقَبَيْكَ فِى طَلَبِ الْمَلَا وَالْجِدِّ نُمَّتَ نَسْتَوَى الْأَقْدَامُ
(٢) منهما : حال من مكانه ، وفى مكانه : خبر أصبح ، والضمير : للشعر ؛ يقول :
وأصبح شعرى من على وابنه فى المكان الذى ينبغى أن يكون فيه ، لأنهما أهل لأن
مدحها به فزاد حسنه ، كما أن العقد إذا حصل فى عنق الحسناء ازداد حسنه . وهذا
كقوله أيضاً .

وقد أطالَ ثنائى طولَ لائبِهِ إن الثناء على التَّنْبَالِ تَنْبَالُ

[التنبال : القصير]

وساير أبا محمد بن طنج وهو لا يدري أين يريد ؛ فلما دخل كفر ديس قال :

وَزِيَارَةٍ عَنْ غَيْرِ مَوْعِدٍ كَالْعُمْضِ فِي الْجَفْنِ الْمَسْدِ^(١)
مَعَجَتُ بِنَا فِيهَا الْحَيَا دُمَعَ الْأَمِيرُ أَبِي مُحَمَّدٍ^(٢)
حَتَّى دَخَلْنَا جَنَّةً لَوْ أَنَّ سَاكِنَهَا مُخَلَّدٌ
خَضِرَاءُ خَمْرَاءُ التَّرَا بِكَانَهَا فِي خَدِّ أَغِيدٍ^(٣)
أَحْبَبْتُ نَشِيئَهَا لَهَا فَوَجَدْتُهُ مَالِيسَ يُوجَدُ^(٤)
وَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْخَلْقَا ثِقِ فَمَنْ وَاحِدَةً لِأَوْحَدٍ^(٥)

* *

(١) المسد : الذى منع النوم لئلا هم . يقول : اتفقت لنا زيارة هذه القرية بئنة فكأن لطيفها كالنوم فى جفن الساهد .

(٢) المعج : أن يعتمد الفرس على إحدى عضادى العنان : مرة فى الشق الأيمن ، ومرة فى الشق الأيسر . وقيل : ضرب من السير لين سهل ، قال الشاعر :

يَصِلُ الشَّدَّ بِشَدٍّ فَإِذَا وَنْتَ الْخَيْلُ مِنْ الشَّدِّ مَعَجٌ

(٣) شبه خضرة نباتها على حمرة ترابها بحضرة العذار على حمرة خد أغيد ، والأغيد الوسنان المائل العنق اللين الأعطاف ، وهو من أوصاف الغلمان الحسان . قل الواحدى والفيد لا ينبىء عن الحمرة ، لكنه أراد أغيد مورد الخد حيث شبه الحضرة على الحمرة بما فى خده ، كما قال الشاعر :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْمَوْمَاءِ أَيْدَى جَوَارِ بَتْنِ نَاعِمَاتٍ

يريد أن أيدى الإبل أنخضبت من الدم ، كما أن أيدى الجوارى الناعمات حمر بالخصاب ، وليست النعومة من الخصاب فى شيء .

(٤) يقول : أحببت أن أشبهها بشيء فوجدت التشبيه معدوماً . ويجوز أن يراد بالتشبيه الشبه به : يقول : أردت مشبها لها فكان مستحيل الوجود ، يريد أنها لا نظير لها .

(٥) أى هى واحدة فى الحسن لأوحد فى المجد .

وهم بالنهوض فأقمنه أبو محمد فقال :

يَا مَنْ رَأَيْتُ الْحَلِيمَ وَغَدَاً بِهِ وَحُرَّ الْمُلُوكِ عَبْدَاً^(١)
مَالَ عَلَى الشَّرَابِ جِدَاً ، وَأَنْتَ بِالْمَكْرُمَاتِ أَهْدَى^(٢)
فَإِنْ تَفَضَّلْتَ بِانْصِرَافِي عَدَدَتُهُ مِنْ لَدُنْكَ رِفْدَاً^(٣)

وأطلق أبو محمد الباشق على سُمَانَاة فأخذها فقال :

أَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَلَغْتَ الْمُرَادَاً ، وَفِي كُلِّ شَأٍ شَأَوْتَ الْعِبَادَاً^(٤)
فَمَاذَا تَرَكْتَ لِمَنْ لَمْ يَسُدْ ، وَمَاذَا تَرَكْتَ لِمَنْ كَانَ سَادَاً^(٥)
كَانَ الشَّمَانِي إِذَا مَا رَأَتْكَ تَصِيدُهَا تَشْتَهِي أَنْ تُصَادَاً^(٦)

(١) الوغد : الرذل الدنيء الضعيف العقل ؛ والوغد : خادم القوم ، وقيل : الذي يخدم بطعام بطنه ، تقول منه : وغد الرجل - بضم الغين - ومنه الوغد : قذح من سهام الميسر لا نصيب له يقول : رأيت العاقل اثبت الرزين به رذلا دنيئاً أحقق ، وأحرار الملوك عبيداً ، يعنى شرفه وسيادته .

(٢) يقول : إن الشراب - شراب الراح - قد نال منه ، وأنه أراد النهوض فمنعه ، ثم قال : وأنت أعرف بكل شيء وأهدى الناس إلى الكرام .

(٣) رِفْدَاً : أى إنعاماً ، يريد : أنا أحمد لا أنصرف ، فإن تفضلت بانصرافي عدته منك عطية .

(٤) الشاؤ : الغاية ؛ وشآه : سبقه .

(٥) يقول : لم تدع من السيادة شيئاً يناله من لم يسد ، ولا شيئاً يذكر لمن ساد

(٦) الشمانى : الطائر المعروف فى مصر بالسنان ، يكون واحداً ويكون جمعا

ويقال فى الواحدة أيضاً سماناة . وتصيدا - بحذف إحدى التامين - أى تصيدها يقول : إن الشمانى استسلمت للباشق ، فكأنها تشتهى أن تضاد لتفتخر بحصولها فى يدك .

(٨ - الخنبي ٢)

واجتاز أبو محمد ببعض الجبال ، فأثارت الغلمان خَشْفًا ، فتلَقَّفته الكلاب ،

فقال :

وَشَامِخٍ مِنَ الْجِبَالِ أَتَوْدِ فَرْدٍ كَيَافُوحٍ الْبَعِيرِ الْأَصِيدِ^(١)
يُسَارٍ مِنْ مَضْيِقِهِ وَالْجَلْدِ فِي مِثْلِ مَتْنِ الْمَسْدِ الْمُعْقَدِ^(٢)
زُرْنَاهُ لِلْأَمْرِ الَّذِي لَمْ يُعْهَدِ لِلصَّيْدِ وَالنَّزْهَةِ وَالتَّمَرُّدِ^(٣)
بِكُلِّ مَسْقِي الدِّمَاءِ أَسْوَدِ مُعَاوِدٍ مُقْلَدٍ مُقْلَدِ^(٤)
بِكُلِّ نَابٍ ذَرَبٍ مُحَدَّدِ عَلَى حِفَافِي حَنَكٍ كَالْمَبْرَدِ^(٥)
كَطَالِبِ الثَّارِ وَإِنْ لَمْ يَحْقِدِ يَقْتُلْ مَا يَقْتُلُهُ وَلَا يَدِي^(٦)

(١) وشامخ : أى ورب جبل شامخ : أى عال ؛ والأقود : المتقاد طولاً ، والأصيد : الملتوى العنق لداء ، والصيد : داء يصيب أعناق الإبل . يريد أن هذا الجبل مرتفع فى اعرجاج ، فشبهه يافوخ البعير الأصيد لعلوه واعوجاجه .

(٢) الجلد : الصخر . والسد : الجبل من ليف . يقول : إن السائر فى هذا الجبل يسير منه فى طريق ضيق ذى صخور ، قد تخرج واشتبك بعضه فى بعض فأشبه لذلك ما بين قوى الجبل المعقد .

(٣) لك أن تقرأ يعهد : بضم الياء - على المجهول - وبفتحها : على أنه من فعل الجبل . والمراد بالتمرد : طغيان النشاط . وقوله للصيد : بدل تفصيل من الأمر ، والنزهة : الابتعاد عن مجامع الناس ومواضع العمق وفساد الهواء . يقول : أتينا هذا الجبل للصيد والنزهة والمرح بما لم يعهد فى مثله أو لم يعهده هو فى نفسه من قبل لفرط علوه ووعورة مسالكه .

(٤) أى زرناه بكل كلب يسقى دم ما يصيده ، أسود اللون ، تعود الصيد ومارسه كثيراً ، مقود : أى جعل له مقود يقاد به إلى الصيد ، مقلد من القلادة ، وهى الطوق يجعل فى العنق .

(٥) أى معاود للصيد بكل ناب ، أو تقول : يسطو بكل ناب ذرب : أى حاد ماض ، والحفافان : الجانبان ، شبه حنكه بالمبرد ، لما فيه من التضايرس والطرائق .

(٦) ودى القتل يديه : أعطى ديته ، وهى ثمن الدم . يقول : كأن له عند الصيد ثأراً يطلبه وإن لم يضطغن عليه ، فهو يقتل ما يقتله ولا دية عليه .

يَنْشُدُ مِنْ ذَا الْحِشْفِ مَا لَمْ يَفْقِدِ
 فَتَارَ مِنْ أَخْضَرَ مَمْطُورٍ نَدَى^(١)
 كَأَنَّهُ بَذَهُ عِذَارِ الْأَمْرَدِ فَلَمْ يَكْذُ إِلَّا لِحِشْفٍ يَهْتَدِي^(٢)
 وَلَمْ يَقَعْ إِلَّا عَلَى بَطْنٍ يَدٍ وَلَمْ يَدْعُ لِلشَّاعِرِ الْمَجُودِ^(٣)
 وَصَفَا لَهُ عِنْدَ الْأَمِيرِ الْأَمْجَدِ الْمَلِكِ الْقَرْمِ أَبِي مُحَمَّدٍ^(٤)
 الْقَانِصِ الْأَبْطَالِ بِالْمُهَنْدِ ذِي النِّعَمِ الْفَرَّ الْبَوَادِي الْعُودِ^(٥)
 إِذَا أَرَدْتُ عَـدَّهَا لَمْ تُعَدِّ ،
 وَإِنْ ذَكَّرْتُ فَضْلَهُ لَمْ يَنْفَدِ^(٦)

(١) الحشف : ولد الظبية . ونشد الضالة : طلبها وتعرف مكانها . وقوله : من أخضر أى من مكان أخضر . يقول : يطلب من هذا الحشف ضالة لم يفقدها من قبل ، فتار الحشف بين يديه من مكان معشوشب أخضر خضل ندى :

(٢) و (٣) قوله كأنه الخ : شبه النبات الأخضر بشعر العارضين أول ما يبدو في خد أمرد . وقوله : فلم يكذ الخ يقول : لما ثار الحشف أمام الكلب انسدت عليه مسالك الفرار فلم يكذ يهتدى منها طريقا إلا كان فيها هلاكه لإدراك الكلب إياه ، ولم يقع إلا على بطن يد الكلب لحصل فيها . وقال الواحدى : إنه لما يئس من القوت مد يديه لاطثا بالأرض .

(٤) يقول : ولم يدع الكلب للشاعر وصفا يصفه به لدى الأمير ، لأنه لا يقدر أن يأتى بشيء أكثر مما رآه من أفعاله ، والقرم : السيد . وأصله من البعير للقرم ، وهو الذى لا يعمل عليه ولا يذل .

(٥) سمى أخذه الأبطال بالسيف قصا : لمشاكلة للقام ؛ والفر : البيض ، والبوادي العود : أى التى تظهر أولا ثم تعود ولا تكون مرة واحدة . ويحتمل أن تكون البوادي أصلها الحمز ، تخلفها للوزن .

(٦) لم تعدد : تزوى لم أعدد ؛ وينفد : يفرغ .

وقال ارتجالا يودعه :

مَاذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الْوَامِقِ الْكَمِيدِ
 هَذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ^(١)
 إِذَا السَّحَابُ زَفَتَهُ الرِّيحُ مُرْتَفِعًا
 فَلَا عَدَا الرَّمْلَةِ الْبَيْضَاءِ مِنْ بَلَدٍ^(٢)
 وَيَا فِرَاقَ الْأَمِيرِ الرَّحْبِ مَنَزَلُهُ
 إِنْ أَنْتَ فَارَقْتَنَا يَوْمًا فَلَا تَعُدِ^(٣)

(١) الوامق : الحب . يقول : ليس هذا الوداع وداع محب لحبيبه ، وإنما هو وداع روح لجسدها . وفي هذا المعنى يقول القائل :

أَتَتْ وَدْمُوعُهَا فِي الْخَلْدِ تَحْكِي فَلَانْدَهَا وَقَدْ جَمَلَتْ تَقُولُ
 غَدَاةً غَدٍ تَحْتُ بِنَا الْمَطَايَا فَهَلْ لَكَ مِنْ وَدَاعٍ يَا خَلِيلُ
 قَقَلْتُ لَهَا : لِعَمْرِكَ لَا أَبَالِي أَقَامَ الْحَيَّ أَمْ جَذَّ الرَّحِيلُ
 يُهْدَدُ بِالنَّوَى مَنْ كَانَ حَيًّا وَهَذَا أَنَا قَبْلَ بَيْنِكُمْ قَتِيلُ

(٢) زفته : ساقته ؛ والرملة : بلد المدوح ؛ وعدا : جاوز ؛ ومن بلد : يميز ؛ ومن : زائدة . دعا له بالسقيا والخصب والبركة يقول : إذا أرسل إليه سحابا فلا جاوز بلادك .

(٣) منزله : فاعل الرحب . يقول : إن فارقتنا - أيها الفراق يوما بأن اجتمعنا - فلا تفرقنا ثانية .

ودخل على أبي العشار الحسين بن علي بن حمدان يوماً فوجده على الشراب ،
وفي يده بطيخة من الندى غشاء من خيزران ، عليها قلادة لؤلؤ ، وعلى رأسها
عنبر قد أدير حولها ، فحياء بها وقال : أى شيء تشبه هذه ؟ فقال ارتجالاً :

وَبَيْتِي مِنْ خَيْرِ زُرَّانِ ضُمْنَتْ بَطِيخَةً نَبَتَتْ بِنَارٍ فِي يَدٍ ^(١)
نَظَّمَ الْأَمِيرُ لَهَا قِلَادَةَ لَوْلُؤٍ كَفَعَالِهِ وَكَلَامِهِ فِي الشَّهِيدِ ^(٢)
كَالْكَاسِ بِأَشْرَها الْمِزَاجُ فَأَبْرَزَتْ
زَبَدًا يَدُورُ عَلَى شَرَابٍ أَسْوَدٍ ^(٣)

(١) البنية : البنية ، يريد الخيزران الذى اتخذ وعاء لهذه البطيخة ، ولما قال بطيخة
أثبت لها النبت على سبيل الترشيع ، إلا أنه جعل نبتها بنار في يد ؛ لأنها أديرت في
يد صانعها على النار حتى تمت صنعها .

(٢) شبه القلادة المنظومة في حسنها بفعله وكلامه الذى يتكلم به في مشهد من الناس
(٣) المزاج : الماء الذى يمزج به ؛ والزبد : ما يطفو على وجه الكأس ؛ جعل
الشراب أسود لتسود به الكأس ثم جعله ممزوجاً ليعلوه الزبد فيشبه القلادة التى عليها ؛
وقال ابن جني : هو تشبيه واقع ، وإن كان على شراب أسود ، وفي لفظه باليس في
لفظ الشراب الأصفر والأحمر ، إلا أنه شبه ما رأى بما أشبهه . ألا ترى إلى قول القائل
في تشبيهه :

لو ترائى وفي يدي قدح الدُّوِّ شاب أبصرت بازياً وغزالاً ^(١)

(١) الدوشاب - كما في مفردات ابن الأثير - نبيذ القمر ؛ روى تخطويه عن أحمد
ابن حمدان ، قال : تذاكرنا يوماً بحضرة الكنتى فقال : أفيكم من يحفظ في نبيذ
الدوشاب شيئاً ؟ فأنشدته قول ابن الرومي :

إذا أخذت حبّه ودنّسهُ ثم أجدت ضربه ومرّسهُ

ثم أطلت في الإناء حبسه شربت منه الباليّ نفسه

قلل للكنتى : قبحه الله ما أشربه ! لقد شوقني في هذا اليوم إلى شرب الدوشاب

وقال فيها ارتجالاً أيضاً :

وَسَوْدَاءُ مَنْظُومٍ عَلَيْهَا لَآلِيٌّ لَهَا صُورَةُ الْبَطِيخِ وَهِيَ مِنَ النَّدِّ (١)
كَأَنَّ بَقَايَا غُصْنٍ فَوْقَ رَأْسِهَا
طُلُوعُ رَوَاعِي الشَّيْبِ فِي الشَّرِّ الْجَمْدِ (٢)

وعمل أبياتاً بديهاً ، فتعجب أبو المثنى من سرعتها فقال :

أَتُنَكِّرُ مَا نَطَقْتُ بِهِ بِدِيهَا ، وَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ سَبَقَ الْجَوَادِ
أَرَاكِضُ مَعْرُصَاتِ الشَّرِّ قَسْرًا فَأَقْتُلُهَا وَغَيْرِي فِي الطَّرَادِ (٣)



هذا : والكأس مؤنثة ، قال الله تعالى « بكأس من معين يضاء » وقال أمية ابن الصلت :

مَارْغَبَةُ النَّفْسِ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ تَحْيَا قَلِيلاً فَلَمُوتٌ لَاحِقُهَا
يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غُرَرَاتِهِ بِوَاقِفُهَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا لِلْمُوتِ كَأْسٌ وَالْمَرَّةُ ذَاتُهَا (١)
وقيل : لا تسمى كأساً حتى يكون فيها الشراب .

(١) و (٢) رواعي : جمع راعية . وهو أول شجرة تبيض شيئاً . وروى الخوارزمي دواعي الشيب : يعني أوائله التي تدعو سائر الشعر إلى البياض . يقول : هذه البطيخة السوداء التي عليها لآلئ هي من الند . وكأن بقايا الغصن عليها أول الشيب في السواد ، يريد هي سوداء واللون أبيض ، فشب اللون بأول الشيب في الشعر الأسود . قال ابن جنى : الجعد الأسود لأن السواد أبداً يكون مع الجعودة . قال ابن فورجه : ليس كذلك لأن الزنج يشيون ولا تزول الجعودة ، وإنما آتى بالجعد للقافية .

(٣) أراكض : أطارد ، ومعوصات الشعر : أي عوصاته ، وهي التي لا يهتدى لوجهها والدبس : غسل التمر وعصارتها ؛ والرس : مصدر مرس التمر إذا دلكه في الماء حتى يتحات فيه .

(١) مات عبطة : أي شابا . وقيل : شابا صحيحاً

وقال يمدح كافوراً سنة ست وأربعين وثلاثمائة :

أَوْدٌ مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَا تَوَدُّهُ ، وَأَشْكُو إِلَيْهَا يَنْنَا وَهِيَ جُنْدُهُ ^(١)
يُبَاعِدُنْ حَبًّا يَجْتَمِعُنْ وَوَصْلُهُ فَكَيْفَ بِحَبِّ يَجْتَمِعُنْ وَصَدُّهُ ^(٢)
أَبَى خَلْقُ الدُّنْيَا حَبِيبًا تُدِيمُهُ فَمَا طَلَبِي مِنْهَا حَبِيبًا تَرُدُّهُ ^(٣)
وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغْيِيرًا تَكَلَّفُ شَيْءٌ فِي طِبَاعِكَ صِدُّهُ ^(٤)

يصف نفسه بسرعة الحاطر وقوة البادرة ، وشبه الشعر بالصيد . يقول : إنه يطارد العويس من الشعر قياً خذه قهراً ، وأما من عداه من الشعراء فباق في مطاردته لم يدرك شيئاً .
(١) بيننا : فراقنا . يقول : أحب من الأيام الإنصاف وأن تجمع بيني وبين أحبي ، وذلك ما لا توده الأيام ، وأشكو إليها فراقنا وإنما هي جند الفراق ، لأنها سبب البعد والتفريق ، فكيف أرجى أن تصنى إلى شكائي ؟

(٢) يباعدن : أي يبعدن ؟ والحب : المحبوب : ووصله : وصدته ؛ معطوفان على الضمير في يجتمعن دون أن يأتي بتوكيد ، وهو جائز عند الكوفيين — كما أسلفنا — وجعل الأيام تجتمع مع الوصل والصد لأنهما يكونان فيها ، والظرف يتضمن الفعل ، وإذا تضمنه فقد لا يسه : فكانه اجتمع معه . يقول : إذا كانت الأيام تبعد عنا الحبيب المواصل لنا فكيف تقرب الحبيب المقاطع ؟ يعني أن الأيام تبعد عنا الحبيب ووصله موجود ، فكيف الطمع في حبيب صده موجود ؟

(٣) قال الواحدى : أى أن الدنيا قد أبت أن تديم لنا حبياً على الوصال فكيف أطلب منها حبياً تمنعه عن وصالنا ؟ وكيف أطلب منها أن ترده إلى الوصل بعد أن أعرض وهر ؟ وهذا كما قيل لبعضهم : قد ظهر نبي يحيى الأموات ، فقال : ما تريد هذا ، بل زريد أن يترك الأحياء فلا يميتهم ، وعبرة بعض الشراح : أى أن الدنيا لا تديم الحبيب الحاضر ، فكيف ترد الحبيب الغائب وهى سبب غيبته ؟ وقال ابن جني : إذا كان مافى يدك لا يبقى عليك ، فما قد مضى أبعد من الرجوع إليك .

(٤) فعلت : نعت مفعول ، وتغيراً : تميز ، وتكلف : خبر أسرع . يقول : إن الدنيا لو أسعدتنا بقرب أحببتنا لما دام لنا ذلك لأن الدنيا بنيت على التغير والتقل ، فإذا فعلت غير ذلك كانت كمن تكلف شيئاً هو ضد طباعه ، فليس إلا أن يدعه وشيكاً ويعود إلى طبيعه ، كما قال حاتم :

رَعَى اللَّهُ عَيْسًا فَارْقَتْنَا وَفَوْقَهَا مَهَا كُلُّهَا يُؤَلَى بِجَفْنِيهِ خَدُّهُ^(١)
 بِوَادِيهِ مَا بِالْقُلُوبِ كَأَنَّهُ وَقَدْ رَحَلُوا جِيدٌ تَنَازَرَّ عِقْدُهُ^(٢)
 إِذَا سَارَتْ الْأَحْدَاجُ فَوْقَ نَبَاتِهِ تَفَاوَحَ مِنْكَ الْفَانِيَاتِ وَرَنْدُهُ^(٣)

وَمَنْ يَتَدَرَّعُ مَا لَيْسَ مِنْ خِيَمِ نَفْسِهِ يَدَّعُهُ وَتَرْجِعُهُ إِلَيْهِ الرَّوَاجِحُ
 ومثله قول الأعور الشني :

وَمَنْ يَقْتَرِفُ خُلُقًا سَوَى خُلُقِ نَفْسِهِ يَدَّعُهُ وَتَغْلِبُهُ عَلَيْهِ الطَّبَائِعُ
 وَأَدْوَمُ أَخْلَاقِ الْفَقِي مَا نَشَأَ بِهِ ، وَأَقْصَرُ أَفْعَالِ الرِّجَالِ الْبِدَائِعُ
 ومثله :

يَا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّي غَيْرَ شَيْئِهِ إِنْ التَّخَلَّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ

(١) العيس : الإبل ، والمها : بقر الوحش . تشبه بها النساء الحسان . ويؤلى - من الولى - وهو المطر الذي يلى الوسمى . يدعو للإبل التي حملت الحبايب وذهبت بهن ، ثم ذكر أنهن يكنن لأجل العراق فقال : كلها يولى - أى يطر - خده بجفنيه . جعل بكاءهن كالطر من جفونهن .

(٢) بواد : متعلق بفارقتنا - فى البيت السابق - والضمير فى رحلوا : لقوم الحبايب ، والجيد ، العنق ، يقول : فارقتنا بواد به من الوجد والوحشة لفراقهم ما بالقلوب : أى استوحش وتغير لارتحالهم ، فصار كأنه جيد تناثر عقده ، يعنى أن الوادى كان متزينا بهم فلما ارتحلوا تعطل من الزينة وعبارة ابن جنى : بقى الوادى مستوحشاً لرحيلهم عنه كالجيد إذا سقط عقده وبه ما بالقلوب : أى قد قتله الوجد لفقدهم . قال : ويجوز أن يكون شبه تفرق الحمولة والظن بدر تناثر فتفرق ؛ وقال ابن القطاع - بعد أن أورد كلام ابن جنى هذا - يصف زهر الوادى وحسنه فتعوض بالمطل من الحلى .

(٣) الأحداج : مراكب النساء فوق الإبل كالهواذج : جمع حدج ، وهو جمع قلة ، وجمع الكثرة حدوج ، وحدجت البعير أحدجه - بالكسر - حدجا : إذا شددت عليه الحدج . قال الاعشى :

أَلَا قُلْ لِمِثَاءَ مَا بَالُهَا أَلْبَيْنَ تَحْدَجُ أَحْمَالُهَا ؟
 [ويروى : أجمالها - بالجيم - أى تشد عليها]

وَجَالٍ كَلَاخِدَاهُنَّ رُمْتُ بُلُوغَهَا
وَمِنْ دُونِهَا غَوْلُ الطَّرِيقِ وَبُعْدُهُ^(١)

والوند : نبات من شجر البادية ، طيب الرائحة ، يشبه الآس . يقول : إذا سارت
مرا كبهن فوق نبات هذا الوادى وهو من الرند وهن قد تضحخن بالمسك - اختلطت
ريح الرند بريح المسك فتفواح الريحان ، قال ابن جنى : قال لى التنبى : لما قلت هذه القصيدة
وقلت : تفواح أخذ شعراء مصر هذه اللفظة فتداولوها بينهم قال ابن جنى : وهى لفظة
فصيحة مستحسنة . قال العكبرى : سألت شيخى بالحرم مكى بن ريان الماكسى عند قراءتى
عليه هذا الديوان سنة تسع وتسعين وخمسة : ما بال شعر التنبى فى كافور أجود من شعره
فى عضد الدولة وأبى الفضل ابن العميد ؟ فقال : كان التنبى يعمل الشعر للناس
لا للممدوح وكان أبو الفضل بن العميد وعضد الدولة فى بلاد خالية من الفضلاء ، وكان
بمصر جماعة من الفضلاء ، والشعراء ، فكان يعمل الشعر لأجلهم ، وكذلك
كان عند سيف الدولة بن حمدان جماعة من الفضلاء والأدباء ، فكان يعمل
الشعر لأجلهم ولا يبالى بالممدوح ، والدليل على هذا ما قال أبو الفتح - ابن جنى - عنه
فى قوله : تفواح ، لأنه لما قالها أنكرها عليه قوم حتى حققوها ، فدل أنه كان يعمل الشعر
الجيد لمن يكون بالمكان من الفضلاء .

(١) غول الطريق : ما يقول سالكه ؛ أى يهلكه إنضاء . يقول : ورب حال هى
فى الصعوبة والامتناع وتعذر النال كإحدى هؤلاء النسوة حاولت أن أبلغها ، وقبل
الوصول إليها بعد الطريق وما فيه من المهالك : يعنى أنه يطلب أحوال عظيمة . لا يقدر
على الوصول إليها كما أنه لا يقدر على الوصول إلى إحدى هؤلاء الفانيات . وقال ابن جنى
ويجوز أن تكون الحال حسنة كإحدى هؤلاء العوان فى الحسن . هذا : وإليك كلمة
على «رب» للعكبرى . قال : قوله وحال : أى ورب حال ؛ قال أصحابنا : واو رب تعمل
فى النكرة الحفص بنفسها : وإليه ذهب البرد : وقال البصريون : العمل لرب مقدرة ،
وحببتنا أنها نائبة عنها ، فلما نابت عملت الحفص بنفسها وكانت كواو انقسم لأنها نابت عن
الباء ؛ ويدل على أنها ليست خاطفة أن حرف العطف لا يجوز الابتداء به . ونحن نرى
الشاعر يتبدى بالواو فى أول القصيدة كقوله :

* وَبَلَدَ لَيْسَ بِهَا أُنَيْسُ *

وَأَتَعَبُ خَلْقَ اللَّهِ مِنْ زَادِ هِمَّتِهِ ، وَقَصَرَ عَمَّا تَشْتَبَى النَّفْسُ وَجْدَهُ (١)
فَلَا يَنْحَلِلُ فِي الْمَجْدِ مَالُكَ كُلُّهُ فَيَنْحَلَّ بِمَجْدٍ كَأَنَّ بِالْمَالِ عَقْدَهُ (٢)
وَدَبَّرَهُ تَذْيِيرَ الَّذِي الْمَجْدُ كَفَّهُ إِذَا حَارَبَ الْأَعْدَاءَ وَالْمَالُ زَنْدَهُ (٣)

ومثله كثير ، يدل على أنها ليست عاطفة ، وحجة البصريين على أن الواو واو عطف وحرف العطف لا يعمل شيئاً ، أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصاً ، وحرف العطف غير مختص ، فوجب أن يكون عاملاً ، وإذا لم يكن عاملاً وجب أن العامل «رب» مقدرة . ويدل على أن رب مضمرة أنه يجوز ظهورها معها نحو ورب بلدة .

(١) الهم : الهمة ، والوجد : السعة . قال الواحدى : هذا مثل ضربه لنفسه كأنه يقول أنا أتعب خلق الله لزيادة همى وقصور طاقى من الغنى عن مبلغ ما أم به ، وهذا مأخوذ مما فى الحديث : إن بعض العقلاء سئل عن أسوء الناس حالاً ؟ فقال : من قويت شهوته وبعدت همته واتسعت معرفته وضائق مقدرته ، وقد قال الخليل بن أحمد :

رُزِقْتُ بُبَاً وَلَمْ أُرْزَقْ مُرُوءَةً وَمَا الْمُرُوءَةُ إِلَّا كَثْرَةُ الْمَالِ
إِذَا أُرِدْتُ مُسَامَاةً تَقَاعَدَ بِي عَمَّا يُنَوِّهُ بِأَنْبِي رِقَّةُ الْحَالِ

(٢) هذا نهى عن تبذير المال والإسراف فى إنفاقه ، يقول : لا يذهبن مالك كله فى طلب المجد ، لأن من المجد مالا ينعقد إلا بالمال ، فإذا ذهب مالك كله انحل ذلك المجد الذى كان ينعقد بالمال ، قال عبد الله بن معاوية :

أَرَى نَفْسِي تَتَوَقُّ إِلَى أَوْرِ يُقْصَرُ دُونَ مَبْلَغِهِن مَالِي
فَلَا نَفْسِي تُطَاوِعُنِي لِيَجْلِي ، وَلَا مَالِي يَبْلُغُنِي فَعَالِي

يتأسف على قصور ماله عن مبلغ مراده ، وأبو الطيب يقول : ينبى أن تقتصد فى العطاء وتدخر المال لتطيعك الرجال فتنال العلى وتصل إلى الشرف ، ثم ضرب لهذا مثلاً بالبيت التالى .

(٣) يقول : دبر مالك تدير من إذا خاض الوغى للطعان والزال جعل المجد بمثابة الساعد الذى تعتمد عليه الكف فى الضرب ، يعنى أنه بالمجد تقاد الجيوش ، وبالمال ينفق عليها ، فالمجد والمال كلاهما متوقف على الآخر ، كما أبان عن ذلك فى البيت التالى ،

فَلَا تَجِدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ ، وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ تَجِدُهُ
وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ
وَمَزْكُوبُهُ رِجْلَاهُ وَالنُّوبُ جِلْدُهُ (١)
وَلَكِنْ قَلْبًا بَيْنَ جَنَبَيْ مَالِهِ مَدَى يَنْتَهِي بِي فِي مُرَادٍ أَحَدُهُ (٢)
يَرَى جِسْمَهُ يُكْسَى شُفُوفًا تَرَبُّهُ فَيَخْتَارُ أَنْ يُكْسَى دُرُوعًا تَهْدُهُ (٣)
يُكَلِّفُنِي التَّهْجِيرَ فِي كُلِّ مَهْمَةٍ عَلَيَّ مَرَاعِيهِ وَزَادِي رُبْدُهُ (٤)
وَأَمْضَى سِلَاحَ قَلْدِ الْمَرْءِ نَفْسُهُ
رَجَاءَهُ أَبِي الْمَسْكِ الْكَرِيمِ وَقَصْدُهُ (٥)

(١) يقول : في الناس من هودنيء الهمة يرضى بما تيسر له من العيش وبالهدون منه ويمشى على قدميه عارياً ، فلا تسمو نفسه إلى ما وراء ذلك من الثراء والعلاء . واليسور : ما تيسر . وهو من المصادر التي جاءت على مفعول .

(٢) يقول : لكن لي قلباً ليس له غاية تنتهي عند مطلوب أجعل له حداً ، يعني أنني إذا جعلت حداً لطلوبي لا يرضى قلبي بذلك بل يطلب ما وراءه .

(٣) الشفوف : جمع شف ، وهو الثوب الرقيق ، وتربه : تنميه وتنعمه . يقول : إن قلبي هذا يرى الجسم الذي هو فيه يترفه متمتعاً بلبس الثياب الرقيقة فيأبى ذلك ويؤثر عليه أن يكسى دروعاً تهده بشقلها ، يعني أنه لا يرضى بالترف والنعيم وهو مغموور ويأبى إلا ركوب الصعاب في سبيل المجد والسيادة .

(٤) التهجير : السير وقت الهجرة ، وهي حر نصف النهار والمهمة : الفلاة الواسعة؛ والربد : النعام الذي خالط سواده يباح . يقول : إن قلبي يكلفني التهجير والسير في كل فلاة بعيدة مترامية الأطراف ينفد فيها مامى من العليق والزاد فلا عليق لفرسى إلا أن يرتع في مراعيها ولا زاد لي إلا النعام أصيد فأكله .

(٥) يقول : وأمضى سلاح قلد المرء نفسه إياها مقاومة النوائب هو رجاءه أبا المسك وقصده إياه ، يعني أن رجاءه كافوراً وقصده إياه هما اللذان هونا عليه مشقات الطريق وأخطاره فكأنه قاتل بهما هذه الأخطار والخاوف : فقوله : أمضى مبتدأ ، خبره رجاء ؛ ونفسه : مفعول أول لقلد ؛ والثاني : محذوف ، أى قلد نفسه إياه : وهذا المختص من أحسن المختص

هُمَا نَاصِرَا مَنْ خَانَهُ كُلُّ نَاصِرٍ وَأُسْرَةُ مَنْ لَمْ يُكْثِرِ النَّسْلَ جَدُّهُ^(١)
 أَنَا الْيَوْمَ مِنْ غِلْمَانِهِ فِي عَشِيرَةٍ لَنَا وَالِدٌ مِنْهُ يُغْذِيهِ وَلَدُهُ^(٢)
 فَمِنْ مَالِهِ مَالُ الْكَبِيرِ وَنَفْسُهُ ، وَمِنْ مَالِهِ دَرُّ الصَّغِيرِ وَمَهْدُهُ^(٣)
 نَجَرُهُ الْقَنَا ائْطَلَى حَوْلَ قَبَائِهِ ، وَتَرَدَّى بِنَا قُبُ الرِّبَاطِ وَجُرْدُهُ^(٤)
 وَنَمْتَحِنُ النَّشَابَ فِي كُلِّ وَابِلٍ دَوَى الْقِسَى الْفَارِسِيَّةِ رَغْدُهُ^(٥)

(١) أسرة الرجل أهله الأدنون يقول إن جاء كافور وقصده ، هما ينصران على الزمان من خذله أنصاره فأصبح بغير ناصر ، وهما عشيرة من لا عشيرة له ، بهما يميز فيغنيانه عن العشيرة .

(٢) الولد - بالضم - بمعنى الولد - بالفتح - يقع على الواحد والجمع قال الشاعر :
 فَلَيْتَ فُلَانًا كَانَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَلَيْتَ فُلَانًا كَانَ وَلَدَ حِمَارٍ
 يقول : إن كافوراً وهب له غلماناً وأنه منهم في عشيرة ، إذ يحفون به ويركبون معه ، وكافور له ولم كالوالد وهم له كالأولاد البررة يحدونه بأنفسهم .

(٣) الدر : اللبن يقول : إن بره عم الكبير والصغير ، فالذي يملكه الكبير حتى نفسه - أى حياته - من ماله ، لأنه إنما يغذى بنعائه ؛ ومهد الصغير واللبن الذي يرتضعه كذلك من ماله ، وكل ذلك لأنه ملك عظيم له الأمر والتصرف في كل شيء . وقال ابن جني : يهب للناس أنفسهم كما يهب لهم المال ، لأنه مالك الجميع : كبيرهم وصغيرهم .

(٤) القنا : الرماح ؛ والخطى : نسبة إلى الخط ، وهو موضع بالجماعة تقوم فيه الرماح وقباها : خيامه . وتردى - من الرديان - وهو ضرب من العدو . والقب : الضامة البطون ، جمع أقب ؛ والرباط : اسم لجماعة الخيل ؛ والجرد : القصار الشعر . يقول تقوم - بمعنى نفسه ومن معه من الغلمان - في خدمته أينما نزل ونصبت خيامه ، وتعدو بنا الخيل في صحبته أينما سار . وقوله وجرده : وحد الضمير ولم يقل وجردها لأن الرباط اسم واحد غير متكرر بمنزلة القوم والرهط .

(٥) نمتنح : نخبر ، والنشاب : السهام . والوابل : المطر الغزير : والقسى الفارسية أى للنسوبة إلى فارس ، يريد صنعة الصم . يقول : ونمتحن بين يديه الترابي بالسهام وننحن منها في مثل الوابل لكثرتها ، وأصوات القسى في ذلك الوابل كالرعد : بمعنى أنهم يترامون

فَلَا تَكُنْ مِصْرُ الشَّرَى أَوْ عَرِينَهُ

فَإِنَّ الَّذِي فِيهَا مِنَ النَّاسِ أَسَدُهُ^(١)
 سَبَائِكُ كَافُورٍ وَعَقِيَانُهُ الَّذِي بِصَمِّ الْقَنَا لَا يَصَالُ أَيْعُ نَقْدُهُ^(٢)
 بَلَاهَا حَوَالِيهِ الْعَدُوُّ وَغَيْرُهُ وَجَرَبَهَا هَزَلُ الطَّرَادِ وَجِدُهُ^(٣)
 أَبُو الْمِسْكِ لَا يَفْنَى بِذَنْبِكَ عَفْوُهُ وَلَكِنَّهُ يَفْنَى بِعُذْرِكَ حِقْدُهُ^(٤)
 فَيَا أَيُّهَا الْمَنْصُورُ بِالْجِدِّ سَعِيهِ وَيَا أَيُّهَا الْمَنْصُورُ بِالسَّيِّئِ جَدُّهُ^(٥)

بالسهم ويتلاعبون بالأسلحة ليتبين أيهم أشد وأبعد غلوة عند الرماء ، كمادة الفرسان والشبان في الحرب .

(١) الترى : الموضع الكثير الأسد ، وأصله مأسدة بجبل سلمى من بلاد طيء ؛ والعرين : الأجمة . وقوله : فَإِنَّ الَّذِي . رواها ابن جني : فَإِنَّ الْقَى ، قال : لانه أراد الفتنة والجماعة . ولكن رواية الذي : أجود وأشهر . يقول : إن لم تكن مصر هي الشرى ولا عرينه ، فإن الناس الذين فيها هم أسود الشرى ، فالضمير في أسده : للشرى .

(٢) السبائك : جمع سبيكة ، وهي القطعة من فضة أو ذهب ذوبت وأفرغت في قالب ؛ والعقيان : الذهب . وصم القنا : أى الرماح الصلبة يقول : هؤلاء الناس - الذين ذكرهم - هم ذخائر كافور وعدته في مطالبه . فهم له بمنزلة السبائك والذهب لغيره ، ولما جعلهم سبائك وعقيان ذكر أنه اتقدم بالرماح - لا بالأصابع كما ينتقد الذهب - أى أنه امتحنهم بطعان الفرسان ، واصطفاهم بعد أن أبلوا في الحرب .

(٣) بلاها ؛ اختبرها ، وهزل الطراد : مردود إلى قوله وغيره ، وجده إلى العدو على طريق النشر الغير للرتب ، يقول : اختبرها الأعداء في الحرب حوالى كافور ، لكثرة ما حاربوا أعداءه . وشهدوا معه المعارك فصاروا مجريين بكثرة القتال ، واختبرها غير العدو في أوقات لعب الفرسان حين يطارد بعضهم بعضا : أى جربت في حالتي الجد والهزل وتمرست بالقتال في سائر الأحوال .

(٤) يقول : إنه كثير العفو ، وإن عفوه أكثر من ذنب المذنبين ، وإنه ليس بمحقود وإذا اعتذر إليه الجاني ذهب حقه .

(٥) الجد - هنا - السعد . يقول : إن السعى والسعادة قد اجتماعا له ، فإذا سعى فى أمر نصر السعد سعيه فيصير مجدودا فى ذلك السعى ويدرك ما يريد من سعيه ، وإذا

تَوَلَّى الصَّبَا عَنِّي فَأَخْلَفْتَ طَيْبَهُ ، وَمَا ضَرَرَنِي لِمَا رَأَيْتُكَ فَقَدُهُ ^(١)
لَقَدْ شَبَّ فِي هَذَا الزَّمَانِ كَهْوَلُهُ لَدَيْكَ وَشَابَتْ عِنْدَ غَيْرِكَ مُرْدُهُ ^(٢)
أَلَا لَيْتَ يَوْمَ السَّيْرِ يُخْبِرُ حَرَّهُ فَتَسْأَلُهُ وَاللَّيْلُ يُخْبِرُ بَرْدَهُ ^(٣)
وَلَيْتَكَ تَرَعَانِي وَحَيْرَانُ مُعْرِضٌ فَتَعْلَمَ أُنَى مِنْ حُسَامِكَ حَدَّهُ ^(٤)

حزفته السعادة إلى نيل مطلوب نهض إليه بسعيه ولم يعتمد على السعد وحده ، وإذا اجتمع السعد والسعي لإنسان بلغ أقصى المبالغ .

(١) تولى : ولى ، وفقده فاعل ضر . يقول : ولى الصبا عنى وذهب ، فأخلفت على طيبه : أى جعلت له خلفا بما أجد من طيب أيامى عندك ، يعنى أنى مبتهيج بك ابتهاجى بالشباب حتى لم يضرنى فقده مع رؤيتك .

(٢) هذا تأكيد لما ذكره فى البيت السابق : يقول : إن الكهول بما يلاقونه فى ذراك من رغد العيش وبشاشة الحياة ونور العدل صاروا شبابا والرد عند غيرك صاروا شيئا لما يلاقون من البؤس وجهد الحياة وظلمة الظلم . وقال ابن جنى : هذا تعريض بسيف الدولة ، أى صاروا عند غيرك بظلمه وسوء سيرته شيئا . ويجوز أن يكون هذا من للقلوب هجوا . يريد أن الكهول عندك لما ينالهم من النذل والظلم والاحتقار كحال الصبيان ، وأن للرد - وهم الشبان عند غيرك بالاحترام لهم ورفع أقدارهم - صاروا شيئا : أى موقرين توقير الشيوخ .

(٣) يذكر أنه قال فى مسيره إليه حر النهار وبرد الليل يقول : ليهما يخبران فتسألها عما قاسيت . هذا وقوله : والليل عطف على يوم وحره فاعل يخبر وكذا برده . وقوله فتسأله : نصبه ، لأنه جواب التخي . وقال العكبرى - لمناسبة حر النهار وبرد الليل - وهذا يكون فى أواخر أيام الصيف وأوائل الخريف لأن النهار يكون كرابا والليل بارداً . قال : وما أحسن ما جمع بعضهم الفصول الأربعة فقال :

إِذَا كَانَ يُؤْذِيكَ حَرُّ الصَّيْفِ وَكَرَبُ الْخَرِيفِ وَبَرْدُ الشِّتَا
وَيُلْهِيكُ حُسْنُ زَمَانِ الرَّبِيعِ فَعَمَلُكَ لِلْخَيْرِ قُلْ لِي مَتَى
(٤) ترعانى - هنا - بمعنى ترانى وتراقبى ؛ وحيران : ماء بالشام على يوم من سلية ومعرض : أى ظاهر ، من أعرض الشيء : بدا للنظر ، ومنه :

وَأَعْرَضَتِ الْيَمَامَةُ وَاشْمَخَرَتْ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُضِلِّتِنَا

وَأَنْتِ إِذَا بَاشَرْتُ أَمْرًا أُرِيدُهُ تَدَانَتْ أَقَاصِيدُ وَهَانَ أَشَدُّهُ^(١)
وَمَا زَالَ أَهْلُ الدَّهْرِ يَشْتَبِهُونَ لِي إِلَيْكَ فَلَمَّا لَحْتُ لِي لَاحَ فِرْدُؤُهُ^(٢)
يُقَالُ إِذَا أَبْصَرْتُ جَيْشًا وَرَبَّهُ أَمَامَكَ رَبُّ رَبِّ ذَا الْجَيْشِ عَبْدُهُ^(٣)
وَأَلْقَى الْقَمَمَ الضَّحَاكَ أَعْلَمُ أَنَّهُ قَرِيبٌ بِذِي الْكَفِّ الْمُنْدَادِ عَهْدُهُ^(٤)
فَزَارَكَ مِنِّي مَنْ إِلَيْكَ اشْتِيَاقُهُ

وَفِي النَّاسِ إِلَّا فِيكَ وَخُذَكَ زُهْدُهُ^(٥)

يُخَلِّفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ دَارَكَ غَايَةً ، وَيَأْتِي فَيَدْرِي أَنَّ ذَلِكَ جُهْدُهُ^(٦)

يقول : ليتك كنت تراني وأنا عند هذا الماء فترى جلدي وإشاحتي في السير فتعلم
أنى ماض في الامور مضاء حد سيفك .

(١) يصف نفسه بالجلد والشجاعة والإقدام . يقول : إنه إذا حاول أمرا تدانت
أباعده وهان أصعبه لعزمه وبعد همته .

(٢) يشتهون : يتشابهون ، ولى : متعلق ييشتهون . وإليك : متعلق بمحذوف حال
من ضمير التكملم قبله : أى وأنا قاصد إليك . يقول : ما زال أهل الدهر يشابهون
عندى فى مسيرى إليك ، فلا أكاد أرى بينهم فرقا حتى ظهرت لى ، فإذا أنت فردهم
الذى لا يشبهه أحد منهم وهذا كقولهم :

* الناس ما لم يروك أشباهه *

(٣) يقول : إذا رأيت جيشا وملكة فاستعظمته قيل لى : قدأمك ملك هذا الملك
الذى تراه عبده فكيف هو ؟ . قال الواحدى : وهذا كالتفسير للبيت السابق فالذين
رآهم هم الذين اشتبهوا له والذى قيل له : رب هذا الجيش عبده ، هو الفرد الذى لاح له .
(٤) يقول : إذا لقيت إنسانا ضاحكا علمت أنه قريب عهده بكفك وأخذه عطاءك

فأنتى عنك مسرورا . فقوله بذى الكف . أى بهذه الكف وهى متعلقة بعهده ؛
وقريب : خبر مقدم ، وعهده : مبتدأ مؤخر ، وعبرة ابن جنى : لما قبل كفك كسته
الضحك لبركتها وسعادة من يصل إليها لأنك أغنيته فكثير ضحكك .

(٥) من نكرة موصوفة والجملة بعدها نعت لها ، أى زارك منى رجل اشتياقه كله
إليك أنت — يعنى نفسه من باب التجريد — وزهده فى الناس كلهم إلا فىك وحدك
يعنى أنه زاهد فى قصد سواه .

(٦) يخلف : أى يترك خلفه ؛ والجهد : الطاقة والوسع . يقول : إن دار المدوح

فَإِنْ نِلْتُ مَا أَمَلْتُ مِنْكَ فَرُبَّمَا شَرِبْتُ بِمَاءٍ يُعْجِزُ الطَّيْرَ وَرِدُّهُ^(١)
وَوَعْدُكَ فِعْلٌ قَبْلَ وَعْدٍ لِأَنَّهُ
نَظِيرُ فَعَالٍ الصَّادِقِ الْقَوْلِ وَعْدُهُ^(٢)
فَكُنْ فِي أَصْطِنَاعِي مُخْسِنًا كَمُجَرَّبٍ
يَبِينُ لَكَ تَقَرُّبُ الْجَوَادِ وَشَدُّهُ^(٣)

هى غاية القصاد ومنتهى المتجعين ، فمن لم يأتها فقد ترك وراءه غاية لم يدركها ، فإذا
أناها علم أنه قد بلغ جهده الذى لاجهد بعده كما قال :

هى الغرض الأقصى وَرَوَيْتُكَ الْمُنَى

وعبارة المكبرى : غاية كل طالب مرتبة دارك ونهاية ما يأتيه مكتسب المجد ، أن
يقصدك . فمن لم يأت دارك فقد خلف غاية إذا أناها علم أن ذلك جهده فى ابتناء المجد
واكتساب المال .

(١) بماء : أى من ماء ، والورد : إتيان الماء . يقول : إن بلغت أملى فيك فلا أعجب
فكم بلغت الممتع الذى لا يدرك من الأمور ، وجعل الماء الذى لا يرد الطير مثلاً للمتبع
من الأمور . قال الواحدى : وإنما ضرب هذا المثل لأمله فيه لبعده الطريق إليه . قال ابن
ابن جنى : يمكن أن يقلب هذا هجاء ، ومعناه إن أخذت منك شيئاً على بخلك وامتناعك
من العطاء ، فكم قد وصلت إلى المستعصبات واستخرجت الأشياء المتعصاة ؟ ولعل التبي
يشير بما أمله منه إلى ما كان يطلبه من تفويض ولاية إليه ، وكان كافور قد وعده بذلك حياء
منه وهو لا يريد ، وقد سئل فى ذلك يوماً فقال : يا قوم إذا أعطينا من ادعى النبوة ولاية ، أفلا
ترونها يدعى الملك ؟ فقال أبو الطيب ذلك . يشير إلى بعد هذا للأموال وصعوبة نيله .

(٢) الضمير — فى لأنه : ضمير الشأن . وعده — فى آخر البيت — مبتدأ
مؤخر . ونظير : خبر مقدم . والفعال — هنا — الفعل . يقول : إن وعدك بمثابة
الفعل الذى يقع دون أن يتقدمه وعد لأن من كان صادق القول لا يرجع عن وعده .
فوعده نظير فعله : أى أنه إذا وعد ، فكأنه قد فعل .

(٣) اصطنعه : اختاره موضعاً لصنيعته : أى بره ومعروفه . والتقريب والشد :
ضربان من جرى الخيل . قال ابن جنى : أى جربنى ليظهر لك صغير أمرى وكبيره ؟

إِذَا كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنَ السَّيْفِ فَأَبْلُهُ
 فَأَيُّمَا تُنْفِيهِ وَإِمَّا تُعِدُّهُ (١)
 وَمَا الصَّارِمُ الْهِنْدِيُّ إِلَّا كَغَيْرِهِ إِذَا لَمْ يُفَارِقْهُ النَّجَادُ وَغَدُّهُ (٢)
 وَإِنَّكَ لَلشَّكُورُ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْبَشَاشَةُ رِفْدُهُ (٣)
 فَكُلُّ نَوَالٍ كَانَ أَوْ هُوَ كَانَ
 فَلَحْظَةُ طَرْفٍ مِنْكَ عِنْدِي نِدُّهُ (٤)
 وَإِنِّي لِنِي بِمَجْرِ مِنْ أَخْذِهِ أَصْلُهُ عَطَايَاكَ أَرْجُو مَدَهَا وَهِيَ مَدُّهُ (٥)

فإما اصطعنتي وإما رفضتني ، فلا فضل بيني وبين غيره إذا لم تجربني . وقال الواحدى :
 جربني في اصطناعك إياي ليتبين لك أنى موضع للصنعة ، فبالجربة يعرف الفرس
 وأنواع جريه من التقريب والشد .

(١) فأبله : فاختبره . ويقال نفاه ؛ ونفاه : غففا ومشددا . وهذا مثل في معنى
 البيت السابق . يقول : إذا جربت السيف بأن لك صلاحه وفساده ، فأما ألقيته لأنه
 كهام ، وإما أعددته للحرب لأنه حسام : يعنى جربني فإن وجدتني أهلا لما شئت فاصطنعني
 وإلا فارفضني .

(٢) الصارم : السيف القاطع . والنجاد : حمالة السيف . وهذا تأكيد لما ذكره
 في البيتين السابقين ، يقول : إن السيف القاطع الهندي لا يظهر فضله على غيره من
 السيوف حتى يسلب ويضرب به ، وبذلك يعرف مضاه . وقد قلنا : إن التنبي كان يطلب
 من كافور ولاية ، فهو يقول له : جربني لتعرف ما عندى من الكفاية ، وأنى أصلح لأن
 أكون واليا ، وهذا من قول أبي تمام :

لَمَّا انتَضَيْتُكَ لِلخَطُوبِ كَفَيْتَهَا وَالسِّيفَ لَا يَكْفِيكَ حَتَّى يُنْتَضَى

(٣) للشكور ، اللام فيه للتوكيد ، والرفد : العطاء . والضمير فيه : يرجع إلى المشكور
 يقول : أنت مشكور من جهتي على كل حال وإن لم ألق منك إلا بشاشة وجهك وطلاقة
 (٤) النوال : العطاء ، والطرف : العين ، ونده : نظيره . يقول : نظرك إلى نظير
 كل عطاء منك أخذته أو سأخذه : أى أن نظرة منك لى تقوم مقام عطائك .

(٥) أصله عطايك : مبتدأ وخبر : ولد : زيادة الماء ، وهو ما قابل الجزر . يريد كثرة

(٩ — المتنبي ٢)

وَمَا رَغْبَتِي فِي عَسَجِدٍ أَسْتَفِيدُهُ وَلَكِنَّهَا فِي مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُهُ^(١)
يَجُودُ بِهِ مَنْ يَفْضَحُ الْجُودَ جُودُهُ
وَيَحْمَدُهُ مَنْ يَفْضَحُ الْحَمْدَ حَمْدُهُ^(٢)
فَإِنَّكَ مَا مَرَّ النَّحُوسُ بِكَوْكَبٍ ، وَقَابَلَتْهُ إِلَّا وَوَجْهَكَ سَعْدُهُ^(٣)

ما يصل إليه من البر والصلوات . يقول : أنا في بحر من الخير ، وأصل هذا البحر عطايك ، وأنا أرجو زيادة عطايك ، فإنها زيادة ذلك البحر ، وهي مادته .
(١) المسجد : الذهب . يقول : لست أرغب من جهتك في ذهب ومال ، ولكن في غر جديد — يعنى الولاية — وهذا كقوله الآتى :

فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَعَالَى وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ
وفي هذا المعنى يقول المهلبى :

يَا ذَا الْيَمِينِ لَمْ أَرْزُكَ وَلَمْ أَصْحَبْكَ مِنْ خَلَةٍ وَلَا عَدَمٍ
زَارَكَ بِي هِمَّةٌ مَنَازِعَةٌ إِلَى جَسِيمٍ مِنْ غَايَةِ الْهِمَمِ

ومثله :

لَمْ تَزِرْنِي أَبَا عَلَى سِنُو الْجَدِّ بٍ وَعِنْدِي مِنَ الْكَفَافِ فَضُولُ
غَيْرِ أُنَى بَاغٍ جَلِيلًا مِنَ الْأَمْرِ وَعِنْدَ الْجَلِيلِ يُبْنَى الْجَلِيلُ
وقال ابن الزيات :

لَمْ أُمْتَدِّحْكَ رَجَاءَ الْمَالِ أَطْلُبُهُ لَكِنْ لَتَلْبَسَتِي التَّجْمِيلَ وَالْفُرَارَا
ويقول أبو تمام
وَمَنْ خَدَمَ الْأَقْوَامَ يَرْجُو نَوَالَهُمْ فَإِنِّي لَمْ أَخْدُمْكَ إِلَّا لِأَخْدَمَا
ويقول أيضا :

يَا رِبَمَا رَفَعَةً قَدْ كُنْتَ أَمَلَهَا لَدَيْكَ لِافِضَّةٍ أَبْنَى وَلَا ذَهَبَا
(٢) يجود به : أى بالفخر . يقول : تجود به أنت ، وجودك فاضح لجود غيرك
زيادته عليه ، وأحمدك عليه أنا ، وحمدى يفضح حمد غيرى لأنه فوقه
(٣) يقول : إذا مرت النحوس بكوكب وقابلته بوجهك زال النحس عنه وحل محله
السعد : يعنى أنك تسعد النحوس . وتطرده البوس ، وهذا كما يقول أبو تمام :

واتصل قوم من الفلمان بابن الأخشيد مولى كافور وأرادوا أن يفسدوا الأمر
لـ كافور فطالبه بتسليمهم إليه فسلمهم بعد أن امتنع من ذلك مُدْبِدَةً مما سبب
بنيها وحشة ، وبعد أن تسلمهم كافور أقام في النيل ثم اصطالحا فقال :

حَسَمَ الصِّلْحُ مَا أَشْتَهَتْهُ الْأَعَادِي وَأَذَاعَتْهُ أَلْسُنُ الْحَسَادِ^(١)
وَأَرَادَتْهُ أَنْفُسُ حَالٍ تَذِيرُكَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمُرَادِ^(٢)
صَارَ مَا أَوْضَعَ الْمُخْبُونَ فِيهِ مِنْ حِتَابٍ زِيَادَةً فِي الْوَدَادِ^(٣)
وَكَلَامُ الْوُشَاةِ لَيْسَ عَلَى الْأَخْبَابِ سُلْطَانُهُ عَلَى الْأَضْدَادِ^(٤)
إِنَّمَا تُنْجِحُ الْمَقَالَةَ فِي الْمَرِّ إِذَا صَادَفَتْ هَوًى فِي الْفُؤَادِ^(٥)

تَلَقَّى السُّعُودَ بِوَجْهِهِ وَتَجَبَّبَ^(١) وَعَلَيْكَ مَسْحَةٌ بِنَفْسِهِ فَتُحَبَّبُ^(١)

(١) يقول : انتهى الأعداء أن يهيج بينكما شر ، وأذاع الحساد ذلك ، ولكن
الصلح حسم — أي قطع — ما اشتبهوه وأذاعوه .

(٢) يقول : وحسم الصلح ما أرادته أنفس حمز تديرك بينهم وبين ما أرادوه من إثارة
الشر فإ — من قوله ما بينها — زائدة ؛ وحال : اعترض .

(٣) أوضع الراكب بعيره : إذا حثه على السير السريع . والمخبون : الذين يحملون
مطيم على الحجب ، وهو ضرب من العدو ؛ ومن عتاب : بيان لما . يقول : صار سعى
من سعى بينكما في الفساد زيادة في الوداد ، لأن الود بعد العتاب أصفى ، وهذا المعنى
قريب من قول أبي نواس :

كَأَنَّمَا أَتُّنُوا وَلَمْ يَعْلَمُوا عَلَيْكَ عِنْدِي بِالَّذِي عَابُوا

(٤) على الأحباب : في موضع نصب خبرا لليس : واسمها : مستتر يعود على كلام .
وسلطانه على الأضداد : جملة استثنائية مبتدأ وخبر ؛ ولك أن تجعل سلطانه : اسم ليس
وعلى الأضداد : صلة سلطان ؛ وتقدير الكلام : وكلام الوشاة ليس له على الاحباب
السلطان الذي له على الأضداد . ومعنى البيت : إن كلام الوشاة لا يؤثر في الأجابة ،
إنما يؤثر في الأعداء .

(٥) يقول : إنما يبلغ القول النجاح إذا سمعه من يوافق هواه ذلك القول ، وكان
هذا تبرئة لابن مولاه من موافقة قلبه كلام الوشاة .

(١) يقول : إذا أتيت هذا المدوح تسعد برؤيته وتصير محبوبا عند الناس بإقباله
عليك وإن كنت بغيضا لديهم من قبل ؛ وفي رواية : ونجبه .

وَلَعَمْرِي لَقَدْ هُرْزَتْ بِمَا قِيلَ فَأَلْفَيْتَ أَوْثَقَ الْأَطْوَادِ (١)
وَأَشَارْتَ بِمَا أُبْنِيتَ رَجَالَهُ كُنْتَ أَهْدَى مِنْهَا إِلَى الْإِرْشَادِ (٢)
قَدْ يُصِيبُ الْفَتَى الْمَشِيرُ وَلَمْ يَجْهَدْ وَيُسْوِ الصَّوَابَ بَعْدَ اجْتِهَادِ (٣)
نِلْتَ مَا لَا يُنَالُ بِالْبَيْضِ وَالسَّمْرِ وَصُنْتَ الْأَرْوَاحَ فِي الْأَجْسَادِ (٤)
وَقَنَا الْخُلُطَ فِي مَرَكَزِهَا حَوْزَ لَكَ وَالْمَرْهَفَاتُ فِي الْأَنْعَمَادِ (٥)
مَا دَرَوْا إِذْ رَأَوْا فُؤَادَكَ فِيهِمْ سَاكِناً أَنْ رَأَيْهِ فِي الطَّرَادِ (٦)

(١) ألفت : أى وجدت ؛ وأوثق : أقوى ؛ والأطواد : الجبال . يقول : لقد حركت إلى الشر بما نقل إليك من الوشائات ، فكنت كأقوى الجبال : أى لم يؤثر فيك قول الوشاة الساعين بالخمعة ، يريدون بذلك الفساد .
(٢) يقول : أشار عليك قوم بالشقاق والخلاف فأبيت ذلك ، لأنك لم تجده من الرشاد ، وإنما وجدت الرشاد فى الأناة والمسالة ، وبذلك أرشدتهم إلى ما هو خير مما أشاروا به عليك ، فكنت أعرف منهم بما هو الأصلح ؛
(٣) أشوى يشوى : إذا أخطأ ، ورماه فأشواه : إذا لم يصب للمقتل .
قال الهذلى :

فَإِنْ مِنَ الْقَوْلِ التِّى لَأَشْوَى لَهَا إِذَا زَلَّ عَنْ ظَهْرِ اللِّسَانِ انْفِلَاحُهَا (١)

يقول : قد يصيب المشير الذى لم يجتهد فى مشورته ، وقد يخطئ المجتهد فى مشورته بعد الاجتهاد ، يعنى أن الذين أعملوا الرأى قد أخطأوا حين أشاروا عليك بإظهار الخلاف ، وأنت أصبت الرأى عفوا حين ملت إلى الصلح والمسالة ، فكان رأيك أرشد وأسد من رأيهم .

(٤) البيض : السيوف ، والسمر : الرماح . يقول : أدركت بالصلح مالا يدرك بالسيوف والرماح وحفظت الأرواح فلم ترق دما ولم تقتل نفساً وذلك أنه صالحه على أن يسلمه الساعين ففعل وقتلهم كافور .

(٥) القنا : الرماح ؛ والخط : موضع تنسب إليه الرماح . وحوالك حال من مراكرها ، والمرهفات : السيوف المهددة . يقول : وصلت إلى مرادك والرماح مركوزة لم تتحرك للطعن ، والسيوف مغمدة لم تسل للضرب .

(٦) يقول : لم يعلم الناس حين رأوك ساكن القلب أنك تطارد برأيك وتعمل على طلب الصواب حتى أدركته .

(١) يقول : إن من القول كلمة لا تشوى ولكن تقتل .

- فَقَدَىٰ رَأْيِكَ الَّذِي لَمْ تُفْذِهِ كُلُّ رَأْيٍ مُّسْتَفَادٍ ^(١)
وَأِذَا الْحِلْمُ لَمْ يَكُنْ فِي طِبَاعٍ لَمْ يُحَلِّمْ تَقَادُّمُ الْمِيلَادِ ^(٢)
فَبِهَذَا وَمِثْلِهِ سُدَّتْ يَا كَا فُورُ وَاقْتَدَتْ كُلَّ صَغْبِ الْقِيَادِ ^(٣)
وَأَطَاعَ الَّذِي أَطَاعَكَ وَالطَّا عَةُ لَيْسَتْ خَلَائِقِ الْأَسَادِ ^(٤)
إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالْأَبُ الْقَا طِعُ أَحَقُّ مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ ^(٥)
لَا عَدَا الشَّرُّ مَنْ بَنَى لَكُمْ الشَّرَّ
وَخَصَّ الْفَسَادُ أَهْلَ الْفَسَادِ ^(٦)
أَنْتُمَا مَا اتَّفَقْتُمَا الْجَنَسُ وَالرُّوْحُ فَلَا أُحْتَجَّتُمَا إِلَى الْعُودِ ^(٧)

(١) يقول : يفدى رأيك الذي لم تستفده بتجربة وتعليم وإما هو نتاج أرائك ورويتك كل رأي مستفاد بالتعليم ؛ وعبرة العكبرى وسائر الشراح : يريد أن رأيك تلاد قديم — معك لم يفدك إياه أحد . إنما هو إلهام من الله . ففداه كل رأي مستفاد معلم
(٢) الحلم : الأناة والعقل . يقول : إذا لم يكن الحلم غريزة وجبلة طبع عليها الرء وفطر لم يفده بالسكبر وتقدام السن ، ومن ثم ليس الشيخ أولى ببجودة الرأي من الشباب قال العكبرى : وهذا من قول الحكم : بالغرزة يتعلق الأدب ، لا بتقدام السن .
(٣) يقول : بهذا الرأي الذي رأيت في هذا الحادث — وبمثله في غيره — مدت الناس واتقاد لك ما لا يتقاد لغيرك

(٤) يقول : وبمثل هذا الرأي أطاعك الناس الذين أطاعوك مع أنهم أسود بأسا وشجاعة فلم يعرفوا الطاعة والاتباع لأحد قبلك لأن الطاعة ليست من أخلاق الأسود :
(٥) يقول : إنما أنت في تربيتك ابن الأخشيد وقومتك عليه كالوالد ، والوالد القاطع أبر بالولد من الولد الواصل بأبيه وأحق منه عليه . يريد : أنك ربيت ابن سيدك وأنت أشفق عليه من كل أحد .

(٦) عدا : جاوز . وبني : طلب ، وهذا دعاء . يقول : لاجاوز الشر من طلب لكما الشر ولاتمدى الفساد أهل الفساد : أى لازال في الشر من أراد أن يوقع بينكما الشر ، ولافارق الفساد من حاول فساد ذات بينكما .

(٧) قوله ما اتفقتما : فإ : مصدرية زمانية : أى مدة اتفاقكما . يقول : مثلكما في اتفاقكما مثل الروح والجسد : إذا اتفاق صلح البدن ولم يعد به حاجة إلى الطبيب والمواد

وَلَمَّا كَانَ فِي الْأَنْبَابِ خَلْفٌ وَقَعَ الطَّيْشُ فِي صُدُورِ الصَّعَادِ (١)
أَشْمَتَ الْخَلْفُ بِالشَّرَاةِ عِدَاهَا ، وَشَفَى رَبَّ فَارِسٍ مِنْ إِيَادِ (٢)

وإذا تنافرا فسد البدن . ثم قال : فلا احتجنا إلى العواد ، أى لا وقع بينكما خلاف ، وشر ، وبسابة أخرى : أتيا مادمتا متفقين كالجسم والروح اللذين يقوم بهما البدن ويعيش باثلافيهما . وقوله : فلا احتجنا إلى العواد ؛ لما جعلهما كالجسم والروح جعل اختلافهما بملة الداء الذى يختل به أمر البدن ويكون محوجا إلى عيادة الأطباء : أى فلا اختل أمركما بما يحوج إلى دخول السفراء والمشرين .

(١) أنابيب الرمح : ما بين كل عقدتين . والخلف : الاختلاف . والبطيش - هنا - بمعنى الاضطراب ، والصعاد : جمع صعدة ، وهى قناة الرمح : أى إذا اختلفت أنابيب الرمح اضطرب صدره فلم يستقم عند الطعن . وهذا مثل : جعل الأنابيب مثلا للأتباع والصدور مثلا للرؤساء . يقول : إن اختلاف الخدم يؤدى إلى النزاع بين الرؤساء ، قال ابن جنى : لو قال فى رؤوس الصعاد لكان أولى ، لأن الطيش يكون فيها ، ولأنه أقرب إلى الرياسة بسبب العلو .

(٢) الشراة : الخوارج ؛ سموا أنفسهم بذلك يعنون أنهم شروا أنفسهم من الله بالقتال فى دينه . ورب : فارس كسرى . وإياد : حى من معد قال أبو دود الأيادى :
فِي قُتُوِّ حَسَنِ أَوْجُهُمُ مِنْ إِيَادِ بْنِ نَزَارِ بْنِ مَضَرَ (١)

يريد التنبي أن يقول : إن الشقاق بين الجماعات قديماً أدى إلى شتمة أعدائهم بهم ، إذ سبب التنازع بينهم تمكن أعدائهم منهم كما كان من الخوارج ، لم يظفر بهم المهلب بن أبى صفرة إلا بعد أن نزع الشيطان بينهم ، فقد قاتلهم المهلب نحو من ثلاثين شهراً فلم يقدر عليهم ، ثم وقع الخلف بينهم واقتلوا فوهنت شوكتهم وتمكن المهلب منهم فلم ينج إلا القليل . قال العسكىرى : لما كان الخوارج مجتمعين لم يقو المهلب عليهم فاحتال على نصال كان يتخذ لهم نصالاً مسمومة ، فكتب إليه المهلب : وصل ما بعثت لنا من النصال المحترمة للآجال وحمدنا فملك وشكرنا فضلك وسرفع ذكرك ونعلى قدرك إن شاء الله . وبعث الكتاب على يد من أعثرهم عليه ، فاختلفوا فى قتله ، فصوبته طائفة وخطأته أخرى ، فاقتلوا حتى قل عددهم وأما إياد فقد كانت يداً واحدة ثم تفرقت كلمتهم وتشبثوا بأرض الجزيرة فنهدهم إليهم سابور ذو الأكتاف وأفنى منهم خلقاً كثيراً وتفرق سائرهم فى البلاد .

(١) قُتُو : جمع قُتَى والفتى : الشاب ، والسخى والكريم .

وَتَوَلَّى بَنِي الْيَزِيدِيَّ بِالْبَصْرَةِ حَتَّى تَمَزَّقُوا فِي الْبِلَادِ^(١)
وَمَلُوكًا كَأَمْسٍ فِي الْقُرْبِ مِنَّا وَكَطَنَسِمٍ وَأَخْتَهَا فِي الْبِعَادِ^(٢)
بِكَمَا بَتَّ عَائِذًا فِيكُمَا مِنْهُ وَمِنْ كَيْدٍ كُلِّ بَاغٍ وَعَادٍ^(٣)
وَبُلْبَيْتِكُمَا الْأَصِيلَيْنِ أَنْ تَفَرِّقَ صُمُّ الرِّمَاحِ بَيْنَ الْجِيَادِ^(٤)
أَوْ يَكُونَ الْوَلِيُّ أَشَقَى عَدُوًّا بِالَّذِي تَذْخُرَانِي مِنْ عِتَادٍ^(٥)

(١) وتولى بني اليزيدى : أى تولاهم الخلف : أى اختلفوا ؛ فضمير تولى ؛ للخلف
وبنو اليزيدى : كتاب وثبوا بالبصرة واستولوا عليها فى خلافة المنصور وأخرجوا ابن
رائق ، فعظم شأنهم وكانوا إخوة ثلاثة — أبو عبد الله وأبو يوسف وأبو الحسين —
ثم اختلفوا فقتل أكبرهم أوسطهم ، فإكان إلا أن خوى نجمهم ، وذهب ملكهم ،
وهلكوا جميعاً .

(٢) وملوكا : عطف على بني اليزيدى . وأخت طسم : جدیس ، وهما قبيلتان
قديمتان بادتا محروب كانت بينهما . يقول : وتولى الخلف ملوكا قرب عهدهم منا كأمس
وآخرين بعد عهدهم منا كطسم وجدیس ، فأهلكهم هذا الخلف .
(٣) بكما : قال الواحدى : أى لأجلكما : وقال العكبرى : متعلق بمحذوف تقديره
بت عائذاً بالله أن يقع بكما . . . وفيكما : أى بينكما ؛ ومنه : أى من الخلف . والعادى
الظالم ، يقال : عدا عليه : فهو عاد عدوًّا وعداء ، ومنه قوله تعالى « فيسبوا الله عدوًّا
بغير علم » وأصله تجاوز الحد بالظلم . يقول : أعوذ بكما من وقوع الخلف بينكما ومن
كيد أهل البغى والعدوان الذين يريدون بكما سوء .

(٤) اللب العقل . والاصيلين : الراسخين أو الجديدين ؛ وصم الرماح : صلابها .
والجياذ : الخيل . يقول : وأعوذ بما لكما من اللب الأصيل أن تختلفا فتصيرا طائفتين
تقتلان ، فتحول الرماح بين خيلكما التى هى جماعة واحدة فتصير جماعتين .

(٥) يقول : وأعوذ بكما أن يقتل بعضكم بعضاً بما تذرانه من السلاح ، فيصير
الصديق الذى يشقى به عدوًّا ؛ لأن السلاح إنما يعد للأعداء لئلا تصدقاء ، فإذا قتل به
بعضكم بعضاً فقد صرتم أعداء . فالولى : الصديق ، والعتاد : العدة : أى الشيء الذى
تعدده لأمر ما وتبيته له ، يقال أخذ للأمر عدته وعتاده : أى أهبطه وآلته . قال الجهرى
وربما سموا القدح الضخم عتادا ؛ وأنشد أبو عمرو :

فَكَلَّ هَنِيئًا ثُمَّ لَا تُزْمَلِ وَأَدْعُ هُدَيْتَ بِعِتَادِ جُنُبِلِ

هَلْ يَسْرُنْ بَاقِيَا بَفْدَ مَاضٍ

مَا تَقُولُ الْعِدَّةُ فِي كُلِّ نَادٍ^(١)

مَنْعَ الْوُدِّ وَالرَّعَايَةِ وَالشُّوْ دُدُّ أَنْ تَبْلُغَا إِلَى الْأَحْقَادِ^(٢)

وَحُقُوقُ تَرْقُقُ الْقَلْبَ لِلْقَلْبِ وَلَوْ ضُمِّنَتْ قُلُوبَ الْجُمَادِ^(٣)

فَقَدَا الْمَلِكُ بَاهِرًا مِنْ رَأَاهُ شَاكِراً مَا أُتِيَتْمَا مِنْ سَدَادِ^(٤)

(الجنبل : قدح غليظ من خشب) .

(١) يقول : إذا اقتتلنا وأفنى أحكما الآخر فهل يسر الذي يبق منكأن يتحدث الأعداء في المحافل بغدره وتركه حرمة صاحبه ؟ وهذا استفهام إنكاري ، أى لايسر الباقي منكأ ذلك . هذا : والعداة جمع عدو ، وكذلك العدى ، قال ابن السكيت : لم يأت فعل في النعوت إلا حرف واحد ، يقال هؤلاء قوم عدى ؛ وأنشد لسعد بن عمرو بن حسان :

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عِدِّي لَسْتَ مِنْهُمْ

فَكُلُّ مَا عُلِفَتْ مِنْ خَيْثٍ وَطَيْبٍ

(٢) الرعاية : حفظ العمود ؛ والسؤدد : السيادة ؛ والحدق : الضغن . يقول : إن ماينكما من الود ورعاية الحقوق ومافيكما من النبل والسؤدد — كل أولئك يمنعكم من أن يحقد أحكما على صاحبه ويصر على عدائه إياه .

(٣) وحقوق . عطف على الود . يقول : ويمنع أن يحقد أحكما على صاحبه تلك الحقوق — حقوق الترية وقيام كافور بأمر ابن الأخشيد — وهو طفل — تلك الحقوق التي لو كانت في قلب الجماد لرق بعضه لبعض .

(٤) يقول : باتفاقكما وتصافيكما آب إلى الملك بهاؤه وروثه ، ومن ثم شكر لكأحسن صنعكما وما كان منكأ من صواب . « هذا » : ويقال بهره يهره بهرا : أى قهره وعلاه وغلبه ، وبهرت فلانة النساء غلبتهن حسنا ؛ وبهر القمر النجوم : غمرها بضوئه . قال ذو الرمة يمدح عمر بن هيرة :

مَا زِلْتَ فِي دَرَجَاتِ الْأَمْرِ مُرْتَقِيًا تَنْمِي وَتَسْمُو بِكَ الْفُرْعَانُ مِنْ مُضَرَّ

فِيهِ أَيْدِيكُمَا عَلَى الظَّفَرِ الْخُلُوصِ وَأَيْدِي قَوْمٍ عَلَى الْأَكْبَادِ^(١)
هَذِهِ دَوْلَةُ الْمَكَارِمِ وَالرَّأْفَةِ وَالْمَجْدِ وَالنَّدَى وَالْأَيَادِي^(٢)

حَتَّى بَهَرْتَ فَمَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَكْمَةٍ لَا يَعْرِفُ الْقَمَرُ^(١)
والسداد - بفتح السين - الصواب ؛ يقال : إنه لدو سداد في منطقته وتديره : أى
إصابة ؛ وكذلك في الرمي ، يقال : سد السهم يسد إذا استقام ، واستد الشيء : أى استقام قال :
أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةُ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رِمَانِي^(٢)
أما السداد - بكسر السين - فهو كل شيء سددت به خلا ، ولهذا سمي سداد
القارورة - بالكسر - وهو صمامها لأنه يسد رأسها ؛ وسداد الثغر - بالكسر - إذا
سد بالخليل والرجال . قال العرجي :

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمَ كَرِهَةٍ وَسِدَادٍ تُغَرِّ
قال الجوهري : وأما قولهم : فيه سداد من حرز وأصبت به سدادا من عيش : أى
ماتسد به الحلة : فيكسر ويفتح ، والكسر أفصح :

(١) فيه : أى في هذا الصلح ، أو تقول : أى فيما أتيتما من سداد ، وعلى الظفر
وعلى الأكباد : متعلقان بمحذوف ، والتقدير ثابتة . يقول : في هذا الصلح أو في هذا السداد
الذى أتيتما وضعتما أيديكما على الظفر الحلو ، ووضع الحاسدون أيديهم على أكبادهم تألما
بما فعلتا وحسرة على إخفاق مسعاهم ، وجعل هذا الظفر حلوا إذ لم ترق فيه الدماء .
(٢) الندى : الجود ؛ والأيدى : النعم . يقول : إن دولتكم دولة الأشياء التي
ذكرت فلا تعرضاها للخلاف .

(١) حتى بهرت : أى علوت كل من يفاخر بك فظهرت عليه ؛ وقد أورده
الجوهري : وقد بهرت ، قال ابن بري : وصوابه حتى بهرت ، قال : وقوله على أحد :
أحد : ههنا بمعنى واحد ، لأن أحداً المستعمل بعد النفي - في قولك ما أحد في الدار -
لا يصح استعماله في الواجب « المثبت » .

(٢) قال ابن بري : رأيت هذا البيت في شعر عقيل بن علفة يقوله في ابنه عميس
حين رماه بسهم ، وبعده :

فَلَا ظَفَرْتَ يَمِينَكَ حِينَ تَرْمِي وَشَلْتَ مِنْكَ حَامِلَةَ الْبَنَانِ
قال الأصمعي : اشتد - بالشين المعجمة - ليس بشيء .

كَسَفَتْ سَاعَةً كَمَا تَكْسِفُ الشَّمْسُ

سُ ، وَعَادَتْ وَنُورُهَا فِي أَرْزَادٍ^(١)
يَرْحَمُ الدَّهْرَ رُكْنَهَا عَنْ أَذَاهَا بَفَتَى مَارِدٍ عَلَى الْمُرَادِ^(٢)
مُتْلِفٍ مُخْلِفٍ وَفِي أَبِي عَالِمٍ حَازِمٍ شُجَاعٍ جَوَادِ^(٣)
أَجْفَلَ النَّاسُ عَنْ طَرِيقِ أَبِي الْمَسْكَ وَذَلَّتْ لَهُ رِقَابُ الْمِبْكَادِ^(٤)

(١) كسفت الشمس وكسفها الله : يتعدى ولا يتعدى ، قال جرير :
فالشَّمْسُ طَالَعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَ
يعنى جرير : أنها طالعة تبكى عليك ولم تكسف ضوء النجوم ولا القمر لأنها في
طلوعها خاشعة باكية لا نور فيها . وروى الليث هذا البيت :
الشَّمْسُ كَاسِفَةٌ لَيْسَتْ بِطَالَعَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَ
وقال : أراد ما طلع نجم وما طلع قمر ، وهذا كما تقول : لا أتىك مطر السماء : أى
ما مطرت السماء ، وطلوع الشمس : أى ما طلعت الشمس . وفى هذا سمع بعضهم ابن
الأعرابي يقول : تبكى عليك نجوم الليل والقمر : أى ما دامت النجوم والقمر . والمراد
بكسوف الدولة ما كان بينهما من الوحشة . يقول : كان ذلك مدة قصيرة كما تكسف
الشمس مديدة ، ثم انجلى فمادت الدولة بعودة صفائهما وهى آتق وأجل كالشمس إذا
ذهب كسوفها عادت أجهى وأنور .

(٢) يعنى بـ « ركنها » : قوتها وسعادتھا . يقول : إن ركن هذه الدولة يدفع الدهر عن
أذاها بفتى مارد طى المراد — يعنى كافوراً — أى أنه لا ينقصد لمن تمرد
عليه وطنى ، وإنما يعصف به عصفا « هذا » والمارد من الرجال : العاتى الشديد ؛
وقد مررد يمررد مزودا ومرادة : فهو مارد ومريد ؛ والمريد : الشديد المرادة ، مثل السكير
وأصله من مرده الجن والشاطين . أو تقول : المارد الحبيث . قال تعالى : « من كل
شیطان مارد » والمراد : جمع مرید .

(٣) أى متلف للأموال بالعطاء ، ومعوضها بسيفه . وأبى ؛ أى أنوف عزيز النفس
يأبى الذل . وعالم : أى بتدبير الرعية والحرب . والحزم : ضبط الأمر وإحكامه والأخذ
فيه بالثقة . والجواد : السخى . يقول : يدفع الدهر عن أذاها بفتى هذه صفاته .
(٤) أجفل الناس : أسرعوا فى الهرب . يقول : أسرع الناس ذاهبين عن طريقه

كَيْفَ لَا يُتْرَكُ الطَّرِيقُ لِسَلِيلٍ
ضَئِيقٍ عَنِ أَتِيهِ كُلِّ وَادٍ^(١)
وقال يهجوهُ في يوم عرفة قبل مسيره من مصر بيوم واحد سنة
خمسین وثلاثمائة^(*) :
عِيدٌ بِأَيَّةٍ حَالٍ عُدْتَ يَا عِيدُ بِمَا مَضَى أَمْ بِأَمْرِ فَيْكَ تَجَدِيدُ^(٢)

فتركوه له ولم يعارضوه لقصورهم عنه ، وذلت له رقاب الناس فملكهم . قال ابن جني :
ولو انقلب لكان هجوا .

(١) الأتي : السيل ، يأتي من موضع بعيد إلى آخر . يقول : كيف لا يترك الطريق
لسيل يضيق عن مائه الوادي . ومتى كان الماء غالبا وضاق عنه بطن الوادي فكل موضع
أتى عليه صار طريقاً له . وهذا مثل . يقول : إن كافورا يظب غلبة السيل الآتي والسيل ،
لا يرد عن وجهه ، كذلك هو لا يعارضه أحد ، قال العكبري : من روى ضيق - بالخفض -
جعله نعتا لسيل ، وهذا كقولك : مررت برجل حسن وجهه ، وهذه صفة سبية ؛ ومن
روى ضيق - بالرفع - فهي جملة ابتداء ، وخبر ، وهي في موضع جر صفة لسيل ؛ وعن
أبيه : يتعلق بضيق .

أقام للتنبي بمصر - بعد أن قال قصيدته البائية - عاما لا يأتي كافورا ولكن يسير
معه في الموكب لثلاث يوحشه وتذهب ظنون كافور مذاهيها ، وفي الوقت نفسه يعمل في
خفية على الرحيل عنه ؛ فأعد الإبل وخفف الرحل وقال هذه القصيدة في يوم عرفة قبل
رحيله بيوم واحد .

(٢) عيد : خبر مبتدأ محذوف : أي هذا عيد : وقوله : بما مضى ، أي أبما مضى ؟
يقول : هذا اليوم الذي أنا فيه عيد ، ثم أقبل يخاطب العيد فقال : يا عيد بأية حال
عدت ؟ أي مع أية حال عدت على ؟ أو أية حال أعدتها على أبا الحال التي عهدتها من قبل ،
أم أحدث فيك أمر جديد ؟ . وقال العكبري : الباء في قوله : بأية ، يجوز أن تكون للتعدي
فيكون المعنى : أية حال : « هذا » والعيد : واحد الأعياد . قال الجوهري : وإنما
جمع بالياء - وأصله الواو - للزوم الياء في الواحد ، ويقال للفرق بينه وبين أعواد
الحشب ، وهو من عاد يعود . قال ابن الأعرابي : سمي العيد عيدا لأنه يعود كل سنة
بفرح مجدد ، وأصل العيد : ما اعتادك من هم وشوق ونحوهما ؛ قال الشاعر :

أَمَّا الْأَحِبَّةُ فَالْبَيْنِدَاهُ دُونَهُمْ
فَلَيْتَ دُونَكَ بَيْدًا دُونَهَا بَيْدٌ^(١)
لَوْلَا الْعَلَى لَمْ تَجِبْ بِي مَا أَجُوبُ بِهَا
وَجَنَاهُ حَرْفٌ وَلَا جَرْدَاهُ قَيْدُودٌ^(٢)
وَكَانَ أَطْيَبَ مِنْ سَيْنَى مُضَاجَعَةً أَشْبَاهُ رَوْقَةِ الْغَيْدِ الْأَمَالِيدِ^(٣)

* والقلبُ يعتاده من حُبِّها عيد *

وقال يزيد بن الحكم الثقفي يمدح سليمان بن عبد الملك :
أَمْسَى بِأَسْمَاءَ هَذَا الْقَلْبُ مَعْمُودًا إِذَا أَقُولُ صَحَا يَعْتَادُهُ عِيدًا
كَأَنْتِي يَوْمَ أَمْسَى مَا تَكَلَّمْنِي ذُو بُعْيَةٍ يَبْتَنِي مَا لَيْسَ مَوْجُودًا
كَأَنَّ أَحْوَرَ مِنْ غِرْلَانِ ذِي بَقَرٍ أَهْدَى لِنَاسِنَةِ الْعَيْنِينَ وَالْجِيدِ
والشاهد : في قوله : يعتاده عيداً ؛ ونصبه لأنه في موضع الحال ، تقديره : يعتاده السكر
عائداً ؛ وقد أسلفنا القول على ذلك :

(١) البيداء : الفلاة ، جمع ما يبد . سميت بذلك لأنها تبتدئ سالكها . بتأسف على بعد أحبته عنه
يقول : أما الأحبة فبعيدون عني ، فليتك أيها العيد كنت بعيداً عني وكان ما بيني وبينك
من البعد ضعف ما بيني وبين الأحبة ؛ يعني أنه لا يسر بعود العيد مع بعد الأحبة كما قال الآخر :
مَنْ سَرَّهُ الْعِيدُ الْجَدِيدُ فَمَا لَقِيتُ بِهِ الشُّرُورَا

كَانَ السُّرُورُ يَتِمُّ لِي لَوْ كَانَ أَحِبَابِي حُضُورَا
(٢) جاب المكان محبوبه : قطعه ؛ ووجناء : فاعل تجب ؛ والوجناء : الناقة الصلبة
الشديدة ، مشتقة من الوجين . التي هي الأرض الصلبة أو الحجارة . وقيل : هي العظيمة
الوجتين . والضمير في بها : للوجناء ؛ والحرف : الضامرة . والعبداء : الفرس
القصير الشعر ؛ والقيدود : الطويلة ؛ وما — من قوله ما أجوب بها — اسم موصول في
موضع نصب : أي الفلاة التي أجوب . يقول : لولا طلب الملأ أفارق أحبي ، ولم
تقطع بي ناقة ولا فرس ما أحشمتها قطعه من الفلوات . وقال الواحدى : ما أجوب بها :
يعني الفلاة ، كناية عن المراحل .

(٣) العيد : جمع غيداء ، وهي الثنية لنا ، والأماليد : الناعمات المستويات القامات :

لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَيْدِي
 شَيْئًا تَنْيَمُهُ عَيْنٌ وَلَا جِيدٌ^(١)
 يَا سَاقِيَّ أَخْمَرِي فِي كُثُوبِكَمَا أُمُّ فِي كُثُوبِكَمَا هَمٌّ وَتَسْهِيدٌ^(٢)
 أَصْخَرُهُ أَنَا؟ مَالِي لَا تَحْرُكُنِي هَذِي الْمُدَامُ وَلَا هَذِي الْأَغَارِيدُ^(٣)
 إِذَا أَرَذْتُ كُمَيْتَ اللَّوْنِ صَاقِيَةً وَجَدْتُهَا وَحَبِيبُ النَّفْسِ مَفْقُودٌ^(٤)

غلام أملود وجارية أملودة : والأملود — في الأصل — الغصن الناعم: يقول : ولولا طلب العلى لما اخترت مضاجعة السيف وعدلت عن النساء الحسان اللواتي يشبهن رونق السيف في بياض بشرتهن وتقائها . وقوله مضاجعة : روى معاينة ، وهو تميز .
 (١) تيمه الحب : عبده وذلة ؛ والجيد : العنق . يقول : إن الدهر بأحداثه ونوائبه جرد قلبه من هوى العيون والأعناق فلا ينزع إليها لأنه ترك اللهو والغزل وتجرد للجد والإشاحة والتشمير .

(٢) يقول — لساقيه — : أخمر ماتسقانيه أمهم وسهاد ؟ يعنى ماأشربه لايزيدنى إلا هما وسهرا ، لأن قلبى مغمم بالهموم فليس فيه موضع للطرب والرح . وذلك لان أحبته بعيدون عنه ؛ أولأنه وافر اللب لا يؤثر فيه الشراب

(٣) اللدام : الحجر ؛ والأغاريد : الأغاني . وقوله : لا تحركنى ، حال من الياء فى مالى .
 يتعجب من حاله وأن الحجر والغناء لا يطربانه ولا يؤثران فيه حتى لكانه صخرة صماء لا يؤثر فيها الشراب والغناء « هذا » وأصل الغرد التطريب فى الصوت والغناء . وغرد الإنسان : رفع صوته وطرب ، وكذلك الحمامة والمكاء والدينك والذباب ، والغرد والتغريد أيضا صوت معه بمح ، وقد جمعها امرؤ القيس فى قوله يصف حمرا :

يُغَرِّدُ بِالْأَسْحَارِ فِي كُلِّ سُدُقَةٍ تَغَرَّدُ مَرِّيحَ النَّدَايِ الْمُطَرَّبِ

وقال الأصمى : التغريد الصوت :

(٤) الكيت : الأحمر فيه سواد ؛ يوصف به الذكر والؤنث ، ويريد حمرا كيت اللون . وفى رواية : كيت الحجر . يقول : إذا طلبت الحجر وجدتها ، وإذا طلبت الحبيب لم أجده : يتشوق إلى أحبته يقول : إن الحجر لا تطيب إلا مع الحبيب . وحبيبي بعيد عنى فلا معنى إذن للشراب . وقال ابن جني : حبيب القلب عنده المجد ، وإذا تشاغل بشرب الحجر فقد المعالى . ويجوز أن يكون عنى بحبيب النفس : أهله . لبعده عنهم . والمناسبة الكيت قال سيويه : سألت الخليل عن الكيت فقال : هو بمنزلة جميل — يعنى الذى

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهُ أَنِّي بِمَا أَنَا بِكَ مِنْهُ مُحْسُودٌ^(١)
أُنْسِيتُ أَرْوَحَ مَثَرِ خَازِنَا وَيَدَا أَنَا الْغَنِيُّ وَأُمُوَالِي الْمَوَاعِيدُ^(٢)
إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ صَنِيفُهُمْ عَنِ الْقِرَى وَعَنِ التَّرْحَالِ تَحْدُودُ^(٣)

هو البلبل — وقال: إنما هي حمرة يخالطها سواد ولم تخلص، وإنما حقروها — صفروها — لأنها بين السواد والحمرة ولم تخلص لواحد منهما، فيقال له: أسود أو أحمر، فأرادوا بالتصغير أنه منهما قريب، وإنما هذا كقولك: هو دوين ذاك.

(١) أعجبه: مبتدأ، خبره ما بعده وزواية الواحدى: وأعجبها: كأن الضمير للدنيا والتذكير أوجه. يشكو ما لقيه من تضاريف الدهر ونوازل الدنيا وأحوالها، ثم يقول: وأعجب ما لقيته منها أنى محسود بما أشكوه وما أنا بك منه — يعنى استجاعه كافوراً وانقطاعه إليه — يريد أن الشعراء يحسدونه عليه وهو علة شكاته وبكائه. قال المكبرى: وهذا من قول الحكميم: استبصار العقلاء ضد لثقى الجهلاء فالجاهل يحسد العاقل على ما يكرهه. قال الحلال الذى يكره العاقل منها يحسده الجاهل عليها. ولقد نظمه أبو الطيب فأحسن، ومنه: رب مغبوط بدواء هو داؤه.

(٢) أروح: من الراحة. وخازنا ويذا: منصويان على التمييز. والثرى: الغنى. والثراء: المال. يقول: إننى من الأغنياء ذوى الثراء، ولكن خازنى ويذى فى راحة من تعب حفظ المال، لأن أموالى إنما هى مواعيد كافور، وهى أموال لا تحتاج لحفظها إلى يدى وخازنى. قال المكبرى: وهذا من قول الحكميم: لاغنى لمن ملكه الطمع واستولت عليه الأمانى،

(٣) يقول: إنهم كذابون: فلامم يقرونه، ولاهم يتركونه يرحل عنهم. هذا؛ والقري: قرية الضيف. تقول: قريت الضيف قري، مثال قليته قلى وقراء: أحسنت إليه: إذا كسرت القاف قصرت، وإذا فتحت مددت: ومحدود: أى ممنوع. تقول: حدثت فلانا عن الشر: أى منعت؛ ومنه قول النابغة:

إِلَّا سُلَيْمَانُ إِذْ قَالَ لِلَّهِ لَهُ قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ فَاحْدِدهَا عَنِ الْفَنَدِ
والحداد: البواب والسجان لأنهما يمنعان من فيه أن يخرج. قال الشاعر:

يقول لى الحداد وهو يقودنى إلى السجن لا تفرع فإبك من باس
وهذا أمر حد: أى منيع — إمام لا يحل ارتكابه. ومن ذلك الحدود، لأنها تمنع الحدود عن المعاصى،

جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الْإِيْدِي وَجُودُهُمْ
 مِنَ اللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ^(١)
 مَا يَقْبِضُ الْمَوْتُ نَفْسًا مِنْ نَفُوسِهِمْ
 إِلَّا وَفَى يَدِهِ مِنْ تَنْتِهَا عُدُ^(٢)
 مِنْ كُلِّ رِخْوٍ وَكَاءِ الْبَطْنِ مُنْفَتِحِي لَا فِي الرَّحَالِ وَلَا النِّسْوَانِ مَعْدُودُ^(٣)
 أَكْلًا أَغْتَالَ عَبْدُ الشُّوءِ سَيِّدُهُ
 أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مِضَرَ تَمْهِيدُ^(٤)

(١) يقول : إن هؤلاء الكذابين إنما يجودون بالمواعيد ولا يجودون بالمال على خلاف اليهود ، فإن الأجواد إنما جودهم بالمعطاء ، ثم دعا عليهم فقال : لا كانوا ولا كان جودهم ، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

وأقل الأشياء محمول نفع - صحة القول والفعال مريض
 الضمير في جودهم ؛ للكذابين . وقوله : ولا الجود ، عطفه على الضمير للتصل
 للفصل بلا ، كما في قوله تعالى « ما أشركنا ولا آباؤنا » .

(٢) هذا مثل ، يقول : إن أرواحهم من النتن والقذارة خسة ولؤما بحيث إذا
 أراد اللوت قبضها لم يباشرها بيده ، وإنما يتناولها بعود كما يفعل بالجيفة .

(٣) يريد أنه - أي كافورا - خصى هو والحصيان الذين كانوا معه . والوكاء :
 ما تشد به القرية ، ومعنى رخو وكاء البطن : أنه ضراط فساء لا يوكى على مافي بطنه من
 الريح . والمنفتق : الواسع الجله لسكرة لجه ، كأنه اتفق وانشق . وقوله : لا في الرجال
 أخ : أي لا هو معدود في الرجال ، إذ لا ذكر له ولا لحية ، ولا في النساء : إذ
 لا فرج له .

(٤) اغتاله ، قتله غيلة ، وأخذته على غفلة . يشير إلى ما فعله كافور بالأخشيذ وقله
 إياه واستقلاله بملك مصر بعد ، يقول : أكل أهلك عبد سوء سيده مهد أمره في مصر
 وملكه أهلها عليهم واتخذوا له وأطاعوه . وهذا استفهام إنكار : أي لا ينبغي أن
 يكون الأمر هكذا .

صَارَ الْخَلِصِيُّ إِمَامَ الْآبِقِينَ بِهَا فَالْحُرُّ مُسْتَعْبِدٌ وَالْعَبْدُ مَعْبُودٌ^(١)
 نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَمَالِهَا فَقَدْ بَشِمْنَ وَمَا تَفَنَّى الْعَنَاقِيدُ^(٢)
 الْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٌ بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحُرِّ مَوْلُودٌ^(٣)
 لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ
 إِنَّ الْعَبْدَ لَا تُجَاسُّ مَنَاقِيدُ^(٤)

(١) الآبقى : الهارب من سيده . ومستعبد : مذل . ومعبود : مطاع يقول : إن كل عبد هرب من سيده أمسكه كافور عنده وأحسن إليه لأنه مثله في الحيانة والتمرد على سيده ، فهو إمام الآبقين .

(٢) النواطير : جمع ناطور ، وهو في الأصل حافظ الزرع والتمر والكرم ، قيل إنها عربية ، وقيل من كلام أهل السواد . قال ابن جنى : أقره المتنبي بالمهمل ، والمزوف بالمعجمة لأنه من نظرت ، وقيل ، هو بالعربية بالمعجمة - نواطير - وبالنبطية - بالمهمل - والمراد هنا بنواطير مصر : ساداتها وأشرافها ، وللمراد بجمالها : عبيدها وأراذلها ، وبالمناقيد : الأموال . وبشم فلان : أخذته تخمة وثقل من كثرة الأكل . يقول : لقد غفلت سادات مصر عن أراذلها حتى عاثوا في أموال الناس وأكلوا فوق الشبع . ثم قال وما تفنى العناقيد .. يريد كثرة ما بين أيديهم من الأموال ، وأنهم كلما نهبوا شيئاً جد لهم غيره ، فلا ينفكون يطلبون المزيد .

(٣) يقول : إن العبد لا يؤاخى الحر ، لما بينهما من التباين في الأخلاق ، ولو ولد العبد في ملك الحر ، وهذا إغراء لابن سيده . يريد أن كافوراً وإن أظهر له الود فليس له مصاف محض . فقوله : لو أنه . يريد : ولو أنه ، لحذف ، والجملة في موضع الحال وقوله في ثياب الحر : قال الواحدى : أى وإن ولد العبد في ملك الحر ؛ وعلى هذا فآل في الحر : للعبد ؛

(٤) المناكيد : جمع منكود ، وهو القليل الخير . يريد سوء أخلاق العبد وأنه لا يصلح إلا على الضرب والهوان . قال بشار :

* الْحُرُّ يُلَحَّى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ *

وقال الحكم بن عبد الله الأسدي :

مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَحْيَا إِلَى زَمَنِ يُسَى بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهُوَ نَحْمُودُ^(١)
وَلَا تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فَقِدُوا
وَأَنَّ مِثْلَ أَبِي الْبَيْضَاءِ مَوْجُودُ^(٢)
وَأَنَّ ذَا الْأَسْوَدَ الْمُثْقَبَ مِشْفَرُهُ
تُطِيعُهُ ذِي الْمَضَارِيطِ الرَّعَادِيدُ^(٣)
جَوْعَانُ يَا كُلُّ مَنْ زَادَى وَيُنْسِكُنِي
لَكِنِّي يُقَالُ عَظِيمُ الْقَدْرِ مَقْصُودُ^(٤)

وَالْعَبْدُ لَا يَطْلُبُ الْقَلَاءَ وَلَا يُرْضِيكَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا رَهَبًا
مِثْلُ الْحَمَارِ الْمَوْقِعِ الظُّهْرِ لَا يُحْسِنُ الْمَشَى إِلَّا إِذَا ضُرِبَ^(١)
(١) أَحْسَبُنِي : أَى أَحْسَبَ نَفْسِي ، وَيُقَالُ أَسَاءَ بِهِ وَأَسَاءَ إِلَيْهِ ، قَالَ كَثِيرٌ عَزَّة :
* أَسِئْتُ بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ *

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ يَسَى بِي عَلَى مَعْنَى يَهْزَأُ بِي وَيَسْخَرُ مِنِّي ، فَعَدَاهُ بِالْبَاءِ عَلَى الْمَعْنَى ،
لَا عَلَى اللَّفْظِ ، يَقُولُ : مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَجْلِي يَمْتَدُّ بِي إِلَى زَمَنِ يَسَى إِلَيْهِ فِيهِ شَرُّ الْخَلِيقَةِ ،
وَأَرَانِي مَعَ ذَلِكَ مُضْطَرًّا إِلَى مَدْحِهِ وَحَمْدِهِ ، وَلَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَظْهَرَ الشُّكُورَ .

(٢) كَنَاهُ بِأَبِي الْبَيْضَاءِ سَخَرِيَّةٌ مِنْهُ . يَقُولُ : وَلَمْ أَتَوَهَّمُ أَنَّ الْكِرَامَ قَدِ انْقَضَوْا حَتَّى خَلَّتِ
الْبِلَادُ لِمَنْ شَاءَهَا ، وَلَا أَنَّ مِثْلَ هَذَا مَوْجُودٌ حَتَّى رَأَيْتُهُ عَلَى عَرْشِ مِصْرَ .

(٣) الْعَضَارِيطُ : جَمْعُ عُضْرُوطٍ ، وَهُوَ الَّذِي يَخْدُمُ النَّاسَ بِطَعَامِ بَطْنِهِ ؛ وَالرَّعَادِيدُ :
الْجَبَانُ ، وَجَعَلَهُ مُثْقَبَ الْمِشْفَرِ تَشْبِيهًا لَهُ فِي عَظَمِ مِشَافَرِهِ بِالْبَعِيرِ الَّذِي يُثْقَبُ مِشْفَرُهُ لِلزَّمَامِ ؛
وَالْمِشْفَرُ - فِي الْأَصْلِ - شَفَةُ الْبَعِيرِ . يَقُولُ : وَلَا تَوَهَّمْتُ أَنَّ الْأَسْوَدَ الْعَظِيمَ الْمِشَافِرَ
يَسْتَفْوِي هَؤُلَاءِ اللَّثَامَ الْأَنْدَالَ الَّذِينَ حَوْلَهُ يَطِيعُونَهُ وَيَصْدُرُونَ عَنْ رَأْيِهِ . يَرِيدُ بَوَصْفِهِمْ
بِالْعَضَارِيطِ الرَّعَادِيدِ تَقْرِيبَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ ، وَأَنَّهُمْ قَدْ صَارُوا بِهَذِهِ الطَّاعَةِ كَذَلِكَ .

(٤) وَصَفَهُ بِالْجَوْعِ عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ لِلزُّمَةِ وَشَحِهِ لَا تَسْخُو نَفْسَهُ بِشَيْءٍ وَلَا يَفِضُ حَجَرَهُ .
وَقَوْلُهُ : يَا كُلُّ مَنْ زَادَى ، قَالَ الْوَاحِدِيُّ : لِهَذَا وَجْهَانِ : أَحَدُهُمَا أَنَّ اللَّتْنِي أَتَاهُ بِهَدَايَا
وَالطَّافِ وَلَمْ يَكْفِثْ عَنْهَا ، وَالْآخَرُ : أَنَّ اللَّتْنِي كَانَ يَا كُلُّ مَنْ خَاسَ مَالَهُ عِنْدَهُ وَيَنْفَقُ

(١) الْمَوْقِعِ الظُّهْرِ : الَّذِي بِهِ آثَارُ الدَّبْرِ ، وَالدَّبْرُ : الْجَرْحُ الَّذِي يَكُونُ فِي ظَهْرِ الدَّابَّةِ .

على نفسه مما حمله وهو يمنعه من الارتحال ، فكأنه يأكل زاده حين لم يبعث إليه شيئا ومنعه من الطلب ، وقال قوم : كان الأسود قد جمع له شيئا من غلمانته وخدمته ثم أخذه ولم يعطه شيئا . يقول : هو يمسكنى عنده كي يتجمل بقصدي إياه فيقول الناس إنه عظيم القدر يقصده النبي مادحا « هذا » وقوله جوعان . يقال جائع وجوعان ، وجمع جوعان جوعى ، وجياع ؛ وجمع جائع : جوع . وقوله عظيم القدر : خبر عن محذوف : أى هو عظيم القدر . وقوله لى يقال : قال المكبرى الكوفى : كي حرف ناصب ، وذهب البصريون إلى أنها يجوز أن تكون حرفا خافضا ؛ وحجتنا أنها من عوامل الأفعال ، وما كان من عوامل الأفعال لا يجوز أن يكون حرف جر لأنه من عوامل الأسماء ؛ وعوامل الأسماء لا تكون من عوامل الأفعال . والدليل على أنها ليست حرف جر : دخول اللام عليها ؛ كقولك أتيتك لى تكرمنى ، وهذه اللام عندهم حرف جر ، وحرف الجر لا يدخل على حرف الجر ؛ وأما قول القائل :

فلا والله لا يُلَنِّى لما بى ولا للمأ بهم أبدا دواء^(١)

فمن الشاذ المصنوع الذى لا يرجع عليه ؛ وإذا قيل إنها تدخل على ما الاستفهامية كما يدخل عليها حرف الجر فى قوله : كيمه ، كما تقول : له - قلنا : منه من « كيمه » ليس لى فيه عمل ، وليس هو فى موضع خفض ، وإنما هو فى موضع نصب لأنها تقال عند ذكر كلام لا يفهم . كقولك : أقوم كى تقوم ، فيسمعه المخاطب ، ولم يفهم تقوم فيقول : كيمه ؟ أى كيا . والتقدير كى تفعل ماذا ، تحذف تفعل ، فه فى موضع نصب على مذهب المصدر والتشبيه به ، وليس لى فيه عمل . وحجة البصريين دخولها على ما الاستفهامية لدخول اللام عليها فيقولون كيمه : كما يقولون له ، وهى فى موضع جر ، لأن ألف ما الاستفهامية لا تحذف إلا إذا كانت فى موضع جر واتصل بها الحرف الجار : كقولهم : لم وبم وفيم ، وإذا وقعت فى صدر الكلام لا تحذف كقولك : ما تريد وما تصنع ؟ وذهب أصحابنا إلى أن لام كى هى الناصبة للفعل من غير تقدير أن ، نحو قولك جئتك لتكرمنى ؛ وذهب البصريون إلى أن الناصب للفعل أن مقدرة بعدها . وحجتنا أنها قامت مقامها . ولهذا تشتمل على معنى كى ، فكما تنصب كى الفعل فكذلك اللام . وحجة البصريين أن اللام

(١) من قصيدة لمسلم بن معبد الوالى شاعر من شعراء الدولة الأموية .

يقول ، لا يوجد شفاء لما بى من الكدر ولا لما بهم من داء الحسد

« أنظر القصيدة فى خزنة الأدب للبغدادى ج ٢ ص ٢٧٠ سلفية »

إِنَّ أَمْرًا أُمَّةً حُبْلَى تَدْبِرُهُ لَمُسْتَضَامٌ سَخِينُ الْعَيْنِ مَقْنُودٌ^(١)
وَيُلْمُهَا خُطَّةٌ وَيُلْمُ قَابِلُهَا لِمِثْلِهَا خُلِقَ الْمَهْرِيَّةُ الْقُودُ^(٢)
وَعِنْدَهَا لَذَّةٌ طَعَمَ الْمَوْتُ شَارِبُهُ إِنَّ الْمَنِيَّةَ عِنْدَ الذَّلِّ قِنْدِيدٌ^(٣)
مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرَمَةً
أَقْوَمُهُ الْبَيْضُ أَمْ آبَاؤُهُ الصَّيْدُ^(٤)

من عوامل الأسماء ولا يجوز أن تكون من عوامل الأفعال ، فوجب أن يكون الفعل منصوباً بأن مقدرة لأنها تكون مع الفعل بمنزلة المصدر الذي يحسن أن يدخل عليه حرف الجر . هذه حجة حسنة لهم .

(١) المستضام : الذي أدركه الضم ، وهو الظلم . ورجل مقنود : جبان ضعيف الفؤاد ، مثل النخوب . والمقنود أيضاً : الذي لا نؤاد له ولا فعل ، والمقنود : الذي أصيب فؤاده بوجع . وسخين العين : محزون . جعل الأسود أمة لفقدانه آلة الرجال لأنه خصي ، وجعله حبلى لعظم بطنه . وهذا تعريض بابن سيده . يقول : إن الذي آل تديره إلى من هذه صفته لمظلوم مقنود سخين العين يرثى لحاله .

(٢) ويلها : كنهه يقال عند التعجب وأصلها : وى لأمرها ، ثم حذفت الهمزة ، واللام تكسر على الأصل وتضم على حذف حركتها ، وإلقاء حركة الهمزة عليها وفي الحديث في قوله لأبي بصير . « ويله مسعر حرب » . . تعجباً من شجاعته وجراته وإقدامه . ومنه حديث طي : ويله كيلا يغير ثمن لو أن له وعاء . أي يكيل العلوم الجملة بلا عوض إلا أنه لا يصادف واعياً . وهي - كما قلنا - كلمة تعجب . وينصب ما بعدها على التمييز . والخطبة : الأمر والشأن . والمهرية : المنسوبة إلى مهرة بن حيدان ، بطن من قضاعة تنسب إليه الإبل . والقود : الطوال الظهور والأعناق . يقول : ما أعجب هذه الحال وما أعجب من يقبلها ، وإنما خلقت الإبل للفرار من مثلها .

(٣) القنديد : عصارة قصب السكر إذا جمد ، والحجر ، وقيل : القنديد ، عصير عنب يطبخ ويجعل فيه أفواه من الطيب . يقول : عند هذه الحال - طاعة الأسود والاستخذاء له والزول على حكمه - يستلذ طعم الموت ، لأن الموت أيسر من ذلك الذل . ولذ الشيء : وجده لذيقاً .

(٤) البيض هنا : الكرام : أي يفض الأعراض . والصيد الملوكة . يقول : إن هذا الأسود لا يعرف المكرم ما هي ، لأنه عبد أسود لم يرث آباءه مجداً ولا مكرمه .

أَمْ أَذْنُهُ فِي يَدَي النَّخَاسِ دَامِيَّةٌ أَمْ قَدَرُهُ وَهُوَ بِالْفَلَسَيْنِ مَرْدُودٌ^(١)
 أَوَّلَى اللِّثَامِ كُوَيْفِيرٌ بِمَعْذِرَةٍ فِي كُلِّ لَوْحٍ وَبَعْضُ الْمَعْذِرِ تَفْنِيدٌ^(٢)
 وَذَلِكَ أَنَّ الْفُحُولَ الْبَيْضَ عَاجِزَةٌ
 عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيْفَ الْخُصِيَّةُ السُّودُ^(٣)

وقال يمدح أبا الفضل محمد بن الحسين بن العميد ، ويهينه بعيد النيروز ،
 ويصف سيفاً قلده إياه ، وفرساً حمله عليه ، وجائزة وصله بها ، وكان قد عاب قصيدته
 الرائية الآتية:

جَاءَ نَيْرُوزُنَا وَأَنْتَ مُرَادُهُ ، وَوَرَّتْ بِاللَّيِّ أَرَادَ زِنَادُهُ^(٤)

(١) النخاس . بياع الرقيق . والفلس : قطعة مضروبة من النحاس يتعامل بها ،
 ودامية : حال . وبالفلسين : متعلق بمردود . وأذنه — بسكون الذال ، وضمها — لفتان .
 يقول : إنه مملوك اشترى بضمن ، إن زيد عليه قدر فلسين لم يشتر لحسته . وهذا غاية
 في التحقير لشأنه .

(٢) التفنيد : اللوم وتضعيف الرأي . وكويفير : تصغير كافور ، وللزاد : التحقير .
 يقول : هو أولى اللثام بأن يعذر على لؤمه لحب أصله وخسة قدره وعجزه عن الكرام ،
 وهذا العذر لوم له وهجاء وتوبيخ على الحقيقة . وقد صرح بعذره في البيت التالي .

(٣) الخصية : جمع خصى . يقول : إن الكرام عاجزون عن فعل الجميل فكيف
 يقدر عليه اللثام . قال الواحدى . عرض في المصراع الأول بغيره من اللوك .

(٤) النيروز : أحد أعياد الفرس . قال في التاج : معرب نوروز ؛ فردته العرب
 إلى فيعول ، حتى يكون على مثال قيصوم وديجور ونحوهما . وهو أول يوم من السنة
 عند حلول الشمس في أول الحمل . والزناد : جمع زند ، وهو الخمر يقتدح به : وورى
 الزند إذا أخرج ناراً ، وورى الزناد — كناية عن بلوغ المراد ؛ تقول العرب : ورت بفلان
 زنادى : أى أدركت به حاجتى ومرادى . يقول : جاء هذا اليوم وأنت مراده ومقصوده
 بمجيئه تيمناً بطلعتك ، وقد تحقق مراده وظفر به حين وفد عليك ورآك .

هَذِهِ النَّظْرَةُ الَّتِي نَآلَهَا مِنْكَ إِلَى مِثْلِهَا مِنْ الْحَوْلِ زَادُهُ^(١)
يَنْتَنِي عَنْكَ آخِرَ الْيَوْمِ مِنْهُ نَاطِرُ أَنْتَ طَرْفُهُ وَرَقَادُهُ^(٢)
نَحْنُ فِي أَرْضِ فَارَسٍ فِي سُرُورٍ ذَا الصَّبَاحِ الَّذِي نَرَى مِيلَادَهُ^(٣)
عَظَمَتُهُ مَمَالِكُ الْفَرَسِ حَتَّى كُلِّ أَيَّامٍ عَامِهِ حُسَادُهُ^(٤)
مَا لَبِسْنَا فِيهِ الْأَكَالِيلَ حَتَّى لَبِسْتَهَا تِلَاعُهُ وَوِهَادُهُ^(٥)

(١) زاده - آخر البيت - خبر هذه . يقول : هذه النظرة التي ظفر بها النيروز منك اليوم إنما تزودها إلى أوان مثلها من العام القابل - أي أنها له كالزاد يعاش به : لأنه لا يزورك إلا مرة واحدة في كل عام .

(٢) ناظر : فاعل ينتني ؛ والناظر : العين . يقول : عند انسلاخ هذا اليوم ينتني عنك ناظره الذي أنت ضياؤه وطيه يفارقك على حزن وأسف . وقال ابن جني : إذا انصرف عنك هذا اليوم بآتهائه خلف طرفه - أي بصره - ورقاده لديك فبقى بلا ضياء ولا نوم إلى أن يعود إليك ؛ والمعنى أنه يفارقك وهو آسف محزون ، فلا ينام ولا يسر برؤية غيرك حتى يراك ثانياً .

(٣) في أرض فارس : حال من ضمير المتكلمين في الظرف بعده ، وهو خبر نحن وقوله : ذَا الصَّبَاحِ : مبتدأ ؛ وميلاده : خبر ؛ والجملة : صفة لسرور . يقول : نحن في سرور بأرض فارس ، وقد ولد هذا السرور في هذا الصباح - أي صباح عيد النيروز - لأن الناس يفرحون فيه ويمرحون . وقوله : الَّذِي نَرَى ، يروي : الذي يرى .

(٤) يقول : إن ممالك الفرس قد عظمت هذا اليوم حتى حسدته كل أيام السنة لتفضيلهم إياه عليها . وممالك : إما جمع ملك - مثل مشايخ وشيوخ - وإما على حذف مضاف : أي أهل ممالك الفرس .

(٥) أتلّاع : جمع تلة ، وهي ما ارتفع من الأرض . والوهاد : جمع وهد ، ما انخفض من الأرض . والأكاليل جمع إكليل ، وهو في الأصل ما يجعل على الرأس كالتياج . قالوا : كان من عادة الفرس إذا جلسوا في مجلس اللهو والشراب يوم النيروز أن يتخذوا أكاليل من النبات والزهر فيضعوها على رؤوسهم . يقول المتنبي : ما لبسنا الأكاليل في هذا اليوم حتى كسيت الأرض - جبالها ووهادها - مثل الأكاليل من النبات والأزهار . والإضافة في « تِلَاعُهُ وَوِهَادُهُ » : على معنى « في » ؛ والضمير : للنيروز . والبيت من قول أبي تمام :

عِنْدَ مَنْ لَا يُقَاسُ كِسْرَى أَبُو سَا سَانَ مُلْكًا بِهِ وَلَا أَوْلَادُهُ^(١)
مَرْبَى لِسَانُهُ ، فَلَسَنِي رَأْيُهُ ، فَارِسِيَّةٌ أَعْيَادُهُ^(٢)
كَلِمًا قَالَ نَائِلٌ أَنَا مِنْهُ مَرْفٌ ، قَالَ آخَرٌ : ذَا أَقْبَعَادُهُ^(٣)

حَتَّى تَعَمَّ صَلُحُ هَامَاتِ الرُّبَا مِنْ نَبْتِهِ وَتَازَرَ الْأَهْضَامُ^(١)
وقال ابن جني : يريد - التنبي - أن الصحراء قد تكامل زهرها فجعله كالأكليل عليها .. قال العروضي - ناقدًا - كيف يصح ما قاله ابن جني وأبو الطيب يقول : مالمسنا ولم يقل ما لبست الصحراء وما يشبه هذا مما يكون دليلاً على ما قال ابن جني . ولكن كان من عادة الفرس إذا جلسوا في مجالس اللهو والشراب يوم النيروز أن يتخذوا أكاليل من النبات والأزهار فيجعلوها على رؤوسهم ، ثم أنشد بيت أبي تمام المتقدم ثم قال : وهذا البيت - بيت أبي تمام - سليم ، ووجه قول التنبي أنه أراد حق لبستها تلاعه والتحف بها وهاده ، فيكون من باب علفتها تبنا وماء بارداً . ومعنى البيت : أن النبات قد عم الأرض مرتفعها ومنخفضها ؛ وبيت أبي تمام أحسن سبكاً .

(١) يقول : إن ملك المدوح - ابن العميد - أعظم من ملك الأكَسرة . وكسرى : لقب الساسانية من ملوك الفرس من ولد كيهن بن ساسان الأكبر . وكسرى : معرب خسرو ، ومعناه واسع الملك ؛ وتنطقه العرب بفتح الكاف وبكسرهما ، وقد أنشدوا بالفتح بيت الفرزدق :

إِذَا مَا رَأَوْهُ طَالَمَا سَجَدُوا لَهُ كَمَا سَجَدَتْ يَوْمًا لِكِسْرَى مَرَاذِبُهُ
(٢) يقول : هو عربي اللسان ، ورأيه رأى الفلاسفة ، لأنه حكيم ؛ وأعياده أعياد فارسية كالنيروز والمهرجان . والبيت - كما ترى - مركب من ثلاث جمل : كل جملة مبتدأ وخبر ، قدم فيها الخبر على المبتدأ .

(٣) النائل : العطاء ؛ والسرف : التبذير ؛ ومنه : حال مقدمة من سرف ، والاقتصاد ضد السرف . يقول : إنه كلما بالغ في العطاء - أي أعطى كثيراً - فقال ذلك العطاء البالغ الكثير : أنا سرف منه وتبذير ؛ أتبعه بعطاء أكثر منه وأبلغ يقول - أي هذا العطاء الأكثر - كان العطاء الأول اقتصاداً . وهذا تمثيل ، لأن العطاء لا يقول شيئاً ،

(١) الأهضام : جمع هضم ، وهو اللطم من الأرض .. جعل ما على الربا بمنزلة العمامة ، وما على الأهضام بمنزلة الإزار .

كَيْفَ يَرْتَدُّ مِنْكِي عَنْ سَمَاءِ وَالنَّجَادُ الَّذِي عَلَيْهِ نَجَادُهُ^(١)
 قَلَدَنِي بِمِثْنِهِ بِحَسَامِ أَغْقَبْتُ مِنْهُ وَاحِدًا أَجْدَادُهُ^(٢)
 كُلُّنَا أُنْشَلَّ ضَاكِكْتُهُ إِيَاةُ تَزَعُمُ الشَّمْسُ أَنَّهَا أَرَادَهُ^(٣)

ولكن يستدل بحاله ، فكأنه قاتل . وملخص المعنى : أنه إذا استكثر الناس منه عطاء قل ذلك في جنب ما يبقعه ،

(١) النجاد : حمالة السيف . يقول : كيف أنكل عن مفاخرة ذى غر ؟ وكيف يقصر منكبي عن أن يزحم السماء علواً والنجاد الذى عليه — أى على منكبي — هو نجاده — أى نجاد المدوح — الذى بلغ بى أقصى الشرف ؟ يشير إلى السيف الذى قلده إياه : وملخص المعنى : أنه تشرف بتقلده سيفه حتى صار يماجد به كل ماجد .

(٢) أعقب الرجل : ترك عقباً ، أى ولداً ، يقول : قلدى سيفاً ماضياً لم تعقب أجداده منه — أى لم تلد من نوعه — إلا واحداً . يعنى هذا السيف نفسه وأراد بأجداد السيف معادن الحديد التى يستخرج منها ، وملخص المعنى : قلدى سيفاً لم يطبع مثله ، فلا نظير له .

(٣) إياة الشمس : ضوءها وشعاعها ونورها وحسناً ، قال طرفة بن العبد :

سَقَّتُهُ إِيَاةُ الشَّمْسِ إِلَّا لِثَانَتِهِ أُسِفَ وَلَمْ تَكْدِمِ عَلَيْهِ بِإِعْدِ^(١)

وكذلك الآياء — مفتوح الأول بالذ — والإيا — مكسور الأول ، بالقصر ، والآرآد جمع رآد ، وهو ارتفاع الضحى وروقه ، يقول : كلما جرد هذا الحسام من غمده برقت في صفحه إياة من الشمس كأنما تضاحكه ، ولشدة بريق الإياة تنخدع الشمس لدى رؤيتها فتحسب الحسام شمساً أخرى قد التهمت هذه الإياة من أشعتها . يشير إلى أن شعاع هذا السيف يضاقى شعاع الشمس وأن الشمس تقرباً أن ضوءها كهضوته ، والضمير فى أنها : للآياة ، قال الواحدى وإنما جمع الأرآد مع توحيد الإياة حملاً على المعنى ، فإن عند كل سلة مضاحكة

(١) من معلقة طرفة . يقول : سقى ثغر محبوبته شعاع الشمس : أى كأن الشمس أعارته ضوءها ثم استنتى اللثات ، لأن اللثة — وهى مغرز الأسنان — لا يستحب بريقها ، ثم قال : أسف : أى ذر الإعد — وهو الكحل — على اللثة ولم تكدم — أى تعض — بأسنانها على شيء يؤثر فيها ، ونساء العرب تذر الإعد على الشفاه واللثات فيكون ذلك أشد للمعان الأسنان .

مَثَلُهُ فِي جَفْنِهِ خَشْيَةَ الْفَقْدِ فِي مِثْلِ أَثَرِهِ إِغْتَادُهُ^(١)
مُنْعَلٌ لَا مِنَ الْحَفَا ذَهَبًا يَحْمِلُ بَحْرًا فَرْنَدُهُ إِزْبَادُهُ^(٢)
يَقْسِمُ الْفَارِسَ الْمُدَجَّجَ لَا يَسْلَمُ مِنْ شَفَرَتَيْهِ إِلَّا بِدَادِهِ^(٣)

بينه وبين إياة الشمس . وقال العكبري : يجوز أن يكون أراد جمع رُند ، وهو الترب ، قال كثير ولم يهمز :

وقد دَرَعُوها وهي ذاتُ مَوْصِدٍ مَجُوبٍ وَلَمَّا يَلْبَسِ الدَّرْعَ رِيذُها^(١)
(١) الأثر : الفرند ، وهو جوهر السيف . ومثله في جفنه : أى جعلوا غمد هذا السيف على مثاله . وذلك بأن غشوه فضة . وقوله : فى مثل أثره إغماده : يعنى أنه يغمد فى غمد عليه آثار كأثره - أى فرنده . وهو جوهر السيف - يقول : إن مانسج من الفضة على غمده تصوير وتمثيل لما على متنه من الفرند ، وإنما فعل به ذلك إرادة أن لا تنفقه العين إذا أغمد ، بل يكون كأنها ناظرة إليه : أى أنه لحسنه لا يود ماله أن يفقد منظره بإغماده ، ومن ثم مثله فى جفنه . وقال الواحدى : خشية الفقد : يريد أن الناس يقولون : إن هذا السيف عزيز ، فلعره وخوف فقده غشوا جفنه بالفضة . وقال ابن جني : صونا للجفن من الصدا لئلا يأكله . . . وقال الخطيب التبريزي : إنما جعل غمده مشبها له فيقوم مقامه ، وفى معناه :

إذا برقوا لم تعرف البيض منهم سرايلهم من مثلها والعائم
(٢) منعل : أى ملبس نعلا ، وهو ما يصاغ فى طرف الغمد . والحفا : يريد الحفاء - بالمد - وهو المثنى بلا نعل ؛ وذها : مفعول ثان لمنعل ؛ والضمير فى فرنده : للسيف ؛ ومن إزباده : للبحر . يقول : إن هذا الجفن قد جعل له نعل من الذهب وليس ذلك للحفاء ، وهو يحمل من هذا السيف بحراً ، يعنى كثرة مائه ، ولما جعله بحرا جعل تواج الفرند فيه بمنزلة الزبد « هذا » والسيف لا يوصف بالحفاء ، ولكن ذكره اقتنانا لإيهام لفظ النعل .

(٣) المدجج : اللغظى بالسلاح . والبداد : حشية تجعل فى جانب السرج ، وهابدادان يقول : إذا ضرب به الفارس الملقع فى سلاحه قطعه نصفين من فوق إلى أسفل ، وقطع السرج أيضا ، فلا يسلم منه إلا جانب السرج ، لأنحرافهما على الجانبين . وقوله : من شفرته - والحال

(١) المؤصد : صدر تلبسه الجارية - الوليدة - فإذا أدركت درعت ، وكل شئ قطع وسطه فهو مجوب ، ومنه سمي جيب القميص .

جَمَعَ الدَّهْرُ حَدَّهُ وَيَدَيْهِ وَثَنَانِي فَاسْتَجَمَعَتْ أَحَادُهُ^(١)
وَتَقَلَّدَتْ شَامَةً فِي نَدَاهُ جِلْدُهَا مِنْفَسَاتُهُ وَعَتَادُهُ^(٢).

أن السيف إنما يقطع بشفرة واحدة - لأنه أراد بأي شفرته ضرب، عمل هذا العمل .
(١) يقول : إن الدهر جمع حد هذا السيف ويدي المدوح في الضرب وشعري في وصفه ، فاجتمعت بذلك آحاد الدهر التي لانظير لها ؛ فلا سيف كهذا السيف ولا يد في الضرب به كيد المدوح ولا ثناء كثنائي .

(٢) الشامة : الحال - بثرة سوداء في الجسم حولها شعر . وقوله : في نداء ، أي في جملة نداء : أي جوده : والنفسات : الأشياء النفيسة ، جمع منفس ؛ والعقاد : العدة ؛ يقول : تقلدت سيفاً هو على نفاسته وجلالة قدره في جنب ما أهدانيه - من نقاش الخيل والاثياب والأسلحة - يعد قليلاً كالشامة في الجلد . شبه السيف الذي قلده إياه بالشامة ، وسائر هداياه بالجلد الذي تكون فيه الشامة . وقد اضطربت كلمة الشراح في هذا البيت اضطراباً أشفقنا عليهم منه ، لأنهم على أستاذيتهم ذهبوا في تأويله مذاهب بعيدة لم تخطر للتنبّي على بال ، فضلاً أن البيت ينبو بمثلها . وإذا آيت إلا ذكرها فإليكها . قال الواحدى : حكى أبو على بن فورجة عن أبي العلاء المعري في هذا البيت قال : يعنى أن الغمد بما عليه من الحلى والذهب أنفس من السيف ، لأنه كان يحلى بكثير من الذهب ، فجعل الغمد جلداً ؛ إذ جعل السيف شامة . قال أبو على : والذي عندي أنه أراد بجلده ظاهره الذي عليه الفرند ، لأن أنفس ما في السيف فرنده ، وبه يستدل عليه في الجودة . وقال أبو الفتح : يعنى أنه يلوح فيما أعطاه كما تلوح الشامة في الجلد لحسنه ونفاسته . وقوله : جلدها منفساته وعتاده : أي ما يلى هذا السيف مما تقدم منه وتأخر كالجلد حول الشامة . وقال أبو الفضل العروضى منكرًا على أبي الفتح : ألم يجد التنبّي مما يحسن في الجسد شيئاً فوق الشامة كالعين الحسناء لكنه أراد أن هذا السيف - على حسنه وكثرة قيمته - كالنقطة فيها أعطاه . ألا تراه يقول جلدها منفساته ؟ أي قدر هذا السيف وهو عظيم القيمة فما أعطاه كقدر الشامة في الجلد . قال الواحدى : وهؤلاء الذين حكينا كلامهم كانوا أئمة عصرهم ، ولم يكشفوا عن معنى البيت ولا بينوه يانا يقف التأمل عليه ويقضى بالصواب ؛ ومعنى البيت : أنه جعل ذلك السيف شامة ، والشامة تكون في الجلد ، ولما ساء شامة سمى ما كان معه من الهدايا - التي كان السيف في جملتها - جلداً ؛ والكناية - في المنفسات والعقاد - يعودان إلى المدوح ؛ وذلك أنه أهدى إليه أشياء نفيسة من الخيل والاثياب والأسلحة ، فهو يقول هذا السيف في جملتها شامة في جلد ؛ قال : وقول ابن فورجة هو س لاشيء . وقال ابن

فَرَسْتَنَا سَوَابِقُ كُنَّ فِيهِ فَارَقَتْ لِيَدَهُ وَفِيهَا طِرَادُهُ^(١)
وَرَجَعَتْ رَاحَةً بِنَا لَا تَرَاهَا وَبِلَادٌ تَسِيرُ فِيهَا بِلَادُهُ^(٢)
هَلْ لِمُعْذِرِي عِنْدَ الْمُهَاجِمِ أَبِي الْفَضْلِ قَبُولٌ سَوَادُ عَيْنِي يَدَادُهُ^(٣)
أَنَا مِنْ شِدَّةِ الْحَيَاءِ عَلِيلٌ مَكْرُمَاتُ الْمَلِكِ حَوَادُهُ^(٤)

القطاع : يريد : أن السيف - على جلالة قدره وما عليه من الذهب - كالشامة في جنب
مأخذت منه . وقوله : جلدها ، يريد ما عليه من الفرند الذي من أجله يستمد وينال في
ثمنه ، وقيل : يريد بجلده جفنه وما عليه من الذهب والفضة والجوهر المكلل .

(١) كن فيه : أى كن في نداءه ؛ والبد : ما تحت السرج . يقول : كان في جملة
عطائه خيل سوابق فارقت سرج ابن العميد إلى سروجنا فصيرتنا فرسانا وتعلمنا الطراد
بركوبها بما تعلمت لديه من آداب المطاردة ، وقوله : فرستنا أى علمتنا للفروسية . وفارقت
ليده ؛ يريد فارقت سرج ابن العميد إلى سرجي حين أعطاناها . وفيها طراد : أى وفيها
تقويمه وأدب طراد . وقال ابن جنى : أى قد صرت معه كواحد من حملته إذا سار إلى
موضع سرت معه وطاردت بين يديه ، فكأنه هو للمطارد عليه ... وعلى هذا يكون معنى
فرستنا حملتنا حتى ضربنا فرسانا . وقوله : وفيها طراد ، أى عليها . قال العروضي : كلام
ابن جنى كلام من لم ينتبه عن نومة الغفلة . وإنما يقول : فارقت هذه الخيل ليده ، وفيها
تأديبه وتقويمه ، ثم قال : والمعنى : إن الخيل السوابق التي كانت عنده مما أعطانا علمتنا
الفروسية . لأنها قد فارقت ليده حين أعطاناها . وفيها ماعله بطراد . وتأديبه

(٢) يقول : إن هذه الخيل التي أهداها إلينا لما انتقلت إلى درجت أن تستريح من طول
كده إياها ، لكنها لا ترى ما ترجوه مادمنا في بلاده ، لأننا لا نزال نفزومعه بفزوة ونطارده
عليها مع إذا ركب للصيد ، وإنما تستريح إذا فارقتنا خدمته ، ونحن لا نفارق خدمته وبلاده
قوله : وبلاذ ألخ : جملة حاله من مبتدأ وخبر .

(٣) يشير إلى نقد ابن العميد لقصيدته الرائية ، ويعتذر عما فرط فيها مما يؤاخذ به .
يقول : هل يقبل عذري ؟ أو هل لديه قبول لمعذري ؟ وقوله : سواد عيني مداده : جملة
استثنائية دعائية : أى جعل الله سواد عيني مدادا له وإنما دعا له بذلك إشارة إلى أن ابن
العميد من أهل الأدب والعلم ، المشتغلين بالكتابة والتأليف . والمداد : الخبر ، والهام :
السيد الشجاع السخي .

(٤) المواد : جمع عائد ، وهو زائر المريض . يقول : أنا لشدة حيائي كالعليل ،

مَا كَفَانِ تَقْصِيرُ مَا قُلْتُ فِيهِ عَنْ عَلَاهُ حَتَّى ثَنَاهُ اُنْتِقَادُهُ (١)
إِنِّي أَصِيدُ الْبَزَاةَ وَلَكِنْ أَجَلُ النُّجُومِ لَا أَضْطَادُهُ (٢)
رُبَّ مَا لَا يُقَبَّرُ اللَّفْظُ عَنْهُ

وَالَّذِي يُضْمِرُ الْفَوَادُ اُعْتِقَادُهُ (٣)

مَا تَعَوَّدْتُ أَنْ أَرَى كَأَبِي الْفَضْلَ وَهَذَا الَّذِي أَتَاهُ اُعْتِنَادُهُ (٤)

وهذا الذي أعلني تأتيني كل يوم كأنها عواد تعودني . وإنما كان شديد الحياء لأن ابن العميد قد شعره . ولذا جعله معلاله ؛ وقد شرح ذلك في الأبيات التالية .

(١) عن علاه : متعلق بتقصير ؛ وثناه : صار ثانيه . والضمير : للتقصير ، يقول : ما كفاني تقصير شعري عن علاه وعجزى عن وصفه حتى شفعه بنقده ، فتقصير شعري ونقده هما سبب شدة حيائي .

(٢) أصيد : أفعل تفضيل ، من الصيد ، يقول : أنا في الشعراء كالبازي الأصيد في البزاة ، ولكن البازي مهما كان بارعاً في الصيد ليس في مكتته أن يبلغ النجوم فيصيدها ، يعني : أتى وإن كنت حاذقاً في الشعر وبالعالم منه الغاية التي لا بعدها فإن كلامي لا يبلغ أن يصف ابن العميد ويقوم بما يجب من مدحه وقال ابن جني : لو استوى له أن يقول : أعلني النجوم — بدل أجل النجوم — لكان أليق ، وقال الواحدى : يريد بأجل النجوم زحلاً ، جعل هذا مثلاً للممدوح .

(٣) يقول : رب أمر يعتقده القلب ولكن اللسان يعجز عن أن يعبر عنه باللفظ لبوغيه مبالغاً لا يحيط به الوصف ، وهذا اعتذار عن قصوره في وصفه ومدحه فما — من قوله رب ما — نكرة موصوفة بمعنى شيء ، أو أمر . وقوله : والذي الخ : حال ؛ والضمير من اعتقاده : يرجع إلى ما .

(٤) يقول : لم أتعود أن أمدح مثله ، فإن قصرت عن كنه وصفه كنت معذوراً ؛ لأن عادتي لم تجر بمدح مثله ، والذي ورد عليه من الشعر شيء معتاد عنده لأنه لا يزال يمدح ، فهو أعلم الناس بالشعر . أو تقول : وهذا الذي أتاه — أى هذا الذى فعله من النقد — هو عادته لبصره بالشعر ونقده . قال الواحدى : وهذا يدل على تحرز أبى الطيب منه وتواضعه له ولم يتواضع لأحد في شعره تواضعه لابن العميد . وقال ابن جني : يريد لم أمدح مثله ، فلذلك قصرت عن وصفه له ، والذي أتاه من الكرم عادة له لم يتطبع به . قال الواحدى : وهذا الذى يقوله ابن جني ليس بشيء ، لأنه ليس في وصف كرمه ، وإنما يعتذر إليه في تقصيره .

إِنَّ فِي الْمَوْجِ لِلْفَرِيقِ كَمِذْرًا وَاضِحًا أَنْ يَفُوتَهُ تَعْدَادُهُ^(١)
 لِلنَّدَى الْغَلْبُ إِنَّهُ فَاضٍ وَالشُّعْرُ عِمَادِي وَأَبْنُ الْعَمِيدِ عِمَادُهُ^(٢)
 نَالَ ظَنِّي الْأُمُورَ إِلَّا كَرِيمًا لَيْسَ لِي نُظْفُهُ وَلَا فِي آدُهُ^(٣)
 ظَالِمُ الْجُودِ كُلَّمَا حَلَّ رَكْبٌ سِمَ أَنْ تَحْمِلَ الْبِحَارَ مَزَادَهُ^(٤)
 غَمَرْتَنِي فَوَائِدُ شَاءَ فِيهَا أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مِمَّا أَفَادَهُ^(٥)
 مَا سَمِعْنَا مِنْ أَحَبِّ الْعَطَايَا
 فَأَشْتَهَى أَنْ يَكُونَ فِيهَا فُؤَادُهُ^(٦)

(١) يقول : إن فاتني عد بعض أوصافك فلم آت على جميعها ، كان عذري واضحا ،
 لأنني غرقت فيها لتوافر محامدك ، والغريق في البحر إن لم يستطع تعداد الأمواج كان
 عذره واضحا ، وتلخيص المعنى : أن فكري غرق في فضائلك ، فليس لي إلى استيفاء
 وصفها من سبيل . وقوله : أن يفوته : أي في أن يفوته ، وهو من صلة العذر ؛
 والتعداد : العد .

(٢) يقول : إن لجوده الغلبة فهو غالبني ؛ لأن عماده ابن العميد وعمادي الشعروهو
 ناقده ، فكيف لي أن أغلبه بالشعر ؟ فالنَّدَى : الجود ؛ والضمير في عماده : للندي .
 (٣) الظن - ههنا - بمعنى العلم ؛ ويروى : طي ، وهو بمعنى العلم أيضا ، والآد :
 القوة . يقول : لقد قتلت الأمور علما ، غير أنني قاصر عن مدح كريم ليس لي فصاحته
 في الكلام ولا قوته في علم الشعر .

(٤) المزداد : جمع مزادة ، وهي القرية . يقول : إن جوده ظالم ، وذلك أنه كلما صمد
 إليه ركب أغدق عليهم من عطاياه ما لا يطيقون حمله ، وهذا ظلم ، لأنه غير ممكن ،
 وهل يمكن حمل البحر في القرب ؟! فقوله : ظالم الجود ، من إضافة الوصف إلى فاعله .
 وسيم : كلف .

(٥) يقول : إنه أرشده بانتقاده شعره إلى صواب القول ، ونبهه بذلك إلى ما كان
 غافلا عنه ، فكان حسن القول وصحة الكلام ، من جملة الفوائد التي أفادها منه .

(٦) يقول : لم نسمع قبله بجواد يحب الإعطاء ويتمنى أن يكون قلبه من جملة عطاياه
 يريد : أن ما أفاده العلم هو نتاج عقله ونبات فكره ، فكأنه أعطاه عقله ؛ والفؤاد هنا :
 بمعنى العتل .

خَلَقَ اللهُ أَفْصَحَ النَّاسِ طَرًّا فِي مَكَانِ أَغْرَابِهِ أَكْرَادُهُ^(١)
وَأَحَقَّ الْغِيُوثِ نَفْسًا بِمَحْدٍ فِي زَمَانِ كُلِّ النَّفُوسِ جَرَادُهُ^(٢)
مِثْلًا أَخَذَتْ النُّبُوءَةَ فِي الْعَالَمِ لَمْ وَالتَّبَعَتْ حِينَ شَاعَ فَسَادُهُ^(٣)
زَانَتْ اللَّيْلَ غُرَّةُ الْقَمَرِ الطَّا لِحَ فِيهِ وَلَمْ يَشْنُهُ سَوَادُهُ^(٤)
كَثَرَ الْفِكْرُ كَيْفَ نَهْدَى كَمَا أَهْدَتْ إِلَى رَبِّهَا الرَّئِيسِ عِبَادُهُ^(٥)
وَالَّذِي عِنْدَنَا مِنَ الْمَالِ وَالْخَيْلِ فِينَهُ هِبَاتُهُ وَقِيَادُهُ^(٦)

(١) يريد بأفصح الناس : المدوح . يقول : إنه أفصح العرب ، وهم أفصح الناس ،
يبد أنه في بلد أهله أكراد لا عرب . يريد أهل فارس . وروى ابن جني : أفضل
الناس ، وليس بشيء .

(٢) وأحق : عطف على أفصح . يقول : وخلق الله غيثاً هو أخلق الغيث بالحمد -
يعنى المدوح - لمعوم صلاحه ، فأوجد هذا الغيث في زمان قد استشرى فساد أهله
وشاع في الأرض ، فكانوا كالجراد . وقال ابن جني : جعله غيثاً وجعل الناس كلهم -
لا احتياجهم إليه - جراداً ، فإن الجراد حياته في الغيث والكلأ .

(٣) يقول : لما شاع الفساد في العالم بالناس الذين جعلهم كالجراد : خلق الله ابن
العميد ليتدارك به ذلك الفساد ، كما أنه لما عم الكفر والشرك بعث الله النبيين مبشرين
ومنذرين . وهذا من قول الفرزدق :

بُعِثَتْ لِأَهْلِ الدِّينِ عَدْلًا وَرَحْمَةً وَبُرْءًا لَأَنْتَارِ الْجُرُوحِ الْكَوَالِمِ
كَأَنَّ بَعَثَ اللهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا عَلَى قَتَرَةٍ وَالنَّاسِ مِثْلُ الْبَهَائِمِ

قوله : والبعث ، أى بعث الرسل ، عطف على النبوة .

(٤) غرة القمر : طلعه وضوؤه . ويشنه : يبعه . لما ذكر عموم الفساد في الناس
والزمان : ذكر أن ذلك الفساد لا يتعدى إليه ، وأنه سبب لإصلاحه كالقمر يطلم فيجلو
سواد الليل ولا يشينه ذلك السواد .

(٥) و (٦) يقول : كثر الفكر في كيف نهدي إليك شيئاً كما يهdy العبيد إلى
أربابها وكل ما عندنا من المال والخيول فن عندك وهبته وقدمته إلينا . قوله : إلى ربها
أى سيدها ؛ والضمير : لعباده . وعباده : أى عبيده ؛ والرئيس بدل من « ربها »
والذى - إلى آخر البيت - حال . وفي البيت الثانى طى ونشر لا يخفى . وهذا من
قول ابن الرومى :

قَبَعْنَا بِأَرْبَعِينَ مِهَارًا كُلُّ مَهْرٍ مِيدَانُهُ إِنْشَادُهُ^(١)
عَدَدُ عِشْتِهِ يَرَى الْجِسْمُ فِيهِ أَرَبًا لَا يَرَاهُ فَمَا زَادُهُ^(٢)
فَارْتَبَطَهَا فَإِنَّ قَلْبًا نَمَاهَا مَرَبُطٌ تَسْبِقُ الْجِيَادَ جِيَادُهُ^(٣)

- مِنْكَ يَا جَنَّةَ النِّعَمِ الْهَدَايَا أَفُنْهَدِي إِلَيْكَ مَا مِنْكَ يَهْدِي
- (١) المهار : جمع مهر . يروى بالنصب على الحال ، لأن في المهر معنى الفتي والفرس إذا كان فتياً كانت الرغبة فيه أشد ، ويروى بالجر : على أنه بدل من أربعين ، أو يان لها . وقوله : كل مهر الخ ، نعت لمهار : أى كل مهر منها . كنى بالمهار عن أبيات القصيدة لأنها أربعون بيتاً ، وجعل ميدانها الإنشاد لأنها تعرف به كما يعرف المهر في الميدان إذا جرى فيه عرف جريه يقول : فبعثنا إليك بأربعين بيتاً من الشعر ، ميدان كل بيت إنشاده : أى أنه إذا أنشد عرف قدره : كما أن للمهر إذا أجرى في الميدان عرف .
- (٢) عدد : خبر مبتدأ محذوف : أى أن الأربعين هى عدد الخ : وقوله عشته : دعاؤه ، يدعوه بأن يعيش هذا العدد من السنين علاوة على ما عاشه ؛ قال الواحدى . وكان ابن العميد في ذلك الوقت قد جاوز السبعين وناهر الثمانين ، وقوله : يرى الجسم فيه الخ : أى أن عدد الأربعين يرى الإنسان فيه من أرب العيش وحاجه مالا يراه في السنين التى زادها بعد ذلك : أى فلماذا اختار هذا العدد ، فجعل القصيدة أربعين بيتاً : وقاله ابن جنى : الأربعون إذا تجاوزها الإنسان نقص عما يبعد من أحواله في جسمه وتصرفه .
- (٣) نماها : أى ارتفع إليه نسبها ، فهو من نماء النسب : وعبر بذلك جرياً على عادة العرب في حفظ أنساب الحيل : لما سمى الأبيات مهاراً عبر عن حفظها وإمسائها بالارتباط ليتجانس الكلام : يقول : فاحتفظ بها فإن القلب الذى صدرت منه واتصلت نسبتها إليه تسبق جياده جواد كل مربوط : يعنى أن الشعر الذى يقوله أفضل من شعر سواه .

وورد عليه كتاب ابن العميد يتشوقه فقال ارتجالاً :

بِكُتِبِ الْأَنَامُ كِتَابٌ وَرَدَّ
فَدَتِ يَدَ كَاتِبِهِ كُلَّ يَدٍ^(١)
يَعْبُرُ عَمَّا لَهُ عِنْدَنَا ،
وَيَذْكُرُ مِنْ شَوْقِهِ مَا نَجِدُ^(٢)
فَأُخْرِقَ رَأْيِيهِ مَا رَأَى ،
وَأُبْرِقَ نَاقِدَهُ مَا انتَقَدُ^(٣)
إِذَا سَمِعَ النَّاسُ أَلْفَظَهُ
خَلَقْنَ لَهُ فِي الْقُلُوبِ الْحَسَدَ^(٤)

(١) أى يفدى بكتب الأنام جميعاً هذا الكتاب الوارد على لأن شرفه وقدره عظيم وقوله : فدت الح : جملة دعائية .

(٢) يقول : إن ذلك الكتاب يعبر عن الشوق الذى لكاتبه عندنا ؛ أى أنا نشاق إليه كما يشاق هو إلينا ، ويذكر من شوقه إلينا ما نجد من الشوق إليه .

(٣) أخرق : أدهش وحير ؛ من خرق الظبي : دهش فلصق بالأرض ولم يقدر على النهوض ؛ وقد أخرقه الفزع لفرق وأبرق : حير ؛ تقول : برق بصره : تحير فلم يطرف قال ذو الرمة :

وَلَوْ أَنَّ لَهَا نَ الْحَكِيمَ تَعَرَّضَتْ
لَعَيْنَيْهِ تَى سَافِراً كَادَ يَبْرِقُ

يقول المتنبي : إن الذى رأى هذا الكتاب حيره ما رآه من حسن خطه ، والذى انتقد لفظه أدهشه ما انتقد من فصاحته .

(٤) يقول : إن ألفاظه تحدث له الحسد فى القلوب فتحسده قلوب السامعين على حسن لفظه .

قَتَلْتُ ، وَقَدْ فَرَسَ النَّاطِقِينَ
كَذَا يَفْعَلُ الْأَسَدُ ابْنُ الْأَسَدِ^(١)

(١) فرس الناطقين افترسهم : جعل إحرازه الغاية من الفصاحة دون غيره من الناس كالافتراس ، أى أنه وصل في غلبهم والاستيلاء على ألبابهم بما ألقى عليهم الدهش والحيرة إلى مثل ما يصل إليه الأسد إذا افترس فريسته : ولما وصفه بالافتراس جعله أسداً في الصراع الثانى ، لأن الافتراس من أفعال الأسد . قال الواحدى : ولو خرس المتنبي ولم يصف كتاب أبى الفتح ابن العميد بما وصف لكان خيراً له ، وكأنه لم يسمع قط وصف كلام ! وأى موضع للاخراق والإبراق والفرس في وصف الألفاظ والكتب هلا احتذى على مثال قول البحرى يصف كلام ابن الزيات :

فِي نِظَامٍ مِنْ الْبَلَاغَةِ مَا شَكَّ امْرُؤٌ أَنَّهُ نِظَامٌ فَرِيدٌ
وَبَدِيعٌ كَأَنَّهُ الزَّهْرُ الضَّالُّ حَكٌّ فِي رَوْنَقِ الرَّبِيعِ الْجَدِيدِ
مُشْرِقٌ فِي جَوَانِبِ السَّمْعِ مَا يُخْلِقُهُ عَوْدُهُ عَلَى الْمُسْتَعِيدِ
وَمَعَانٍ لَوْ فَصَّلَتْهَا الْقَوَافِي هَجَجَتْ شِعْرَ جُرُولٍ وَلَبِيدِ
حُزْنٍ مُسْتَعْمِلِ الْكَلَامِ اخْتِيَاراً وَتَجَنَّبِ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ

وورد عليه كتاب عضد الدولة يستزيره ؛ فقال عند مسيره مودعا ابن العميد سنة أربع وخمسين وثلاثمائة :

نَسِيتُ وَمَا أَنْسَى عِتَابًا عَلَى الصَّدِّ وَلَا خَفَرًا زَادَتْ بِهِ حُمْرَةُ الْخُلْدِ^(١)
وَلَا لَيْلَةً قَصَرَتْهَا بِقَصُورَةٍ

أَطَالَتْ يَدِي فِي جِيدِهَا صُنْفِ حَبَّةِ الْعِقْدِ^(٢)
وَمَنْ لِي يَوْمٍ مِثْلَ يَوْمِ كَرِهْتُهُ قَرُبْتُ بِهِ عِنْدَ الْوَدَاعِ مِنَ الْبُعْدِ^(٣)

(١) الحفر . الحياء . يقول : نسيت كل شيء ولا أنسى ما جرى بيني وبين الحبيب من العتاب على الصدود ، ولا الذي غشيه عند ذلك من الحياء الذي ازدادت به حمرة وجهه . يعنى إن أنس لا أنس ذلك . وكثيراً ما يذكر الشعراء ماجرى بينهم وبين الحبيب عند التوديع ، وذلك كما يقول أحدهم :

وَلَسْتُ بِنَاسٍ قَوْلُهُمَا يَوْمَ وَدَّعْتُ وَقَدْ رُحِلَتْ أَجَالُنَا وَهِيَ وَقَفَتْ
أَأَنْتَ عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا فَلَسْنَا وَحَقَّ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ نَصْدِفُ
فَقُلْتُ لَهَا حِفْظِي لِعَهْدِكَ مِثْلِي وَلَوْلَا حِفَاطُ الْعَهْدِ مَا كُنْتُ أَتْلِفُ

ومثله كثير ، وروى نسيت - بالبناء للمجهول - أى نسيت الحبيب .

(٢) القصورة والقصيرة : المحبوسة فى خدرها ، المنوعة من التصرف ؛ قال كثير :

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَبْتَ كُلَّ قَصِيرَةٍ إِلَى وَمَا تَذَرِي بِذَلِكَ الْقَصَائِرُ
عَنَيْتُ قَصِيرَاتِ الْحِجَالِ وَلَمْ أَرِدْ قِصَارَ الْخَطَى - شَرُّ النِّسَاءِ الْبَحَائِرُ

« البحر : القصير المجتمع الخلق » . يقول المتنبي : لا أنسى ليلة قصرت على لطيب

محاسن هذه المخدرة ومعاتق إياها حتى طالت يدي فى جيدها مثل صبة العقد لجيدها .
فقوله صبة العقد : أى مثل صبة العقد ، فهو منصوب على الصدرية .

(٣) يقول : من يكفل بأن يكون لى يوم آخر مثل يوم الوداع وإن كرهته لأنى

قربت فيه من فراقهم . يتمنى أن يكون له مثل هذا اليوم ، وهم أبداً يتمنون مثل يوم التوديع ، لأن المودع يحظى فيه بالنظر إلى أحبته والتسليم عليهم كما قال الآخر :

مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الْوَدَاعَ فَإِنِ اشْتَهَى لِعَلَّةِ التَّسْلِيمِ

(١١ - المتنبي ٢)

وَأَنْ لَا يَخْصُ الْفَقْدُ شَيْئًا فَإِنِّي
فَقَدْتُ فَلَمْ أَفْقِدْ دُمُوعِي وَلَا وَجْدِي^(١)
تَمَنَّ يَلِدُ الْمُسْتَهَامُ بِمِثْلِهِ ،
وَأِنْ كَانَ لَا يُغْنِي فَتَيْلًا وَلَا يُجْدِي^(٢)
وَعَظْ عَلَى الْأَيَّامِ كَالنَّارِ فِي الْحَشَا وَلَكِنَّهُ غَيْظُ الْأَسِيرِ عَلَى الْقَدِ^(٣)

إن فيه أغنية لوداع وانتظار أغنية لقُدوم
ولكم فرقة وغنية شهر هي أجدى من امتناع مُقيم
(١) يقول : ومن لى بأن لا يكون الفقد فى ذلك اليوم خصوصاً بشيء دون شيء
فإنى فقدت فيه أحق ولم أفقد بكأى ولا وجدى : يتمنى أن يكون الفقد عاماً شاملاً حتى
يفقد البكاء والوجد أيضاً :

(٢) تمنى : خبر عن مبتدأ محذوف : أى هذا تمنى ؛ والمستهام : الذى هيمه الحب وشرده ؛
ويقال لى يلد ، والتذ يلد ، وتلدت كذا ألتذه لداذا ولدادة ، وهو لى ولذيد ؛ والقتيل
ما يكون فى شق النواة ، وقيل هو ما تقتله بين أصبعيك من الوسخ ، وهو نائب مفعول
مطلق : أى لا يغنى غناء حقيراً مثل القليل : يقول : إن هذا الذى ذكرته هو تمنى
لا حقيقة له ، ولكن المستهام يلد بالتمنى وإن كان ذلك لا ينفعه ولا يغنى عنه شيئاً : وفى
معنى البيت يقول القائل :

أَمَانِي مِنْ لَيْلى حَسَانًا كَأَمَّا سَقَتْنِي بِهَا لَيْلى عَلَى ظَمَأٍ بَرْدًا
مَنْى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَنْى وَإِلَّا فَقَدْ عَشْنَا بِهَا زَمَنًا رَعْدًا
ويقول البحرى :

تَمَنَيْتُ لَيْلى بَعْدَ قَوْتٍ وَإِنَّمَا تَمَنَيْتُ مِنْهَا خُطَّةً لَا أَنَا هُما
ويقول الآخر :

وَأَعْلَمُ أَنْ وَصَلَكَ لَيْسَ يُرْجَى وَلَكِنْ لَا أَقْلَ مِنْ الْمَنْى
(٣) القد : سير يشد به الأسير : يقول : لى غيظ على الأيام يلتهب فى الحشا التهاب
النار ، ولكنه غيظ على مالا يكثر ولا يبالى بغيظى ، لأن الأيام لا تؤاتينى ولا تنزل
على مرادى ، ومن ثم كان كغيظ الأسير على ما يشد به من القد :

فَإِمَّا تَرَبِّنِي لَا أُقِيمُ بِيْلَدَةً فَأَقَّةُ غَمْدِي فِي دُلُوفِي وَفِي حَدِّي ^(١)
يَحُلُّ الْقَنَا يَوْمَ الطَّعَانِ بِعَقَوْتِي فَأَخْرِمُهُ عِرْصِي وَأَطْعِمُهُ جِلْدِي ^(٢)
تَبْدُلُ أَيَّامِي وَعَيْشِي وَمَنْزِلِي
نَجَائِبُ لَا يُفَكِّرَنَّ فِي النَّخْسِ وَالسَّعْدِ ^(٣)
وَأَوْجُهُ فِتْيَانٍ حَيَاءٍ تَلْتَمُّوْا عَلَيْهِنَّ لَا خَوْفًا مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ ^(٤)
وَلَيْسَ حَيَاءُ الْوَجْهِ فِي الذُّنْبِ شَيْعَةً وَلَكِنَّهُ مِنْ شَيْعَةِ الْأَسَدِ الْوَرْدِ ^(٥)

(١) الدلوق : سرعة انسلال السيف وخروجه من غمده : يقول - معتذراً للحيبة من فراقه لها وقلة مقامه في البلدان ومواصلته السير والتطواف : - إن رأيتني منزحاً لا أقيم يلمدة فإن ذلك لمضائي وبعد همتي كالسيف الحاد إذا أغمد أكل غمده واندلق منه وقال ابن جني : الذي تربنه من شجوى وتغري إنما هو لمواصلة السير والطواف في البلاد بعد همتي ، كالسيف الحاد إذا أكثر سلّه وإغماده أكل جفته : قال الواحدى : وليس مما ذكره شيء في البيت ، لكنه ما هجس له في خاطره فتكلم به ، وإما - من فأما - هي إن الشرطية ، وما الزائدة :

(٢) العقوة : الساحة وما حول الدار والحلة ؛ يقال نزل : بعقوته : يقول . إذا كان يوم الطعان أطعمت الرماح جلدي وجعلته وقاية لعرضي : يعنى أنه يؤثر وقوع الرماح في جلده على أن يهرب فيعاب عرضه بالحرب ؛ وهذا من قول الجاهلى :

أَخُو الْحَرْبِ أَمَّا جِلْدُهُ فَمَجْرَحٌ كَلِيمٌ ، وَأَمَّا عِرْصُهُ فَسَلِيمٌ

(٣) النجائب : جمع نجيبة ، وهى الناقة الكريمة : وفكر فى الشيء وأفكر فيه ونفكر : بمعنى : يقول : إن هذه النجائب يمضين بي مصممات لا يلتفتن إلى نخس ولا سعد فتبدل على بمضيهن الأيام والمعاش والديار ، وكذلك المسافر له كل يوم منزل وأصحاب .

(٤) وأوجه : عطف على نجائب : وأراد بالفتيان : غلمانه الذين يسرون معه : يقول : تبدل أيامى نجائب وأوجه فتيان : أى أنا أبداً مسافر على هذه النجائب فى صحبة هؤلاء الفتيان الذين ألفوا الاسفار ، ومن ثم لا يبالون بالحر والبرد ، وإنما تلتموا على وجوههم لشدة حياتهم ، لا اتقاء الحر والبرد ؛ والحياء شيمة الكرام .

(٥) الشيمة : الطبيعة والخلق والعادة . والاسد الورد : الذى فى لونه حمرة مثل

إِذَا لَمْ تَجْزِهِمْ دَارَ قَوْمٍ مَوَدَّةً أَجَارَ الْقَنَا وَاتْلُوفُ خَيْرٍ مِنَ الْوَدِّ^(١)
يَحِيدُونَ عَنْ هَزْلِ الْمُلُوكِ إِلَى الَّذِي تَوَفَّرَ مِنْ بَيْنِ الْمُلُوكِ عَلَى الْجِدِّ^(٢)
وَمَنْ يَصْحَبِ أَسْمَ ابْنَ الْعَمِيدِ مُحَمَّدٍ
يَسِرُّ بَيْنَ أُنْيَابِ الْأَسَاوِدِ وَالْأُسْدِ^(٣)
يَمُرُّ مِنَ الشَّمِّ أُنُوْحَى بِمَا جِزٍ ، وَيَعْبُرُ مِنْ أَفْوَهِينَ عَلَى دُرْدِ^(٤)

الورد . يمدح الحياء ؛ يقول : إن الذئب المعروف بالحبث والساوى ليس الحياء من شيمته وإنما شيمته القحة ، ولكن الحياء شيمة الأسد ، وذلك أن في طبعه كرما وحياء ؛ فيقال إن من واجبه وأحد النظر في وجهه استجيا منه ولم يفترسه ، وللعنى أن حياءهم ليس بمزربهم ، كما أنه لا يزرى بالأسد حياؤه ، يصفهم بالإقدام مع فرط الحياء .
(١) يقول : إنهم من الشجاعة والإقدام بحيث إذا مروا في أسفارهم بدار قوم لم يكن بينهم وبين قطانها مودة يجوزون أرضهم بها جازوها برماهم ولم يخافوا أهل تلك الناحية ثم قال : والخوف خير من الود : أى أن تخاف خير من أن تحب ، لأن من أطلعك خوفا منك أبلغ طاعة ممن يطبعك مودة ، كما تقول العرب : رهبوت خيرا من رحموت : أى لأن ترهب خير من أن ترحم . وقال ابن جني : إذا خافوا من عدو اعتصموا منه بالقنا ...
قال ابن فوسيجه — ناقدًا — : أين ذكر خوفهم العدو ، وأين ذكر الاعتصام ؟ وإنما يقول : إذا لم يمكنهم أن يجتازوا على ديار بالمودة حاربوا فيها وجازوها .
(٢) حاد عن الشيء : تباعد عنه وتجنبه . وتوفر على الشيء : صرف همه إليه . يقول إن هؤلاء الفتيان يجتنبون من يهزل من الملوك : أى الذى عمله اللهو من طراد وشراب وما إليهما ، ويأتون من توفر على الجد وترك اللهو : يعنى ابن العميد .
(٣) الأساود : الأفاعى . يقول : من جعل اسم ابن العميد صاحباً له في سفره أمكنه السير بين أنياب الحيات والأسود ، يعنى إذا عرف المسافر بأنه يقصده وينتسب إليه لم يتعرض له أحد هية له ورهبا . فالأساود والاسد مثل لمن تخشى غائلته . وعبارة الخطيب التبريزى : من نسب إليه في خدمة أوزيارة أو مدح فإنه ناج من المخافة لا يقدم عليه أحد . وفى الكلام حذف ، تقديره : يسر بين أنياب الحيات والأسود ناجيا سالما آمنا من المخافة .
(٤) الوحى : السريع . والدرد : جمع أدرد ، وهو الذى ذهب أسنانه . وهذا البيت مرتب على الطى والنشر ، وهو تقرير للبيت السابق . يقول : إن من يستصحب اسم ابن العميد لا يعمل فيه سم الأفاعى السريع ولا أنياب الأسود حتى لكأنها درد . ويمر

كَفَانَا الرَّبِيعُ الْعَيْسَ مِنْ بَرَكَاتِهِ فَجَاءَتْهُ لَمْ تَسْمَعْ حُدَاءَ سَوَى الرَّغْدِ^(١)
إِذَا مَا اسْتَجَبْنَ الْمَاءَ يَعْزِضُ نَفْسَهُ كَرِغْنٍ بَسَبَتْ فِي إِيَّاهُ مِنَ الْوَرْدِ^(٢)

ويعبر : في موضع الحال من قوله «يسر» أى يسر ماراً عابراً ؛ ولك أن تجعل يمر بدل من يسر .

(١) يقول : يبركته أخصب الربيع وكثر مطره ورعده فأغنانا عن تحشم حداء الإبل في المسير إليه ، لأن الرعد أغنى غناء الحداء . فالعيس : الإبل . وكفانا العيس ، أى كفانا حداءها . والحداء : سوق الإبل بالغناء وقوله : من بركاته - أى بركات المدوح - تعليل لكفى :

(٢) يعرض نفسه : حال ؛ وكرعن : شربن ؛ وأصله من إدخال أكارع الشاربة في الماء للشرب ؛ والسبت : جلود البقر المدبوعة بالقرظ ، تحذى منه النعال السبتية . يقول : إذا مرت هذه الإبل بالمياه التى غادرتها السيول فصارت لكترتها كأنها تعرض نفسها عليها ، فأجابتها الإبل وأقبلت عليها للشرب كرجعت منها بمشافر لينة كالسبت * وقد أهدق الورد - والمراد الزهر أياً كان - بذلك الماء ، فصار كأنه إناء له . وقد روى البيت إذا ما استحين بدل إذا ما استجبن ، وكرعن بشيب : بدل بسبت . واستحين : من الحياء ، والشيب : صوت مشافر الإبل عند الشرب . قال في اللسان : والشيب - بالكسر - حكاية صوت مشافر الإبل عند الشرب . قال ذو الرمة - يصف إبلا تشرب في حوض متلهم ، وأصوات مشافرها شيب شيب .

تَدَاعَيْنِ بِاسْمِ الشَّيْبِ فِي مُتَتَلَمَّ جَوَانِبُهُ مِنْ بَصْرَةٍ وَسِلَاحٍ^(١)

* هم يشبهون للشعر بالسبت في لونه ، قال طرفة بن العبد :

وَحَدَّ كَقَرطَاسِ الشَّامِيِّ وَمَشْفَرُ كَسَبَتْ الْيَمَانِي قَدُهُ لَمْ يُجْرَدِ
لم يجرد : روى بالحاء المهمله ، وعليها اقتصر الخطيب التبريزي . قال : أى لم يعل ؛ يصف أنها شابة فتية ، وذلك أن الهرمة والهرم تمل مشافرها : وروى لم يجرد - بالجيم - أى أن شعره عليه .

(١) من قصيدة لذى الرمة يمدح بها إبراهيم بن هشام بن الوليد ابن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم . وقبله .

كَأَنَّا أَرَادَتْ شُكْرَنَا الْأَرْضُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُخْلِنَا جَوْ هَبْطَنَاهُ مِنْ رِفْدٍ ^(١)
لَنَا مَذْهَبُ الْعِبَادِ فِي تَرْكِ غَيْرِهِ وَإِتْيَانِهِ نَبْنِي الرِّغَائِبَ بِالزَّهْدِ ^(٢)
رَجَوْنَا الَّذِي يَرْجُونَ فِي كُلِّ جَنَّةٍ بِأَرْجَانِ حَتَّى مَا يُتَسَنَّا مِنَ الْخُلْدِ ^(٣)

البصرة : حجارة رخوة إلى البياض ؛ والسلام - بكسر السين - الحجارة الصلبة .
(١) الجو - هنا - ما اتسع من الأودية ، كما جاء في قول طرفة :

خَلَالَكَ الْجَوُ فَيَبْضِي وَاصْفَرِّي

والرفد : العطاء . يقول : إن كل موضع نزلناه في طريقنا إليه أصبنا به ماء وكلاً .
فَكَانَ الْأَرْضُ أَرَادَتْ أَنْ نَشْكُرَهَا عِنْدَهُ تَقَرُّبًا إِلَيْهِ .

(٢) الرغائب : جمع رغبة - الأمر للمرجوب فيه . يقول : لنا في ترك غيره من الملوك
وقصدنا إليه ، مذهب الزهاد الذين يزهدون في الدنيا لينالوا خيراً مما تركوا في الآخرة :
وذلك لأننا نصيب منه أكثر مما نصيب من سواه ، فنحن إنما نطلب الرغائب عنده
بزهدينا في غيره .

(٣) يرجون : أي العباد ، وبأرجان : صلة رجونا ، وأرجان هي أرجان - بتشديد

وَكَمْ عَسَفَتْ مِنْ مَنَهْلٍ مَتَخَطِلًا أَفْلَ وَأَقْوَى فَالْجَمِ طَوَامِي
إِذَا مَا وَرَدْنَا لَمْ نَصَادِفْ بِمُجَوِّهِ سِوَى وَارِدَاتٍ مِنْ قَطَا وَحَامِ
إِذَا سَاقِيَانَا أَفْرَغَا فِي إِزَائِهِ عَلَى قُلُوصِ بِالْمُقْفِرَاتِ حِيَامِ
تَدَاعَيْنِ بِاسْمِ الشَّيْبِ الْبَيْتِ

يصف قطعه القفار على إبله ، و « العسف » الأخذ على غير هدي ، والضمير إلى
الإبل ، و « المنهل » للورد ، و « المتخطأ » الذي تخطأه الناس فلم ينزلوه ، و « أفل »
أي لم يصبه المطر ، و « أقوى » خلا ، و « الجمام » جمع « جم » المكان الذي يجتمع
فيه ماؤه ، و « طوامي » مملوءة و « ساقيانا » أي اللذان يستقيان من البئر ، و « الإزاء »
مصب الماء في الحوض ، و « على قلص » صلة أفرغا ، و « القلص » جمع « قلوص »
التيقة الشابة ، و « الحيام » جمع « حوم » القطيع الضخم من الإبل ، وبالْمُقْفِرَاتِ صفة
قلص ، و « تداعين » أي دعا بعض القلص بعضاً ، و « الشيب » - كما قلنا - حكاية
أصوات مشافر الإبل عند الشرب ، والصوت : شيب شيب ، جعل هذا الصوت مما
يدعوهم إلى الشرب ، و « التثلم » أراد : في حوض متلم .

تَعْرِضُ لِلزُّوَارِ أَعْنَاقُ فَخِيلِهِ تَعْرِضُ وَخَشِي خَائِفَاتٍ مِنَ الطَّرْدِ (١)
وَتَلْقَى نَوَاصِيهَا أَلْمَايَا مُشِيحَةً وَرُودَ قَطَا صُمَّ تَشَايَحْنَ فِي وَرْدِ (٢)

الراء - بلد بفارس ، يقيم فيه ابن العميد ، وخفف الراء للضرورة . يقول : رجونا أن ننال لمدية من النعيم ما يرجو العباد نيله في جنة الخلد ، وذلك أنه محقق رجاء من يرجوه ، ومن ثم نرجو بيلده ما يرجو العباد في الجنان حتى كدنا لا نبأس من الخلود فيها ، لأنها كالجنة التي هي دار الخلود .

(١) تعرض - بحذف إحدى التاءين - أى تعرض : أى توليهم عرضها : أى جانبها . والمعنى : تعرض عنهم وتزور . يقول : إن خيله تزور عن زواره خوفاً ونفاراً كما تفعل الوحش تخاف طرد الصائد ، وذلك لأنها تتوقع أن يهبها لهم ، وهي لاتبنى مفارقتها . قال العسكري : ليس في هذا البيت حسن مدح ... ولو عكس المعنى وقال : إن خيله تفرح بازوار - كي يهبها لهم لتستريح من الكد وملاقة الحروب - لكان أمدح . هذا : والطرد - بفتح الراء وسكونها - لفتان فصيحتان .

(٢) الشيخ : المجد السريع الحذر . قال ابن الإطابة :

وإقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرْبِي هَامَةً الْبَطْلِ الْمُشِيحِ
وشاح الرجل : جد في الأمر ؛ قال أبو ذؤيب الهذلي يرثى رجلاً من بني عمه ، ويصف مواقفه في الحرب :

وَرَزَغْتَهُمْ حَتَّى إِذَا مَا تَبَدَّدُوا سِرَاعًا وَلَا حَتَّ أَوْجُهُ وَكُشُوحُ
بَدَرْتُ إِلَى أَوْلَاهُمْ فَسَبَقْتَهُمْ وَشَايَحْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ إِنَّكَ شَيْحُ

وقال ابن الأعرابي الإشاحة ، الحذر . وأنشد لأوس بن حجر

فِي حَيْثُ لَا تَنْفَعُ الْإِشَاحَةُ مِنْ أَمْرٍ لَمَنْ قَدْ يَحْاوِلُ الْبِدَاعُ

« والإشاحة ؛ الحذر والخوف لمن حاول أن يدفع الموت ومحاولته دفعه بدعة » قال : ولا يكون الحذر بغير جد مشيحا ، وأشاح بوجهه عن الشيء : نهاه وجد في الإعراض والورود والورد : إتيان الماء . يقول : وتلقى خيله المنايا في الحرب مجدة مسرعة إليها كما ترد القطا الماء مسرعة في الورد . وجعلها صمما كي لا تسمع شيئاً تشاغل به عن الطيران فيكون أسرع لها .

وَتَنْسَبُ أَفْعَالُ السُّيُوفِ نَفُوسَهَا إِلَيْهِ وَيَنْسَبْنَ السُّيُوفَ إِلَى الْهِنْدِ^(١)
إِذَا الشَّرْقَاءُ أَلْبِيضُ مَتَّوَا يِقْتَوِرُهُ أَتَى نَسَبٌ أَعْلَى مِنَ الْأَبِ وَالْجَدِّ^(٢)

قال :

رِدِي رِدِي وَرَدَ قَطَاةٌ صَمًا كَدْرِيةً أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَا
والتواصي . جمع ناصية ، شعر مقدم الرأس ، وتشايخن : تسارعن . وقوله : ورود :
مفعول مطلق لتلقى .

(١) يقول : إن أفعال سيوفه تنسب نفوسها إليه : أى أنها حصلت بقوته وأيده ،
وتنسب السيوف إلى الهند : أى أنها عملت فيها ، يعنى أن ضربات سيوفه لجودتها دلت على
أنها حصلت بكف المدوح ، ودلت أيضاً على أنها حصلت بسيف هندي ، أى أنه اجتمع
فيها قوة الضارب وجودة النصل . فالضمير في نفوسها وفي ينسبن : عائد على الأفعال .
وقال ابن جنى : أفعال السيوف أشرف من السيوف ، وأفعالها تشبه بأفعاله في مضام وحدته
وتنسب السيوف إلى الهند : ألا ترى أنه يقال : سيف هندي وسيف يمان وفعل السيف
أشرف منه ؟ لذلك أنت أشرف من الهند قال ابن فورجه : قد خلط ابن جنى حتى
لا أدرى أى أطراف كلامه أقرب إلى الحال ؟ ولم يجر ذكر التشبيه ، وإنما يقول : إنها
تنسب أفعالها إليه : أى تقول هذه الضربة العظيمة من فعله لامن فعلنا ، وهذا كقوله :
إِذَا ضَرَبْتَ بِالسَّيْفِ فِي الْحَرْبِ كَفَهُ تَبَيَّنَتْ أَنَّ السَّيْفَ بِالْكَفِّ يَضْرِبُ
والمعنى أنها تنسب الفعل إلى كفه وتنسب السيوف إلى الهند . وهذا معنى لطيف ،
يقول : إن ضربة السيف العظيمة تنسب نفسها إليه ، لأنها حصلت بقوته وتنسب السيف
أيضاً إلى الهند ، لأنها دلت على جودة ضربته وعمله ، فالضربة قد دلت على قوة الضارب ودلت
على جودة السيف ، وليس في هذا البيت أنه أشرف من الهند .
(٢) البيض : السادة ، من قوله : فلان أبيض : أى نقي العرض كريم . وفلان يمت
إلى فلان بكذا : يتقرب به إليه . والقتو : الخدمة ، وقيل : حسن خدمة الملوك ، والقتوى :
الخدام ، والجمع : مقتوون ، قال عمرو بن كلثوم :

تَهْدِدُنَا وَتُوَعِدُنَا رُوَيْدًا مَتَى كُنَّا لِأَمْلِكٍ مَقْتَوِينَا

يقول : إذا تقرب الأشراف إليه بخدمته حصل لهم نسب أعلى وأشرف من نسب الأب
والجد : أى أنهم يصيرون بخدمته ، أعز منهم بأبائهم وأمهاتهم .

فَتَى فَاتَتْ الْعَدَوَى مِنَ النَّاسِ عَيْنَهُ فَمَا أَرَمَدَتْ أَجْفَانَهُ كَثْرَةُ الرَّمْدِ^(١)
وَخَافَهُمْ خَلْقًا وَخُلُقًا وَمَوْضِعًا فَقَدْ جَلَّ أَنْ يُعْدَى بِشَيْءٍ وَأَنْ يُعْدَى^(٢)
يُغَيِّرُ أَلْوَانَ اللَّيَالِي عَلَى الْعِدَى بِمَنْشُورَةِ الرَّايَاتِ مَنْشُورَةِ الْجُنْدِ^(٣)
إِذَا أَرْتَقَبُوا صُبْحًا رَأَوْا قَبْلَ ضَوْئِهِ
كُتَائِبَ لَا يَرِدُ الصَّبَاحُ كَمَا تَرَدَّى^(٤)
وَمَبْثُوثَةً لَا تُتَقَى بِطَلِيعَةِ وَلَا يُحْتَمَى مِنْهَا بِغُورٍ وَلَا يُجَدَّى^(٥)

(١) و (٢) العدو : أن يعدى الشيء الشيء فيصير مثله ؛ والرمد : جمع رمد وأرمد وهو المريض العين بالرمد . يقول : إن عينه فاتت العدو فلم يدها رمد غيرها . وهذا مثل ، يعنى : أنه نزه عن عمى الناس عن دقائق الكرم فلم يده هذا العمى النفسى ؛ أى لم تعده عيوب الناس على كثرتها ، فهو بصير بالمكارم طوبى بها والناس عمى عنها ، ثم قال — فى البيت الثانى : هو أجل من سائر الناس خلقاً وأنبى خلقاً ورقية ، فهو أجل من أن يعديه الناس بشيء حتى يشاركونهم فى خلاصهم ، ومن أن يعديهم هو ؛ لأنه شأهم وفات طورهم إلى ما ليس فى مكنهم الوصول إليه من الأخلاق العالية النبيلة .

(٣) يقول : إنه يغير على أعدائه ألوان الليالى ، فإذا كانت مظلمة صيرها مشرقة منيرة يبريق أسلحة جيوشه التى هى منشورة الرايات — أى الأعلام — منصوره الجند ، وإذا كانت الليالى مقمرة جعلها مظلمة بسواد النقع — الغبار — وقال بعض الشراح : لكثرة عساكره إذا سارت بالليل أو قدت المشاعل ؛ إما للاستضاءة ، وإما لإحراق ديار الأعداء حينئذ تنجاب الظلمة .

(٤) الكتائب : جمع كتيبة ، وهى الجماعة من الخيل ؛ وردى يردى : أسرع من ردت الخيل ردياً وردياناً : رجعت الأرض بمخاوفها فى سيرها وعدوها . يقول : إن جيوشه إذا أتت الأعداء فى ديارهم قبل الصبح أسرعت إليهم إسراراً لا يسرعه الصبح فأتت عليهم — أهلكهم — قبل أن ينبثق ضوؤه .

(٥) ومبثوثة : عطف على كتائب ، وهى الغارة التى تشن ؛ والغور : ما انخفض من الأرض ؛ والنجد : ما ارتفع .

يقول : ورأوا خيلاً متفرقة فى كل ناحية لا يستطيعون أن يتوقوها بالطلائع — وهى التى ترسل لتستطلع طلع العدو — لأنهم لا يشعرون إلا وقد دهمتهم ، ولا أن يتحرزوا منها بمنخفض من الأرض أو مرتفع منها .

يَمْنُنْ إِذَا مَا عُدْنَ فِي مُتَفَاقِدٍ مِنْ الْكُثْرِ غَانَ بِالْعَبِيدِ عَنِ الْحَشْدِ^(١)
 حَتَّى كُلُّ أَرْضٍ تُزْبَةِ فِي غُبَارِهِ فَهَنْ عَلَيْهِ كَالطَّرَائِقِ فِي الْبَرْدِ^(٢)
 فَإِنْ يَكُنِ الْمَهْدَى مِنْ بَانَ هَذِيهِ قَهْذَا وَإِلَّا فَالْمَهْدَى ذَا فَمَا الْمَهْدَى^(٣)
 يُعَلِّلُنَا هَذَا الزَّمَانُ بِذَا الْوَعْدِ وَيَخْدَعُ عَمَّا فِي يَدَيْهِ مِنَ النِّقْدِ^(٤)

(١) يمنن : أى خيله ، من النوص ، وقوله : فى متفاعد ، أى فى جيش يفقد بعضه بعضاً لكثرة واضطرابه ، كما قال الآخر :

• يجمع تضلُّ البُلُقَى فى حُجْرَاتِهِ •

قوله : من الكثر ، أى لأجل كثرة . وغان : أى مستغن ، والحشد : الجمع ، يقول : إذا عادت سراياه أو خيله إلى معسكره الذى بلغ من الكثرة وتراى الأطراف مبلغاً فقد فيه الشؤ فلا يوجد ، والذى استغنى بعبيد للمدوح عن أن يحشد إليه الثرباء - إذا عادت إليه سراياه أو خيله بعد تفرقها غاصت وبانت ضآلتها بالقياس إلى جمهرة للمسكر وتوافره وهذه الجيوش للكثرة كلها عبيد للمدوح ليسوا أو بأشأ أخلاطاً ، وروى بدل يمنن : يمنن - من غاض الماء : قص - يعنى أن هذه السرايا إذا تفلخت فى سائر جيشه غابت فيه لكثرتهم كالأاء إذا غاض فى الأرض

(٢) حث : أى ذرت وملت وأطارت ، وقوله : فى غباره ، أى غبار المسكر المتفاعد ، وهن - أى الترب - جمع التربة ، والطرائق : الخطوط ، والبرد : الثوب المخطط ، يقول : إن جيشه - لبعد غزواته وكثرة أسفاره - يمر بأمكنة مختلف تراها فىثير تقع كل مكان فتختلف ألوان غباره حتى تصير تخطوط البرد : منها أسود ، ومنها أحمر ، ومنها أبيض ، ومنها أصفر ، وهذا معنى حسن ،

(٣) المهدي : هو الذى يظهر آخر الزمان ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً كما هو معروف لدى المسلمين على خلاف فى ذلك - كما هو مبسوط فى مقدمة ابن خلدون ، فراجعها إن شئت - يقول : إن كان المهدي الموعود هو من ظهر سمته وصلاحه وهدهد : فهذا الذى نراه - أى للمدوح - هو المهدي الموعود ، وإن لم يكن هو الموعود فالذى نراه - من تقواه وحسن سيرته - هو المهدي كله ، فما معنى المهدي بعد هذا ؟

(٤) يعللنا أى يلهنا ويشاغلنا ، والنقد : خلاف الوعد : أى التيد الحاضر ، يقول : إن الزمان يعدنا خروج المهدي فيعللنا بوعده طويل ويخدعنا عما عنده من النقد بالوعد ، يريد : أن للمدوح هو المهدي قدماً حاضراً ، وانتظار ظهوره خدام وتعليل .

هَلْ اتَّخِذُ شَيْءَ لَيْسَ بِاتَّخِذٍ غَائِبٌ أَمْ الرُّشْدُ شَيْءٌ غَائِبٌ لَيْسَ بِالرُّشْدِ^(١)
 أَحْزَمَ ذِي لُبٍّ وَأَكْرَمَ ذِي يَدٍ وَأَشْجَعَ ذِي قَلْبٍ وَأَرْحَمَ ذِي كِيدٍ^(٢)
 وَأَحْسَنَ مُنْعَمٍ جُلُوسًا وَرَكْبَةً عَلَى الْمُنْبَرِ الْعَالِيِ أَوْ الْفَرَسِ النَّهْدِ^(٣)
 تَفَضَّلَتِ الْأَيَّامُ بِالْجَمْعِ يَتَيْنَانَا فَلَمَّا حَمَدْنَا لَمْ تُدِمْنَا عَلَى الْحَمْدِ^(٤)
 جَمَلَنَ وَدَاعِي وَاحِدًا لثَلَاثَةً جَمَالَكَ وَالْعِلْمَ الْمُبْرَحَ وَالْعَجْدِ^(٥)

(١) الاستفهام هنا : إنكارى . وأم : بمعنى بل ، التى للاضراب . يقول : لا ينبغي أن يظن أن الخير والرشد المنتظرين من المهدي هما شيء آخر غير الخير والرشد الحاضرين لأن الشيء لا ينفك نفسه ، وإذن : فالخير والرشد ماثلان في المدح ، وما ينتظر من المهدي مائل فيه ، فلم لا يكون هو المهدي ؟ .

(٢) و (٣) أحزم : نصب ، على أنه منادى مضاف ، وهو أفضل تفضيل ، وكذلك ما بعده ؛ والحزم : سداد الرأي ؛ واللُب : العقل . وجلوساً : تمييز . والركبة : هيئة الركوب . يقول : يا أحزم ذوى العقل وأكرم ذوى الأيادي - النعم - وأشجع الشجعان وأرحم الراحمين وأحسن من نعم - لبس العمامة - وجلس على المنبر ، وأحسن الناس ركوباً على الفرس النهدي - الجسم الحسن العالى - فقوله على المنبر العالى الخ : من باب الطي والنشر . وقال ابن جنى : شبه ارتفاع مجلسه بالمنبر ، ولم يكن ذا منبر ولا خطيباً في الحقيقة قال ابن فورجه : ظن ابن جنى أن الخطبة عيب بالمدح ، وما ضر ابن العميد أن يدعى له للتنبي أنه يصعد المنبر ويخطب قومه كالحليفة في الناس ؟ !

(٤) يقول : حمدنا الأيام على أن جمعت بيننا فلم تدم لنا ذلك الحمد ، لأنها أحوجت إلى الرحيل والانصراف عنك ، ففعلول حمدنا : محذوف ، تقديره حمدناها ، أو حمدنا الأيام ، وقوله : بالجمع بيننا ، تعظيم لنفسه ، لأن معناه أن ابن العميد كان يحب الاجتماع معه ، كما كان التنبي يحب ذلك . وكذلك قوله : حمدنا ، إذ جعل الحمد منهما ، فهو بذلك يعظم من حال نفسه .

(٥) يقول : إن الأيام جعلت وداعى لك وداعاً لثلاثة أشياء : هى جمالك والعلم المبرح والمجد ، وكل واحد منها يعز على فراقه . هذا ؛ ولم يصف أحد العلم بأنه مبرح غير أبى الطيب ، إنما يستعمل التبريح فما يشتد على الإنسان يقال : وجد مبرح مثلاً ، فلعله من قولهم برح الخفاء : أى انكشف ؛ أى العلم الذى يكشف عن الحقائق . أو تقول : العلم المبرح فراقى إياه .

وَقَدْ كُنْتُ أَدْرَكْتُ الْفَى غَيْرَ أَنِّي يُعَيِّرُنِي أَهْلِي بِإِذْرَاكِهَا وَخَدِي^(١)
وَكُلُّ شَرِيكِ فِي الشَّرُورِ بِمُصْبَحِي
أَرَى بَعْدَهُ مَنْ لَا يَرَى مِثْلَهُ بَعْدِي^(٢)
فَجَذُّ لِي بِقَلْبٍ إِنْ رَحَلْتُ فَأَتَنِي مُخَلِّفٌ قَلْبِي عِنْدَ مَنْ فَضَّلَهُ عِنْدِي^(٣)
وَلَوْ فَارَقْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ حَيَاتَهَا لَقُلْتُ أَصَابَتْ غَيْرَ مَذْمُومَةٍ الْعَهْدِ^(٤)

(١) الفى : جمع منية ، وهى الشئ الذى تتحناه . يقول : إننى أدركت عندك من الفى والسعادة ونيل المراد ما كنت آتياه ، ولكن إذا انقردت به واستأثرت دون أهلى ولم أرجع إليهم ، عيرونى بذلك الأثرة والأناية .
(٢) قوله بمصباحى : متعلق بالسرور ، وهو مصدر بمعنى الإصباح . والضمير فى قوله بعده وفى يرى : راجع لسكل ؟ وفى مثله : راجع لمن — من قوله من لا يرى . يقول : كل من شاركنى فى السرور بإصباحى عنده حين أعود إليه من أهلى وغيرهم ورأى مأوتيته ، أرى منك اليوم يا ابن العميد بعد مفارقتى إياه إنسانا لا يرى هو مثله ، لأنه لا نظير لك فى الدنيا ؛ يعنى أنه مع سروره بالعودة إلى أهله وغير أهله وسرورهم به فإنه مع هذا السرور لا يزال منتصاً لفراق ابن العميد ، لأنه لا يرى عندهم بعد عودته إليهم رجلا آخر مثله .

(٣) يقول : إننى أفارقك وأرتحل عنك وأخلف قلبى لديك لأنك أغدقت على أفضالك فأسرت قلبى . وهذا معنى متداول .

(٤) يقول : لو فارتقت نفسى حياتها إليك وآثرت البقاء لديك على الحياة معى لقلت إنها أصابت فيما فعلت ولم أنسبها إلى سوء العهد ، لأنك أبرها منى .

وقال يمدح عضد الدولة أبا شجاع ويذكر هزيمة وهشودان :

أَزَارُ يَا خَيَالُ أَمْ عَائِدُ أَمْ عِنْدَ مَوْلَاكَ أَنَّنِي رَاقِدُ^(١)
لَيْسَ كَمَا ظَنُّ غَشِيَّةٌ عَرَضَتْ فَجِئْتَنِي فِي خِلَالِهَا قَاصِدُ^(٢)
عُدُّ وَأَعِدُّهَا فَجَبَّذَا تَلَفُ أَلَصَقَ تَذَنِّي بِنَدْيِكَ النَّاهِدُ^(٣)
وَجَدْتُ فِيهِ بِمَا يَشْعُ بِهِ مِنْ الشَّنِيتِ الْمُؤَثِّرِ الْبَارِدُ^(٤)
إِذَا خَيَالَاتُهُ أَطْفَنَ بَنًا أَضْحَكَهُ أَنَّنِي لَمَّا حَامِدُ^(٥)

(١) يقول - مخاطباً خيال محبوب - : أزأراً جئتني أيها الخيال أَمْ عائداً ؟ أى أنى مريض من الحب فأنا خالق منك بالعبادة ، ثم قال : أَمْ عند مولاك - أى صاحبك ، وهو الحبيب - الذى أرسلك إلى - أنى راقد ؟ أى أَمْ اعتقد مولاك أنى راقد فأرسلك إلى على هذا الاعتقاد ؟

(٢) قاصد : حال ، سكنه للضرورة ، واسم ليس : ضمير الشأن ؛ وغشية عرضت : جملة مستأنفة . يقول : ليس الأمر على ما ظن من أننى راقد حين زرتنى ، وإنما هى غشية - أى همة لارقدة - أدركتنى من الألم ، فجئتنى فى خلال تلك الغشية . يريد أنه لم يكن نائماً ، وإنما يزور الخيال النائم .

(٣) الناهد : الشاخص . يقول : عد أيها الخيال ثانية وأعد الغشية التى لحقتنى وإن كان فيها تلفى ، فخبذا تلف يكون سبباً لقربك ومعاقبتك . قال الواحدى : وكان من حقه أن يقول للغشية : عودى وأعيدى الخيال ، لأن الغشية كانت سبب زيارة الخيال ، لا الخيال سبب لحاق الغشية ؛ ولكنه قلب الكلام فى غير موضع القلب . وهذا بديع من الواحدى

(٤) جدت فيه : عطف على البيت السابق والضمير : للتلف ؛ وثرشيت : مفرق مفلج ، والمؤثر : الذى فيه أثر : أى تحزى . يقول : وخبذا هذا التلف الذى جدت فيه بما يضر به مولاك من تقبيل الثغر المفلج المحرز البارد الرقيق ، يريد أنه قبل الطيف وارتشف رضابه .

(٥) يقول : إذا ألمت بنا خيالات الحبيب وزارتنا فخدمت زيارتها : أضحك الحبيب ذلك الحمد ، لأن الخيال فى الحقيقة ليس بشئ . « هذا » والخيالات يجوز أن يكون جمع خيالة ؛ قال أبو تمام :

وَقَالَ إِنْ كَانَ قَدْ قَضَىٰ أَرْبَا مِثْلًا فَمَا بَالُ شَوْقِهِ زَائِدٌ^(١)
لَا أَحْجَدُ الْفَضْلَ رُبَّمَا فَعَلْتُ مَا لَمْ يَكُنْ فَاعِلًا وَلَا وَاَعِدْتُ^(٢)
لَا تَعْرِفُ الْعَيْنُ فَرْقَ بَيْنِهِمَا كُلُّ خِيَالٍ وَصَالُهُ نَافِدٌ^(٣)
يَا طِفْلَةَ الْكَفِّ عِبْلَةَ السَّاعِدِ عَلَى الْبَعِيرِ الْمُقْلَدِ الْوَاحِدِ^(٤)

فلست بنازل إلا أَلْتِ بِرَحْلِي أو خيالتها الكذوب^(١)
ويجوز أن يكون جمع خيال كجواب وجوابات ، والخيال والخيالة : ماتشه لك في
في البقطة والحلم من صورة ، أو الشخص والطيف .
(١) الأرب : الحاجة . يقول : وقال الحبيب : إذا كان قد أدرك حاجته منا بزيارة
الخيال فلم زاد شوقه إلينا ؟ وسكن « زائد » للقافية .
(٢) يقول : وعلى هذا لأجحد فضل الخيالات ، لأنها فعلت من الزيارة ما لم يفعله
الحبيب ، ولم يعد به ، فضلا أن يفعله .

(٣) نافذ : أى فان ذاهب ؛ قال الأسود بن يعفر الأيادي :
وَأَرَى النِّعَمَ وَكُلَّ مَا يُلَهِّي بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بِلَى وَتَفَادٍ
يقول : إنه لافراق بين الحبيب وبين خياله ، لأن كلا منهما لا يدوم وصاله ، إذا
واصل لا يعتم أن يصرم فلا يبقى إلا خيالا : وقال ابن جني : لافرق بينها وبين خيالها ؛
لأن كل شيء إلى تقاد ما خلا الله وحده . . . قال ابن فورجه - وما أمر بقده - : هذه
موعظة وتذكيرة ، وإنما يقول : هذه المرأة لو واصلت لم يدم الوصال ، كما أن خيالها
إذا وصل لم يدم ؛ وأما قوله كل خيال : فهو الذى غلط أبا الفتح وكلفه أن يورده ما أورده ،
وإنما عني بكل : كلا من اللذكورين ، كما تقول : خرج زيد وعمرو وكل راكب ؛ والكل
يستعمل فى الاثنين كما يستعمل فى الجمع ؛ ولما قال : لاتعرف العين فرق بينهما : علم أنه يشير بالكل
إليهما ، لا إلى جماعة غيرهما ، وأبو الطيب فى غزل وتشبيب ؛ فما معنى الموعظة هنا؟ ويقول
كل شيء فان إلا الله ؟ وما أقبح ذكر الموت والمواعظ فى الغزل والتشبيب « هذا » وقوله
فرق بينهما أراد لاتعرف العين فرقا بينهما . فأضاف على سلبغ بين عن الظرفية .

(٤) يخاطب حبيبته . والطفلة : الناعمة الرخصة . والعبلة : الممتلئة . والبعير المتقلد

(١) وقيل : إنما أنث على إرادة المرأة .

زَيْدِي أَذَى مُهْجَتِي أَزْدَكِ هَوَى فَأَجْهَلُ النَّاسِ عَاشِقٌ حَاقِدٌ^(١)
 حَكَيْتَ يَا لَيْلُ فَرَعَهَا الْوَارِدُ فَأَخْكِ نَوَاهَا لِحَفْنِي السَّاهِدُ^(٢)
 طَالَ بُكَائِي عَلَى تَذَكُّرِهَا وَصَلَتْ حَتَّى كَلَّا كَمَا وَاحِدٌ^(٣)
 مَا بَالُ هَذِي النُّجُومِ حَائِرَةٌ كَأَنَّهَا الْمُعْنَى مَا لَهَا قَائِدٌ^(٤)
 أَوْ عُصْبَةٌ مِنْ مُلُوكِ نَاحِيَةٍ أَبُو شُجَاعٍ عَلَيْهِمْ وَاجِدٌ^(٥)

أى الذى عليه فلائد : أى من العهن - الصوف - والواحد : أى المسرع فى السير :
 والبيت مصرع ، قال العبرى : وهذا البيت ردىء لوقيل فى زماننا لهرب قائله من الحياء
 (١) يقول : إن أذاك مستحلى - لأن الحبيب يحلولى منه كل شئ . يصدر عنه ،
 قال : زيدى أذى أزدك هوى وجباً لأن العاشق لا يحقد على محبوبه ، فإن حقد عليه
 شيئاً كان ذلك منه جهلاً وعدم معرفة بمقامات الهوى .

(٢) حكيت أشبهت ، أو مثلت ، والفرع : الشعر ؛ والوارد من الشعر : الطويل
 المسترسل . والنوى : البعد . والساهد : الساهر . يقول : أشبهت باليل شعرها فى السواد
 فأشبه بعدها عنى : أى ابعد عنى كما بعدت ولا تطل على .

(٣) يقول : طال بكأى لأجلها وطلت - أيها الليل - حتى كلاً كما واحد فى الطول
 وروى ابن جنى تذكرة : أى الفرع .

(٤) حائرة : حال . وقوله : ما لها قائد : حال من العمى . يقول : لم حارت النجوم
 فلا تسرى لتغيب كأنها العمى ليس لها من يقودها ؟ يريد : طول الليل وأن النجوم كأنها
 واقفة . وهذا من قول بشار :

وَالنَّجْمُ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ كَأَنَّهُ أَعْمَى تَحْيِرَ مَا لَدَيْهِ قَائِدٌ

(٥) أو عصبة : عطف على العمى . وواجد : غضبان . يقول : أو كأنها جماعة من
 ملوك النواحي قد غضب عليهم أبو شجاع فبقوا حيارى رهبة وفرقا . وفى هذا البيت من
 البديع حسن التخلص « هذا » ولعل الناظر فى ديواننا يلحظ أننا اتبعنا فى مثل عليهم
 قراءة أبى عمرو بن العلاء أن نكسر اليم لا اتباع كسرة الهاء ، وإن كان الأكثرون
 على ضمها : وفى ذلك يقول علماؤنا : إذا تحركت اليم عند التقاء الساكنين تحرك بالضم
 والكسر ، والضم أولى من الكسر ، والكسر لا اتباع كسرة الهاء : وقد قرأ القراء

إِنَّ هَرَبُوا أَدْرَكُوا وَإِنْ وَقَفُوا خَشُوا ذَهَابَ الطَّرِيفِ وَالتَّالِدِ^(١)
 فَهُمْ يَرْجُونَ عَفْوَ مُقْتَدِرٍ مُبَارَكِ الْوَجْهِ جَائِدٍ مَاجِدِ^(٢)
 أَبْلَجَ لَوْ عَادَتِ الْحَمَامُ بِهِ مَا خَشِيتُ رَامِيًا وَلَا صَائِدِ^(٣)
 أَوْ رَعَتِ الْوَحْشُ وَهِيَ تَذْكُرُهُ مَا رَاعَهَا حَابِلٌ وَلَا طَارِدِ^(٤)
 تُهْدِي لَهُ كُلُّ سَاعَةٍ خَبْرًا عَنْ جَحْفَلٍ تَحْتَ سَيْفِهِ بَائِدِ^(٥)
 وَمَوْضِعًا فِي فِتَانٍ نَاجِيَةٍ يَحْمِلُ فِي التَّاجِ هَامَةً الْمَائِدِ^(٦)

السة - سوى أبي عمرو - « عليهم الدلة » بضم الميم ، وما أشبهه حيث وقع : وكسره أبو عمرو .

(١) الطريف : المكتسب : والتالد : اللوروث : يقول : - ذاكرًا سبب تخرجه : إنهم لا يجدون منه ملجأ لا بالحرب - لأنهم لو هربوا أدركهم وأوقع بهم - ولا بالإقامة - لأنهم لو أقاموا خشوا أن يغير عليهم فلا يبقى على شيء .

(٢) يقول : إن هؤلاء ملوك النواحي يرجون عفو هذا الملك للبسارك ذي الجود والمجد .

(٣) و (٤) الأبلج الشرق الوجه وعادت لجأت ، وراعها ، أفزعها والحابل ، الذي ينصب الحباله ، وهى الشرك ، يقول : إنه عزيز الجانب مهيب ، من لجأ إليه أو استأمن بذكره ، أمن حق الطير والوحش .

(٥) كل ساعة ، فاعل تهدي ، والجحفل : الجيش ، والبائد : الهالك ، يقول : لا تمر ساعة إلا وتهدى إليه خبراً عن جيش من جيوش أعدائه قد هلك تحت سيفه يعنى تتابع أخبار فتوحه لكثرة سراياه إلى النواحي .

(٦) وموضعا ، عطف على خبرا - فى البيت السابق - والموضع ، السرعة فى سيره ؛ والفتان ، غشاء للرحل من آدم ؛ والناجية : الناقة السريعة ؛ والهامة : الرأس ؛ والمعاد عاقد التاج ، يقول : وتهدى له كل ساعة رسولا مسرعا فى رحل ناقة خفيفة يبشره بقتل عدو وفتح ناحية ، وأخذ ملك ذى تاج يحمل إليه رأسه وتاجه ، وكان قد ورد الخبر على عضد الدولة بهزيمة وهشودان بعد الكرة الأولى وضربت الدباب . على باب عضد الدولة ، وهذا ما يشير إليه المتن .

(*) الدباب : الطبول ؛ وأصل الدبابة ؛ الصياح والجلبة .

يَا عَصْدًا رَبُّهُ بِهِ الْعَاضِدُ وَسَارِيَا يَنْبِثُ الْقَطَا الْمَاجِدُ^(١)
وَمُمْطِرِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ مِمَّا وَأَنْتَ لَا بَارِقُ وَلَا رَاعِدُ^(٢)
نَلْتَ وَمَا نِلْتَ مِنْ مَضْرَعٍ وَهَشُودَانَ مَا نَالَ رَأْيُهُ الْفَاسِدُ^(٣)
يَنْبِثُ مِنْ كَيْدِهِ بِفَاسِدِهِ ،
وَلَا نَمَّا الْحَرْبُ غَايَةُ الْكَائِدُ^(٤)

(١) العاضد : المعين ؛ وبه : صلة العاضد ، والباء للاستعانة ، والساري : السائر ، ليل ، ويبت : يثير ، والمجاهد ، النائم . أى يعضد الدولة التى يعضدها الله سبحانه به ، ثم قال : ويامن تسرى فتقطع الصحارى بجيوشك فتثير القطا عن أفاحيصها وهى نائمة ، يريد كثرة غاراته وسيره إلى الأعداء ليل .

(٢) يقال ، برقت السماء ورعدت ، وأبرقت وأرعدت . يقول ، أنت تمطر الموت على أعدائك بالقتل وتحيى أوليائك بالبذل والإحسان ، فكأنك سبحانه يطر الموت والحياة ، غير أنه لا برق لك ولا رعد ، يعنى أنك تفعل ذلك على غير احتفال ولا استعداد .

(٣) وهشودان ؛ هو ملك الديلم ، ويقال نال من عدوه ؛ إذا أنزل به كيد ، وقوله من مضرة ؛ صلة أحد الفعلين على التنازع ، وقوله ما نال مفعول نلت الثانى ، يضعف رأى وهشودان بأنه جنى على نفسه الشر بمحاربة ركن الدولة ، يقول : نلت من وهشودان وألحقت به المضرة ما أردت ، وما بلغت من مضرته ما بلغ رأيه ؛ يعنى أن فساد رأيه كان أبلغ فى مضرته من قتالك له ، وهذا من قبيل قوله ؛

مَا يَبْلُغُ الْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

وقد ذكر فساد رأيه فى البيت التالى .

(٤) الضمير فى غايته ؛ للكيد ؛ والغاية المنتهى ؛ والكائد ؛ صاحب الكيد ، وأراد بغاية الكيد ؛ الحرب ، كما بين ذلك فى عجز البيت . يقول ؛ إنه بادر إلى محاربتكم من أول وهلة فابتدأ الكيد من آخره ، لأن الحرب لا يلجأ إليها إلا إذا لم تجد الوسائل ؛ يعنى أنه كان الأحزم له أن لا يحاربكم إلا إذا اضطر إلى المحاربة .

(*) خلافاً للأصمى فإنه لا يميز أبرقت وأرعدت .

مَاذَا عَلَى مَنْ أَتَى يُحَارِبُكُمْ فَدَمَّ مَا اخْتَارَ لَوْ أَتَى وَافِدٌ^(١)
 بِلَا سِلَاحٍ سِوَى رَجَائِكُمْ
 فَفَازَ بِالنَّصْرِ ، وَأَنْتَنَى رَاشِدٌ^(٢)
 يُقَارِعُ الدَّهْرَ مَنْ يُقَارِعُكُمْ عَلَى مَكَانِ الْمَسُودِ وَالسَّائِدِ^(٣)
 وَلَيْتَ يَوْمَى فَنَاءَ عَسْكَرِهِ ، وَلَمْ تَكُنْ دَانِيَا وَلَا شَاهِدٌ^(٤)
 وَلَمْ يَنْبَغْ غَائِبٌ خَلِيفَتُهُ جَيْشُ أَبِيهِ وَجَدَهُ الصَّاعِدُ^(٥)
 وَكُلُّ خَطِيئَةٍ مُتَقَفَّةٍ يَهْزُهَا مَارِدٌ عَلَى مَارِدٍ^(٦)

(١) و (٢) ذم ؛ عطف على أتى ، والوافد ؛ الذى يفد طلبا للعتاء وأراد وافدا بالنصب ولكنه وقف عليه بالإسكان ضرورة ؛ وبلا سلاح ؛ متعلق بأتى يقول ؛ الذى أنا كم محارباً ثم ذم ما اختاره من حربكم لإخفاقه ماذا كان عليه لو جاءكم سائلا واستعان عليكم بالرجاء بدل السلاح ؛ إنه لو فعل ذلك لفاز ورجع غانماً راشداً .

(٣) يقارع ؛ يحارب ، من المقارعة بالسلاح ، والمسود ؛ الذى ساد غيره ، والسائد الذى ساد غيره ، يقول : من يحاربكم ويتمرد عليكم يحاربه الدهر على مقداره رئيساً كان أو مرءوساً ، وفى هذا المعنى نظر إلى قول محمد بن وهيب - قال العكبرى ؛ كتبت جارية إلى مولاهما - وقد باعها ، وكانت تهواه ؛ وهب الله لطرف يشكو إليك الشوق حظاً من رؤيتك ، فما أشبه إبعاد الدهر لى عنك إلا بقول محمد بن وهيب ؛

وَحَارَبَنِى فِيهِ رَبُّ الزَّمَانِ كَأَنَّ الزَّمَانَ لَهُ عَاشِقٌ

(٤) وليت ؛ تولى ؛ والدانى ؛ القريب ؛ والشاهد ؛ الحاضر ، يقول : تولى فناء عسكر وهشودان فى اليومين اللذين انهزم فيهما ، وأنت لم تحضر القتال فى الموقعتين بنفسك ولم تكن قريباً منهما ؛ يعنى أنه كتب لك النصر فيهما وإن كنت غائباً ، لأن سعدك ناب عنك فى قتالهم ؛ كما قال فى البيت التالى . وعبرة الواحدى ؛ يريد اليومين اللذين هزم فيهما أبوه وهشودان ، ولم يكن عضد الدولة فيهما ، بل كان أبوه هو الذى هزمه ؛ يريد أن من هزمه جيش أليك فقد هزمته أنت .

(٥) يقول ؛ وإن لم تحضر القتال فقد كان لك فيه خليفتان ؛ جيش أليك ، وخظك الصاعد فى مرافق السعد ، فكأنك لم تغيب ، لأنه إذا حصل النصر بهذين فكأنه حصل بك (٦) وكل ؛ عطف على جيش - فى البيت السابق - والخطية المتقفة ؛ الرماح المقومة

سَوَافِكُ مَا يَدْعُنْ فَاصِلةٌ بَيْنَ طَرِيٍّ الدِّمَاءِ وَالْجَاسِدِ^(١)
 إِذَا النَّايَا بَدَتْ فَدَعَوْتُهَا أَبْدِلْ نُونًا بِدَالِهِ الْحَائِدِ^(٢)
 إِذَا دَرَى الْحِصْنُ مَنْ رَمَاهُ بِهَا
 خَرَّ لَهَا فِي أُسَاسِهِ سَاجِدٌ^(٣)
 مَا كَانَتْ الطَّرْمُ فِي عَجَاجَتِهَا إِلَّا بَعِيداً أَضْلَهُ نَاشِدٌ^(٤)
 تَسْأَلُ أَهْلَ الْقِلَاعِ عَنْ مَلِكٍ قَدْ مَسَخَتْهُ نَعَامَةٌ شَارِدٌ^(٥)

المستوية . والمارد ؛ الذى لا يطاق خبثا وعتوا . يقول ؛ وكان خليفتك فى القتال الرماح القومة يهزها رجل مارد على فرس مارد أو على رجل مارد مثله ؛ قال العكبرى ؛ وهو أبلغ إذا لقي الشجاع شجاعا مثله ، وهذا تفصيل بهد إجمال ، لأن هؤلاء كانوا من جيش أبيه وقد ذكروهم .

(١) سوافك ؛ خبر مبتدأ محذوف تقديره ؛ هى - الخطية - سوافك الخ . والجاسد ؛ اللازق الذى قد جف . يقول ؛ هذه الرماح سوافك إذا أراقت دما نجف أردفته دما طريا دون أن تفصل بينهما . فقوله : ما يدعن فاصلة ؛ أى من غير فصل بينهما ؛ وقال ابن جنى ؛ أى ما يدعن بضعة أو مفصلا إلا أسلته دما . وهذا معنى بعيد .

(٢) الحائد ؛ نائب فاعل أبدل ؛ وجملة أبدل الخ ؛ خبر دعوتها . يقول ؛ إذا ظهرت الناياء وكشرت عن نايها عند اشتباك الجيوش دعت بأن يصير الحائد - الذى على الخياد وخام عن القتال - من جيش عضد الدولة - حائنا ؛ أى هالكا ؛ والمعنى ؛ أن عسكر عضد الدولة يقولون لدى الوغى ؛ جعل الله الحائد منا هالكا .

(٣) الضمير فى بها ولها ؛ للخيول ، وإن لم يتقدم لها ذكر ، لدلالة القرائن . يقول ؛ إذا علم حصن العدو أن عضد الدولة هو الذى رماه بالخيول سقط ساجدا وانقضت حيطانه لها هية له .

(٤) الطرم ؛ قلاع وهشودان . والعجاجة ؛ واحدة المعجاج ؛ القبار ؛ وفلان ينشد صالته ؛ يطلبها . يقول ؛ إن الطرم كانت فى غبار الخيل كأنها بعيد أضله طالبه ، فهو ينشده ؛ أى أن المعجاج أحاط بها لكثرة حتى غابت فيه وخفيت عن الأنظار .

(٥) تسأل ؛ أى الطرم - قلاع وهشودان - أو الخيل ، يقول ؛ تسأل الطرم أهل القلاع عن وهشودان ، وقد مسخته الخيل نعامة شرودا ؛ يعنى أنه أسرع فى إعراب

تُسَوِّحُ الْأَرْضُ أَنْ تَقِرَّ بِهِ
فَكُلُّهَا مُنْكَرٌ لَهُ جَاحِدٌ^(١)
فَلَا مُشَادٌ وَلَا مُشِيدٌ حَتَّى وَلَا مُشِيدٌ أَغْنَى وَلَا شَائِدٌ^(٢)
فَاغْتَنَظَ بِقَوْمٍ وَهَشُوذٌ مَا خَلِقُوا إِلَّا لِنَفْسٍ أَلْعَدُوِّ وَالْحَاسِدِ^(٣)
رَأَوْكَ لَمَّا بَلَوكَ نَابِتَةً يَأْكُلُهَا قَبْلَ أَهْلِهَا الرَّائِدِ^(٤)
وَحَلَّ زِيًّا لِمَنْ يُحَقِّقُهُ مَا كُلُّ دَامٍ جَبِينُهُ عَابِدٌ^(٥)

كالنعام عند إقبال خيلك خوفا ورعبا ، والعرب تصف النعام بشدة النور والسرود ،
والنعام ، تقع على الذكر والأنثى ، كالبقرة والبطة والحمامة ، ومن ثم وصفها بالشارد ،
(١) يقول ، تخاف الأرض أن تقر به ، أى تصرف بموضعه منها فقطأها خيلك ، فكل
موضع ينكره ويجهل أنه رآه ، يريد شدة إمعانه في الحرب وتواريه حتى لا يهتدى أحد
إلى مكانه ، وقد روى بدل منكر ، أنه - بالمد وكسر النون - يقال أنه بأنه أنها
وأنوها ، إذا تزعج من ثقل مجده .

(٢) للشاد ، البناء المرفوع الطول ، والمشيد الملقى للبناء ، وحى ، يروى على
أنه فعل ماض ، ويروى مضافا لمشيد ، فيكون اسما للسكان المحمى ، والمشيد ، للملقى
بالشيد ، وهو الجمل أو الكلس ، والشائد ، فاعل منه ، يقول : لم يحم وهشودان
البناء ولا البانى من بطش عضد الدولة ، أى لم تمن عنه قلمته ولا جنده ،
(٣) وهشود : ترخيم وهشودان . يقول : كن أبداً مغتاضاً قوم لم يخلقوا إلا غيظاً
للأعداء والحساد . يعنى قوم عضد الدولة .

(٤) بلوك . أى اختبروك . ونابتة مفعول ثان لرأوك ، والرائد : الذى يرسل فى
طلب الكلاء ، يقول : إن هؤلاء القوم اختبروك فرأوك من الضعف والقلّة بمنزلة نبات
يرعاه الرائد قبل أهله . يعنى أن طلائع ركن الدولة تولت حرب وهشودان والظفر به
وحدها دون أن يكون فيها ركن الدولة ولا عضد الدولة ، لأنها رأت أنه من الضعف بحيث
لا يستأهل مسير أحدهما . فالضمير فى أهله : للرائد .

(٥) وحل : عطف على اغتظ ؛ وجبينه فاعل دام . يقول : إن زى الملوكة لا يليق
بك فاتركه لمن هو أحق به منك ، فليس كل من تزى بزى الملوك ملوكا ، كما أنه ليس
كل من دى جبينه يكون ذلك من كثرة العبادة والسجود

إِنْ كَانَ لَمْ يَفْعِدِ الْأَمِيرُ لِمَا لَقِيتَ مِنْهُ فَيَمْنُهُ عَامِدٌ^(١)
يُقْلِقُهُ الصُّبْحُ لَا يَرَى مَعَهُ بُشْرَى يَفْتَحُ كَأَنَّهُ فَاقِدٌ^(٢)
وَالْأَمْرُ لِلَّهِ رَبِّ مُجْتَهِدٍ مَا خَابَ إِلَّا لِأَنَّهُ جَاهِدٌ^(٣)
وَمُتَّقٍ وَالسَّهَامُ مَرْسَلَةٌ يَحِيدُ عَنْ حَابِضٍ إِلَى صَارِدٍ^(٤)
فَلَا يُبَيِّلُ قَاتِلٌ أَعَادِيَهُ أَقَاتِمَا نَالَ ذَاكَ أَمَّ قَاعِدٌ^(٥)
لَيْتَ ثَنَانِي الَّذِي أَصُوغُ فِدَى مَنْ صَيِغَ فِيهِ فَإِنَّهُ خَالِدٌ^(٦)

(١) يعمد يقصد واليمن : السعد . يقول : إن كان الأمير لم يقصدك بنفسه ليحل بك ما لقيت منه فإن يمنه قصدك : أى فأنت قتيل سعيده وإقباله إن لم تكن قتيل سلاحه .
(٢) يقول : إذا أصبح ولم يرد عليه من يبشره بفتح قلق كأنه فقد شيئا ، وقال ابن جني : معنى كأنه فاقد ، أى كأنه امرأة فقدت ولدها . قال ابن فورجه : مثل عضد الدولة لا يشبه بامرأة في حال من الأحوال . وليس إذا كان يقال للمرأة الشكلى : فاقد يمتنع أن يسمى الرجل فاقدًا . وقوله : لا يرى معه . جملة حالية من الصبح .

(٣) يقول : ليس من شريطة الاجتهاد نيل المراد ، فقد يخيب الجاهد وينال مراده القاعد . يريد أنه ما أهلكه إلا اجتهاده في طلب الملك بتعرضه لهؤلاء القوم ، فصار اجتهاده سبب فشله وخيبته ، لأن الأمر لله ، لا للمجتهد ، قال عبد الله بن المعز : تذلل الأشياء للتقدير ، حتى يصير الهلاك في التدبير .

(٤) ومتق ؛ عطف على مجتهد ؛ والحابض ؛ خلاف الصارد ؛ يقال حبض السهم ؛ إذا وقع بين يدي الرامي لضعف الرمي ، والصارِد ؛ السهم النافذ في الرمية والبيت في معنى الذى سبقه يقول : ورب متق خائف على نفسه من السهام إذا رميت فيهرب من سهم لا ينفذ إلى سهم ينفذ فيه فيكون فيه هلاكه .

(٥) يقول ؛ من قتل عدوه فلا يبالى ، أقتله قَاتِمًا أم قَاعِدًا ، يعنى أنه مادام الغرض هو قتل العدو ، فإذا كفيته بغيرك وأنت قاعد فليس ذلك بذى بال ؛ أى ليس بهم أن تقتله بنفسك قال الواحدى ؛ كان حقه أن يقول لا يبال — بحذف الياء الأخيرة — للجزم ، ولكنه قاس على قولهم ؛ لا تبلى ، بمعنى لا تبالي ، وإنما جاز ذلك لكثرة الاستعمال ، ولم يكثر استعمالهم « لا يبال » ، فيجوز فيه ما جاز في غيره .

(٦) يقول : إن هذا الشعر الذى أصوغه في الثناء على المدوح هو باق مخلد في

لَوَيْتُهُ دُمْلَجًا عَلَى عَضِدٍ لِدَوْلَةٍ رُكْنَهَا لَهُ وَالِدٌ^(١)

وقال في صباه :

وَشَادِنِ رُوحُ مَنْ يَهْوَاهُ فِي يَدِهِ

سَيْفُ الصَّدُودِ عَلَى أَعْلَى مُقَلَّدِهِ^(٢)

مَا أَهْتَزَّ مِنْهُ عَلَى غُضْوٍ لِيَبْتَرَهُ إِلَّا أَتَقَاهُ بِتُرْسٍ مِنْ تَجَلَّدِهِ^(٣)

ذَمَّ الزَّمَانُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَبَّتِهِ مَا ذَمَّ مِنْ بَذَرِهِ فِي حَمْدِ أَحْمَدِهِ^(٤)

الكتب ، فليته فدى الذى عمل فيه — أى المدوح — حتى لا يهلك ويبقى خالدًا .

(١) الدملج : ما يلبس من الحلل في العصد . يقول : جعلت ١٠ يحيى حلية له كما يحلى العصد بالدملج . وهو عضد لدولة ركن تلك الدولة والد له : أى أنها ملاك الدولة وقوامها ، فهو عضدها وأبوه ركنها . وسمى شعره دملجاً لذكر العصد .

(٢) الشادن : الظبي يقوى ويطلع قرناه ويستغنى عن أمه . والمقلد في الأصل : العنق ، لأنه موضع القلادة ، والمراد هنا : موضع تقليد السيف . يقول : إنه يقتل بصودده ؛ فكأنه تقلد سيفاً من الصدود . « هذا » وقد جعل الواحدى — وتبعه المكبرى — صدر هذا البيت قوله :

* سَيْفُ الصَّدُودِ عَلَى أَعْلَى مُقَلَّدِهِ *

أما العجز فقالا : إنه لم يحفظ ، فقال قوم هو :

* بِكَفٍّ أَهْيَفَ ذَى مَطْلٍ بِمَوْعِدِهِ *

وقال آخرون هو :

يَفْرِى طُلَى وَامِقِيهِ فِي تَجَرُّدِهِ

أما الرواية التى أثبتنا ها فهى رواية ابن القطاع .

(٣) البتر : اقطع ؛ والتجلد : التصبر ؛ والضمير في اهتز ؛ للسيف ، وفي منه ؛ للشادن ؛ وفي اتقاه — المرفوع — للعاشق ، والنصب ؛ للسيف ، يقول ؛ لم يهتز هذا السيف — سيف الصدود — من الشادن على عضو من أعضاء العاشق ليقطعه إلا استقبله بتجلده وتصبره ، يعنى ، أنه كلما قصده بالصدود عارضه بالصبر .

(٤) اضطربت كلمة الشراح في هذا البيت ، وأوجه المعانى أن تقول يقول المتنبي ؛

شَمْسٌ إِذَا الشَّمْسُ لَاقَتْهُ عَلَى فَرَسٍ
تَرَدَّدَ النُّورُ فِيهَا مِنْ تَرَدُّدِهِ ^(١)
إِنْ يَقْبُحَ الْحُسْنُ إِلَّا عِنْدَ طَلْعَتِهِ فَالْعَبْدُ يَقْبُحُ إِلَّا عِنْدَ سَيِّدِهِ ^(٢)

إن الزمان ذم إلى التنبى العيب الذى ذمه التنبى من بدر الزمان عند حده. هذا الرجل للسمى أحمد، وذلك العيب هو النقص والتغير اللذان فى مودة الأحبة، وفى القمر بالنسبة إلى المدوح - فأحبته يحفونه ويصدون عنه؛ والبدر - على بهائه وحسنه - دون أحمد هذا، فالضمير فى بدره وأحمد للزمان، وسائر الضمائر؛ للعاشق - أى التنبى، وإليك أقوال الشراح، قال ابن جنى: البدر هو المعشوق، جله بدر الزمان مبالغة فى حسنه؛ وأحمد؛ هو التنبى، وجعل نفسه أحمد الزمان، يريد؛ ليس فى الزمان أحمد مثله، والمعنى؛ أن العاشق كان يذم بدر الزمان الذى هو كبدر الزمان حسنا يذم منه جفاه وهجره، واجتمع معه الزمان على تلك الحال من معشوقه فى حال حمد الزمان لأحمد التنبى؛ فالزمان يذم بهجر أحبته ويحمده هو لفضله ونجابهة قال الواحدى: قد تهوس أبو الفتح فى هذا البيت وآتى بكلام كثير لافائدة فيه، ومعنى البيت؛ إن الزمان ذم إلى التنبى من أحبة التنبى، لأنهم يحفونه ماذم الزمان فى بدره يعنى القمر فى حمد أحمد، يعنى المدوح، والمعنى؛ أن البدر مذموم بالإضافة إلى هذا المدوح، يعنى، أن البدر على بهائه وحسنه دون أحمد هذا، وقال ابن القطاع، يريد، أن الزمان يذم معه هجر أحبته كما ذم هو بدره، أى حبيبه،

(١) على فرس؛ حال من الهاء فى لاقته؛ أى وهو على فرس يقول: هو شمس إذا رأت الشمس وهو يحول فى ميدانه على فرس مترددا تردد نوره فى هوى الشمس، لأنه أضوأ منها، فالشمس تستفيد منه النور.

(٢) هكذا روى البيت سائر الشراح قائلين، إن «إن»، شرطية، وجوابها، فالعبد، والمعنى، هو مولى الحسن، والحسن فى كل أحد قبيح إلا فى طلعه كالعبد لا يحسن عند كل أحد حسنه عند مولاه، وقال اليازجى، إن قوله يقبح - فى عجز البيت خطأ فى الرواية، والصواب يحسن، فتكون إن، نافية، والمعنى، إن الحسن فى غير هذا المدوح لا يظهر قبيحا إلا عند مقابلته بطلعه لما فيها من الكمال وفى غيرها من النقص فكل ذى حسن إنما يستحسن عند انفراده عنه، كما أن العبد إنما يستحسن عند انفراده عن سيده، فإذا قبل به ظهر قبيحا بالنسبة إليه وهذا وجه من القول حسن جميل بارع لولا الرواية.

قَالَتْ عَنِ الرَّفْدِ طَبَّ نَفْسًا فَقُلْتُ لَهَا
 لَا يَصْدُرُ الْخَيْرُ إِلَّا بَعْدَ مَوْرِدِهِ ^(١)
 لَمْ أَغْرِفِ الْخَيْرَ إِلَّا مُذْ عَرَفْتُ فَتَى
 لَمْ يُولَدْ الْجُودُ إِلَّا عِنْدَ مَوْلَاهِ
 نَفْسٌ تُصَغِّرُ نَفْسَ الدَّهْرِ مِنْ كِبَرٍ لَهَا نَهَى كَهْلَهُ فِي سِنٍّ أَمْرَدِهِ ^(٢)

(١) الرفد ، العطاء ، ويصدر ، يرجع ، وطب نفسا عنه ، أى دعه ولا تطلبه
 يقول قالت : العاذلة طب نفسا عن العطاء ، أى دعه ولا تطلبه فإنه غير مبذول ، فقلت
 لها ، إن الخير إذا قصد أمرا لا ينصرف عنه إلا بعد الوصول إليه ، أى لا بدلى من
 بلوغ ما أطلب

(٢) الضمير فى كهله وأمرده : للدهر ، والنهى : جمع نهية : العقل . يقول : إن
 نفسه - فى عظمها وكبرها - تصغر نفس الدهر الذى هو جمع الخير والشر .

قافية الذال

وقال يمدح مساور بن محمد الرومي :

أُسَاوِرُ أَمْ قَرْنُ شَمْسٍ هَذَا أَمْ لَيْتُ غَابَ يَفْقَدُ الْأُسْتَاذَا (١)
 شِمٌّ مَا أُنْتَضَيْتَ فَقَدْ تَرَكَتْ ذُبَابَهُ قِطْعًا ، وَقَدْ تَرَكَ الْعِبَادَ جُذَاذَا (٢)
 هَبِكَ ابْنُ يَزْدَادٍ حَطَمْتَ وَصَحْبَهُ أَتَرَى الْوَرَى أَضْحَوْا بَنِي يَزْدَادَا (٣)
 غَادَرْتَ أَوْجَهُهُمْ بِحَيْثُ لَقِيْتَهُمْ أَقْفَاءُهُمْ وَكَبُودُهُمْ أَفْلَاذَا (٤)
 فِي مَوْقِفٍ وَقَفَ الْحِمَامُ عَلَيْهِمْ فِي ضَنْكِهِ وَأُسْتَحْوَذَ أُسْتَحْوَاذَا (٥)

(١) قرن الشمس : أول ما يبدو منها . وقدم يقدم : إذا تقدم : قال تعالى « يقدم قومه يوم القيامة » والوزير : يسمى الأستاذ في بعض لغة أهل الشام . شبه في حسنه : بقرن الشمس ، وفي شجاعته : بليث الغاب ، وكان يتقدم الوزير .

(٢) يقول : اغمد سيفك الذي سلطته من الغمد ، فقد قلت حد طرفه بكثرة استعمالك إياه ، وقد ترك سيفك الناس قطعاً . فتم أمر ، من شام السيف إذا أغمده . واتضاء : استله ، وذباب السيف : حده ، والجزاذ : جمع جذاذة ، وهي القطعة المكسورة .

(٣) هبك : أى احسب نفسك . يقول : احسب أنك حطمت ابن يزداذ ومن معه ، أفطن الناس كلهم أعداء لك مثل ابن يزداذ فتعاملهم معاملة لك إياهم وتحاول أن تفنيهم جميعاً ، فابن يزداذ : مفعول حطمت . وهو لا ينصرف للعجمة ، ولكنه صرفه للضرورة .

(٤) يذكر ما فعله بهم يقول : إنك هزمتهم في الموضع الذي تقيتهم فيه فولوك أقفأهم حتى قامت مقام وجوههم في استقبالك ، وتركك أكبادهم قطعاً صفاراً . وقيل المعنى : طمست وجوههم بالضرب حتى صارت كالأقفاء ، فقوله غادرت : فعل وفاعل وأوجههم : مفعول أول ؛ وأقفأهم : مفعول ثان . وقوله وكبودهم : أى وغادرت كبودهم أفلاذاً ، والأفلاذ : جمع فلذ ، القطعة من الكبد .

(٥) يقول : كان هذا الفعل منك في معركة ضيقة وقف الموت عليهم فحبسهم في ضيقها حتى استولى على نفوسهم واستأصلهم جميعاً . فالحم : الموت ؛ والضيق : الضيق .

جَمَدَتْ نَفُوسُهُمْ فَلَمَّا جَثَّتْهَا أَجْرِيَّتَهَا وَسَقَيْتَهَا الْفُلُوزَا^(١)
لَمَّا رَأَوْكَ رَأَوْا أَبَاكَ مُحَمَّدًا فِي جَوْشَنِ وَأَخَا أَبِيكَ مُعَاذًا^(٢)

ومنه قوله تعالى « معيشة ضنكا » أى ضيقة . والضمير فى ضنكه : لوقوف ؛ واستحوذ : استولى .

(١) الفلواز : من الحديد معروف ، وهو مصاص الحديد ، للثقى من خبثه دخیل . قال ابن جنى : يعنى قست قلوبهم وصبروا وشجعوا فاشتدوا كالنبيء الجامد ، ثم قال المتنبي : فلما جثتها أجريتها — أى أجريت نفوسهم : أى أسلت ذماءهم على سيوفك ، فكأنك جعلتها سقيا لها كما يسقى الفلواز للماء . وقال الواحدى : فى « جمدت » أقوال : أحدها أنها جمدت خوفا منك ، والخوف يجمد الدم ، وعليه يتأول قول الشاعر :

فَلَوْ أَنَا عَلَى جُحْشٍ ذُبَحْنَا جَرَى الدِّمْيَانِ بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ^(١)

يريد : أن دى يسيل لآتى شجاع ، ودمك لا يسيل لأنك جبان . والثانى أن ذماءهم كانت محقونة ، فلما جثتها أبغتها بسيوفك ، فجعل حقنها كالجلود ؛ إذ كان يذكر بعده الإجراء ، ثم أورد كلام ابن جنى الذى أوردناه .

(٢) الجوشن : الدرع . يقول : لما رأوك رأوا أبلا وعمك لأنك تشبهها ، فلصحة شبهك بها كأنهم رأوها : يعنى اجتمع فيك فضلها وشجاعتها وكرمها .

(١) قبل هذا البيت :

لَعَمْرُكَ إِنِّي وَأَبَا رَبَّاحٍ عَلَى طُولِ التَّجَاوُرِ مُنْذُ حِينِ

كَيْبُغْضِي وَأُبْغُضُهُ وَإِيضًا يَرَانِي دُونَهُ وَأَرَاهُ دُونِي

وهذه الأبيات نسبت إلى عدة شعراء ، وأصحها — كما قال ابن دريد — أنها لشاعر اسمه على بن بدال ابن سليم ،

وانتكاشر : المباسطة من « الكشر » وهو : التبسم ، و « جعر » بضم الجيم وسكون الحاء : الشق فى الأرض وأراد « بالخبر اليقين » ما اشتهر عند العرب من أنه لا يمتزج دم التباغضين .

قال ابن الأعرابي : يريد لم يختلط دى ودمه ، من بغضى له وبغضه لى بل يجرى دى يئنة ودمه يسرة .

وقل بعضهم : معناه لو ذبحنا على جعر لعم من الشجاع منا من الجبان يجرى دى وجمود دمه ، لأنهم يزعمون أن دم الشجاع يجرى ، ودم الجبان يجمد .

اَعْجَلَتْ السُّنْهَمَ بِضَرْبِ رِقَابِهِمْ عَنْ قَوْلِهِمْ لَا فَارِسٌ إِلَّا ذَا^(١)
 غُرًّا طَلَمْتَ عَلَيْهِ طَلْعَةَ عَارِضٍ مَطَرَ النَّسَايَا وَابِلًا وَرَزَادًا^(٢)
 فَقَدْ أَسِيرًا قَدْ بَلَلَتْ ثِيَابَهُ بِدَمٍ وَبَلٍّ يَبُولُهُ الْأَفْضَادُ^(٣)
 سَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَشْرِقِيَّةُ طُرُقَهُ فَاَنْصَاعَ لَا حَلْبًا وَلَا بَغْدَادًا^(٤)
 طَلَبَ الْإِمَارَةَ فِي الثُّغُورِ وَنَشَوُهُ مَا يَنْبَغِي كَرْخَايَا إِلَى كَلْوَاذَا^(٥)
 فَكَأَنَّهُ حَسِبَ الْأَسِنَّةَ حُلُوهَ أَوْ ظَنَّهُ الْبَرْنَى وَالْآزَادًا^(٦)

(١) يقول : لما راوك وراوا شجاعتك أرادوا أن يقولوا لافارس إلا هذا ، لكنك بادرتهم بالقتل فلم يتمكنوا أن يقولوا هذا القول : أى لو أمهلهم سيفك لأقروا بأنك قرع دهرك وأوحده فروسية وشجاعة . « هذا » : وأألسن جمع لسان على تأنيته . يقال في التأنيث : ثلاث ألسن : كذراع وأذرع ، ومن ذكره قال ثلاثة السنة : مثل حمار وأحمره ، وهذا قياس ماجاء على فعال من المذكر والمؤنث .

(٢) غر : أى هو ابن زداد - غر ؛ والغر ؛ الغافل ؛ والعارض : السحاب المعترض في الأفق ؛ والوايل : المطر الشديد . والزاد : الخفيف وهما حالان . يقول كان غافلا عنك حتى طلعت عليه كما يطلع السحاب ، ولما جعله كالسحاب جعل مطره الموت قتلا وجرحاً وأسراً .

(٣) يريد : أنه تلطخ بالدم والبول جميعاً

(٤) المشرقية : السيوف المنسوبة الى مشارف اليمن ، وهى قرى هناك تعمل بها السيوف . وانصاع : اتنى وولى : وبغداد : لغة في بغداد ، يقول : انهزم وتلدد في أمره فلم يقصد الشام ولا العراق ، لأن سيوفك أخذت عليه هذه الطرق ؛ وحلبا وبغدادا : منصوبان بمضمر أى لا يقصد حلب ولا بغداد وصرفها ضرورة

(٥) كرخايا وكلوذا : فريتان بسواد العراق . يقول : حاول أن يكون أميراً على الثغور ، وهو إنما نشأ في سواد العراق : أى أنه لا يصلح لما طلب ، لأنه سوادى خسيس .

(٦) السنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح . والبرنى والآزاد : نوعان من التمر كثيران بالعراق . يقول : إنه تعود أكل الرطب والتمر ، وليس هو من أهل الطمان

لَمْ يَلِقَ قَبْلَكَ مَنْ إِذَا اخْتَلَفَ الْقَنَاصُ

جَمَلَ الطَّعْمَانَ مِنَ الطَّعْمَانِ مَلَاذًا^(١)

مَنْ لَا تُوَافِقُهُ الْحَيَاةُ وَطَيْبُهَا

حَتَّى يُوَافِقَ عَزْمُهُ الْإِنْفَازًا^(٢)

مُتَعَوِّدًا لُبْسَ الدَّرُوعِ يَخَالُهَا

فِي الْبَرْدِ خَزَاً وَالْهَوَاجِرِ لَذًا^(٣)

والحرب ، فكأنه ظن الحرب تمرأ يأكله . « هذا ، والمشهور في الآزاد القصر ، لكنه مده لإقامة الوزن .

(١) القنا : الرماح . والمراد باختلافها أن يطغى هذا مرة وذاك أخرى والملاذ : الملجأ . يقول : لم يلق قبلك رجلاً إذا اختلف الرماح عند المطاعنة لم يهرب من الطعان إلا إلى الطعان ولم يلجأ إلا إلى النزال لإقدامه وحفاظه وعلمه أنه لا يحصى حقيقته إلا بالطعان ، كما قال : الحصين بن الحمام

تَأَخَّرْتُ أَسْتَنْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ

لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أُنْقَدَمَا

(٢) من : في موضع نصب ، بدل من من الأولى . - يقول : إنه لا يلتذ طعم الحياة إلا إذا أمضى عزمه فأنفذه لا يرجع فيه إلى الوراء : أى أن طيب عيشه في إنفاذ عزمه فإذا رجع عن شيء لم ينفذه لم يطب عيشه ، قال العكبري : وهذا من قول الحكيم « لا يجد طعم الحياة من لا يجد لشهوته دركا . ولا لأمره تصرفا » .

(٣) الحز : ثياب غليظة تعمل من الحرير ؛ والملاذ : ثوب رقيق من الكتان ، والهواجر : جمع هاجرة ، وهى وقت شدة الحر في نهار الصيف . يقول : لم يلق قبلك إنساناً متعوداً لبس الدروع يظنها في صبرة البرد خزاً يقيه البرد : وفي حمارة القيظ لاذا يلاذ به من الحر . فلتعودك لبسها صارت عندك كلبس هذين النوعين من الثياب ، فقوله : متعوداً ، نعت لمن - على أنها نكرة - « هذا » : وفي البيت عطف على معمولي عاملين مختلفين ، لأن الهواجر معطوفة على البرد ، ولاذا : عطف على خز ، وإنما جوزه كون عامل أولها جاراً . وأنشدوا على جوازه قول الشاعر .

أَعْجِبْ بِأَخْذِكُهُ ، وَأَعْجِبْ مِنْكُمْ
أَنْ لَا تَكُونُوا لِمِثْلِهِ أَخْذَاً^(١)

أَكُلْ أَمْرِي تَحْتَسِبِينَ أَمراً ،

وَنَارٍ تَأْجَّجَ بِاللَّيْلِ نَاراً

(١) يقول : ما أعجب أخذك إياه في قوته وعدده ! وأعجب من ذلك لو لم تأخذه
لأنك مظفر منصور على أعدائك لا يهلك منك أحد تقصده .

قافية الراء

وقال يمدح سيف الدولة وقد سأله المسير معه لما سار لنصرة أخيه ناصر الدولة ،
وذلك سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة :

سِرْ حَلَّ حَيْثُ تَحَلَّهُ الثَّوَارُ وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ الْقَدَارُ^(١)
وَإِذَا أَرْتَحَلْتَ فَشَيِّعْتِكَ سَلَامَةً حَيْثُ اتَّجَهْتَ وَدِيمَةً مِذْرَارُ^(٢)
وَأَرَاكَ دَهْرُكَ مَا تَحَاوَلُ فِي الْعِدَى
حَتَّى كَانَ صُرُوفُهُ أَنْصَارُ^(٣)
وَصَدَرَتْ أَغْنَمٌ صَادِرٍ عَنْ مَوْرِدٍ مَرْفُوعَةٍ لِقَدُومِكَ الْأَبْصَارُ^(٤)

(١) النوار : كالنور ، واحدته نواره . وهو الزهر . وقيل : النوار والنور الأبيض
والزهر الاصفر ؛ وذلك أنه يبيض ثم يصفر ، والقدر قدر الله . يدعوله ، يقول : سر
واذهب لطيتك حل النوار حيث تحل : أى سقى الله المواضع التى تحلها حتى ينبت فيها
الزهر ، فجعل نبات الزهر كناية عن السقى . ثم قال : ووافقك القدر على ما تريده من
المطالب فأعانك على بلوغه ؛ وقال الواحدى : ويجوز أن يريد أنك نور المكان الذى
تنزله فحيثما نزلت نزل النوار والقضاء موافق لما تريد .

(٢) الديمة المطر يدوم ساعات دون برق ولا رعد ، وأقله ثلث النهار أو ثلث الليل
وأكثره ما بلغ من العدة ، قال ليلى :

أَتَتْ وَأَسْبَلَ وَكَيْفَ مِنْ دِيمَةٍ يُرْوَى أُلْغَائِلَ دَائِمًا تَسْجَامُهَا^(١)
والمدرار : الدائم الدار : أى السيلان . يقول : شيعتك السلامة - أى صحبتك
حيث كنت ، وكذلك المطر ينبت لك النبات فتخصب .

(٣) يقول : وأراك الدهر ما تريده فى أعدائك من الظفر بهم ، حتى كأن حوادثه
ونوبه أعوان لك على ما تريد .

(٤) الإصدار : الانتشاء عن الماء ؛ والورود ورود الماء . يقول : وردك الله علينا
وأنت أغنم آيب تتطلع إليك أبصار من خلفهم مشرّبة شوقاً إلى رؤيتك ، وهذه
الآيات كلها دعاء له .

(١) من معلقة ليلى . يقول : بانت البقرة بعد قحدها ولدها فى مطر دائم المظللان

أَنْتَ الَّذِي بِحَجِّ الزَّمَانُ بِذِكْرِهِ وَتَزَيَّنْتَ بِجِدِّيهِ الْأَنْتَمَارِ^(١)
وَإِذَا تَنَكَّرَ فَالْفَنَاءُ عِقَابُهُ وَإِذَا عَفَا فَعَطَاؤُهُ الْأَعْمَارِ^(٢)
وَلَهُ وَإِنْ وَهَبَ الْمُلُوكُ مَوَاهِبُ دَرُّ الْمُلُوكِ لِذُرِّهَا أَغْبَارِ^(٣)
لِلَّهِ قَلْبُكَ مَا يَخَافُ مِنَ الرَّدَى ، وَيَخَافُ أَنْ يَذْنُوكَ إِلَيْكَ الْعَارِ^(٤)
وَتَحِيدُ عَنِ طَبِيعِ الْخَلَائِقِ كُلِّهِ ، وَيَحِيدُ عَنْكَ الْجَحْفَلُ الْجَرَارِ^(٥)

(١) بجمع : فرح ؛ قال الجوهري : بجمع بالشئ وبجمع به أيضا - بالفتح - لغة ضعيفة فيه وأبجحه الأمر وبجحه أفرحه . وفلان يتبعج أى يفخر ويباهى بشئ ما، وقيل يتعظم وقد بجمع بجمع قال الراعى .

وما الفقرُ عن أرض المشيرة ساقنا إليك ولكنا بقرباك نَبَجَحُ
والسمر : حديث الليل . يقول : يبتجع الزمان مفتخراً إذا ما ذكرت في جملة أهله وأبنائه وتحسن الأعمار بالحديث عنك .

(٢) يقول : إذا غضب على قوم عاقبهم بالهلاك والاستئصال ، وإذا عفا عن العقوبة ترك القتل ، فكانت الأعمار عطاء منه ونوالا .

(٣) الدر : اللبن ؛ والأغبار : جمع غبر بضم الغين - بقية اللبن في الضرع . يقول : إن عطاياء تعد عطايا الملوك بالقياس إليها كاللبن القليل إلى اللبن الكثير .

(٤) لله قلبك : تعجب ؛ كقولهم : لله درك . يقول : إن قلبك الإلهى لا يتوقى الهلاك ، ولكنه يتوقى أن يدانك شئ فيه عار . وقوله : ما يخاف ويخاف يرويان ما يخاف وتخاب على الخطاب .

(٥) تحيد : تعدل ؛ والطبع : الدنس . والخلائق : الأخلاق . والجحفل الجيش الكثير . والجرار : التميل السير الذى لا يقدر على السير إلا رويداً لكثرتة . وقال المسكبرى : قيل هو فعال من جر إذا جنى كأنه بكثرتة وشدة وطئه الأرض يجنى عليها بإثارة التراب ويحنى على السماء بارتفاع الغبار إليها ؛ وقيل سمى جراراً لأنه يجر ذيله فى التراب فيرى له أثر عظيم ، يقول : تنسكب كل شئ يدنس الأخلاق من اللؤم وما إليه وينسكبك الجيش الكثير انقاء بأسك فأنت هارب من وجهه ، مهروب عنه من وجهه وهذا ينظر إلى قول البحترى :

وَأَجَبَنَ عَنْ تَعْرِيفِ عَرَضِ لُجَاهِلٍ وَإِنْ كُنْتَ بِالْإِفْدَامِ أَطْقَنَ فِي الصَّفِّ

يَأْمَنُ يَمِزُّ عَلَى الْأَعْزَةِ جَارَهُ ، وَيَذِلُّ مِنْ سَطَوَاتِهِ الْجَبَّارُ^(١)
 كُنْ حَيْثُ شِئْتَ فَمَا تَحُولُ تَنُوقُ^(٢) دُونَ اللَّقَاءِ وَلَا يَشِطُّ مَزَارُ^(٣)
 وَيَدُونَ مَا أَنَا مِنْ وَدَادِكَ مُضِيرُ^(٤) يُنْضِي الْمَطْيُ وَيَقْرُبُ الْمُسْتَارُ^(٥)
 إِنَّ الَّذِي خَلَقْتَ خَلَقِي ضَائِعُ^(٦) مَالِي عَلَى قَلْقَى إِلَيْهِ خِيَارُ^(٧)
 وَإِذَا صُحِبْتَ فَكُلُّهُ مَاءٌ مَشْرَبُ^(٨) لَوْلَا أَلْعِيَالُ وَكُلُّهُ أَرْضٌ دَارُ^(٩)
 إِذْنُ الْأَمِيرِ بَأْنِ أَعُودَ إِلَيْهِمْ^(١٠) صِلَّةٌ تَسِيرُ بِشُكْرِهَا الْأَشْعَارُ^(١١)

(١) يقول : إن جاره الذليل يمز على الأعزة ، فلا يقدر أن ينالوه بسوء ، والمتكبر العاقى العظيم يصير ذليلاً لديه إذا غضب .
 (٢) تحول : تعترض وتمنع ، وتنوقة الفلاة المترامية الأطراف ، ويشط : يبعد .
 يقول : كن حيث شئت من الأرض فما بمنعنا عن لقائك بعد المسافة ولا يبعد علينا مزارك ، وفي هذا نظر إلى قول القائل

قَرِيبٌ عَلَى الْمُشْتَاكِ أَوْ ذِي صَبَابَةٍ وَأَمَّا عَلَى الْكَسْلَانِ فَهَوَّ بَعِيدُ
 (٣) المستار : مقتول من السير قال الراجز :

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ الْعَزِيزِ الْفَقَارُ ثُمَّ إِلَيْكَ الْيَوْمَ بَعْدَ الْمُسْتَارِ
 وقوله : وبدون ، أى بأقل ، وأنضى راحلته هزلها بطول السير . والمطي : جمع مطية ، وهى الركوبة ، أو اسم جمع لها . يقول : بأقل مما أضمره لك من المودة تهزل الدواب بالسير وتقرب المسافة ، فكيف وهودنى إليك كثيرة متوافرة ؟ يعنى أن الحب مها بعد عنه محبوبه فهو زائر ، إذ البعيد عنده قريب .

(٤) طى : بمعنى مع . وإليه متعلقة بقلقى على تضمينه معنى الشوق وزاع النفس .
 والخيार : بمعنى الاختيار . يقول : إن من خلفته ورأى من أهلى ضائع بخروجه من عنده ، إذ قد آثرت صحبتك عليهم مع قلقي واشتياقي إليهم ولا اختيار لى فى إشارتك عليهم ، فأنا مضطر إلى ذلك لأنك قيدتنى بإحسانك
 (٥) يقول : إذا صحبتك طاب لى كل ماء وواقفتى كل أرض حق كأنها دارى لولا من خلفت من العيال :

(٦) يقول : إن إذنك لى بالعود إلى عيالى عطية منك أشكرها لك فى شعرى .
 وهذا كقول المهلبى :

وخيره بين فرسين دهما وكميت فقال :

اخْتَرْتُ دَهْمَاءَ تَيْنِ يَا مَطَرُ وَمَنْ لَهُ فِي الْفَضَائِلِ الْخَيْرُ^(١)
وَرُبَّمَا قَالَتْ الْعُيُونُ وَقَدْ يَصْدُقُ فِيهَا وَيَكْذِبُ النَّظَرُ^(٢)
أَنْتَ الَّذِي لَوْ يُعَابُ فِي مَلَأٍ مَا عِيبَ إِلَّا بِأَنَّهُ بَشَرُ^(٣)
وَأَنْ إِعْطَاهُ الصَّوَارِمُ وَالْخَيْلُ وَسُمُرُ الرِّمَاحِ وَالْعُكْرُ^(٤)

فَهَلْ لَكَ فِي الْإِذْنِ لِي رَاضِيًا فَإِنِّي أَرَى الْإِذْنَ غَنَمًا كَثِيرًا

(١) قوله دهما تين : أى الدهماء من هاتين . كما تقول : اخترت فاضل هذين : أى الفاضل منها . فتين : بمعنى هاتين . وتا : بمعنى هذه . وتثنيها : تان . وقوله يامطر : أى ياشييه المطر في الجود . وقوله ومن له : أى ويامن له الاختيار في الفضائل فيختار منها ما يستحسن . فالخير : جمع خيرة . اسم من الاختيار والخير ؛ قال الواحدى : يروى الخبر يريد الاشتهار في الفضائل

(٢) يقال : قال رأيه يميل فيلولة : أخطأ وضعف . فقوله : قالت العيون ، أى أخطأت يقول إنى اخترت الدهماء ، ولكن ربما كنت مخطئا في الاختيار . فإن النظر قد يصدق في العيون فتصيب ؛ وقد يكذب فتخطئ .

(٣) يقول : ليس فيك من عيب ، ولا تعاب إلا بكونك بشرا ، أى أنت أجل قدرا من أن تكون بشرا آدميا ، لأن ما فيك من الفضائل لا يكون في بشر . والملا جماعة القوم

(٤) إعطاءه : مصدر ، وضع موضع العطاء الذى هو الاسم ؛ والمكر جمع عكرة القطيع الضخم من الإبل . يقول : إنهم لو عابوك ما عابوك إلا بسخاكتك وإسرافك في هذا السخاء . يعنى أنهم لا يسيونك إلا بما لا عيب فيه ، وهذا من قبيل قول النابغة .

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم
وقول عبد الله بن قيس الرقيات

مَا تَقْمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْمَلُونَ إِنْ غَضِبُوا

وقال ابن جني : يريد قدرك أن يكون عطاؤك فوق هذا فإذا فعلت هذا فكانت ميب به لقلته بالإضافة إلى قدرك ... قال ابن فورجة : إن كان التفسير على ما ذكره ابن جني فهو هو ، وكيف تهجى الكبار بأكثر من أن يقال : ما وهبت يسير في جنب (١٣ - الثنبي ٢)

فَأَصْبَحُ أَعْدَائِي كَأَنَّهُمْ لَهُ يَقُولُونَ كُلَّمَا كَثُرُوا^(١)
أَعَادَكَ اللَّهُ مِنْ سِوَاهِمُ ، وَخَطِيءٌ مَنْ رَمِيَهُ الْقَمَرُ^(٢)
وجاءه رسول سيف الدولة برقعة فيها بيتان للعباس^(٣) بن الأحنف يسأله
إجازتهما فقال :

رِضَاكَ رِضَايَ الَّذِي أَوْزُرُ ، وَسِرِّكَ سِرِّي فَمَا أَظْهَرُ^(٤)
كَفَتَكَ الْمُرُوءَةَ مَا تَتَّقِي ، وَأَمَّنَكَ الْوُدَّ مَا تَحْذَرُ^(٥)

قدرك فيجب أن تهب أكثر من ذلك ... ولكن العكبري قال: الذي ذكره ابن جني صحيح؛ وقد يمدح الإنسان الكثير العطايا بأن قدره يقتضي أكثر مما يعطى؛ كقوله أيضاً :

* يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخِلَا

(١) يقول : إنه يفضح أعداءه بظهور فضله عليهم وتخليفهم عنه وتوافر فضائله ؛
فإذا قيسوا به وضيغوا إليه قلوا دقة وخسارة وإن كانوا كثيرين عدداً وكية ؛ وهذا معنى
دقيق بديع ؛ وقوله : كأنهم له ، أى لاجله .

(٢) يدعو له أن يحفظه الله من سهام الأعداء ؛ ويحتمل أن يكون خبراً . وقوله
وخطيء من رميهم القمر ؛ فالرمي : الرمي . يقول : إنهم لا يسيئونك برميهم كما لا يصيب
القمر من رماه . لأنه أرفع محلا من أن يبلغه سهم راميهِ وكذلك أنت
(٣) والبيتان هما :

أَمِنِّي تَخَافُ انْتِشَارَ الْحَدِيثِ وَخَطِيءٌ فِي سِرِّي أَوْفَرُ
وَلَوْلَمْ أَصْنُهُ لِبَقِيَا عَلَيْكَ نَظَرْتُ لِنَفْسِي كَمَا تَنْظُرُ

« قوله : لبقيا عليك : أى لإرعاء عليك ورحمة : أى لولم أصن سرك إرعاء
عليك من إفشائه لصنته إرعاء على تقى أنا وخشية أن تفسد حالى معك إذا اطلع
الناس على ما بيننا

(٣) أوزر : اختار ؛ والعائد محذوف : أى أوزره ؛ وقوله : فما أظهر ، استفهام
إنكارى . يقول : إذا رضيت أمراً فهو رضى الذى اختاره وسرنا واحد ، فأى شيء
أظهر منه ؛ أى لا أظهر سرك لأنه سري
(٥) يقول : اطمئن من جهتي لأنى ذو مروءة ، وذو المروءة لا يكون مذباغاً .

وَمِرُّكُمْ فِي الْحِشَاءِ مَيِّتٌ إِذَا أَنْشَرَ السَّرُّ لَا يُنْشَرُ^(١)
 كَأَنِّي عَصْتُ مُقَلَّتِي فِيكُمْ وَكَاتَمْتُ الْقَلْبَ مَا تُبْصِرُ^(٢)
 وَإِنْشَاءً مَا أَنَا مُسْتَوْدَعٌ مِنَ الْفَذْرِ وَالْخُرِّ لَا يَنْفَذِرُ^(٣)
 إِذَا مَا قَدَرْتُ عَلَى نَظْقَةٍ فَإِنِّي عَلَى تَرْكِهَا أَقْدَرُ^(٤)
 أَصْرَفُ نَفْسِي كَمَا أَشْتَهِي وَأُمْلِكُهَا وَالْقَنَا أَحْمَرُ^(٥)
 دَوَّالِيكَ يَا سَنِيْفَهَا دَوْلَةً وَأَمْرُكَ يَا خَيْرَ مَنْ يَأْمُرُ^(٦)

للأسرار ، وأنا - مع ذلك - محب لك ، والمحبة لا يسوء إلى حبيبه بإفشاء سره .
 والروءة كرم الأخلاق وعلو الهمة ؛ وكفاه الشيء : أغناه عن معاناته ، وتبقى : تحذر
 و«ما» في ماتق وما تحذر - اسم موصول بمعنى الذي ، وهي فيها مفعول ثان للفعل قبلها .
 (١) أنشر : من النشور ، وهي بعث الأموات يوم البعث يقول : إن سركم في
 قلبي كاليت الذي لا يحيا بعد موته ، أي أنه - لشدة إخفائه السر - إمانته إمانته حتى لا بعث
 له بعدها : وهذا من قول الآخر :

إِنِّي لَأَسْتَرُ مَا ذُو اللَّبِّ سَاتِرُهُ مِنْ حَاجَةٍ وَأُمَيِّتُ السَّرَّ كَيْمَانًا
 وَكَقَوْلِ قَيْسِ بْنِ ذَرِيْعٍ .

وإلى من القوم الذين صد دورهم إذا استودعوا الأسرار فهي قبورها
 (٢) يقول : كأن عني لما نظرت إليكم أخفت عن قلبي ما رأت ، فلم يعلم بذلك .
 فكيف أظهره والعين قد كاتمت قلبي الذي أبصرت فلم يصل إليه ؟ ويقال : كاتمته سري
 أي كتمته عنه . وما تبصر مفعول ثان : لكاتمت ولك أن تقول : إن بين قوله عصت
 وكاتمت تنازعا ، على أن الفعلين واقعان على القلب ، أو تقول : إن المراد بالأول مجرد
 إثبات العصيان للمقلة ، فلا يكون له مفعول :

(٣) الحر : الكريم

(٤) يقول : إنه على الكتمان أقدر منه على الإفشاء لأن الإفشاء فعل ، والكتمان ترك
 الإفشاء ومن قدر على الفعل كان على ترك الفعل أقدر . والنطقة : المرة من النطق .

(٥) القنا : الرماح . يقول : إنه يملك نفسه قادر على ضبطها وتصريفها على مراده
 لا تغلبه نفسه على شيء لا يريده . وأنه يملك نفسه ويصبرها على مكابدة الحرب إذا
 احمرت الرماح بالدماء ، أفلا يملكها في كتمان السر ؟

(٦) يقول : دالت لك الدولة وتناولتها دولة بعد دولة ، وأمرك : أي أمرك

أَتَانِي رُسُوكَ مُسْتَعِجِلًا فَلَبَّاهُ شِغْرِي الَّذِي أَذْخَرُ
وَلَوْ كَانَ يَوْمٌ وَعَنَى قَاتِمًا لَلَبَّاهُ سَنِيْفِي وَالْأَشْقَرُ^(١)
فَلَا غَفَلَ الدَّهْرُ عَنْ أَهْلِهِ فَإِنَّكَ عَنِّي بِهَا يَنْظُرُ^(٢)

وقال وقد استبطأ سيف الدولة مدحه وتنكر لذلك^(*) :

أَرَى ذَلِكَ الْقُرْبَ صَارَ أَزْوَارًا وَصَارَ طَوِيلُ السَّلَامِ اخْتِصَارًا^(٣)
تَرَكَتَنِي الْيَوْمَ فِي خَجَلَةٍ أَمُوتْ مِرَارًا وَأَحْيَا مِرَارًا^(٤)

فهو مطاع فأمره ؛ مفعول مطلق لم ، ودواليك : نصب على المصدر ؛ أي دالت لك الدولة دولا بعد دول ، وهو من المصادر التي استعملت مشاة . والغرض التوكيد ، ومثله لبيك وسعديك وخانيك . ونصب دولة : على التمييز
(١) اسم كان : مضر ، تقديره : ولو كان دعاؤك إياي ، أو لو كان مانحن فيه من الحال . والقاتم : المظلم الذي علاه الغبار . يقول : ولو كان دعاؤك إياي يوم حرب لأجبتك مسرعاً بسيفي وبفرسي الأشقر : وقال بعض الشراح : اسم كان ضمير ، الرسول ، وخبرها ؛ محذوف دل عليه ما قبله : أي ولو كان أتاني . وهذا البيت والذي قبله من قول البحتري :

جَعَلْتُ لِسَانِي دُونَهُمْ وَلَوَانَهُمْ أَهَابُوا بِسِنِّي كَانَ أَسْرَعَ مِنْ طَرَفِي
(٢) يقول : أنت عين الدهر التي ينظر بها إلى الناس ، فلا غفل الدهر عن الناس بهلاكك ، أي بقيت ، فإن ما يصيب الناس من إحسان وإساءة إنما هو منك ؛ فلو أنت مت لبطل ذلك كله ، فيصير الدهر كأنه غافل عن الناس .
* كان قد تأخر مدحه عن سيف الدولة ، فعاتبه مدة ثم لقيه في الميدان فرأى منه انحرافاً عنه وأنكر تقصيره فيما كان عوده من الإقبال إليه والسلام عليه ، فعاد إلى يته وأرسل إليه هذه الأبيات .

(٣) الأزوار : العدول والانحراف . يعتب عليه يقول : صار طويل السلام مختصراً ، وصار ذلك القرب منك عدولاً عنى وانحرافاً .
(٤) يقول : أنا في خجلة من الناس لإعراضك عني كلما ساورتني ذكرها صرت كاليت ، وإذا زالت حيت ، فأموت في اليوم مرات كثيرة وأحيامرات كثيرة .

أَسَارِقُكَ اللَّحْظَ مُسْتَحْيَاً وَأَزْجُرُ فِي التَّخْلِيلِ مُهْرِي سِرَّاراً^(١)
وَأَعْلَمُ أَنِّي إِذَا مَا أَعْتَذَرْتُ لَيْتَكَ أَرَادَ اعْتِدَارِي اعْتِدَاراً^(٢)
كَفَرْتُ مُكَارِمَكَ الْبَاهِرَا تِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنِّي اخْتِيَاراً^(٣)
وَلَكِنْ حَمَى الشُّعْرَ إِلَّا الْقَلِيلَ هَمَّ حَمَى النَّوْمَ إِلَّا غِرَّاراً^(٤)
وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جِسْمِي بِهِ ، وَمَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَاراً^(٥)

(١) السرار : مصدر ساره إذا كلمه سراً . يقول : وأنظر إليك لحائي منك مسارقة ومخالسة ، وإذا زجرت مهري في الميدان زجرته بصوت خفي ، ولم أجسر أن أرفع صوتي حياء منك

(٢) يقول : إنما يعتذر الهرم ، فإذا اعتذرت إليك من غير ذنب اجترته كان هذا الاعتذار شيئاً منكراً يحمل أن اعتذرت منه أيضاً لأنه في غير محله . وقال بعض الشراح : الاعتذار من غير ذنب كذب ، والكذب مما يعتذر منه

(٣) يقول : وجدت ما غمرتنني به من مكارمك الباهرة التي ليس في مكنة أحد أن يحمدوها إن كان تركي مدحك وتأخير شعري اختياراً مني ، ولكن حمى الشعر إلخ . وقوله كفرت إلخ : قسم من أروع ما يقسم به العرب ، ولا يزال مثله جارياً بيننا الآن : كما يقول الرجل : أكون رجلاً ندلاً إذا حصل مني كيت وكيت .

(٤) الغرار النوم القليل قال الفرزدق في مراثية الحجاج :

إِنَّ الرِّزِيَّةَ مِنْ تَقْيِيفِ هَالِكٍ تَرَكَ الْعُيُونَ فَنَوْمُهُنَّ غِرَّارُ

أي قليل ، و قيل الغرار القليل من النوم وغيره . ومنه الحديث : لا غرار في صلاة ولا تسليم : أي لا نقصان . أي لا ينقص من ركوعها ولا من سجودها ولا أركانها ومنه غرار الناقة ، وهو النقصان في لبنها . و القليل : بدل بعض من الشعر : أي إلا القليل منه ، وكذا مثله في الشطر الثاني يقول : منعي الهم قول الشعر إلا القليل منه وهذا الهم أخذني منه المقيم للمعد حتى منعي النوم ، فكيف لا يمنعني قول الشعر ؟

(٥) يعتذر بما ألم به من الهم الذي أسقم جسمه وأوقد في قلبه ناراً بلهيه وكان سبب انقراطه عن الشعر . يقول : ليس ذلك من فعلي واختياري إذ لا يرضى أحد أن يسقم جسمه بالهم ويذيب قلبه بحرارته . وهذا من قول العطوى :

أَرَانِي أَنَا وَفَرْتُ تَ مِنْ الِهِمِّ نَصِيْبِي

فَلَا تُزِمْنِي ذُنُوبَ الزَّمَانِ إِلَى أَسَاءٍ وَإِيَّايَ ضَارًا^(١)
وَعِنْدِي لَكَ الشُّرْدُ السَّائِرًا^(٢) تُلَا يَخْتَصِمُنَ مِنَ الْأَرْضِ دَارًا^(٣)
قَوَافٍ إِذَا سِرْنَ عَنْ مِقْوَلِي وَثَبْنَ الْجِبَالِ وَخُضْنَ الْبَحَارَا^(٤)
وَلِي فِيكَ مَا لَمْ يَقُلْ قَائِلٌ وَمَا لَمْ يَسِرْ قَمَرٌ حَيْثُ سَارَا
فَلَوْ خُلِقَ النَّاسُ مِنْ دَهْرِهِمْ لَكَانُوا الظَّلَامَ وَكُنْتَ النَّهَارَا^(٥)

أَنَا أَعْطَيْتُ الْعُمُونَ النُّجْلَ أَصْلَابَ الْقُلُوبِ
لَوْ إِلَى الْأَمْرِ مَا أَقْذَيْتُ عَيْنًا بِرَقِيبِ

(١) ضاره وضره بمعنى . يقول : وإنما الذنب ذنب الزمان ، فهو الذي أورثني هذا
المهم فسيب ذلك انقطاعي عن الشعر ، فلا تؤاخذني بذنوب الزمان . طي أن إساءته إنما
ألت بي أنا ، وأنا المساء بها فلا تقع تبعها طي ، كذلك .

(٢) الشرد : جمع شرود ، يعني انقصائد التي تسير في البلاد ولا تستقر بموضع .
يقول : وعندي لك انقصائد التي أقولها في مدحك فتسير في الآفاق ويتناقلها
الناس لحسنها .

(٣) هذا البيت كالتفسير للبيت السابق ، والقول : اللسان . يقول : إذا خرجت
هذه القوافي من لساني سارت في البلاد وقطعت الجبال والبحار إلى ماوراءها : أي
أن الجبال والبحار لا تحمل دون سيرها . قال طي بن الجهم يصف شعره .

فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ :

فَإِنْ أَنَا لَمْ يَحْمَدْكَ عَنِّي صَاغِرًا عَدُوُّكَ فَاعْلَمْ أَنَّنِي غَيْرُ حَامِدٍ^(١)
بَسِيحًا تَسْأَقُ مِنْ غَيْرِ سَائِقٍ ، وَتَنْقَادُ فِي الْآفَاقِ مِنْ غَيْرِ قَائِدٍ

(٤) قال ابن جني : لو أمكنه أن يقول : لكاوا الظلال وكنت الضياء أو الليل
وكنت النهار لكان أحسن في التطبيق ؛ ذل العكبري : قلت يمكنه : لكانوا الليالي
والوزن مستقيم .

(١) يقول : إن شعره يدعو عدوك أن يثني عليك إذا أنشدته على غير رغبة منه
لاستحسانه إياه .

أَشَدُّهُمْ فِي النَّدَى هِزَّةً وَأَبَدُهُمْ فِي عَدْوٍ مُغَارًا^(١)
 سَمَّا بِكَ هَمِّي فَوْقَ الْهَمُومِ فَلَسْتُ أَعْدُ يَسَارًا يَسَارًا^(٢)
 وَمَنْ كُنْتُ بَحْرًا لَهُ يَا عَنِي لَمْ يَقْبَلِ الدَّرَّ إِلَّا كِبَارًا^(٣)

وقال يهنته بعيد الفطر :

الصَّوْمُ وَالْفِطْرُ وَالْأَعْيَادُ وَالْعَصْرُ مُنِيرَةٌ بِكَ حَتَّى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ^(٤)
 تُرَى الْأَهْلَةَ وَجْهًا عَمَّ نَائِلُهُ فَمَا يُخْصُّ بِهِ مِنْ دُونِهَا الْبَشَرُ^(٥)

(١) الندى : الجود ؛ والهزة - بالكسر - الأريحية ؛ والمغار : مصدر ميمي بمعنى الغارة . يقول : هو أشد الناس أريحية ساعة الجود والعطاء ، وأبعد الناس مدى غارة في العدو .

(٢) الهم : الهمة ، واليسار الغنى : يقول : علت همي بخدمتك والالتواء إليك وبما يسرت لي من المطالب حتى صارت فوق همم الناس وحتى صرت لا أقنع بما يكون غنى ويسارا حتى أطلب ما فوقه .

(٣) كباراً : حال من الدر ؛ والبيت تأكيد لما قبله . يقول : إذا أدركت بك الغنى لم أقتصر عليه لأن من كان مرجوه مثلك لم يرض بالقليل

(٤) الفطر : بالكسر الاسم من الإفطار ، والعصر - بضمين - لغة في العصر وهو الدهر ويأتي أيضاً جمعاً له ، وقد تقدم ذلك . وحق : حرف عطف - كالواو - يقول : إن نور هذه الأشياء إنما هو بك لأنك جمال للدهر وجمال للدين ولكل شيء ، يعني أن نورك عم كل شيء - ق الشمس والقمر اللذين يستضاء بهما . هذا : وقال العكبري - مناسبة حق - : وقد اختلف أصحابنا في حتى فقالوا هي حرف تنصب الفعل المستقبل من غير تقدير أن ، وحرف جر يجر الاسم كما تقول : سوفته حتى الصيف . وقال البصريون : هي في كلا الموضعين حرف جر ، والفعل منصوب بعدها بتقدير أن ، والاسم مجرور بتقدير إلى .

(٥) يقول : لم يخص البشر بطائرك فقد أنلت الإهله بوجهك كمال النور فقد عم إذن نائلك البشر والشمس والقمر .

مَا الدَّهْرُ عِنْدَكَ إِلَّا رَوْضَةٌ أَنْفٌ يَا مَنْ شَمَائِلُهُ فِي دَهْرِهِ زَهْرٌ^(١)
 مَا يَنْتَهِي لَكَ فِي أَيَّامِهِ كَرَمٌ فَلَا أُنْتَهَى لَكَ فِي أَعْوَامِهِ عُمْرٌ^(٢)
 فَإِنَّ حَظَّكَ مِنْ تَكَرُّرِهَا شَرَفٌ وَحَظَّ غَيْرِكَ مِنْهَا الشُّبُّ وَالْكِبَرُ^(٣)

(١) الأنف : التي لم يرعها أحد وهو أحسن لها ؛ والشمايل : الخلائق يقول : الدهر بكونك فيه روضة تمت محاسنها وتوافر جمالها وأخلاقك زهر هذه الروضة ، فهي أحسن ما فيها .

(٢) ما : حرف نفي ؛ والضمير في أيامه وأعوامه للدهر . يقول : ليس ينتهي كرمك في أيام الدهر ، أي أنه يزداد كرمًا على الأيام ، ثم دعا له فقال : فلا أنتهى عمرك في أعوامه ، أي لا أنقص لك أجلا .

(٣) الضمير في تكرارها ومنها للأعوام ، ويروى منه : أي من التكرار . يقول : إن حظك من السنين وتكرارها استزادة الشرف بما تجدد من المناقب . بينما حظ غيرك ممن لا مناقب لهم الشيب والهرم .

وقال وقد جلس سيف الدولة لرسول ملك الروم ولم يصل إليه المتنبي لرحام الناس ، فعابه سيف الدولة على تأخره وانقطاعه .
فقال المتنبي ارتجالا ، وذلك سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة :

ظَلَمْتُ لَذَا الْيَوْمَ وَصَفْتُ قَبْلَ رُؤْيَيْتِهِ
لَا يَصْدُقُ الْوَصْفُ حَتَّى يَصْدُقَ النَّظَرُ^(١)
زَاحَمَ الْجَيْشُ حَتَّى لَمْ يَجِدْ سَبَبًا إِلَى بِسَادِكِ لِي تَمَعُ وَلَا بَصَرُ^(٢)
فَكُنْتُ أَشْهَدُ مُخْتَصِرٍ وَأَعْيَبُهُ مُعَايِنًا وَعِيَانِي كُلُّهُ خَبَرُ^(٣)
الْيَوْمَ يَرْفَعُ مَلِكُ الرُّومِ نَاطِرَهُ لِأَنَّ عَفْوَكَ عَنْهُ عِنْدَهُ ظَفَرُ^(٤)
وَمِنْ أَجَبْتِ بَشْيءَ عَنْ رَسَائِلِهِ فَمَا يَزَالُ عَلَى الْأَمْلَاكِ يَفْتَخِرُ^(٥)
قَدْ اسْتَرَاخَتْ إِلَى وَقْتِ رِقَابِهِمْ مِنْ السُّيُوفِ وَبَاقِي الْقَوْمِ يَنْتَظِرُ^(٦)

(١) يقول : إن وصفي هذا اليوم دون أن أشاهد ماجرى فيه ظلم له ، لأن صدق الوصف موقوف على صدق النظر ، فإذا لم أكن صادق النظر بالعيان والملاحظة لم أكن صادق الوصف .

(٢) و (٣) سمع — في البيت الأول — فاعل يجد ، وسببا : أى وصلة أتوصل بها : أى سبيلا . ثم قال في البيت الثاني : كنت في هذا اليوم أحضر الناس المختصين بك لأنني كنت شاهداً بشخصي ، وكنت أغيبهم عياناً لأنني غبت معاينة إذ لم أر ما يجري فكان عياني ما يخبرني به الذين عاينوا . فأشهد أفضل تفضيل من الشهود ، وهو الحضور ومعاينة : بدل من أشهد . والجملة بعده : حال .

(٤) ناظره : عينه . وعنده : بمعنى في اعتقاده . يقول : يرفع اليوم ملك الروم عينه اعتزازاً برضاك ، وقد كان مطرقاً استخذاء وخوفاً . لأن عفوك في اعتقاده ظفر وقلج .

(٥) يقول : إذا أجبتة افتخر على الملوك .

(٦) يقول . لما هادنت الروم استراحت رقابهم من فعل السيوف بها إلى انتهاء مدة الصلح ، أما سائر الذين كنت تغروهم فإنهم يترقبون ورود سيوفك عليهم ، لأنهم يعرفون أنك لا تغتر عن الغزو . أو يترقبون الصلح منك كما صالحت ملك الروم .

وَقَدْ بُدِّلَهَا بِالْقَوْمِ غَيْرِهِمْ لِكَيْ تَجِمَّ رُءُوسُ الْقَوْمِ وَالْقَصْرِ^(١)
تَشْبِيهِ جُودِكَ بِالْأَمْطَارِ غَادِيَةٍ جُودٌ لِكَذِّكَ ثَانٍ نَالَهُ الْقَطَرُ^(٢)
تَكْسَبُ الشَّمْسُ مِنْكَ النُّورَ طَالِعَةً
كَمَا تَكْسَبُ مِنْهَا نُورَهُ الْقَمَرُ^(٣)

وقال لما أوقع سيف الدولة بيني عقيل وقشير وبني العجلان وبني كلاب حين
عاثوا في عمله وخالفوا عليه ، ويذكر أجفالم من بين يديه وظفره بهم ، وله
خبر طويل :

طَوَالَ قَنَا تَطَاعِنَهَا قِصَارُ وَقَطَرِكَ فِي نَدَى وَوَعَى بِحَارِ^(١)

(١) الأظهر أن الضمير في تبدلها : للسيف - كما قال ابن جني - لا للروم - كما
ذهب إليه الواحدى - وغيرهم ؛ نصب على أنه مفعول ثان لتبدلها والباء في بالقوم :
للموضع . وتجم : تكثر . من جم البئر : إذا توافر ماؤه بعد الترح ، والقصر ، جمع
قصرة أصل الضيق . يقول : وقد تخارب غير الروم وتدع الروم حتى يكثروا ونضمهم
ليتأسلوا ثم تعود إليهم قتلهم .

(٢) تشبيه : مبتدأ . خبره : جود : وغادية : حال ، وثان : صفة لجود : يقول :
إذا شبتنا جودك بالأمطار التي تأتي بالعدوات - وهي أغزرها - كان ذلك جوداً ثانياً .
لكفك على المطر ، لأن المطر يفخر بأن يشبه به جودك .

(٣) تكسب - بحذف إحدى التاءين - أى تكسب . يقول : إن الشمس تستفيد
منك النور كما يستفيد منها اقمر النور ، فإذا طلعت كسبت ، وإذا غابت عادت إلى
حالتها قبل أن تراك .

(٤) طوال : مبتدأ ، خبره : قصار ، وضمير تطاعنها : للمخاطب ؛ والجملة : صفة
لقنا ؛ والندى : الجود . والوعى : الحرب . يقول : إن الرماح الطوال التي تطاعنها
قصار في حرك ، لأنها لا تمالك ولا تبلغك ، ولأنها لا غناء لها معك ، وكأنها قصار
كما قال :

يَجِيدُ الرَّمْحُ عَنْكَ وَفِيهِ قَصْدٌ وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَالَ وَفِيهِ طَوْلُ

وَفِيكَ إِذَا جَنَى الْجَانِي أَنَاةً تُظَنُّ كَرَامَةً وَهِيَ اخْتِقَارٌ^(١)
وَأَخَذُ لِلْحَوَاصِرِ وَالْبَوَادِي بِضَبْطٍ لَمْ تُعَوِّدْهُ نِزَارٌ^(٢)
تَشْمَمُهُ شِمِيمَ الْوَحْشِ إِنْسَاً وَتُنْكِرُهُ قَبِيعُوهَا نِفَارٌ^(٣)
وَمَا انْقَادَتْ لِفَيْرِكَ فِي زَمَانٍ فَتَذَرِي مَا الْمَقَادَةَ وَالصَّغَارُ^(٤)

ثم قال : والقليل منك في الجود والحرب كثير حتى تكون القطرة بمنزلة البحر .
(١) الأناة : الرفق والحلم . يقول : فيك رفق وحلم عن الجاني لا تسرع في عقوبته .
يظن ذاك لكرامة له عليك وهو اختقار له عن المكافأة ، لا كرامة .
(٢) أخذ : عطف على أناة ؛ والحواصر : جمع حاضرة ، وهي خلاف البادية ؛
والمراد : أهل الحواضر والبوادي ، وبضبط : متعلقة بأخذ ، وقوله : نزار
يريد العريب : يقول : أنت تأخذ أهل الحضرة والبدو بسياسة وضبط لم
تعودها العرب .
(٣) يقول : إن العرب تدنو من طاعتك ، فإذا أحست ما عندك من السياسة
أنكرت ذلك إنكار الوحش إذا شممت ريح الإنس فتنتفر ، فقوله : تشممه - بحذف
إحدى التائين - أى تشممه . وإنسا : مفعول شميم ؛ والتشمم : الشم في أناة وتؤدة .
ويقال : شممت النىء أشمه وشمته أشمه شماً وشمياً ، قل الصمة بن عبد الله القشيري :
تمتع من شميم عرار نجيد فما بعد المشية من عرار^(١)
قال أبو حنيفة الدينوري : تشمم النىء واشتمه أدناه من ألقه ليجذب رائحته ،
وتشممت النىء شمته في مهلة .
(٤) المقادة : الانقياد ، والصغار : الذل . يقول : إن العرب لا تعرف هذا لأنهم لم
لم ينقادوا لأحد .

(١) العرار : بهار البر ، وهو نبت طيب الريح ، وقيل هو النرجس البري
والبيت من أبيات هي :

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعِيسُ تَحْدِي بِنَا بَيْنَ الْمُنِيفَةِ فَالْضَمَارِ
تَمَتَّعْ مِنْ شِمِيمِ عَرَارٍ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَةِ مِنْ عَرَارِ
أَلَا يَا حَبْذَا نَفَحَاتُ نَجْدٍ وَرِيّاً رَوْضِهِ بَعْدَ الْقَطَارِ
شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَمْ نَ وَلَا سِرَارِ

فَقَرَّحْتَ الْمَقَاوِدَ ذِفْرَيْنِهَا وَصَعَرَ خَدَّهَا هَذَا الْعِذَارُ^(١)
وَأَطْلَعَ عَامِرَ الْبُقْيَا عَلَيْهَا وَنَزَقَهَا اخْتِمَالَكَ وَالْوَتَاكَ^(٢)
وَعَبَّرَهَا التَّرَاسُلُ وَالتَّشَاكِي وَأَعْجَبَهَا الْقَلْبُ وَالْمَعَارُ^(٣)
جِيَادُ تَعَجُّزِ الْأُرْسَانِ عَنْهَا وَفَرَسَانُ تَضْيِيقِ بَهَا الدِّيَارِ^(٤)
وَكَانَتْ بِالتَّوَقُّفِ عَنْ رَدَّهَا نَفُوسًا فِي رَدَّهَا تُسْتَشَارُ^(٥)

(١) المقاوود : جمع مقود، وهو الرسن، والدفرى : العظم الشاخص خلف الأذن، مأخوذة من ذفر العرق لأنها أول ما تفرق من البعر، ويجمع على ذفارى وذفارى : كصحارى وصحارى. والصعر : الليل في الحد ؛ وفلان صعر خده : أماله من الكبر ، والعدار من اللجام ماسال على خدى الفرس . يقول : لما وضعت على العرب المقاوود لتقودهم إلى طاعتك ، وبالفيتى رياضتهم تفرحت ذفاريهم من جذب المقاوود لرءوسهم : أى جعلتهم كالقروح فى الندل والأتقياد، وأمال خدودهم هذا العذار : أى أمالم إلى طاعتك . والقرح : كل ما جرح الجلد من عض السلاح ونحوه . وروى الواحدى : فأفدحت - بالفاء - من أفدحه الدين : أمله، يعنى : لما وضعت على العرب المقاوود أثقلت مقاوذك رءوسهم ، لأنك ضبطتهم ومنعهم عن التلصص والتجارة فصاروا كاللدابة تقاد بحكمة شديدة وشكيمة ثقيلة .

(٢) منع عامر من الصرغ لأنه أراد القبيلة ، ولذلك أشبا ؛ والبقيا : اسم من الإبقاء ؛ والبرق : الخفة والطيش . يقول : وأطلمهم فى العصيان إهلاؤك عليهم وعدوك عن الإيقاع بهم ، وحملهم على الطيش أناتك وحلك عنهم وتوقفك عن إهلاكمهم .

(٣) تلبب الرجل : تحزم وتشمر ؛ والتلبب : التحزم بالسلاح وغيره ، والمعار : الإغارة . يقول : وغيرها عن الطاعة أنها كانت تراسل فيما بينها وتتواطأ على عصيانك وتتشاكى لما يجدونه من صعوبة الاستخذاء إليك ؛ واعتزت بتحزبها وتأهبها ولبسها الأسلحة وكثرة غاراتها على النواحي والأطراف .

(٤) الجياد : الخيل ، وهى مبتدأ محذوف الخبر : أى لم جياد . يقول : إن لم خيلا معجز الأرسان عن ضبطها لصعوبتها وشدة رءوسها ، أو تقول : لا تسمعها الأرسان لكثرتها ، أى أن لم خيلا لكثرتها لا توجد لها أرسان ، ثم قال : وفيهم فرسان تضيق بهم الديار لكثرتهم .

(٥) الضمير فى كانت : للفرسان ؛ والردى : الهلاك . يقول : وكنت تتوقف عن إهلاكمهم والإيقاع بهم جريا على عادتك فى الصفع والعفو ؛ فكانوا - بهذا التوقف - كمن

وَكُنْتَ السَّيْفَ قَائِمُهُ إِلَيْهِمْ وَفِي الْأَعْدَاءِ حَدُّكَ وَالْفِرَارُ^(١)
فَأَمْسَتْ بِالْبَدِيَّةِ شَفَرَتَاهُ وَأَمْسَى خَلْفَ قَائِمِهِ الْحِيَارُ^(٢)
وَكَانَ بَنُو كِلَابٍ حَيْثُ كَعْبُ نَحَافُوا أَنْ يَصِيرُوا حَيْثُ صَارُوا^(٣)
تَلَقَّوْا عِزًّا مَوْلَاهُمْ يَذُلٌ وَسَارَ إِلَى بَنِي كَعْبٍ وَسَارُوا^(٤)
فَأَقْبَلَهَا الرُّوجَ مُسَوِّمَاتٍ ضَوَامِرَ لَا هِزَالَ وَلَا شِيَارَ^(٥)

يستشار في إهلاكه ، وكانوا هم بتوهمهم واسترسالهم في غيهم - كأنهم يشيرون عليك بأن تقتلهم . وقد أقام الردى مقام الإرداء .

(١) و (٢) قَائِمُهُ : مقبضه . وغراره : حده . والبديّة والحيار : ماءان بأرضهم كانوا ينزلون عليهما . وشفرتا السيف : حداه . يقول : كنت سيفاً لهم مقبضه في أيديهم وحده في أعدائهم فلما عصوك صارت شفرته حيث هم : أي في البديّة . أي سرت إليهم في منازلهم ، وجاوزت الحيار حتى صار خلفك ، وأهلكتهم بسيفك الذي كنت تدود به عنهم . وفي معناه قول جعفر بن علبه :

لَهُمْ صَدْرُ سَيْفٍ فِي يَوْمٍ صَحْرَاءَ سَحْبَلٍ
وَلِي مِنْهُ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأُنَامِلُ

(صحراء سحبل : موضع)

(٣) يقول : كانوا في التمرد والعصيان حيث كان بنو كعب ، فلما رأوا ما نزل بهؤلاء من القتل والهوان خافوا أن ينزل بهم ما نزل بكعب من القتل والسبي إن بقوا على عصيانهم . وكعب : مبتدأ محذوف الخبر . أي حيث كعب كاثنون لأن حيث لا تضاف إلا إلى الجمل .

(٤) يقول : استقبلوا سيف الدولة بالخضوع والذلة والالتقياد وساروا معه وراء كعب قال العكبري : وذلك أن مشيخة بني كلاب تلقته وقد سار عن الحيار لطلب البديّة فطرحوا نفوسهم عليه لما رأوا حد سيفه وخشوا أن يهربوا فيهلكهم وتقتلهم القفار والعطش كما هلك كعب

(٥) الضمير في أقبلها : للخليل ، وإن لم يجر لها ذكر وأقبلها المروج : جعل وجوها إليها . والمروج : الموضع ترعى فيها الدواب ، وأراد مروج سلمية - موضع بين الفرات وحلب كانوا فيه ثم انهزموا - ومسومات : معلومات بسمة تعرف بها ؛ وضوامر : قليلة

تَشِيرُ عَلَى سَلْمِيَّةَ مُسَبِّطًا تَنَاسَرُ نَحْتَهُ لَوْلَا الشَّعَارُ^(١)
عَجَاجًا تَعْتَرُ الْعِقْبَانَ فِيهِ كَانَ الْجَوُّ وَغَثٌ أَوْ خَبَارُ^(٢)

اللمح . وهزال : جمع هزيل . والشار : السمان الحسنه الناظر ، ولا هزال ولا شار في
الأعراب ، مثل قول اقبال :

* لَا أُمُّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبٌ *^(١)

يقول : وجه خيله إلى الروج وأجاءها إليها ضامرة ، وليس ضمها عن هزال ؛
إنما هو عن تضمير وقيام عليها ، ولا هي أيضاً سميحة حسنة النظر لأنها قد شعث
واغبرت بمواصلة السير .

(١) سلمية : موضع ؛ والمسبط : الغبار الممتد ؛ والشعار : العلامة يتعارفون بها .
يقول : تشر خيلك على هذا المكان - سلمية - غباراً منتشر لا تعرف الخيل تحته بعضها
بعضاً - أى أصحاب الخيل . أى الجيش لولا العلامة التي تتعارف بها . فقوله : تناسر -
يحذف إحدى التامين - أى الخيل .

(٢) عجاجاً : بدل من مسبطاً والعجاج : الغبار . والوعث من الأرض : السهل

(١) وصدر هذا البيت .

* هَذَا لَعَمْرُكَ كَمِ الصَّفَارُ بِعَيْنِهِ *

والبيت لمنى بن أحمـر السكاني ، شاعر جاهلي قديم ، وقيل لغيره ، وهو من أبيات
جميلة يقول فيها . -

أَخِيَّ أَخْبَرَنِي وَلَسْتَ بِصَادِقٍ	وَأَخْوَلُ نَاصِحُكَ الَّذِي لَا يَكْذِبُ
أَمِنْ الْقِصِيَّةِ أَنْ إِذَا اسْتَفْتَيْتُمُ	وَأَمِنْتُمْ فَأَنَا الْغَرِيبُ الْأَجْنَبُ
وَإِذَا الْكَتَائِبُ بِالشَّدَائِدِ مَرَّةً	حَجَرَتْكُمْ فَأَنَا الْحَبِيبُ الْأَقْرَبُ
وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً أَدْعَى لَهَا	وَإِذَا يُحَاسُ الْحَيْسُ يُدْعَى جُنْدَبُ
وَلِيُجْنِبَ سَهْلَ الْبِلَادِ وَعَذْبَهَا	وَلِي الْمَلَاخُ وَحَبْتَنَ الْمَجْدِبُ
عَجَبٌ لِنَاصِحَةٍ وَإِقَامَتِي	فِيكُمْ عَلَى تِلْكَ الْقِصِيَّةِ عَجَبُ
هَذَا لَعَمْرُكَ الصَّفَارُ بِعَيْنِهِ	لَا أُمُّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ

الحيس لبن وأقط وسمن وتعر يصنع منه طعام ، والحبب الطمئن من الأرض وقد
رويت هذه الأبيات على اختلاف في بعض كلماتها .

وَوَلَّ الطَّمَنُ فِي الْخَلِيلَيْنِ خَلْسًا كَانَ لَمَوْتَ بَيْنَهُمَا اخْتِصَارٌ^(١)
 فَلَزَمَهُمُ الطَّرَادُ إِلَى قِتَالِهِ أَحَدٌ سِلَاحِهِمْ فِيهِ الْفِرَارُ^(٢)
 مَضَوْا مُتَسَابِقِي الْأَعْضَاءِ فِيهِ لِأَرْوَئِهِمْ بِأَرْجُلِهِمْ عِشَارٌ^(٣)
 يَشْلُهُمْ بِكُلِّ أَقْبَى نَهْدٍ لِفَارِسِهِ عَلَى الْخَيْلِ الْخِيَارُ^(٤)
 وَكُلُّ أَمَمٍ يَعْمَلُ جَانِبَاهُ عَلَى الْكَعْبَيْنِ مِنْهُ دَمٌ مُمَارٌ^(٥)

الكثير الرمل ، وهو ما تقيب فيه القوائم لسهولة . والخبار : الأرض اللينة الرخوة .
 يصف التبار بالكثافة ؛ يقول : إن العقبان التي تسير مع الجيش تتمر في ذلك التبار
 وكثافته ، فكان الجو أرض لينة تنوص فيها أرجل الطير فتتمر لكثرة ما ارتفع من
 غبار الحيل وكثافته .

(١) خلصا : أى اختلاصا وهو سرعة اختطاف الشيء خفية . يقول : ظلوا يتخالسون
 الطمن فيسرع فيهم للموت حتى كأنه اختصر الطريق إليهم .
 (٢) لزمه إلى الشيء : ألجأه إليه وأدناه منه . يقول : أوجهم طرادك لإيادهم إلى قتال
 شديد لم يكن لهم سلاح يدفعه عنهم غير الفرار .

(٣) يقول : لإسراعهم في الحرب والمزمنة خوفا من القتل كانت أعضاؤهم كأنما
 يسابق بعضها بعضا : الأرجل تسابق الرءوس ، والرءوس تسابق الأرجل وكأن الرءوس
 تتمر بالأرجل حين تريد الرءوس الإسراع فتمنعها الأرجل وقال ابن جني : إذا ندر
 رأس أحدهم فتدحرج يثر برجله أو برجل غيره ، وهذا غير للمهود أن يثر الرأس
 بالرجل ؛ قال الواحدي : أحسن من قوله أن يقال . بأرجلهم عشار لأجل حفظ رءوسهم
 فهم ينهزمون فيسرعون ويثرون .

(٤) يشلهم : يطردهم . والأقرب من الخيل : الضامر البطن . والنهد : للشرف
 المرتفع . يقول : يطردهم بكل فرس ضامر نهدي لفارسه الخيار ، إن شاء لحق ، وإن شاء
 سبق : أى إن شاء جارته سائر الخيل وإن شاء سبقها فلحقته .

(٥) أمم : أى رمح صلب ليس بأجوف لين ؛ ويمسل : يضطرب . وممار : مسال مهرق
 يقول : ويطردهم بكل رمح صلب يضطرب جانبيه الأعلى والأسفل . قال الواحدي :
 وأراد بالكمين اللذين في عامله . وهما يخيان في اللطمون ، ولذلك وصفهما بأن عليهما
 دما ، ويجوز أن يريد الكعب الذي في السنان والذي فيه الزج ؛ فإن الطمن يقع بهما
 قال ابن جني : يجوز أن يريد بالثنية الجمع ، لأن أول الجمع ثنية .

يُغَادِرُ كُلُّ مُلْتَمِتٍ إِلَيْهِ وَلَبَّتُهُ لِشَعْلَبِهِ وَجَارُ^(١)
 إِذَا صَرَفَ النَّهَارُ الضُّوءَ عَنْهُمْ دَجَا لَيْلَانَ لَيْلٍ وَالْفُبَارُ^(٢)
 وَإِنْ جُنَحُ الظَّلَامِ انْجَابَ عَنْهُمْ أَضَاءُ الْمَشْرِقِ وَالنَّهَارُ^(٣)
 يُبْكِي خَلْفَهُمْ دُثْرُ بُكَاهُ رُغْلَا أَوْ ثَوَاجٍ أَوْ يُعَارُ^(٤)
 غَطَا بِالْعَثِيرِ الْبَيْدَاءَ حَتَّى تَحْبِرَتِ الْمَتَالِي وَالْعِشَارُ^(٥)

(١) يغادر : يترك ، والضمير للرمح . واللبة : أعلى الصدر . والثعلب - هنا -
 مداخل من الرمح في السنان ، والوجار : بيت الوحش من الضبع والثعلب ونحوهما .
 يقول : إن هذا الرمح يترك من يلتفت إليه من الأعداء ونحوه مطعون يدخل ثعلبه في
 نحره . ولقد أبدع في هذه التورية والاستعارة بذكر الوجار والثعلب .

(٢) و (٣) دجا : أظلم ؛ وجنح الليل : جانبه ؛ وانجباب : انكشف ؛ والمشرقية :
 السيف ، نسبة إلى مشارف الشام . يقول : إذا ذهب عنهم ضوء النهار كان مع الليل
 ليل آخر من العجاج - الغبار - وإذا انقضى الليل أضاء مع النهار نهار آخر من بريق
 السيف : أى أنهم في ليلين مظلّين من الليل والغبار ، وفي نهارين من ضوء السيف
 والنهار « هذا » وإليك خلافاً نحويّاً بين البصريين والكوفيين آثاره العلامة العسكري
 النحوي السكوفي مناسبة إعراب جنح الظلام ، قال : ارتفع جنح الظلام ، عندنا بالابتداء ،
 وهو قول الأخفش ، وعندنا أيضاً أنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل .
 وقال البصريون : يرتفع بتقدير فعل ؛ وحجتنا أن إن الشريطة الأصل في باب الجراء .
 فلقوتها جاز تقديم المرفوع معها وقلنا إنه يرتفع بالعائد لأن المكنى المرفوع معها في الفعل
 هو الاسم الأول ، فينبغي أن يكون مرفوعاً كقولهم : جاءني الظريف زيد ، وإن لم يكن
 مرفوعاً لم يفتقر إلى تقدير فعل ، وحجة البصريين أنه يجوز أن يفصل بين حرف الجزم
 وبين الفعل باسم لم يعمل فيه ذلك الفعل ولا يجوز أن يكون هنا عاملاً ، لأنه لا يجوز
 تقديم ما يرتفع بالفعل عليه ؛ ولو لم يقدر ما يرفعه لبقى الاسم مرفوعاً بلا رافع ، وذلك
 لا يجوز ، فدل على أن الاسم ارتفع بتقدير فعل .

(٤) الدر : المال الكثير . والرغاء : صوت الإبل ، والثوَج : صوت النمل .
 واليعار : صوت المعز . يقول : إنهم ساقوا مواشيهم هاربين ، فكانت تصيح خلفهم
 لما ألم بها من النعب والإعياء في السير : فالإبل ترغو ، والمعزى تيعر ، والنمل تئج ؛
 وكأنها بهذا الصياح تبكي .

(٥) غطاء وغطاء : بمعنى ؛ والعثير : الغبار ؛ والمتالي : جمع متلة ، وهي الناقة

وَمَرُّوا بِالْجَبَاةِ يَقْمُ فِيهَا كَلَّا الْجَيْشِينَ مِنْ تَقْمٍ إِزَارُ^(١)
وَجَاءُوا الصَّحَصَحَانَ بِلا سُرُوجٍ وَقَدْ سَقَطَ الْعِمَامَةُ وَالْحِمَارُ^(٢)
وَأَرْهَقَتِ الْعَذَلَى مُرْدَفَاتٍ وَأَوْطِئَتِ الْأَصْبِيَّةُ الصَّفَارُ^(٣)
وَقَدْ نَزَحَ الْفَوِيزُ فَلَا غُوزُ وَنَهْيَا وَالْيَيْبُضَةُ وَالْجَفَارُ^(٤)
وَلَيْسَ بِغَيْرِ تَدْمُرٍ مُسْتَفَاتٍ ، وَتَدْمُرُ كَانِيَهُمُ لَهْمُ دِمَارُ^(٥)

يتلوها ولدها ؛ والعشار : التي قربت ولادتها - جمع عشاء . والتالى والعشار : أعز أموال العرب ، ولذلك خصهما بالذكر . يقول : غطى البيداء بالغبار حتى تحيرت النعم - على حدة أبصارها - فى ذلك الغبار ؛ ورواية ابن جنى بالغثر : بدل بالغير ، والغثر ؛ ماء هناك ، وتحيرت - بالحاء ، بصيغة المجهول - فيكون المعنى : غطى سرحهم البيداء عند هذا الماء لكثرت حتى تغير منه سيف الدولة التالى والعشار لما وصل إلى ذلك الماء . (١) الجبابة : اسم ماء . والنقع : الغبار . يقول : إنهم مروا بهذا الماء فى هربهم وقد أدركهم جيش سيف الدولة هناك ، فاشتمل الغبار على الجيشين حتى صاروا منه فى إزار لشدة انتشاره .

(٢) الصحصان : يريد بالصحصان هنا : صحراء بعينها هناك ، وفى غير هذا الوضع كل أرض واسعة فضاء . يقول : جاءوا هذه الصحراء وقد انخلت سروج خيلهم فسقطت وسقطت عمامهم رجالهم وخمر نسائهم لإسراعهم وإشاحتهم فى الحرب .

(٣) أرهقه : كلفه ما فيه مشقة . ومردفات : أى مركبات خلف الرجال ، وأوطئت أى جعلت الخيل تطؤها . لحذف الخيل للطمع بها ، والأصبيية : تصغير أصبية . جمع صبي ، والعدارى : جمع عذراء . وهى البكر التى لم يفرعها خل . يقول : إن العدارى قد كلفن بأردافهن خلف الفرسان مشقة لا يطقنها ، ولم يثبت الصبيان الصغار على الخيل فى الركض فسقطوا ووطأتهم الخيل . وعبارة ابن جنى : أوطأوا الخيل الصبية لأنهم لم يقدرُوا أن يحملوهم لشدة هربهم وأردفوا العدارى طلبا للنجاة وحفظا لهم .

(٤) هذه كلها مياه معروفة . يقول : لما بلغوها نزحوها لما لحقهم من العطش والجهد حتى لم يبق منها شيء ، ولذلك قال : فلا غوز .

(٥) يقول : لم يكن لهم مفرع يفرعون إليه إلا تدمر ، ظنوا أنهم إذا بلغوها حصنتهم من سيف الدولة ، ولكن خاب ظنهم ، إذ لم يمتنعوا أن غشيم جيشها فصارت دماراً - هلاكاً - لهم كاسمها . وتدمر هى المدينة المعروفة .

أَرَادُوا أَنْ يُدِيرُوا الرَّأْيَ فِيهَا فَصَبَّحَهُمْ بِرَأْيٍ لَا يُدَارُ^(١)
وَجَيْشٌ كُلُّهَا حَارُوا بِأَرْضٍ وَأَقْبَلَ أَقْبَلَتْ فِيهِ تَحَارُ^(٢)
يَحْفُ أَغْرَ لَا قَوْدٌ عَلَيْهِ وَلَا دِيَّةٌ تُسَاقُ وَلَا أُعْتَذَرُ^(٣)
تُرِيْقُ سَيُوفُهُ مُهَجَّ الْأَعَادِي وَكُلُّهُ دِمَ أَرَاقَتُهُ جُبَارُ^(٤)
فَكَانُوا الْأُسْدَ لَيْسَ لَهَا مَصَالٌ عَلَى طَيْرٍ وَلَيْسَ لَهَا مَطَارُ^(٥)

- (١) يقول : أرادوا أن يقلبوا وجوه الرأى في تدمير ، فأتاهم سيف الدولة صباحا وعصف بهم ، فكان عصفه بهم - إهلاكه إياهم - رأيا لا سبيل إلى تقليبه .
- (٢) جيش : عطف على رأى ؛ يقول : وصبحهم بجيش كلما أشرف هؤلاء المحاربون على أرض واسعة فحاروا فيها لسعتها وشدة ذعرهم ، ثم لما أقبل هذا الجيش أقبلت تلك الأرض تتحير فيه لكثرتة وتوافره ، فكانه أوسع منها .
- (٣) يقول : يحيط هذا الجيش بأغر - سيد شريف - يعنى سيف الدولة - إذا قتل عدوه لم يكن عليه قود ولا دية ولم يعتذر من فعله ، لأنه ملك قاهر ذو عز ومنعة لا يرجع فيما فعل . والقود : قتل النفس بالنفس ، والدية : ثمن الدم .
- (٤) تريق : تسفك ؛ والمهجة : دم القلب والروح والجبار : الهدر الذى لا قود فيه ولا دية يقال : ذهب دمه جبارا إذا لم يطلب ؛ والبيت في معنى البيت السابق .
- (٥) مصال : مصدر : أى صولة وقوة . وكذلك المطارع يعنى الطيران . قال العروضي وواقفه الواحدى : هذا من صفة خيل سيف الدولة ، يقول . هم - فرسان سيف الدولة أسود ولا يشينهم عدم إدراكهم هؤلاء القوم لأن الأسد - على قوته - لا يمكنه صيد الطائر لأنه لا مطار للأسد ؛ يعنى أن هؤلاء القوم أسرعوا في الحرب إسرار الطير في الطيران ؛ وهذا كالعذر لهم في التخلف عن لحوقهم لسرعة هربهم ؛ وقال آخرون : هذا من صفة القوم شبههم بالأسود في قوة البأس ، وشبه جيش سيف الدولة بالطير في سرعة الجرى وراءهم . يقول : الأسود مع شدة بطشها لا تقدر أن تسطو على الطير لأنه يفوتها ولا تقدر على الطيران أمامه فتفوته . يريد أنهم لم يقدروا على مقاومة الجيش لأنهم لا ينالونه بسلحهم ولا وسعهم الحرب من أمامه ، لأنه أسرع جريا منهم فهو يدركهم أينما ذهبوا . وعبرة ابن جني ؛ كانوا أسداً قبل ذلك ، فلما غضبت عليهم وقصدتهم لم تكن لهم صولة لضعفهم ولم يقدروا على الطيران فأهلكتهم .

إِذَا فَاتُوا الرِّمَاحَ تَنَاوَلْتَهُمْ بِأَرْمَاحٍ مِنَ الْعَطَشِ الْفَقَارُ^(١)
يَرَوْنَ الْمَوْتَ قَدَامًا وَخَلْفًا فَيَخْتَارُونَ وَالْمَوْتَ اضْطِرَارُ^(٢)
إِذَا سَلَكَ السَّمَاءَ غَيْرُ هَادٍ فَقَتَلَاهُمْ لِعَيْنَيْهِ هِنَارُ^(٣)
وَلَوْ لَمْ تَبْقَ لَمْ تَعِشِ الْبَقَايَا وَفِي الْمَاضِي لِمَنْ بَقِيَ اعْتِبَارُ^(٤)
إِذَا لَمْ يُزْعَ سَيِّدُهُمْ عَلَيْهِمْ فَمَنْ يُرْعَى عَلَيْهِمْ أَوْ يَغَارُ^(٥)
تَفَرَّقَهُمْ وَإِيَّاهُ السَّجَايَا وَيَجْمَعُهُمْ وَإِيَّاهُ النَّجَارُ^(٦)
وَمَالَ بَهَا عَلَى أَرْكِ وَعُرْضٍ وَأَهْلُ الرِّقَتَيْنِ لَهَا مَزَارُ^(٧)

(١) يقول : إذا فاتوا رماح سيف الدولة ونجوا منها بالهرب هلكوا في القفر من العطش ، فقام العطش في قتلهم مقام الرماح
(٢) يقول : يرون الموت قداماً وخلفهم من العطش وخلفهم من الرماح فيختارون أحد الموتين ، وليس ذلك اختياراً في الحقيقة لأن الموت يضطر إليه ولا يختاره أحد ، فهم — لا محالة — هالكون .

(٣) النار : العلم ينصب في الطريق . يقول : إذا ضل أحد بصحراء السهابة قامت له جثث قتلاهم بها مقام النار فاهتدى وعرف الطريق بهم كما يهتدى بالنار ؛ وهذا من قول ثابت قطنة :

هَذَاكَ اللَّهُ بِالْقَتْلِ تَرَاهَا مُصَلِّبَةً بِأَفْوَاهِ الشُّعَابِ

(٤) يقول : لولا إبقاؤك على من بقي منهم وصفحك عنهم لهلكوا جميعاً لكنك أردت تأديبهم ، لا إفناءهم ، فكان في من هلك منهم عبرة لمن بقي ، فلا يعضى لك أمراً أبداً .

(٥) أرعى فلان على فلان — مثل أبقى عليه — رحمه وكف عنه يقول : أنت سيدهم . فإذا لم تبق عليهم فمن يرحمهم أو يغار عليهم ؟ إذ المولى إذا لم يرحم عبده لا يرحمه غيره .

(٦) السجايَا : الطباع والأخلاق ، والنجار : الأصل . يقول : إن أصله وأصلهم واحد لا اشتراكهم في نزار ، إلا أن الطباع والأخلاق مختلفات ، وأين هم منه ؟

(٧) أرك وعرض : بلدان قرب تدمر ، والرقتان : بلدان على الفرات ، وهما الرقة والرافقة ، قيل لهما الرقتان تغليبا ، والضمير في بها ولها للخليل . يقول : مال سيف الدولة بخيله على البلدين المذكورين على تباعدهما عن قصده وهو متوجه إلى الرقتين :

وَأَجْفَلَ بِالْفَرَاتِ بَنُو نُمَيْرٍ
فَهُمْ حَزَقٌ عَلَى الْخَابُورِ صَرْعَى
وَلَمْ يَسْرَحْ لَهُمْ فِي الصُّبْحِ مَالٌ
حِذَارٌ فَتَى إِذَا لَمْ يَرْضَ عَنْهُمْ
تَبَيْتُ وَفُودُهُمْ تَسْرَى إِلَيْهِ
فَخَلَفَهُمْ بَرْدٌ أَلْبِيضَ عَنْهُمْ
وَزَارَهُمُ الَّذِي زَارُوا خَوَارٌ^(١)
بِهِمْ مِنْ شَرْبِ غَيْرِهِمْ خُمَارٌ^(٢)
وَلَمْ تَوْقَدْ لَهُمْ بِاللَّيْلِ نَارٌ^(٣)
فَلَيْسَ بِنَافِعٍ لَهُمُ الْحِذَارُ^(٤)
وَجَذَوَاهُ الَّتِي سَأَلُوا اغْتِفَارَ^(٥)
وَهَامَهُمْ لَهُ مَعَهُمْ مُعَارٌ^(٦)

يعنى بذلك طلبه لبنى كعب في كل مكان . وقال ابن جني : أى مال بخيله على هاتين البقيتين وأهل الرقتين قريب لو أراد زيارتهم لما بعد ذلك عليها .

(١) الزئير : صوت الأسد . ، والحوار : للبقر : يقول : إنهم انهزموا بالفرات فصار زئيرهم خوارا : أى كانوا قبل ذلك يظنون أنفسهم أسودا ، فلما اتاهم أجفلوا من وجهه إجمال الثيران .

(٢) الحزق : الجماعات - جمع حزقة ، والخابور : نهر على الفرات ، والختار بقية السكر . يقول : ظنوا أنهم المقصودون فهربوا خوفا من سيف الدولة حين توجه إلى ناحيتهم يريد الرقتين ، فصاروا جماعات صرعى - مطروحين - حوالى هذا النهر ، وقوله بهم الخ : أى أنهم لم يذنبوا ، وإنما أذنب غيرهم فأدركهم تب الحرب ، فأراد بالشراب المعصية . وبلختار ؛ ما لحقهم من الخوف .

(٣) المراد بالمال : الواشى . يقول : لحوفهم لم يسرحوا نعمهم نهارا ولم يوقدوا نيرانهم ليلا .

(٤) يقول : هم : إنما فعلوا ذلك خشية أن يعرف مكانهم فيقصدهم ، وهو حذر في غير موضعه ، لأنه إذا كان غير راض عنهم ، فإن حذرهم هذا لا يجديهم شيئا ، فهو يدركهم أينما كانوا ، ولو في أقاصى البلاد أو في الجواء ، فقوله : حذار ، مفعول له ، عامله في البيت السابق ، وهو مصدر حاذر .

(٥) الجدوى : العطية . يقول : إنهم يقدون إليه يسألونه العفو لاغير . والوفود : جمع وفد ، وهو جمع وafd ، والوافد : القادم على أمير أو غيره ليطلب منه شيئا .

(٦) خلفهم : استبقاهم ، والبيض : السيوف ، والهام : الرءوس يذكر ويؤنث - وهو مبتدأ ، خبره : له ، والجملة : حال ، ومعار : خبر آخر ، ومعهم : حال من نائب معار . يقول : فاستبقاهم بأن رد سيوفه عنهم وترك رؤوسهم معهم عارية منه متى شاء أخذها لأنها في ملكه . وهذا كلام بديع .

وَهُمْ يَمِنُ أَدَمَ لَهْمُ عَلَيْهِ كَرِيمُ الْعِرْقِ وَالْحَسْبُ النَّضَارُ^(١)
فَأَصْبَحَ بِالْعَوَاصِمِ مُسْتَقَرًّا وَلَيْسَ لِبَخْسِرِ نَائِلِهِ قَرَارُ^(٢)
وَأَضْحَى ذِكْرُهُ فِي كُلِّ أَرْضٍ تُدَارُ عَلَى الْفِنَاءِ بِهِ الْعُقَارُ^(٣)
تَحْرَهُ لَهُ الْقِبَائِلُ سَاجِدَاتٍ وَتَحْمَدُهُ الْأَسِنَّةُ وَالشُّفَارُ^(٤)
كَأَنَّ شُعَاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فِيهِ فِي أَبْصَارِنَا مِنْهُ أَنْكَسَارُ^(٥)
فَمَنْ طَلَبَ الطَّعْمَانَ فَذَا عَلِيٌّ وَخَيْلُ اللَّهِ وَالْأَسْلُ الْحِرَارُ^(٦)

(١) أدم لهم : صيرهم في ذمامه ؛ والضمير في عليه : لسيف الدولة . والعرق : الأصل ؛ والحسب : ما تعدده من مآثر الآباء . والنضار : الخالص من كل شيء . يقول عقد النعمة لهم وصيرهم في ذمامه كرم أصله وصحة حسبه .

(٢) العواصم : بلاد حاضرتها إنطاكية ؛ والنائل : العطاء يقول : فاستقر بهذا للسكان بعد عودته من هذه الغزوة لأنه مقره ، أما جوده فلا يستقر . كالبحر ليس له قرار .

(٣) العقار : الحجر . يقول : إن ذكره قد ملأ الآفاق حتى إن الشرب - جماعة شاربى الحجر - يغنون بما مدح به من الأشعار ويشربون على ذكره . هذا وسميت الحجر عقاراً ؛ قيل لأنها عاقرت العقل وعاقرت الدن : أى لزمته ، وأصله من عقر الحوض لأن الواردة تلازمه ، وقيل : لأنها تعقر شاربها ، وقيل : لشبهها بالعقار ، وهو نبت أحمر .

(٤) الأسنة هنا : الرماح ، والشفار : جمع شفرة . حد السيف يقول : إنه لمنعته تخضع له القبائل كل الخضوع . وتثنى عليه الرماح والسيوف . لحسن استعماله إياها لأنه أذل بها تلك القبائل .

(٥) يقول : لإجلالنا إياه وإعظامنا له لا نستطيع أن نملأ أعيننا من النظر إليه ، كما لا نستطيع أن ننظر طويلاً إلى شعاع الشمس ، كما قال الفرزدق :

يُفْضِي حَيَاءً وَيُفْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ

وهو من قول الآخر :

إِنَّ الْمُبِيرَ إِذَا رَأَتْكَ حِدَادُهَا رَجَعَتْ مِنَ الْإِجْلَالِ غَيْرَ حِدَادٍ

(٦) الأسل : الرماح ، والحرار : العطاش ، جمع حران ، والأنثى حرى . والحران

يَرَاهُ النَّاسُ حَيْثُ رَأَتْهُ كَعْبٌ بِأَرْضٍ مَا لِنَاكِزِهَا أُسْتَتَارُ^(١)
يُوسِّطُهُ الْمَفَاوِزَ كُلَّ يَوْمٍ طَلَابُ الطَّالِبِينَ لَا الْإِنْتِظَارُ^(٢)
تَصَاحِلُ خَيْلُهُ مُتَجَاوِبَاتٍ وَمَا مِنْ عَادَةٍ الْخَيْلِ السَّرَارُ^(٣)

العطشان . يقول . من أراد المطاعنة بالرماح ، فهذا على - اسم سيف الدولة - قد تفرع من قنأ هؤلاء ومعه خيل الله - جيشه - والرماح العطاش لانها لا ترتوى من الدم .

(١) و (٢) كعب . اسم القبيلة . وبأرض : صلة يراه ، والمفاوز : الصحارى . يقول : إنه دائماً يسرى إلى أعدائه ويحجوب إليهم الصحارى التي لا يستتره فيها شيء . فهو يتوسط الصحارى كل يوم ليطلب الأبطال الذين يطلبون القتال لا ينتظر لحاقهم به : يعنى أنه دائماً يقصد أعداءه حيث هم ولا ينتظر أن يأتيه فيقاتلهم ، أى أنه دائماً طالب لا هارب . والعادة أن الخائف يترأى المفاوز خوفاً من يلحقه ، ولكن المدحوخ يترأى طلباً لمن يهرب منه إليها . « هذا » ، وقوله لا الانتظار : فألف لا : ساقطة لفظاً ، وإن تحركت اللام بعدها ، لأن حركة اللام عارضة دفعا لالتقاء الساكنين بينها وبين النون . وقوله طلاب الطالبين : تروى طلاب الطاعنين : أى طاعنى الأعداء .

(٣) تصاهل - بحذف إحدى التائين - أى تصاهل . والسرار : مصدر ساره ، كلمه سرا . وقد اضطربت كلمة الشراح في تأويل هذا البيت فذكر ابن جنى معنيين ، والخطيب خالفه إلى معنى آخر ، وأوجهها ما ذهب إليه ابن فورجة قال ما محصله : إن خيله تصاهل من غير سرار ، وليس السرار من عادة الخيل ، يعنى أن سيف الدولة ليس من شأنه أن يباغت العدو ولا يحاول أن يخفى قصده إلى أعدائه لقوته وتمكنه واقتداره ، ومن ثم لا يكف خيله عن الصهيل ، لأن من يباغت عدوه يضرب خيله إذا صهلت ليقطع صهيلها ، كما قال القائل :

إِذَا الْخَيْلُ صَاحَتْ صُيَاحَ النَّسُورِ جَزَرْنَا شِرَاسِيْفَهَا بِالْجِذْمِ^(١)

وأحد معني ابن جنى : إن خيله يسر بعضها إلى بعض شكية مما يحسبها به من ملاقة الحروب وقطع المفاوز . والمعنى الآخر : إن خيله مؤدبة فتصهل سرا هيئه له ، وقال الخطيب : إنما أراد أن خيله إذا سارت أخفى صهيلها صوت الحديد ، فكأنما هي في سرار وأخذته من قول عترة :

(١) الشرسوف : طرف الضلع المشرف على البطن ، والجذم ، جمع جذمة السروط .

بَنُو كَعْبٍ وَمَا أَثَرَتْ فِيهِمْ يَدٌ لَمْ يَدْمِهَا إِلَّا السَّوَارُ^(١)
 بِهَا مِنْ قَطْعِهِ أَلَمٌ وَنَقْصٌ وَفِيهَا مِنْ جَلَالَتِهِ أَفْتِخَارُ^(٢)
 لَمْ حَقَّ بِشِرْكَكَ فِي نَزَارٍ وَأَذْنَى الشَّرْكَ فِي أَصْلِ جَوَارِ^(٣)
 لَعَلَّ بَيْنَهُمْ لَبَنِيكَ جُنْدٌ فَأَوَّلُ قُرُوحِ الْخَيْلِ الْمَهَارُ^(٤)

وازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتمحّم

(اللبان : الصدر)

(١) و (٢) اليد : الجارحة المعروفة ، والسوار : الحلية من الذهب أو الفضة ، كالطوق تلبسها المرأة في رندها أو معصمها ، وبنوكعب : مبتدأ ، ويد : خبر وما أثرت : أى وتأثيرك . يقول : إن بنى كعب وما أثرت فيهم من الذل والقتل مثلهم مثل اليد التى يدميها السوار ، فإن اليد تتحلّى بالسوار وتفتخر وإن كان يؤلمها ، كذلك بنوكعب يفتخرون بك وأنت زين لهم ، وإن أثرت فيهم .

(٣) الشرك : مصدر شركة ، جوزن علمه ، ونزار : جد العرب . يقول : إنهم يشاركونك فى الانتساب إلى نزار ، وأقل ما يقتضيه حق الشركة فى أصل جوار : أى نعام ورعاية حرمة .

(٤) يستعطفه عليهم ويحثه على العفو عنهم . يقول : لعل أبناءهم يكونون جندا لأبنائك وعبيدا إذا سلدوا ، فإن المهار من الخيل تصوير قرحا : أى أن الصغار تصوير كبارا كما قيل :

وإنما القرم من الأفيل وسحق النخل من الفسيل

« القرم : الفحل من الإبل ، والأفيل : الفصيل ، والفسيل : ما يقطع من صغار النخل ليغرس ، والقرح : جمع قرح ، وهو الذى استكمل سنه بأن بلغ خمس سنين والمهارة جمع مهر ، الصغير من الخيل : هذا : ولناسبة لعل : قال العكبرى : ذهب أصحابنا الكوفيون إلى أن لام لعل الأولى أصلية ، وقال البصريون : بل هى زائدة ، وحببتنا أنها حرف ، والحروف فى الحروف كلها أصلية ، لأن حروف الزيادة : العشرة - التى يجمعها «هوية السمان» - إنما تختص بالأسماء والأفعال ، فأما الأفعال فتزاد فيها . وكذلك الأسماء ، وأما الحرف فلا يدخله شئ من هذه الحروف على سبيل الزيادة ، فدل على أن اللام أصلية ويدل على أنها أصلية أن اللام لا تكاد تزداد فيها يجوز فيه الزيادة إلا شاذا ، فإذا كانت اللام لا تزداد إلا على طريق الشذوذ فكيف يحكم بزيادتها فيها لا تجوز فيه الزيادة ؟ وحجة

وَأَنْتَ أَبرُّ مَنْ لَوْ عَقَّ أَفْقَى وَأَعْنَى مَنْ عُمُوبَتُهُ الْبَوَارُ^(١)
وَأَقْدَرُ مَنْ يَهَيِّجُهُ انْتِصَارُ وَأَحْلَمُ مَنْ يُحَلِّمُهُ اقْتِدَارُ^(٢)
وَمَا فِي سَطْوَةِ الْأَرْبَابِ عَيْبٌ وَلَا فِي ذِلَّةِ الْعِبْدَانِ عَارُ^(٣)

البصريين أنهم قالوا : وجدناها مستعملة في كلامهم وأشعارهم بغير لام ، قال
نافع الطائي :

ولستُ بِلَوٍّ أَمَّ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَمَا يَفُوتُ وَلَكِنْ عَلَّ أَنْ أَتَقْدَمَا

(١) أبر : أفعل تفضيل ، من بره إذا أحسن إليه ووصله ، وعق مجهول عق ، يقال
عق والده إذا عصاه ، وهو ضد «بره» وأعنى : تفضيل بن العفو ، والبوار : الهلاك .
يقول : أنت أبر الدين إذا عصوا أفنوا ، وإذا كنت أبرهم لم تقن ، وأنت أعنى الدين
يعاقبون بالهلاك ، وإذا كنت أعفاهم لم تهلك : أى أنت أبر الملوك القادرين وأعفاهم ،
وإذا لا تقنى من عصوك ولا تؤذهم .

(٢) يقول : وأنت أقدر من يحركه حب الانتصار : أى إذا حركك الانتقام من
عدوك قدرت على ما تطلب ، فأنت أقدر المتصرين ، وأنت أحلم من يدعو إلى الحلم
اقتداره على عدوه فصيح وعفا ، وإذا كان الأحلم كان الأعنى والأصيح عن العدو إذا
اقتدر عليه ،

(٣) يقول : لا يلحقهم عار بسطوتك عليهم ، لأنك ربههم - سيدهم - ولا فى
تذلهم لك عار ، لأنهم عبيدك . وذلك كما قال النابغة :

وَعَبْرَتْنِي بَنُو ذُبْيَانَ رَهْبَتُهُ وَهَلَّ عَلَى بَأْنِ أَخْشَاكَ مِنْ عَارٍ ؟
وكما قال الآخر :

وإن أمير المؤمنين وفعله لك الدهر لا عار بما فعل الدهر
وقال أبو تمام :

حَصَّصَتْ لِصَوْلَتِكَ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ كَالْمَوْتِ يَأْتِي لَيْسَ فِيهِ عَارُ

وقال ارتجالاً يهجو سواراً الديلمى وقد نزلوا منزلاً أصابهم فيه مطر وريح :

بَقِيَّةُ قَوْمٍ آذَنُوا بِبَوَارِ وَأَنْضَاءُ أَسْفَارٍ كَشَرَبِ عُقَارِ^(١)
نَزَلْنَا عَلَى حُكْمِ الرِّيَّاحِ بِمَسْجِدِ عَلَيْنَا لَهَا ثَوْبًا حَصَى وَغُبَارِ^(٢)
خَلِيلِي مَا هَذَا مُنَاحًا لِمَثَلِنَا فَشُدَّا عَلَيْهَا وَأَرْحَلَا بِنَهَارِ^(٣)
وَلَا تُنْكِرَا عَصْفَ الرِّيَّاحِ فَإِنَّهَا قَرَى كُلِّ ضَيْفٍ بَاتَ عِنْدَ سَوَارِ^(٤)

وقال في صباه وهو بيت مفرد ، وروى قوم أنهما بيتان وهما :

إِذَا لَمْ تَجِدْ مَا يَبْتَغُ الْفَقْرَ قَاعِدًا قَمَمٌ وَأَطْلُبُ الشَّيْءَ الَّذِي يَبْتَغُ الْعُمَرَ^(٥)
هُمَا خَلَّتَانِ ثَرَوَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ لَكَ أَنْ تُبْنَى بِوَاحِدَةٍ ذِكْرًا^(٦)

(١) بقية قوم : خبر مبتدأ محذوف . يقول : نحن بقية قوم آذن - أعلم - بعضهم بعضاً بالبوار - الهلاك - أى علموا أنهم هالكون ، ونحن مهازيل أسفار لأحراك بنا من الجهد والتعب كأننا سكارى ، فأَنْضَاءُ : جمع نضو ، وهو المهزول الذاهب اللحم من الناس والإبل ؛ والشرب : جمع شارب ؛ والمقار : الحمر

(٢) يقول تحكمت فينا الرياح بهذا المكان حتى سفت علينا من الحصى والتراب ما سترتنا به .

(٣) المناخ : للنزل ، وأصله مبرك الناقة يقول : ليس هذا المكان منزلاً لنا فشدا رحالكم على الإبل وأرحلوا قبل هجوم الليل . فالضمير في عليها : للإبل ، وإن لم يتقدم لها ذكر .

(٤) يقول : لا تنكرا شدة هبوب الرياح ، فإنها طعام من بات ضيفاً عند سوار ؛ وهذا سوار اسم رجل نزلوا في المسجد قرب داره فهبت عليهم الرياح ولم يلتفت إليهم ولم يقرهم .

(٥) يتر : يقطع ؛ وقاعداً : حال من المخاطب ؛ وأراد بما يتر القمر : الثروة والغنى . يقول : إذا لم تجد الغنى وأنت قاعد عن السعى قم وأطلب ما يقطع العمر : أى الحرب ، يعنى مقاتلة الملوك وأشباه الملوك للحصول على ما حصلوا عليه من الملك والرياسة والثراء .

(٦) هما : ضمير الخلتين ، فسرهما بها ؛ والخلة الحصلة ؛ والثروة : المال الكثير ، وهى بدل تفصيل من خلتان ؛ والمنية : الموت . وإن - هنا - زائدة بعد لعل ، لتأكيد

وقال في صباه في جعفر بن كيطغ ولم ينشده إياها :

حَاشَى الرَّقِيبَ فَخَانَتْهُ صَمَائِرُهُ وَغِيضَ الدَّمْعِ فَأَنْهَلَتْ بَوَادِرُهُ ^(١)
وَكَأَنَّمُ الْحُبُّ يَوْمَ الْبَيْنِ مُنْهَكٌ وَصَاحِبُ الدَّمْعِ لَا تَخْفَى سَرَائِرُهُ ^(٢)
لَوْلَا ظِلَّاءُ عَدِيٍّ مَا شُفِفَتْ بِهِمْ وَلَا بَرَبْرَبِهِمْ لَوْلَا جَاذِرُهُ ^(٣)

الاستقبال ، كما تزداد في خبر عسى . يقول : هما خصلتان : إما الغنى وما إليه من الرياسة والملك ، وإما الموت ، فافعل لكل أحد هذين بخلاف ذكرك .

(١) حاشاه : تحببه وتوقاه . والضائر : جمع صمير ، وهو ما يضره الإنسان ويغنيه . وغيض الدمع : حبسه ونقصه ، وانهلته : انصبت . وبوادره : سوابقه ومسرعاته . يقول : تباعد عن الرقيب يوم الفراق مخافة أن يطلع على هواه وحاول أن يجبس دموعه عن الجرى فظهر عليه ما يكتمه لأنه لم يقدر على كتمانها وسبقه السمع فوقف الرقيب على سريه .

(٢) تنذر لما في البيت الأول . يقول : إن الذي يكتم حبه كيلا يطلع عليه يضل به الوجد والجزع يوم الفراق فيبدو سريه وينتهك سريه ؛ لأنه يجزع ويكي ، فيستدل بجروعه وبكائه على حبه .

(٣) كنى بالظباء عن النساء ، وعدى : قبيلة من قريش . وكنى بالربرب - وهي القطيع من بقر الوحش - عن جماعة النساء مطلقا . وبالجاذر - جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية - عن الشواب منهن . يقول : لولا نساء هذه القبيلة اللاتي هن كالظباء في عيونهن وأعناقهن ماشغفت بالقبية كلها ، ولولا الشواب المليحات منهن ماشغفت بنسائهم جميعاً ، وروى بدل ماشغفت : ماشغيت . أى لولا نساء هذه القبيلة ماشغيت بالقبيلة : أى أحتاج إلى مجاملتهم واحتمال الذل لأجل نسائهم الحسان ، ولولا الشواب ماشغيت بالكبار في مضايقتهم . وإليك طريقة نحوية للعلامة العكبرى قل : ظباء عدى مرفوعة عندنا بلولا ، وعند البصريين بالابتداء ؛ وجبنا أنها ترفع الاسم لأنها نائية عن الفعل الذى لو ظهر لرفع الاسم ، لأنك تقول : لولا زيد لجئت : أى لو لم يمنعني زيد . إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفاً وزادوا « لا » على « لو » فصارا بمنزلة حرف واحد ، كقولهم : أما أنت منطلقاً انطلقت معك . وتقديره : إن كنت منطلقاً انطلقت معك قال الشاعر :

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ الضَّبْعُ ^(١)

تقديره أن كنت ، فحذف الفعل وزاد « ما » عوضاً عن الفعل ، كما كانت الألف في الجاني وضاً عن إحدى ياءى النسب ؛ والذي يدل على أنها عوض عن الفعل أنه لا يجوز ذكر الفعل معها لثلاثي الجمع بين العوض والمعوض . وحجة البصريين على أنه يرتفع بالابتداء دون « لولا » أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصاً ، و« لولا » غير مختصة بالاسم ، فقد قال الشاعر :

لَا دَرَّ دَرَكِي إِيَّيْ قَدْ رَمَيْتَهُمْ لَوْلَا حُدِثَتْ وَلَا عُدِرِي لِمَحْدُودٍ ^(٢)

(١) البيت للعباس بن مرداس السلمي الصحابي رضى الله عنه وبعد :

السُّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيتَ بِهِ وَالْحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرْعُ

وأبا خراشة : منادى : وأبو خراشة : كنية ، واسمه خفاف بن ندبة ، وندبة : اسم أمه ؛ وخفاف ، هذا : صحابي ، وهو أحد فرسان قيس وشعرائها ، وكان أسود حالكا وهو ابن عم الحنساء . وانت اسم لكان المحذوفة ؛ وذاتقر : خبرها . وروى هذا البيت : أبا خراشة أما كنت ذا نفر ، وعليها لا شاهد في البيت : وما : زائدة . ونفر الرجل : رهطه . ويقال إن الضبع إذا وقعت في الغنم عاثت ولم تسكنف بما يكتبي به الذئب ؛ ومن إفسادها وإسرافها استعارت العرب اسمها للسنة المجدبة فقالوا : أكلتنا الضبع وقال ابن الأعرابي : ليس يريدون بالضبع السنة ، وإنما هو أن الناس إذا أجذبوا ضعفوا هن الانتصار وسقطت قواهم . فعاثت فيهم الضباع والذئب فأكلتهم . يقول : إن قومي ليسوا بضعاف تعيش فيهم الضباع والذئب . والسلم : الصلح . والجرع : جمع جرعة وهي ملء الغنم يخبره أن السلم هو فيها وادع ينال من مطالبه ما يريد ، فإذا جاءت الحرب قطعتة عن لذاته وشغلته بنفسه . وهذا تحريض على الصلح وتثبيط عن الحرب ؛ وأراد بأنفسها : أوائلها .

(٢) من أبيات للجموح - أحد بني ظفر من سليم بن منصور - وقوله :

قَالَتْ أُمَامَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا هَلَّا رَمَيْتَ بِنَفْسِ الْأَسْهَمِ السُّودِ

وبعده :

إِذْهُمْ كَرَّجِلِ الدَّبِيِّ لَا دَرَدَرَهُمْ يَغْفِرُونَ كُلَّ طَوَالِ الْمَشْيِ مَمْدُودِ

مِنْ كُلِّ أَحْوَرَ فِي أُنْيَابِهِ شَنْبٌ خُمْرٌ يُخَامِرُهَا مَسْكٌ تُخَامِرُهُ^(١)
نُفْجٌ مَحَاجِرُهُ دُعْجٌ نَوَاطِرُهُ خُمْرٌ غَفَائِرُهُ سَوْدٌ غَدَائِرُهُ^(٢)
أَعَارَنِي سَقَمَ عَيْنِيهِ وَحَلَنِي مِنَ الْهَوَى ثِقْلَ مَا تَحْوِي مَازَرُهُ^(٣)

(١) الحور : شدة بياض العين في شدة سوادها ، والشنب صفاء الأسنان ورقة مائها ، وسئل ذو الرمة عن الشنب ، فأخذ حبة رمان فقال : هذا هو الشنب ، أشار إلى صفائها ورقة مائها . وذهب الواحدى في إعراب خمر : إلى أنها مبتدأ ؛ ومسك : فاعل يخامرها ؛ والجملة : صفة لخر ؛ وتخامره : ضمير الفاعل فيه للخر ؛ وضمير المفعول : للشنب . والجملة ، خبر خمر ، وجملة ، خمر ، ومايلها - إلى آخر البيت - صفة لشنب يقول : بلائى أو شقائى من كل أحور في أنيابه شنب تخالطه خمر تخالطها مسك . وقال بفس الشراح : قوله من كل : « من » متعلقة بمحذوف ، حال من جأزره

(٢) نفج : جمع أنفج ، والنفج : البياض . والمحاجر : جمع المحجر ، وهو ما دار بالعين ، جعلها يضا لبياض ألوانهن ، والدعج : السواد ، والنواظر : الأحداق ، والغفائر جمع الغفارة ، وهى خرقة تكون على الرأس تقي بها المرأة الحمار من الدهن ، وقد تكون اسما للخمار . جعلها خمرأ لكثرة استعمال الطيب من نحو زعفران ومسك ، وإن جعلنا الغفائر الخمر فإنما جعلها خمر لأنهن شواب ، كما قال :

* خُمْرُ الْحُلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ *

والندائر : الضفائر من الشعر .

(٣) يريد بسقم عينيه : الفتور ، وهو مما توصف به الحسان ، كما قال ابن المعتز :

ضَعِيفَةٌ أَجْفَانُهُ وَالْقَلْبُ مِنْهُ حَجَرٌ

فَا تَرَكْتُ أَبَا بَشِيرٍ وَصَاحِبَهُ حَتَّى أَحَاطَ صَرِيحُ الْمَوْتِ بِالْجَيْدِ
وكان من خبر الجموح هذا أنه بيت بنى لحيان وبنى سهم بواد يقال ذات البشام ، وكان الجموح قد جمع جمعا من بنى سليم وفيهم رجل يقودهم معه يكنى بأبى بشر فتحالف الجموح وأبو بشر على الموت وكان فى كنانة الجموح نبل معلقة بسواد حلف ليرمين بها كلها قبل رجعتة فى عدوه ، فقتل أبو بشر ، وهزم أصحابه وأصابتهم بنو لحيان تلك الليلة وأعجز الجموح ، فقالت امرأته - واسمها أمانة - وهى تلومه : هلا رميت تلك النبل التى كنت آليت لترمين بها ؟ وحدثت - بالباء للمفعول - أى حرمت ومنعت والمعذرى : اسم بمعنى المعذرة . يقول : قد رميت واجتهدت فى قتالهم - ولكنى حرمت النصر عليهم ولا يقبل عذر المحروم ؛ والرجل : القطعة من الجراد ؛ والدبى : أصفر الجراد ؛ والطوال ؛ الطويل .

يَا مَنْ تَحَكَّمَ فِي نَفْسِي فَقَدْ بَنَى وَمَنْ فَوَّادَى عَلَى قَتْلِي يُضَافِرُهُ^(١)
بِعَوْدَةِ الدَّوْلَةِ الْغَرَاءِ ثَانِيَةً سَلَوْتُ عَنْكَ وَنَامَ اللَّيْلُ سَاهِرُهُ^(٢)

كَأَنَّمَا الْحَاظُهُ مِنْ فِعْلِهِ تَعْتَذِرُ

وهو كثير . والمآزر : جمع المزر ، وهو الإزار ، وما تحويه المآزر : الكفل .
يقول : أمرضني كمرض جفونه ، وأتقلني بالهوى كقتل أردافه . وهذا كقول منصور
ابن الفرج :

حَلَّ فِي جِسْمِي مَا كَانَ نَ بَعَيْنِيكَ مُقِيمًا

ومثله للبحري :

وَكأنْ فِي جِسْمِي الَّذِي فِي نَظْرِيكَ مِنَ السَّخَمِ

وقال السري الرفاء :

وَنَوَاطِرُ وَجَدَ الْحَبِّ فُتُورَهَا لَمَّا اسْتَقَلَّ الْحَى - فِي أَعْضَانِهِ

ويعبني قول العكبري : وذكر الكفل في الشعر وغيره ليس بجيد ، وإن كان
قد ذكره قوم من العرب .

(١) المضافرة : المعاونة . يقول : إن فؤاده يعين الحبيب على قتله حيث لا يسلم مع
ما يروى من كثرة الجفاء ، وهذا كما يقال : قلب العاشق عون عليه مع حبيبه : ويقول العباس
ابن الأخنف :

كَيْفَ احْتَرَامِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي

(٢) هذا تخلص . يقول : لما عادت دولة الممدوح - وكان قد عزل ثم ولى ثانيا
ذهب حبك من قلبي ونمت الليل بعد أن كنت أسهره . قال العكبري : وهذا نقص ،
لأن الحب الصادق لا ينفك عن المحبوب ولا يسلمه أحسن إليه أم أساء ، لقد أحسن
البحري بقوله :

أَحِبْ عَلَى أَيَّمَا حَالَةٍ إِسَاءَةٍ لِيلى وَإِحْسَانِهَا

والحب الصادق كلما عنت له خطرة من السلورده الحب الصادق عما كان عزم .
ولقد أحسن البحري أيضا بقوله :

أَحْنُو عَلَيْكَ وَفِي فَوَادَى لَوْعَةٍ وَأَصْدَعْنِكَ وَوَجْهَ وَدُئِي مُقْبِلٍ

وَإِذَا طَلَبْتَ وَصَالَ غَيْرَكَ رَدْنِي وَلَهُ إِلَيْكَ وَشَافِعَ لَكَ أَوَّلَ

مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ لَيْلِي لَا صَبَاحَ لَهُ كَانَ أَوَّلَ يَوْمِ الْحُشْرِ آخِرُهُ ^(١)
 غَابَ الْأَمِيرُ فَغَابَ الْخَيْرُ عَنْ بَلَدٍ كَادَتْ لِفَقْدِ أُنْمِهِ تَبْكِي مَنَابِرُهُ ^(٢)
 قَدْ أَشْتَكْتُ وَخَشَةَ الْأَحْيَاءِ أَرْبُمُهُ
 وَخَبَّرْتُ عَنْ أَسَى الْمَوْتَى مَقَابِرُهُ ^(٣)
 حَتَّى إِذَا عُقِدَتْ فِيهِ الْقِيَابُ لَهُ أَهْلَ اللَّهِ بِأَدْيِهِ وَحَاصِرُهُ ^(٤)
 وَجَدَدْتُ فَرَحًا لَا الْقَمُّ يَطْرُدُهُ وَلَا الصَّبَابَةُ فِي قَلْبٍ تُجَاوِرُهُ ^(٥)
 إِذَا خَلْتُ مِنْكَ خِمَصٌ لَا خَلْتُ أَبَدًا
 فَلَا سَقَاها مِنْ الْوَسْمِيِّ بَاكِرُهُ ^(٦)

(١) يقول : من بعد ما كنت أفاشى من الحزن ما يسهرنى فيطول على الليل حتى كأنه متصل بيوم الحشر . وهذه مبالغة في وصف الليل بالطول

(٢) هذا من قول أشجع السلمي :

فَمَا وَجْهُ يَحْيَى وَخَدَهُ غَابَ عَنْهُمْ وَلَكِنْ يَحْيَى غَابَ بِالْخَيْرِ أَجْمَعًا
ويقول الآخر .

بَكَتِ الْمَنَابِرُ يَوْمَ مَاتَ وَإِنَّمَا أَبْكِي الْمَنَابِرَ فَقَدْ فَارِسِيهِنَّ
(٣) الضمير في أربعه ومقابره : للبلد ؛ والوحشة . الاكتاب يجده الإنسان عند اعتزاله الناس ؛ والربع : المنزل ؛ والأسى : الحزن . يقول : لما غاب الأمير عن البلد حزن لغيبته الأحياء حتى أحست بذلك دورهم ومنازلهم ، وكذلك الموتى حزنوا حتى أخبرت المقابر عن حزنهم .

(٤) المراد بالقياب - جمع قبة - تلك التي تتخذ للزينة والشار ؛ وعقدت : ضربت وأهل لله : أى رفع أهل البادية وأهل الحضر أصواتهم بالدعاء سرورا بعودته .

(٥) يقول : إن عودة دولته جددت فرحا لا يغلبه الغم ولا يجاوزه الشوق في قلب : أى لامتلاء كل قلب بهذا الفرح لا يكون فيه موضع للعشق .

(٦) حمص . بلد المدوح . وقوله لا خلت أبدا ، جملة دعائية معترضة جميلة .

يقول : إذا خلت منك حمص فلا نزل بها المطر - أى لا أنبت - ولا سقاها بأكروسمى . والوسمى : أول مطر الخريف ، سمى كذلك لأنه يسم الأرض بالنبات فيصير فيها أثرًا في أول السنة . والولى : ثانیه . وباكره أوله ، ومنه باكرة الثمار .

دَخَلَتْهَا وَشَعَاعُ الشَّمْسِ مُتَعِدَّةٌ وَنُورُ وَجْهِكَ بَيْنَ انْخِلَاقِ بَاهِرُهُ (١)
 فِي قَيْلَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ قَذَفْتَ بِهِ صَرَفَ الزَّمَانَ لَمَا دَارَتْ دَوَائِرُهُ (٢)
 تَمْنِيُ الْوَاكِبُ وَالْأَبْصَارُ شَاخِصَةً مِنْهَا إِلَى الْمَلِكِ الْيَمُومِ طَائِرُهُ (٣)
 قَدْ حَرَنَ فِي بَشَرٍ فِي تَاجِهِ قَمَرٌ فِي دِرْعِهِ أَسَدٌ تَدْمِي أَظْفَرُهُ (٤)
 حُلُوْ خَلَاتِقُهُ شَوْشِ حَقَائِقُهُ تُخْصِي الْخَصَى قَبْلَ أَنْ تُخْصِيَ مَا بَرَهُ (٥)
 تَضِيقُ عَنْ جَيْشِهِ الدُّنْيَا وَلَوْ رَحِبَتْ

كَصَدْرِهِ لَمْ تَبْنِ فِيهَا عَسَاكِرُهُ (٦)
 إِذَا تَغَلَّغَلَ فِكْرُ الْمَرءِ فِي طَرَفٍ مِنْ تَجْدِهِ غَرِقَتْ فِيهِ خَوَاطِرُهُ (٧)

(١) باهره : غالبة ؛ والضمير فيه : للشعاع . يقول : دخلت حمص وقت إشراق الشمس وشعاعها - ضياؤها - يتوقد ، ولكن نور وجهك قد غلب نور الشمس
 (٢) القيلق : العسكر ، وجمله من حديد لكثرة ما عليه من الدروع وخلافها .
 يقول : لو حاربت بعسكرك هذا الزمان مادارت على الناس دوائره وهي حركاته وصروفه التي تدور على الناس وتأتي حالا بعد حال .

(٣) المبراد بالطائر : الفأل ؛ والعرب يتفاءلون في الخير والشر بالطيور ، فيسمون الفأل : الطائر ، واليُمون : المبارك . يقول : العيون شاخصة إلى الملك لا تنظر إلى غيره .
 (٤) حرن : أي الأبصار ، وأراد بالبشر : المدوح ؛ وبالقمر : وجهه ؛ وجعله أسدا في درعه لشجاعته ، وتدمي أظافره : أي تتلطف لكثرة ما يفترس من الأعداء
 (٥) الخلائق : جمع خليفة ، وهي الخلق ؛ والشوش : جمع الأشوش ، وهو الذي ينظر بمؤخر عينه نظر التكبر ؛ والحقيقة ؛ ما يحق على الرجل حفظه من الجار والحليف والولد . يقال : فلان حامى الحقيقة . قول : إن أخلاقه حلوة معسولة وحقائقه محمية ممنوعة لا يقدر أن ينال منها أحد ، فهي متممة امتناع التكبر ، وهو كثير المآثر حتى لا تكاد تحصى .

(٦) هذا من قول أبي تمام :

وَرُحْبَ صَدْرِ لَوَانَ الْأَرْضِ وَاسِعَةٌ

كَوُسْعِهِ لَمْ يَضِيقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدٌ

(٧) تغلغل في الشيء : دخل فيه وأمعن يكون في الجواهر والأعراض . يقول :
 إن أدنى مجده يستغرق الفكر والحواطر لمن أراد أن يصفه .

نَحْمَى السُّيُوفُ عَلَى أَعْدَائِهِ مَعَهُ كَانَهُنَّ بَنُوهُ أَوْ عَشَائِرُهُ^(١)
 إِذَا أَنْتَضَاهَا لِحَرْبٍ لَمْ تَدْعُ جَسَدًا إِلَّا وَبَاطِنُهُ لِلْعَيْنِ ظَاهِرُهُ^(٢)
 فَقَدْ تَيَقَّنَ أَنَّ الْحَقَّ فِي يَدِهِ وَقَدْ وَثِقَنَ بِأَنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ^(٣)
 تَرَكْنَ هَامَ بَنِي عَوْفٍ وَثَعْلَبَةَ عَلَى رُءُوسِ بِلَاسٍ مَغَافِرُهُ^(٤)
 فَخَاضَ بِالسَّيْفِ بَحْرَ الْمَوْتِ خَلْفَهُمْ وَكَانَ مِنْهُ إِلَى الْكُفَّينِ زَاخِرُهُ^(٥)

(١) حمى الشيء يحمى : اشتد حره ؛ والعشائر : الأهل الأقارب . يقول : إذا حارب أعداءه واشتد غضبه غضبت سيوفه عليهم معه ، حتى لكأنها أقاربه الأدنون الذين يفضون لغضبه ؛ وهذا من قول أبي تمام :
 كَأَنَّهَا وَفَى فِي الْأَوْدَاجِ وَالْفَتَى وَفَى الْكَلَى تَجِدُ الْغَيْظَ الَّذِي تَجِدُ
 ويقول البحتري :

وَمُصْلَتَاتٌ كَانَ حَقْدًا بِهَا عَلَى الْمَامِ وَالرَّقَابِ

(٢) يقول : إذا استل سيوفه من أغمارها ليحارب بها لم تترك جسداً إلا قطعتة إرباً حتى تبدو بواطنه للعين كما تبدو ظواهره .
 (٣) أى لكثرة ما رأت ذلك واعتادته . يعنى أنها لو كانت ممن يعلم : لعلت . وهذا ينظر إلى قول النابغة الدياني :

جَوَانِحُ قَدْ أَيْقَنَ أَنَّ قَبِيلَهُ إِذَا مَا التَّقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ
 (يصف النابغة عصائب الطير التي تتبع الجيش) .

(٤) الهام : جمع هامة وهى أعلى الرأس ومستقر الدماغ : وهامة القوم : سيدهم على الثلل ، وقد يراد هنا . وعوف وثلعة : قبيلتان ؛ واللغافر : جمع مغفر ، وهو ما يغفر الرأس . أى يغطيه من الحديد ؛ والضمير فى مغفرة : للهام . وعلى رؤوس : خبر مقدم . ومغفرة مبتدأ مؤخر . والجملة : حال ، أو مفعول ثانٍ لتركن . يقول : إن سيوفه فرقت بين رؤوس هؤلاء القوم - وكان قد أوقع بهم - وبين أبدانهم حتى صارت مغافر هامهم على رؤوس بلا أبدان قال ابن جني : وذلك لأنه لما قتلهم جاءوا برءوسهم وعليها اللغافر .

(٥) زخر البحر : طمى موجه وعلا . قال ابن جني : أى ركب معهم أمر عظيم

حَتَّى أَتَهَى الْفَرَسُ الْجَارِي وَمَا وَقَعَتْ
 فِي الْأَرْضِ مِنْ جُثِّ الْقَتْلَى حَوَافِرُهُ ^(١)
 كَمْ مِنْ دَمٍ رَوَيْتَ مِنْهُ أَسِنَّتُهُ وَمُهَجَّةُ وَامَتْ فِيهَا بَوَاطِرُهُ ^(٢)
 وَحَائِنَ لَعَبَتِ سُمْرُ الرِّمَاحِ بِهِ فَالْعَيْشُ هَاجِرُهُ وَالنَّسْرُ زَائِرُهُ ^(٣)
 مَنْ قَالَ لَسْتُ بِمُخَيِّرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ
 فَجَنَّهُلُهُ بِكَ عِنْدَ النَّاسِ عَازِرُهُ
 أَوْ شَكَّ أَنَّكَ فَرَدٌّ فِي زَمَانِهِمْ بِلَا نَظِيرٍ فِي رُوحِي أَخَاطِرُهُ ^(٤)
 يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أَوْمَلُهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أَحَازِرُهُ ^(٥)
 وَمَنْ تَوَهَّمْتُ أَنَّ الْبَحْرَ رَاحَتُهُ جُودًا وَأَنَّ عَطَايَاهُ جَوَاهِرُهُ
 لَا يَخَيِّرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ
 وَلَا يَهَيِّضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ ^(٦)

عليهم صغيراً عليه ، فيكون بحر الموت مثلاً للأمر العظيم وقرب غوره له مثل لصغره في نظره . وقال الواحدى : بحر الموت : الحرب والمركة لكثرة ما فيها من الدماء ، يقول خاض ذلك البحر خلف هؤلاء ، إلا أنه لم يفرق ولم يبلغ ماؤه فوق كعبيه .

(١) يقول : حتى بلغ فرسه نهاية جريه ولم تقع حوافره على أديم الأرض لكثرة القتلى ، وإنما وطئ أجسادهم . ويروى بدل جث : جيف .

(٢) الأسنة : الرماح ، والمهجة : دم القلب . وأصل الولوغ : شرب السباع الماء بالستها ، والبواتر : السيوف القواطع .

(٣) يقول : وكمن حائن - هالك - لعبت رماحك به - أى نالت منه وقتلته - فهجرت الحياة وفارقت ، وزاره النسْر لياكل لحمه .

(٤) أخاطره : أراهنه . يقال : خاطر فلان فلانا على كذا : أى راهنه عليه . ويكون عادة فى السباق وفى رمى النبل وإنما قال هذا لثقتة بكونه فردا .

(٥) ألوذ : أعود وألجأ . ومثله لا بن الرومى :

ولا المائدُ اللّاحِجِ إليه بخائفٍ ولا الرائدُ الراجِجِ ، نداهُ بخائبٍ

(٦) الجبر : إصلاح الكسر ؛ والهيف : الكسر بعد الجبر ، يقال : هضت العظم فهو

(١٥ - المتنبي ٢)

وقال يمدح أبا أحمد عبيد الله بن يحيى البحتري المنبجى :

أَرَيْكَ أُمَّ مَاءِ الْقَمَامَةِ أَمْ خَمْرُ بَنِي بَرُودٍ وَهَوَىٰ فِي كَبْدِي جَمْرٌ^(١)
أَذَا الْفُضْنُ أُمَّ ذَا الدَّغْصِ أَمْ أَنْتِ فِتْنَةٌ

وَذِيًّا الَّذِي قَبْلَتْهُ الْبَرْقُ أَمْ ثَغْرٌ^(٢)

رَأَتْ وَجَهَ مَنْ أَهْوَىٰ بِلَيْلٍ عَوَازِلِي

فَقُلْنَ نَرَىٰ شَمْسًا وَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ^(٣)

مهيض : وانهاض : إذا انكسر بعد الجبر . يقول : إنهم لا يقدرُونَ على خلافك في حال من الأحوال . « هذا » ويروى بعد هذا البيت قال الواحدى : إنه منحول وهو :

أَرْحَمُ شَبَابٍ فَتَى أَوْدَتْ بِجِدَّتِهِ يَدُ الْبَلَىٰ وَذَوَىٰ فِي السَّجْنِ نَاضِرُهُ

(أودى به : أهلكه . والجدة : مصدر الجديد . وذوى : ذبل)

(١) يقول : لست أدري : أريق ماذقته من فك ، أم هو ماء سحاب ، أم خمر ، وهو بارد في فمى ، حار في كبدي . لأنه يحرك الحب ويذكي جمر الهوى ؟

(٢) ذا : بمعنى هذا . والهمزة : للاستفهام . وعنى بالفضن : قوامها ، وبالدهص - وهو كشيء الرمل - ردفها ، ثم قال : أم أنت فتنة تفتنين الناس بحبك حتى يظنوا قدك غصنا وردفك كثيباً ؟ كما قال أبو نواس :

قُرْ لَوْلَا مَلَاَحَتُهُ خَلَّتِ الدُّنْيَا مِنَ الْفِتَنِ

و«ذيا» : تصغير ذا . والتصغير ههنا مغزاه أن ثغرها محبوب عنده قريب من قلبه ، أو إرادة صغر أسنانها . وثغرها البرق لضوئه ونقائه .

(٣) يقول : تعجب عواذلى من رؤية الشمس في الليل والفجر لم يطلع لأنهن حسين وجهها شمساً ، وخص العواذل لأنه إذا اعترفن له بهذا مع إنكارهن عليه حبا كان ذلك أدل على حسنها . والله أبو تمام إذ يقول :

لَحِقْنَا بِأَخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الْهَوَىٰ قُلُوبًا عَهْدَنَا طَيْرَهَا وَهَىٰ وَقِعُ
فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخِذْرِ تَطْلُعُ
نَضَا ضَوْوُهَا صَنِيعَ الدُّجْنَةِ وَانْطَوَىٰ لَهَجَتِهَا ثَوْبُ الظَّلَامِ الْحَزْغُ
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرَىٰ أَأَخْلَامَ نَائِمٍ أَلَمْتُ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرُّكْبِ يَوْشَعُ

رَأَيْنَ الَّتِي لِلْسُّجْرِ فِي لَحَظَاتِهَا سَيْوْفٌ ظُلُمًا مِنْ دَمِي أَبَدًا حُمْرُ^(١)
تَنَاهَى سُكُونُ الْحُسْنِ فِي حَرِّ كَانِهَا
فَلَيْسَ لِرَأَاهُ وَجْهَهَا لَمْ يَمُتْ عُدْ نَذْرُ^(٢)
إِلَيْكَ ابْنُ يَحْيَى بْنِ الْوَلِيدِ تَجَاوَزَتْ
بِئِ الْبَيْدِ عَيْسٌ لَحْمُهَا وَالْدَّمُ الشُّفْرُ^(٣)
نَضَحْتُ بِذِكْرَاكُمْ حَرَارَةَ قَلْبِهَا
فَسَارَتْ وَطُولُ الْأَرْضِ فِي عَيْنِهَا شِبْرُ^(٤)

(١) الظبي : أطراف السيوف ، جمع ظبة : قال بشامة بن حزن النهشلي :
إذا الكمأة تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالَهُمْ حَدُّ الظُّبَاتِ وَصَلَانُهَا بِأَيْدِينَا
وأصل الظبة : ظبو، بوزن جرد ، غذفت الواو وعوض منها الهاء ، والجمع ظبات ،
وظبون وظبون قال كعب بن مالك :

تَعَاوَرُ أَيْمَانُهُمْ بَيْنَهُمْ كَثُوسَ الْمَنَابِإِ بِحَدِّ الظُّبِينَا

لما جعل سحر عيناها قاتلا استعار له سيوفاً ثم جعلها حمر الظبي من دمه لأنها تقتله .
(٢) يقول : إنها كيفما تحركت فالحسن ساكن في حركاتها قد بلغ الغاية في ذلك ،
فن رآها ولم يستهوه هذا الحسن حتى يعصف به ويأتي عليه فليس له عذر ، لأن مثل
هذا الحسن قاتل .

(٣) البید : الصحارى ، والعيس : الإبل ؛ ويروى عيس ؛ والعنس . الناقة الصلبة
قال الليث : تسمى عنسا إذا تمت سننها واشتدت قوتها ووفر عظامها وأعضاؤها ، وقيل
هو التي اعنوس ذنبها أى وفر وكثر . قال العجاج :

* كَمْ قَدْ حَسَرْنَا مِنْ عِلَاقَةِ عَنَسٍ

وقوله : لحها والدّم الشعر . يقول : كنت أحدها بشعرى الذى مدحتكم به فتقوى
على السير : أى أن شعرى قام لها مقام اللحم والدّم فى تقويتها على السير ؛ والعرب تزعم
أن الإبل إذا سمعت الغناء والحدا نشطت للسير . وروى الخوارزمي ، الشعر - بفتح
الشين - يعنى أنها هزلت حتى لم يبق منها غير الشعر أو الوبر . والأولى أجود ؛ يوافقها
البيت التالى ، ولأنه لا شعر للإبل وإنما لها الوبر .

(٤) نضح الشيء بالماء : رشه عليه ، ويقال : نضح الماء العطش ينضحه : رشه فذهب .

إِلَى لَيْثٍ حَرْبٍ يُلْحِمُ اللَّيْثَ سَيْفَهُ وَبَحْرٍ نَدَى فِي مَوْجِهِ يَفْرِقُ الْبَحْرُ^(١)
وَإِنْ كَانَ يُبْقِي جُودَهُ مِنْ تَلِيدِهِ شَيْبًا بِمَا يُبْقِي مِنَ الْعَاشِقِ الْمَجْرُ^(٢)
فَتَى كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَوِي نَفْسَ مَالِهِ رِمَاحُ الْمَعَالِي لَا الرُّدَيْنِيَّةُ الشُّمْرُ^(٣)
تَبَاعَدَ مَا بَيْنَ السَّحَابِ وَيَنْنَهُ فَنَائِلَهَا قَطْرُهُ وَنَائِلُهُ غَمْرُ^(٤)
وَلَوْ تَنَزَّلُ الدُّنْيَا عَلَى حُكْمِ كَفِّهِ لَا ضَبَحَتِ الدُّنْيَا وَأَكْثَرُهَا نَزَرُ^(٥)

به ؛ أو كاد يذهب به . والنضيج : الحوض . لأنه ينضح عطش الإبل : أى يبله ؛ يقول بردت بذكراكم وبشعري الذى قتله فيكم حرارة قلب هذه الناقة - يعنى غلة عطشها - فأسرعت واستقرت البعيد لنشاطها على هذه الذكري وهذا المديح .

(١) يلحم الليث سيفه : أى يمكن السيف من لحم الليث ؛ من قولهم : ألحمت الرجل إذا قتلته فهو ملحم ولحم : أو تقول : يلحم الليث سيفه ، أى يجعل الليث طعمه له . يعنى أن المدوح شجاع بحيث يجعل الليث طعمة السيف ، وهو بحر جود يفرق فى موجه بحر الماء لأنه أعظم منه .

(٢) التليد : المال الورث من الآباء يقول : سارت ناقى إليه وقصدته وإن لم أكن واتقا بإبقاء نواله شيئا من ماله ، يعنى أن جوده لا يبقى من ماله إلا القدر اليسير الذى لا مطعم فيه لكثرة عطائه كما لا يبقى المهجر من العاشق إلا النفس والرمق والعظام .

(٣) احتوى الشيء واحتوى عليه : أخذه وحازه ؛ والردينية : الرماح ، تنسب إلى ردينة : امرأة كانت تقوم الرماح . يقول : إن المعالي تغزو أموال المدوح كل يوم فتحوزها ، يعنى أنه يفرق أمواله فيما يورثه المجد والعلاء ، فلما له عرضه لرماح المعالي تستولى عليه لا الرماح الحقيقية ، لأن أعداءه ليس فى مكنتهم أن يصلوا إلى ماله بالحرب والقهر لأنه من القوة بحيث لا يقدر أحد أن يظهر عليه وينصبه ماله .

(٤) نائلها : أى السحاب ، والنائل : العطاء ؛ والقطر : المطر ؛ والمراد هنا : قليل والغمر فى الأصل : معظم البحر ، والمراد هنا : كثير .

(٥) النزر : القليل . يقول : لو أطاعت الدنيا كفه لفرقها كلها . وكان ذلك قليلا عند عطاياه ، لأن جوده يقتضى أكثر من ذلك ، أو تقول : لفرقها كلها فأصبح أكثر ما فيها شيئا يسيرا بالنسبة إلى جوده كما قال :

* يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخِلَا *

أَرَاهُ صَغِيرًا قَدْرَهَا عَظَمُ قَدْرِهِ فَمَا لِعَظِيمٍ قَدْرُهُ عِنْدَهُ قَدْرُ^(١)
 مَتَى مَا يُشْرِ نَحْوَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهِ تَخَرُّ لَهُ الشَّعْرَى وَيَنْخَسِفُ الْبَدْرُ^(٢)
 تَرَ الْقَمَرَ الْأَرْضِيَّ وَالْمَلِكَ الَّذِي لَهُ الْمُلْكُ بَعْدَ اللَّهِ وَالْمَجْدُ وَالذِّكْرُ^(٣)
 كَثِيرُ سُهَادِ الْعَيْنِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ يُورِّقُهُ فِيمَا يُشْرِقُهُ الْفَكْرُ^(٤)
 لَهُ مِئْتُنْ تَفْنِي الثَّنَاءَ كَمَا تَمَّا بِهِ أَقْسَمْتُ أَنْ لَا يُودِّيَ لَهَا شُكْرُ^(٥)

(١) يقول : أراه عظم قدره قدر الدنيا حقيرا ، وليس لشيء عظيم الخطر والقدر عنده خطر وقدر ، لأن خطره يرى على كل شيء . بقوله : أراه ، فعل ماض ، فاعله عظم قدره ، والهاء من أراه : مفعول أول ، وصغيرا : مفعول ثالث مقدم ، وقدرها : مفعول ثان . وقوله : لعظيم ، خبر مقدم عن قوله : قدر - في آخر البيت - وقدره : فاعل عظيم .

(٢) المراد بالشعري : الشعري العبور ، لإضاءتها ، وقد عبدتها العرب في الجاهلية قال تعالى : « وأنه هو رب الشعري » . يقول : إن وجهه أتم نورا وإضاءة من الشعري والبدر ، فإذا أشار بوجهه إلى السماء سقطت الشعري حياء منه وخجلا وانخسف البدر لغلبة ضوء وجهه البدر . وقوله : تخر ، أى تسقط ، وهو جواب الشرط ، وهو من المضاعف . قال العكبري : وفتح قوم ورفعه آخرون ، فأما إذا كان معه ضمير فالرفع عند سيويه لا غير ، نحو لم يرد ، وما أشبهه . وقرأ أهل الكوفة وابن عامر ، « لا يضركم » برفع الراء ، وهو جواب الشرط .

(٣) تر - بغير ياء - بدل من جواب الشرط - في البيت السابق - ومن رواه بالياء جعله استثناء للمخاطب ، يقول : ترى الشعري برؤيته القمر الأرضي ، أو ترى أنت أيها الرائي برؤيته القمر الأرضي . وكذلك ترى الملك الذى له الملك بعد الله الخ .

(٤) السهاد : السهر ، ولا يستعمل إلا في السهر لشدة ، والفكر فاعل يؤرقه . يقول : هو يسهر من غير علة توجب السهر ولكنه يفكر في كل ما يزيده شرفا إلى شرفه ، فسهاده لأجل ذلك .

(١) يقول : إن منته على الناس بإحسانه وإنعامه تستغرق الثناء وتربى عليه حتى لكأنها أقسمت بحق المدوح أن لا يبلغ أحد تمام شكرها ، والقسم به عظيم لا يجري فيه حش ، ومن ثم كانت منته زائدة على ثناء الثنتين وشكر الشاكرين . والثمن : جمع منة : ولذلك معنيان : أحدهما إحسان المحسن غير معتد بالإحسان ، يقال لحقت فلانا من

أَبَا أَحْمَدٍ مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِهِ
وَمَا لِإِمْرِيءَ لَمْ يُمْسِ مِنْ بُحْتَرٍ فَخْرٌ^(١)
هُمُ النَّاسُ إِلَّا أَنَّهُمْ مِنْ مَكَارِمٍ يُفْتَى بِهِمْ حَضَرٌ وَيَحْذُو بِهِمْ سَفَرٌ^(٢)
بِمَنْ أَضْرِبُ الْأَمْشَالَ أَمْ مَنْ أَقْبِسُهُ
إِلَيْكَ وَأَفْلُ الدَّهْرِ دُونَكَ وَالذَّهْرُ^(٣)

فلان منة : أي، نعمة . والثاني : أن يعظم المحسن إحسانه ويفخر به ويبدى فيه ويعيد حق يفسده وينقصه ، والمراد هنا الأول .

(١) بحتر : قبيلة المدوح يقول : إنما الفخر لمن يستحق الفخر ويستأهله ، وليس لمن لم ينم إلى قبيلتك فخر ، فقد استأثروا بالفخر دون الناس بك .

(٢) الحضر : الحاضرون في البلاد ؛ جمع حاضر . والسفر : المسافرون . ولا يقال

في الفرد : سافر . يقول : هم الناس في الحقيقة ، إلا أن الله سبحانه خلقهم من طينة المكارم ، لكثرة ما ركب فيهم من الكرم - ضد اللؤم - فالحاضرون يغنون بمدائحهم وبما قيل فيهم من الأشعار ، وكذلك المسافرون حداؤهم بذلك : أي اشترك المقيم والمسافر في ذلك . فقوله من مكارم : من فيه لبيان الجنس : أي أنها مخلوقون من طينة المكارم :

(٣) يقول : ليس هناك من يليق أن أشبهك به أو أقايس بينه وبينك وأوازن ،

لأنك أجل وأعلى من أهل الدهر ، ومن الدهر ، الذي يتصرف على مرادك والذي تحدث أنت فيه النعيم والبؤس . وعبرة الواحدى : ضرب المثل إنما يكون لشبه عين بعين أو وصف بوصف ، فإذا كان هو أجل وأعلى من كل شيء لم يمكن ضرب المثل بشيء في مدحه . وهذا معنى قوله : أم من أقيسه إليك ؟ ووصل القياس بإلى : لأن فيه معنى الضم والجمع .

وقال برثى محمد بن إسحاق التنوخي :
 إِنِّي لَا أَعْلَمُ وَاللَّيْبُ خَيْرُ
 وَأَرَأَيْتُ كَلًّا مَا يُعْلَلُ نَفْسَهُ
 أَمْجَاوِرَ الدِّيمَاسِ رَهْنَ قَرَارَةٍ
 أَنَّ الْحَيَاةَ وَإِنْ حَرَصْتَ غُرُورُ^(١)
 بِتَعَلُّهِ وَإِلَى الْفَنَاءِ يَصِيرُ^(٢)
 فِيهَا الضِّيَاءُ بِوَجْهِهِ وَالنُّورُ^(٣)

(١) الليب : العاقل . وهو مبتدأ ؛ خبره : خير ، والجملة اعتراضية ؛ وأن وما يتصل بها : صلة أعلم . والواو من « وإن حرصت » للحال : والجملة بعدها معترضة ؛ وإن : وصلية ممدودة الجواب دل عليه ما قبله ، وغرور : خبر أن ، يجوز فيه ضم الغين على المصدر ، وفتحها على الصفة . قال الواحدى : قوله : والليب خير ، إشارة إلى أنه هو ليب ، لذلك علم أن الحياة - وإن حرص عليها الإنسان - غرور يغتر بها الانسان يظن أنه يبقى وتطول حياته ، كما قال البحرى :

وَلَيْسَ الْأَمَانُ فِي الْبَقَاءِ وَإِنْ مَضَتْ
 بِهِ عَادَةٌ إِلَّا أَحَادِيثُ بِاطِلِ
 ومثله لابن الرومي :

وَمَنْ يَرْجُو مُسَالَمَةَ اللَّيَالِي لِمَفْرُورٍ يُعْلَلُ بِالْأَمَانِي

(٢) ما : زائدة للتوكيد ، كقوله تعالى « فَمَا تَقْضِيهِمْ مِثْقَلُمْ ذَرَّةً » وعلمه بالشئ : لهاء به وشغله ومنه ؛ ويصير : ينتهى ، وهو مضارع صار التامة يقول : رأيت كل أحد يعطل نفسه بشئ يلهمها به عن ترقب الموت ، وهو لا محالة صائر إلى الفناء .

(٣) الديماس : السرب المظلم ، أو حفرة مظلمة لا ينفذ إليها الضوء ومنه ليل دامس أى مظلم ، ودمست الشئ : دفتته ؛ وكان للحجاج سجن يسمى الديماس لظلمته ؛ وفى حديث المسيح عليه السلام : أنه سبط الشعر ، كثير خيلان الوجه ، كأنه خرج من ديماس . يعنى فى نضرتة وكثرة ماء وجهه كأنه خرج من كن ، لأنه قال فى وصفه كأن رأسه يقطر ماء . وهو بكسر الدال : يجمع على دماميس كقبراطو وقراريط ، وفتح الدال : يجمع على دياميس ، مثل شيطان وشياطين ؛ وأراد بالديماس هنا : القبر . والقرار : كل موضع يستقر فيه شئ ، والمراد القبر أيضاً ، وجعل البيت رهناً للقبر لإقامته هناك إلى يوم البعث ، فكان القبر استرته ، ثم قال : إن قبره المظلم أشرق بنور وجهه . وقوله : رهْنِ قَرَارَةٍ ، نصب على الحال . وقال ابن جني : ويصح أن يكون بدلاً مما قبله ، فيكون منادى مضافاً .

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَلَّ دَفْنِكَ فِي الثَّرَى

أَنَّ الْكَوَاكِبَ فِي الثَّرَابِ تَفُورُ^(١)
 مَا كُنْتُ أَمَلُ قَبْلَ نَعْشِكَ أَنْ أَرَى رَضْوَى عَلَى أَيْدِي الرُّجَالِ تَسِيرُ^(٢)
 خَرَجُوا بِهِ وَلِكُلِّ بَاكِ خَلْفُهُ صَعَقَاتُ مُوسَى يَوْمَ ذَلِكَ الطُّورِ^(٣)
 وَالشَّمْسُ فِي كَبَدِ السَّمَاءِ مَرِيضَةٌ وَالْأَرْضُ وَاجِفَةٌ تَكَادُ تَمُورُ^(٤)

(١) تفور : تذهب وتختفي . يقول : ما كنت أظن قبل موتك أن النجوم تختفي في التراب حتى رأيتك وأنت أضوأ من الكواكب قد غبت في التراب . وفي هذا البيت نظر إلى قول الآخر :

ما كنت أحسب والمنية كاسمها أن المنية في الكواكب تطمع
 هذا : ويقال : أحسب وأحسب - بكسر السين ، وفتحها - في المضارع . ولا خلاف في كسرها في الماضي .

(٢) النعش : ما يحمل عليه الميت ؛ ورضوى : اسم جبل بالمدينة . شبه الرثى به لعظمه وغمامة شأنه ، وهذا من قول ابن المعتز :

هذا أبو القاسم في نَعْشِهِ قَوْمُوا انظُرُوا كَيْفَ تَسِيرُ الْجِبَالُ
 ولا بن الرومي :

من لم يعاين سيرَ نعش محمد لم يَدْرِ كَيْفَ تُسِيرُ الْأَجْبَالُ

(٣) الصعقات : جمع صعقة ، وهي انغشية ؛ ودك : هدم وسوى بالأرض ؛ وأصل الدك : الكسر والدق ، وأرض دك ، والجمع دكوك ؛ قال تعالى : « جعله دكا » ويحتمل أن يكون مصدرا ، لأنه حين قال جعله كأنه قال دكه فقال دكا وأراد جعله ذا دك . فحذف وقد قرئ بالمد : أى جعله أرضا دكا . فحذف لأن الجبل مذكر ، ومن هذا : دك الركبة إذا دفنها وطمها ، ودك الرجل - على صيغة ما لم يسم فاعله - فهو مدكوك إذا دكته الحمى وأضعفته . والطور : الجبل ؛ والمراد به : طور سيناء . وقوله : يوم دك الطور ، إشارة إلى قوله تعالى : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا » .

(٤) كبد السماء : وسطها ؛ وواجفة : مضطربة ، وتمور : تذهب وتجيء . يقول : إن ضوء الشمس ضعف بموته ، فكأنها مريضة ، واضطربت الأرض فهي تذهب وتجيء . وهذا كله تعظيم لوت الرثى . وأصل هذا المعنى قول جرير يرثي عمر بن عبد العزيز :

وَحَنِيفٌ أُنْجِحَهُ اللَّائِكُ حَوْلَهُ وَعِيُونُ أَهْلِ اللَّادِيقَةِ صُورٌ^(١)
 حَتَّى أَتَوْا جَدَّتَنَا كَأَنَّ ضَرْبَهُ فِي قَلْبِ كُلِّ مُوَحِّدٍ تَحْفُورٌ^(٢)
 بِمَزْوَدٍ كَفَنَ اللَّيْلِ مِنْ مُلْكِهِ مُنْفٍ وَإِمْدُ عَيْنِهِ الْكَافُورُ^(٣)

الشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةً تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرُ^(١)
 ويقول ابن الرومي :

عَجِبْتُ لِلْأَرْضِ لَمْ تَرْجُفْ جَوَانِبُهَا وَلِلْجِبَالِ الرُّوَاسِي كَيْفَ لَمْ تَمِدْ
 عَجِبْتُ لِلشَّمْسِ لَمْ تَكْسِفْ لِمَهْلِكِهِ وَهُوَ الضُّيَاءُ الَّذِي لَوْلَاهُ لَمْ تَقْدِ
 (١) الحفيف : صوت أجنحه الطير إذا حركتها ، والملائك : الملائكة ، جمع ملك
 على غير قياس - وصور : جمع أصور ، وهو المائل ، ومنه قول الشاعر :

اللَّهُ يَنْفَلِمُ أَنَا فِي تَلَقُّتِنَا يَوْمَ الْوَدَاعِ إِلَى أَحِبَابِنَا صُورٌ
 واللاذقية : بلد الرقي . يقول : أحاطت بنعشه ملائكة السماء حتى سمع لأجنحتهم
 حفيف ، وعيون أهل بلده مائلة إلى نعشه لا يصرفون عيونهم عنه شوقاً إليه وحزناً
 عليه لشدة حبه إياه ، أو لأنهم - كما قال بعض الشراح - يسمعون حس الملائكة
 فيميلون إلى ذلك الحس الذي يسمعون . قال المكبري : وقوله : اللاذقية وصور - وهما
 بلدان - فيه تورية :

(٢) الجذث : القبر ؛ والضريح : الشق في وسط القبر . والحد في جانبه . وقوله
 حتى : غاية لخرجوا - في البيت الأسبق - تقديره : خرجوا به حتى أتوا القبر . وهذا
 من قول ابن الزيات :

يقول لي الخللانُ لو زرتَ قبرها فقلت وهل غيرُ القواد لها قبرُ ؟
 (٣) بمزود : متعلق أتوا - في البيت السابق - واللفظ : النائم ، وأغنى إغفاء :
 فهو مغف ؛ والإتمد : الكحل الأسود ؛ وملكه : تقرأها بضم الميم وبكسرهما -
 روايتان - يقول : لم يزود من ملكه إلا كفنا يلى ، وقد جعل الكافور - الذي يذر

(٤) يقول : إن الشمس طالعة تبكي عليك ، ولم تكسف ضوء النجوم ولا القمر
 لأنها في طلوعها خاشعة باكية لا نور لها : وقد تقدم الكلام على هذا البيت بأوفى
 من ذلك .

فِيهِ الْفَصَاحَةُ وَالسَّامَةُ وَالْتَقَى وَالْبَاسُ أَجْمَعُ وَالْحَجَى وَالْخَيْرُ^(١)
كَفَلَ الْفَنَاءَ لَهُ بِرَدِّ حَيَاتِهِ لَمَّا أَنْطَوَى فَكَأَنَّهُ مَنشُورُ^(٢)
وَكَأَنَّمَا عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ ذِكْرُهُ وَكَأَنَّ عَازَرَ شَخْصُهُ الْمَقْبُورُ^(٣)

على وجه الميت - في موضع الكحل . وعبارة الواحدى : لم يزود من ملكه إلا كفنا
يلى ، وهو مغف كالنائم لإطباق جفنه ، وقد كحل بكافور - لا يأمد - والإمد : كحل
الحى ؛ والكافور : للميت .

(١) فيه : أى فى الكفن ، وأجمع تأكيد للناس . والحجى : العقل . والخير .
الكرم . وهذا من قول عبد الصمد بن العذل

فَضْلٌ وَحَزْمٌ وَجُودٌ ضَمُّهُ جَدَثٌ وَمَكْرَمَاتٌ طَوَاهَا التَّرْبُ وَالطَّرْ
(٢) يقول . إن ثناء الناس عليه وذكركم إياه بعده كفيل برد حياته ، لأن من بقى
ذكره كأنه لم يموت ، وهذا من قول منصور التمرى :

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتَهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنشُورُ
ويقول أبو تمام :

سَلَفُوا يَرُونَ الذِّكْرَ عَيْشًا ثَانِيًا وَمَضَوْا يُعَدُّونَ الثَّنَاءَ خُلُودًا
ويقال : أنشر الله الميت ونشره ؛ قال المكبرى : ولما قال : انطوى وذكر الطى ، قال
منشور : وهو أضعف اللقبين .

(٣) يقول : ذكره أبدا يحيه كما أحيا عيسى عليه السلام عازر بعد أن مات :

واستزاده بنو عم الميت فقال ارتجالا :

غَاضَتْ أَنَامِلُهُ وَهَنَّ بِحُورٍ وَخَبَتْ مَكَائِدُهُ وَهَنَّ سَعِيرٌ^(١)
يُنِيسُكَ عَلَيْهِ وَمَا اسْتَقَرَّ قَرَارُهُ فِي اللَّحَادِ حَتَّى صَافَحَتْهُ الْحُورُ^(٢)
صَبْرًا بَنِي إِسْحَاقَ عَنْهُ تَكْرُمًا إِنَّ الْعَظِيمَ عَلَى الْعَظِيمِ صَبُورٌ^(٣)
فَلِكُلِّ مَفْجُوعٍ سِوَاكُمْ مُشْبِهٌ وَلِكُلِّ مَفْقُودٍ سِوَاهُ نَظِيرٌ^(٤)
أَيَّامَ قَائِمٍ سَنَفِيهِ فِي كَفِّهِ السُّيُفَى وَبَاعَ الْمَوْتَ عَنْهُ قَصِيرٌ^(٥)
وَلَطَالَمَا انْهَمَكْتَ بِمَا أَحْمَرِ فِي شَفَرَتَيْهِ جَاهِجٌ وَنُحُورٌ^(٦)
فَاعِيدُ إِخْوَتِهِ رَبِّبٌ مُحَمَّدٍ أَنْ يَحْزَنُوا وَمُحَمَّدٌ مَسْرُورٌ^(٧)

(١) غاضت : غارت ؛ وخبث النار : سكن لها ؛ والكايده : جمع مكيدة ، وهي ما يدبره الرجل في الحرب وغيرها من الرأى : والسعير تسعير النار : يقول : للمات غاض بمر جوده الذي كان يفيض على الناس بالسطاء وانطفأت ناركيده وكانت سعيرا على أعدائه :

(٢) يقول : ليس من حقه البكاء عليه ، لأنه لم يستقر في قبره حتى صافحته الحور في جنة الخلد ، وإذا كان بهذه المنزلة من الكرامة عند الله فلا يحق له البكاء ، قال الشاعر :
إِنْ يَكُنْ مُفْرَدًا بِغَيْرِ أَنْيَسٍ فَمَسَى أَنْ يَكُونَ بِالْحُورِ آنَسٍ
هذا ويحوز في « قراره » الرفع على الفاعلية ، والنصب على المصدر . قال ابن جني : ويختار النصب :

(٣) على العظيم : أى على الأمر العظيم : وروى ابن جني عن العظيم : أى عن المفقود العظيم :

(٤) يقول : ليس في العالم مثلكم ولا مثله ، وكلاهما عظيم :
(٥) العامل في أيام : محذوف ؛ تقديره لم يكن له نظير أيام الخ : أى أيام يقاتل أعداءه ، ويد الموت غير ممتدة إليه ، أو تقدير : أذكركم تلك الأيام التي لم ينل منه عدو فيها : ولكن إذا جاء أمر الله فلا بد من تقاضه :

(٦) انهملت : جرت وسالت ، وبرى : انهمرت ، وشفرتا السيف : حدها : يقول : طالما سالت الجاهم والنحور من أعدائه في حدى سيفه بالدماء
(٧) أعدته بالله من كذا : غصمته به منه ، وهي كلمة تقال في مقام التنزيه ؛ وأن

أَوْ يَرْغَبُوا بِقُصُورِهِمْ عَنْ حُفْرَةٍ
حَيَّاهُ فِيهَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ^(١)
تَقَرُّ إِذَا غَابَتْ نُجُودُ سُيُوفِهِمْ
عَنْهَا فَأَجَالَ الْعِبَادِ حُضُورٌ^(٢)
وَإِذَا لُقُوا جَيْشًا تَبَيَّنَ أَنَّهُ مِنْ بَطْنِ طَيْرٍ تَنُوقُهُ مَحْشُورٌ^(٣)
لَمْ تُثْنِ فِي طَلَبِ أَعْنَتِهِ خَيْلُهُمْ إِلَّا وَغَمْرُ طَرِيدِهَا مَبْتُورٌ^(٤)

يَحْزَنُوا : في تأويل مصدر مجرور بمن محذوفة صلة اعيد . قال ابن جني : الوجه أن يكون محمد الأول : النبي عليه الصلاة والسلام ، والثاني : المرئي . ويجوز أن يكون الأول واثني كلاهما المرئي . يقول : لا ينبغي لهم أن يحزنوا عليه لأنه مسرور بما أصاره الله إليه من السكامة والنعيم الدائم .

(١) يقال : رغب به عن هذا الأمر : أي رفعه عنه . يقول : وأعيذهم أن يظنوا أن قصورهم كانت خيراً له من قبر صار روضة من رياض الجنة حتى حياه فيه الملكان منكر ونكير - أي أن قبره خير له من تلك القصور ومنزله في الآخرة - أشرف من منزله التي كانت في الدنيا . وقال ابن جني : يعني : وأعيذهم أن يرغبوا عنه ويتركوا زيارة قبره ويلزموا قصورهم . . . قال العروضي - ناقداً - ما أبدع ما وقع . . . أراد - التنبي - أن لا يحسبوا قصورهم أوفق له من الحفرة التي صارت من رياض الجنة حتى حياه فيها الملكان . . . وقال ابن فورجة : لكنه يقول : أعيذهم أن يظنوا أن قصورهم كانت لهم خيراً له من قبر حياه فيه الملكان . والمعنى : أعيذهم أن يرفعوا قصورهم فيجعلوها في حكمهم خيراً له من قبره ، فإن قبره خير له من تلك القصور : ومنزله في الآخرة أشرف من منزله في الدنيا .

(٢) يقول : هم - أي بنو إسحاق - نكر - أي رهط وجماعة - إذا سلوا سيوفهم فغابت بذلك عن أعينها ، حضرت آجال أعدائهم لأنهم يستأصلونهم في التو واللحظة فنفر : خبر مبتدأ محذوف ، وحضور : جمع حاضر .

(٣) التنوفة : الأرض البعيدة - المفازة - يقول : إذا حاربوا جيشاً من جيوش الأعداء تبين ذلك الجيش أنهم قاتلوه لاجالة ، فتأكله الطير حتى إذا جاء يوم إجلس - البعث - بعث من بطون الطير .

(٤) المبتور : المقطوع والأعنة : جمع عنان ، وهو سير اللجام . يقول : لم تعطف

يَمُتُّ شَاسِعَ دَارِهِمْ عَنْ نِيَّيْنِ
 إِنَّ الْحُبَّ عَلَى الْبَعَادِ يَزُورُ^(١)
 وَقَنَيْتُ بِاللَّفْيَا وَأَوَّلَ نَظَرٍ
 إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْحَبِيبِ كَثِيرُ^(٢)

أعنة خيل هؤلاء القوم في طلب عدو إلا وعمر ذلك العدو الذى طردته خيلهم واتبعته
 قد انقطع أجله .

(١) الشاسع : البعيد . وعن نية : أى عن قصد ، أو تقول : النية بمعنى النوى :
 أى البعد . يقول : قصدت ديارهم البعيدة لحبي إياهم لأن الحب يزور حبيبهم وإن شطت
 به النوى ، كما قال القائل :

زُرْ مَنْ تُمَرَّبُ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ وَحَالَ مِنْ دُونِهِ حُجْبٌ وَأَسْتَارُ
 لَا يَمْنَعُكَ بُعْدٌ مِنْ زيارته إِنَّ الْحُبَّ لِمَنْ يَهْوَاهُ زَوَّارُ
 (٢) هذا من قول الموصلى :

إِنْ مَاقَلَ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وَقَلِيلٌ مِمَّنْ تَحِبُّ كَثِيرُ
 ومثله لجليل شينة :

وإني ليرضىنى قليل نوالكم وإن كنت لأرضى لكم بقليل
 ولتوبة
 وأقنع من ليلى بما لا أناله
 ألا كل ماقرت به العين صالح
 ولاحر :

جودوا على بمنطقٍ أحياء به إن القليل من الحب كثيرُ

وسأله بنو عم الميت أن يبنى الشامة عنهم ؛ فقال ارتجالا :

أَلَا لَإِبْرَاهِيمَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ إِلَّا حَيْنٌ دَائِمٌ وَزَفِيرٌ^(١)
مَا شَكَّ خَابِرٌ أَمْرِهِمْ مِنْ بَعْدِهِ أَنَّ الْقَزَاءَ عَلَيْهِمْ مَحْظُورٌ^(٢)
تُذَيِّ خُدُودَهُمُ الدُّمُوعُ وَتَنْقُضِي سَاعَاتُ لَيْلِهِمْ وَهُنَّ دُهُورٌ^(٣)
أَبْنَاهُ عَمَّ كُلِّ ذَنْبٍ لِأَمْرِي إِلَّا السَّعَايَةَ بَيْنَهُمْ مَفْظُورٌ^(٤)
طَارَ الْوُشَاةُ عَلَى صَفَاءِ وَدَادِهِمْ
وَكَذَا الذَّبَابُ عَلَى الطَّعَامِ يَطِيرُ^(٥)

(١) هذا استفهام إنكاري؛ والزفير: امتلاء الجوف من النفس لشدة الكرب والغم؛ يقول : ليس لهم إلا الحين إلى الزفير على فقده :
(٢) الخابر : العالم بالشيء ، مثل الخبير أو المهرب : يقول : لا يشك من خبرهم وعرف أمرهم أن السلوان ممنوع محرم عليهم لشدة حزنهم على فقده : أى لا يصبرون عنه وهذا من قول البحترى :

حَالَتْ بِكَ الْأَشْيَاءُ عَنْ حَالَتِهَا فَأَلْزَنُ حِلًّا وَالْقَزَاءُ حَرَامٌ
(٣) يقول : إنهم سيكون عليه دما ويسهرون لفقده حتى يطول عليهم الليل فكأنه دهر : وهذا معنى تداوله الشعراء كثيرا ، وأصله بيت الحماسة :
يطول اليومُ لا ألقاك فيه وعامٌ نلتقي فيه قصير
(٤) يقول : كل من أذنب إليهم ذنبا فإنهم يغفرون له ذلك الذنب إلا الذنب من يسعى بينهم بالنميمة والإفساد :

(٥) يقول : إن الوشاة نموا بينهم قصد أن يكذبوا صفاء ما بينهم من ود ؛ مثلهم في ذلك مثل الذباب الذى يطير على الطعام ، كأنه يريد إفساده . وقال ابن جني : معنى طاروا : ذهبوا وهلكوا لما لم يجدوا بينهم مدخلا .. قال العروضي - ناقدنا - : يظلم نفسه ويفر غيره من فسر شعر المتن بهذا النظر ، ألا تراه يقول : وكذا الذباب على الطعام يطير ؛ أذهاب هذا أم اجتماع عليه ؟ وقال : طار الوشاة على ؛ ولو أراد ما قال ابن جني لقال : طار عنه ؛ وأراد أن الوشاة نموا بينهم وتآلثوا بالنميمة .. وقال ابن فورجة : كيف يعنى بقوله طار الوشاة ذهبوا وهلكوا وقد شبه طيرانهم على صفاء الود بطيران الذباب على الطعام ؟ يريد أن الوشاة تعرضوا لما بينهم وجهدوا أن يفسدوا ودادهم ، كما أن الذباب يطير على الطعام . والمضى : أن اجتماع الوشاة وسعيهم فيما بينهم

وَلَقَدْ مَنَحْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ مَوَدَّةً جُودِي بِهَا لِعَدُوِّهِ تَبْذِيرٌ^(١)
مَلِكٌ تَصَوَّرَ كَيْفَ شَاءَ كَأَنَّمَا يَجْرِي بِفَضْلِ قَضَائِهِ الْمَقْدُورُ^(٢)

وقال ارجع لا في أبي الحسين بن إبراهيم وقد دخل عليه وهو يشرب :
مَرَّتْكَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ صَافِيَةُ الْخَمْرِ
وَهُنَّتْهَا مِنْ شَارِبِ مُسْكِرِ الشُّكْرِ^(٣)

بالتأم دليل على ما بينهم من المودة ، كالذباب لا يجتمع إلا على طعام ؛ وكذا الوشاة إنما
يتعرضون للأجبة للتوادين ومثله :

وَجَلَّ قَدْرِي فَاسْتَحْلَوْا مُسَاجِلَتِي إِنَّ الذَّبَابَ عَلَى الْمَازِي وَقَاعٌ
« الماذي : العسل الأبيض »

(١) أبو الحسين : أحد إخوة الرئي . يقول : بذلت له من الود مالو بذلت مثله
لعدوه لكان ذلك مني إسرافا وتبذيرا ، لأن من عاداه لا يستحق مني مثل ذلك الود ،
فإذا بذلته له كنت متلافا واضعا للشيء في غير موضعه .

(٢) المقدور : القدر ؛ وفصل قضائه : حكمه الفاصل بين الحق والباطل . يقول :
كأن القدر يجري بمراده واختياره ؛ وصدر البيت من قول أبي تمام ،

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ
وعجزه من قول ابن الرومي :

لَسْتُ تَحْتَاجُ بِالزَّمَانِ وَلَا الْمَقْدُورِ وَأَنْتَ الزَّمَانُ وَالْمَقْدُورُ

(٣) في قوله مررتك - كما قال الواحدى - نوعان من الضرورة : أحدهما أنه كان
يجب أن يقول : أمرأتك ؛ لأنه إنما يقال : مرأك إذا كان مع هناك فإذا أفرد قالوا أمرأتى
الطعام . والآخر أنه حذف همزة مرأتك . وقوله : مسكر السكر يريد أن السكر يستعذب
شماله ويستحسنها ، فيسكر السكر حسنها ، ويجوز - كما قال الواحدى - أن يكون
المراد أنه يغلب السكر ، والسكر لا يغلبه ، وعادته أن يغلب كل شيء ، فكأنه
قد غلبه .

رَأَيْتُ الْحَمِيَّاءَ فِي الرُّجَاجِ بِكَفِّهِ فَشَبَّهْتُهَا بِالشَّمْسِ فِي الْبَدْرِ فِي الْبَحْرِ^(١)
إِذَا مَا ذَكَرْنَا جُودَهُ كَانَ حَاضِرًا نَأَى أَوْ دَنَا يَنْسَى عَلَى قَدَمِ الْخَضِرِ^(٢)

* * *

وقال ارتجالاً وقد دخل على بدر بن عمار يوماً فوجده خالياً ، وقد أمر الغلمان أن يحجبوا الناس عنه ليخلو للشراب :

أَصْبَحْتَ تَأْمُرُ بِالْحِجَابِ لَخَلْوَةٍ هَيَّاتَ لَسْتُ عَلَى الْحِجَابِ بِقَادِرٍ
مَنْ كَانَ ضَوْءُهُ جَبِينَهُ وَنَوَالَهُ لَمْ يُحْجَبَا لَمْ يَحْتَجِبْ عَنْ نَظَرِ^(٣)
فَإِذَا احْتَجَبْتَ فَأَنْتَ غَيْرُ مُحْجَبٍ وَإِذَا بَطَنْتَ فَأَنْتَ عَيْنُ الظَّاهِرِ^(٤)

(١) الحميا : من أسماء الحجر : شبه الحجر بالشمس ، والزجاجة بالبدر ، وكفه بالبحر
وفي هذا البيت نظر إلى قول أبي نواس :

فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّ شَارِبَهَا قَرَّ يَقْبَلُ عَارِضُ الشَّمْسِ

(٢) زعموا أن الخضر عليه السلام لا يذكر في موضع إلا حضر ؛ والخضر عند الصوفية : حى يرزق ، ولكن رجال الحديث ينكرون ذلك : يقول : لا تذكر جوده إلا كان حاضراً كالخضر ، يعنى أن جوده يدركننا حيناً كنا :

(٣) نظر في ضوء الجبين إلى قول قيس بن الخطيم :

قَضَى لَهَا اللَّهُ حِينَ يَخْلُقُهَا الْخَالِقُ أَنْ لَا يُكْتَبَ سَدَفٌ^(١)

ونظر في الجود إلى قول أبي تمام :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّائِي بِرُؤْيَيْهِ وَجُودُهُ لِمُرَاعِي جُودِهِ كَتَبَ
ويقول أبو نواس :

تَرَى ضَوْءَهَا مِنْ ظَاهِرِ الْكَأْسِ سَاطِعًا عَلَيْكَ وَلَوْ غَطَّيْتُهَا بِفِطَاءٍ

(٤) يقول : إذا احتجبت كنت غير محبوب ، وإذا اختفيت فأنت ظاهر ، يعنى بجودك وهيتك : وهذا من قول أبي تمام :

فَنَعِمْتَ مِنْ شَمْسٍ إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ مِنْ خِذْرِهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ تُحْجَبِ

(١) السدف : الظلمة ؛ والمراد أنها مضيئة لا تسترها ظلمة .

وقال وقد أخذ الشراب منه عند بدر وأراد الانصراف فلم يقدر على الكلام ،
فقال هذين البيتين وهو لا يدري :

نَالَ الَّذِي نَلْتُ مِنْهُ مِنِّي اللَّهُ مَا تَصْنَعُ الْخُمُورُ^(١)
وَذَا انْصِرَافِي إِلَى تَحَلِّي أَأَذِّنُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ

(١) يقول : الشراب الذي نلت منه باحتسائه نال مني بالأخذ من عقلي وحيويتي ثم
تعجب مما فعله الحجر ، والله أبو تمام إذ يقول :

وَكَأْسٍ كَمَقْسُولِ الْأَمَانِي شَرِبْتُهَا وَلَكِنهَا أَجَلْتُ وَقَدْ شَرِبْتُ عَقْلِي
إِذَا الْيَدُ نَالَهَا بِوَقْرِ تَوَقَّرْتُ عَلَى ضِفْنِهَا ثُمَّ اسْتَقَادْتُ مِنَ الرَّجُلِ
ويقول أيضاً :

أَفِيكُمْ قَتَى حَيٍّ فَيَخْنُبُنِي عَقِي
بِمَا شَرِبْتُ مَشْرُوبَةَ الرَّاحِ مِنْ ذَهْنِي

(١٦ — التنبؤ ٢)

وقال يصف لعبة في صورة جارية ، وذلك أنه كان لبدر بن عمار جليس أعور يعرف بابن كروّس ، يحسد أبا الطيب لما كان يشاهده من سرعة خاطره ، لأنه لم يكن شيء يجري في المجلس إلا ارتجل فيه شعراً ، فقال الأعور لبدر : أظنه يعمل هذا قبل حضوره ويُعيّده ، فقال بدر : مثل هذا لا يجوز وأنا أمتحنه بشيء أحضره للوقت ؛ فلما كمل المجلس ودارت الكؤوس أخرج لعبة لها شعر في طولها ، تدور على لولب ، وإحدى رجلها مرفوعة ، وفي يدها طاقة ريحان ؛ فإذا وقفت حذاء إنسان شرب فدارت ؛ فقال ارتجالاً :

وَجَارِيَةٍ شَعْرُهَا شَطْرُهَا مُحْكِمَةٌ نَافِذِ أَمْرُهَا^(١)
تَدُورُ وَفِي كَفِّهَا طَاقَةٌ تَضَمَّنَهَا مُكْرَهَا شَبْرُهَا^(٢)
فَإِنْ أَسْكُرْتَنَا فِي جَهْلِهَا بِمَا فَعَلْتَهُ بِنَا عُذْرُهَا^(٣)

* * *

(١) يقول : إن شعر هذه الجارية طويل قد جلل نصف بدنها ، فكأنه نصفها وقد حكمت في أهل المجلس فأطاعوها فيما تأمرهم به . لأنها كانت تدور ، فإذا وقفت حذاء واحد منهم شرب ، فأمرها فيهم نافذ مطاع . فشطرها : أى نصفها ؛ وقوله : نافذ أمرها ، يجوز في « نافذ » : الجر ، على أنه نعت سببي ، و« أمرها » فاعل ؛ والرفع : على أنه خبر مقدم عن أمرها ؛ والجملة : نعت .

(٢) يقول : إن هذه الطاقة من الريحان وضعت في كفها دون اختيار منها ، بل كرها ، لأنها لا تعقل :

(٣) يقول : فإذا أسكرتنا بوقوفها حذاءنا لنشرب ، فجهلها ما فعلت عذر لها ، لأنها لا تعلم ما تفعل :

وقال في بدر أيضاً وقد وقفت هذه الجارية حذاءه :

إِنَّ الْأَمِيرَ أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ لِفَاخِرٍ كَسَيْتَ فَخْرًا بِهِ مُضَرٌّ^(١)
 فِي الشَّرْبِ جَارِيَةٌ مِنْ تَحْتِهَا خَشَبٌ
 مَا كَانَ وَالِدَهَا جِنَّ وَلَا بَشَرٌ^(٢)
 قَامَتْ عَلَى فَرْدٍ رَجُلٍ مِنْ مَهَابَتِهِ
 وَلَيْسَ تَفْقِلُ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ^(٣)

(١) يقول : إن العرب جميعا قد لبسوا فخراً به ، ويروى : كسبت
 (٢) في الشرب : أى بينهم . والشرب : جمع شارب ، وجن : اسم كان ؛ ووالدها
 خبر . وقد جعل اسم كان نكرة ضرورة . ومثله لحسان بن ثابت :
 كَانَ سَبِيئَةً مِنْ يَنْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مَزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاهُ^(١)
 وللقطامي :

قَفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ضُبَاعًا وَلَا يَكُ مَوْقِفَ مَنْكَ الْوَدَاعُ^(٢)
 (٣) مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ : أى ما تفعله وما تتركه .

(١) السبيئة : الحمر ، ويبت رأس : موضع بالشام ، وخبر كان - في البيت
 التالي - وهو :

عَلَى أَنْيَابِهَا أَوْ طَعْمُ غَضٍّ مِنْ التَّفَاحِ هَضْرَهُ اجْتِنَاءُ
 (٢) مطلع قصيدة للقطامي يمدح بها زفر بن الحارث الكلابي ، وضباع مرخم
 ضباعة وهى بنت زفر . وبعد البيت

قَفِي فَادِي أَسِيرَكَ إِنْ قَوْمِي وَقَوْمُكَ لَا أَرَى لَهُمْ اجْتِمَاعًا
 وقد كان القطامي أسيراً عند والدها . وقوله وَلَا يَكُ مَوْقِفَ إِنْ : يحتمل وجهين
 أحدهما أن يكون على الطلب والرغبة كأنه قال : لا تجعل هذا الموقف آخر وداعي منك
 والآخر أن يكون على الدعاء ، كأنه قال : لا جعل الله موقفك هذا آخر الوداع

وقال لبدر : ما حلك على إحضار اللبة ؟ فقال : أردت أن أنقذ الظنة عن أدبك فقال :

زَعَمْتَ أَنَّكَ تَنفِي الظَّنَّ عَنْ أَدْبِي وَأَنْتَ أَعْظَمُ أَهْلِ الْمَعْرِ مِقْدَاراً^(١)
إِنِّي أَنَا الذَّهَبُ الْمَعْرُوفُ مَخْبَرُهُ يَزِيدُ فِي السَّبْكِ لِلدِّينَارِ دِينَاراً^(٢)
فقال بدر : بل للدينار قنطاراً فقال :

بِرَجَاءِ جُودِكَ يُطْرَدُ الْفَقْرُ وَبِأَنْ تُعَادَى يَنْفَدُ الْعُمْرُ^(٣)
فَخَرَّ الزُّجَاجُ بَأَنْ شَرِبْتَ بِهِ وَزَرَّتْ عَلَى مَنْ عَافَاهَا الْخُمُرُ^(٤)
وَسَلِمْتَ مِنْهَا وَهِيَ تُسَكِّرُنَا حَتَّى كَأَنَّكَ هَابَكَ السُّكْرُ^(٥)
مَا يُرْتَجَى أَحَدٌ لِمَكْرَمَةٍ إِلَّا إِلَهُهُ وَأَنْتَ يَا بَدْرُ

(١) تنفي الظن : أى ما أتهم به من أنه لا يقدر على ارتحال الشعر ، وفي تعبيره بـ « زعمت » ما يشعر بأنه يريد أنى أبعد من أن يظن بى مثل ذلك ، فليس يعوزك أن تتجشم نفي هذا الظن عني .

(٢) يقول : إذا امتنحت تضاعف فضلى وارتفعت منزلتى ، ومثلى فى ذلك مثل الذهب الإبريز الخالص إذا اختبر بالسبك ، فإن ما كان منه يظن بادئ ذى بدء أنه يساوى ديناراً قد يزيد قيمته ديناراً آخر . والمعروف : صفة للذهب ، ومخبره : مبتدأ ؛ خبره : بعده ؛ والمخبر : الخبر .

(٣) إذا رجونا جودك ذهب عنا الفقر ، لأنه فى أيدينا ؛ فبه يطرد الفقر ؛ وإن عوديت فى عمر من يعاديك لأنه عرض نفسه للتلف .

(٤) يقول إنك السكّوس تفخر بشربك فيها ، والخمر تعيب من يحافها - يكرهها - إذ تشرفت بشربك إياها .

(٥) يقول : إنك تشرب وتسلم من غوائل الخمر ، بينما هى تسكر كل من شربها ، فكأنها لهيتها إياك وخوفها سطوتك ، لا تقدر أن تنال منك وتسرك .

وأراد الارتحال عن علي بن أحمد الخراساني فقال :

لَا تُنْكِرَنَّ رَحِيلِي عَنْكَ فِي عَجَلٍ فَإِنِّي لِرَحِيلِي غَيْرُ مُخْتَارٍ
وَرُبَّمَا فَارَقَ الْإِنْسَانُ مُهْجَتَهُ يَوْمَ الْوَعَى غَيْرَ قَالِ خَشْيَةَ الْعَارِ ^(١)
وَقَدْ مُنِيتُ بِحُسَّادٍ أَحَارِبُهُمْ

فَاجْمَلْ نَدَاكَ عَلَيْهِمْ بَعْضَ أَنْصَارِي ^(٢)

وقال يصف مسيره في البوادي وما لقي في أسفاره ويذم الأعور ابن كروتس :

عَذِيرِي مِنْ عَذَارَى مِنْ أُمُورٍ سَكَنَ جَوَانِحِي بَدَلُ الْخُدُورِ ^(٣)
وَمُبْتَسِمَاتٍ هَيْجَاوَاتٍ عَصْرِ عَنِ الْأَسْيَافِ لَيْسَ عَنِ الثُّغُورِ ^(٤)
رَكِبْتُ مُشَمَّرًا قَدَمِي إِلَيْهَا وَكُلَّ عَذَافِرِ قَلْبِي الضُّفُورِ ^(٥)

(١) للهجة : الروح ، والقالي : من قلاه أبغضه ؛ وخشية : مفعول لأجله ، عامله فاروق . شبه فراقه الممدوح بفراق الإنسان روحه . يقول : قد يعرض للبرء ما يوجب فراق روحه من غير بغض للروح ، كذلك أنا أفارقك كارها لذلك مضطرا .

(٢) منيت : بليت ، والندی : الجود ؛ والأنصار : جمع نصير ، بمعنى ناصر . يقول : إنني مبتلي بحساد أعاديهم فانصرني عليهم بجودك حتى أفخر عليهم بذلك فيموتوا كمدا .

(٣) يقولون : عذيري من فلان ، إذا أرادوا الشكاية منه : أى من يعذرنى منه أى إذا أوقعت به وأسأت إليه فإنه يستحق ذلك . والعذارى : الأبكار لم يفرعن بعلم والمراد هنا : الأمور العظام والمحطوب التي لم يسبق إليها ولا عهد بمثلها . و«من» الأولى صلة عذيري والثانية : يمانية ، وهى مع مجرورها فى موضع النعت لعذارى . والجوانح : الضلوع . يقول : إن هذه الأمور قد اتخذت ضلوعى وقلبي مسكنا كما تسكن العذارى الخدور .

(٤) الهيجاوات : جمع الهيجاء ، وهى الحرب ؛ ومبتسمات : عطف على عذارى ، وإضافة مبتسمات إلى هيجاوات يمانية ، وعن الأسياف صلة مبتسمات وليس هنا حرف بمنزلة لا . يقول : ومن عذيره من حروب تبسم هبواتها عن بريق السيوف لا عن الثغور - جمع ثغر مقدم الأسنان .

(٥) أصل التشمير : رفع الذيل ، يراد به الإشاحة والجد والإسراع . وقدمى :

أَوَانًا فِي بُيُوتِ الْبَدْوِ رَحَلِي وَأَوْنَةً عَلَى قَتَدِ الْبَعِيرِ^(١)
 أُعْرِضُ لِلرَّمَاكِ الصَّمِّ نَحْرِي وَأَنْصِبُ حُرًّا وَجْهِي لِلْمُهْجِرِ^(٢)
 وَأُسْرِئُ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ وَحْدِي كَأَنِّي مِنْهُ فِي قَمَرٍ مُنِيرِ^(٣)
 فَقُلْ فِي حَاجَةٍ لَمْ أَقْضِ مِنْهَا عَلَى شَفَعِي بِهَا شَرَوِي نَقِيرِ^(٤)

مفعول ركبت ، وإليها : متعلق بركبت ؛ والضمير للهيجوات . والعذافر : القوى من الإبل ؛ والناقة : عذافرة : والصفور : جمع صفر ، وهو النسع - الحبل - تشد به الرحال . والضمير : الحبل ؛ ومنه الحديث : « إذا زنت الأمة فبعها ولو بضمير » أى بحبل مفتول من شعر . فيل بمعنى مفعول . يقول : قصدت الهيجوات - الحروب - راجلا وراكبا : أى مارستها فى كل حال . وكنى بقلق الضفور عن شدة السير والهزال .
 (١) الآونة : جمع أوان ؛ كزمان وأزمنة . والرحل : ما يستصحبه الرجل من الأثاث ؛ والقند : خشب الرحل . وقيل : القند من أدوات الرحل ؛ وقيل ، جميع أدواته ، والجمع اقتاد وقنود وأقند . قال الراجز .

كَأَنِّي ضَمَنْتُ هِقْلًا عَوْهَقًا اقْتَادَ رَحَلِي أَوْ كَدَرًا مُحْنَقًا

« الحقل الظليم ؛ والعوهق من النعام : الطويل ؛ والكدر : الغليظ ؛ والحنق : الضامر القليل اللحم » يصف طول ارتحاله وقلة مقامه ، ومن ثم قال فى النزول : أوانا وفى الارتحال : آونة .

(٢) حر الوجه . ما بدا منه . والمهجير . شدة الحر وقت الهجرة ، وهى نصف النهار . والرماح الصم . أى الصلاب . وصدر البيت من قول القائل .

نُعْرِضُ لِلطَّعْمَانِ إِذَا التَّقِينَا وَجُوهًا لَا تُعْرِضُ لِلْسَّبَابِ
 وعجزه من قول الآخر .

أَقُولُ لِبَعْضِهِمْ إِنْ شَدَّ رَحَلِي لَهَا جِرَّةٌ نَصَبَتْ لَهَا جَبِينِي

(٣) السرى والإسراء . السير ليلا . ومنه . فى موضع الحال من الضمير المستتر فى الظرف بعده . يقول : كَأَنِّي فى الظلام أسير فى القمر الوضاء لمرفئى بالطرق والمفاوز واهتدأتى فيها .

(٤) قتل فى حاجة . أى قل ماشئت ، فإن مجال القول ذوسعة . وعلى . بمعنى مع . والظرف فى موضع الحال من فاعل أقض . وشغفى بها : حبها ، وشروى الشيء ، مثله والتعيم . نكتة فى ظهر النواة . يضرب مثلا للشيء الحقيق . يذكر كثرة تبعه وقلة

وَنَفْسٍ لَا تَجِيبُ إِلَّا خَسِيسٌ وَعَيْنٍ لَا تَدَارُ عَلَى نَظِيرٍ^(١)
وَكَفٍّ لَا تُتَارَعُ مِنْ أَنَانِي يُنَازِعُنِي سِوَى شَرَفِي وَخَيْرِي^(٢)
وَقِلَّةٍ نَاصِرٍ جُوزِيَتْ عَنِّي بَشَرَةٌ مِنْكَ يَا شَرَّ الدُّهُورِ^(٣)
عَدُوِّي كُلُّ شَيْءٍ فِيكَ حَتَّى
نَحَلْتُ أَلَاكُمْ مُوْغَرَةً الصُّدُورِ^(٤)

نيله . يقول : كم من حاجة حاولت الحصول عليها ثم لم أتل منها شيئاً على شدة شغفي بها وحبيها ؟ .

(١) يقول : وقل ماشئت في نفس - يعنى نفسه - لا تؤاتينى على أمر خسيس ولا تقنع به . وعين لا تقنع ولا تدار على نظير لى .

(٢) ينازعنى : حال من فاعل أنانى : وسوى . مفعول تنازع : والخير : الكرم . يقول : وقل ماشئت في كف - يعنى كفه - سخية لا تمسك شيئاً وتترك كل شيء لمن ينازعنى إلا شرفى وكرمى فإنى لا أسخو بها .

(٣) أى : وقل ماشئت في قلة من ينصرنى على ما أطلبه ، ثم خاطب الدهر فقال : رماك الله يادهر بدهر شر منك يحى عليك كما جنيت على وأنت شر الدهور ؛ و« شر » أصله أشر ، تركوا همزته لكثرة الاستعمال .

(٤) عدوى : خبر مقدم ؛ وكل مبتدأ مؤخر . وخت : ظننت : واللام : للتوكيد أدخلها على الماضى على إضمار قد : والأكم : التلال ، جمع أكمة : وموغرة الصدور : متوقدة من الغيظ : يقول : إن كل شيء فى الدهر يعاديه حتى ظن التلال التى لاتقل تعاديه ، يريد بذلك البالغة : وقال ابن جنى : قوله حتى لحلت إلخ : يحتمل أمرين ؛ أحدهما : يريد أن الأكم تنبوه ولا تطمئن إليه ، فكأن ذلك لعداوة بينها ؛ والآخر - وهو الوجه - أنه يريد شدة ما يقاسى فيها من الحر ، فكأنها : موغرة الصدور من قوة حرارتها ... قال ابن فورجة : أما المعنى الأول فيقال : لم يرد أن يستقر فى الأكم فتنبوه وبشما يختار داراً ومقاماً . وأما المعنى الثانى فيقول : كيف خص الأكم بشدة الحر والمكان الضاحى للشمس أولى بأن يكون أحر ، ولأكمة ظل ، وهو أبرد من المكان الذى لا ظل له ؟ فهذا أيضاً خطأ ، والذى عنى أبو الطيب أن كل شيء يعاديه حتى خشى أن الأكم التى لا تعقل تعاديه ، ويريد بذلك : البالغة ، وإن لم يكن ثم عداوة .

فَلَوْ أَنِّي حُصِدْتُ عَلَى نَفِيسٍ لَجَدْتُ بِهِ لَذِي الْجَدِّ الْعَثُورِ^(١)
وَلَكِنِّي حُصِدْتُ عَلَى حَيَاتِي وَمَا خَيْرُ الْحَيَاةِ إِلَّا سُرُورِ^(٢)
فَيَا ابْنَ كَرُوسٍ يَا نِصْفَ أَعْمَى وَإِنْ تَفَخَّرْ فَيَا نِصْفَ الْبَصِيرِ^(٣)
تُعَادِينَا لِأَنَّا غَيْرُ لُكْنٍ وَتُبَغِضُنَا لِأَنَّا غَيْرُ عُورِ^(٤)
فَلَوْ كُنْتَ أَمْرًا يُهْجَى هَجُونًا وَلَكِنْ ضَاقَ فِترٌ عَنْ مَسِيرِ^(٥)

(١) و (٢) النفيس : تقيض الحسيس : والجد العثور أو العائر ؛ الحظ التعس الذي يتعرّض صاحبه ويعانى العناء في سعيه : يقول : لو حصدني الناس على شيء نفيس يرغب فيه لجدت به على المحروم والمهروب منهم ، ولكنهم إنما يحسدوني على حياتي مع أنها ليست بالشئ الذي يحسد عليه ويرغب فيه لأنها خلو من السرور ، وإلا لجدت بها عليهم أيضاً كي أستريح منهم ومن شرورهم : وقال بعض الشراح : يعني حصدوني على سروري وأنسى وأرادوا أن أكون محزوناً أبداً ، وإذا طلبوا ذلك فكأنهم طلبوا موتي ، فإن حياة الحزين موت : وكفى بالحياة عن السرور لأن الحياة إذا عدم منها السرور لم تكن حياة : هذا : وقوله : لذى الجد العثور ، يروي لذا الجدد العثور : أي لهذا الجد العثور ، يعني لجدت به لهم لما أنا فيه من الحظ النحوس .

(٣) هذا ابن كروس كان أعور ، وكان يعاديه ، ومن ثم سماه نصف أعمى ونصف بصير لأنه باعتبار العين الذاهبة نصف أعمى ، وباعتبار الباقية نصف بصير ، يعني إن غرت يبصرك فأنت ذو بصر واحد.

(٤) يقول : إنما تعادينا لما بيننا من الضادة لأنك ألكن - ثقل اللسان - وأنا فصيح ؛ وأنت أعور وأنا بصير .

(٥) يقول : لحستك لا مجال للشعر فيك ، فإن الهجاء يرتفع عن قدرك والفتور يضيق مقداره عن المسير فيه ، كذلك أنت : ليس لك عرض يهجي ومثل هذا قول القائل .

بما أهجوك لا أدري لسانى فيك لا يجرى
إذا فكرت في عرضك أشفقت على شعري

وقال يمدح أبا محمد الحسين بن عبد الله بن طفج :

وَوَقْتُ وَفَى بِالذَّهْرِ لِي عِنْدَ وَاحِدٍ وَفَى لِي بِأَهْلِيهِ وَزَادَ كَثِيرًا^(١)
شَرِبْتُ عَلَى اسْتِحْسَانِ ضَوْءِ جَبِينِهِ وَزَهْرٍ تَرَى لِلْمَاءِ فِيهِ خَرِيرًا
غَدَا النَّاسُ مِثْلِيهِمْ بِهِ لَا عَدِمَتْهُ وَأَصْبَحَ ذَهْرِي فِي ذَرَاهُ دُهُورًا^(٢)

وقال وقد كره الشرب وكثر البخور وارتفعت رائحة الند والأصوات بمجلسه :

أَنْشَرُ الْكِبَاءَ وَوَجْهَ الْأَمِيرِ وَصَوْتُ الْفَنَاءِ وَصَافِي الْخُمُورِ^(٣)
فَدَاوِ خُمَارِي بِشُرْبِي لَهَا فَإِنِّي سَكِرْتُ بِشُرْبِ الشُّرُورِ^(٤)

(١) يقول : إن وفقى عنده يفي بالدهر كله ويعادل ، كما أن المدوح يفي بأهل الدهر ويزيد عليهم . وقوله : عند واحد ، يروى : عند سيد .

(٢) في ذراه : في كنفه . يقول : إنه لعظمة شأنه يعادل بالناس كلهم ، فالناس به ضعفا مأم عليه ، ودهره عظيم القدر به ، فصار به الدهر دهوراً .

(٣) النشر : الرائحة الطيبة . والكباء : العود الذي يتبخر به . ونشر : مبتدأ ، خبره محذوف للعلم به ، كأنه يقول : آتجتمع هذه الأشياء لأحد كما اجتمعت لي ؟ قال بعض الشراح : يعني : لا تجتمع هذه الأشياء لأحد ولا يشرب إلا كان معدوم الحس . وقال بعض الشراح : إن الواو — في قوله : وصافي الخمر — للمصاحبة ، سد العطف بها مسد الجر ، كما في قولهم : كل رجل وضعته .

(٤) يقول : إني قد سكرت من سروري حين اجتمعت لي هذه الأشياء فداو خماري والخمار : صداع الخمر — بشرب الخمر ، أي إنما أريد شرب الخمر ، لأنفي الخمار ، لا للسكر ، فإنني سكران من السرور . وعبارة بعض الشراح : قوله : بشربي ، صلة خماري والنعني : لا تزدني من الخمر ، ولكن التمس لي دواء من سكرى بها ، فإنني قد سكرت من سروري بهذه الأشياء ، فلا أحتمل سكرًا آخر

وقال أبو محمد يوماً : إن أباه استخفى مرة ، فعرفه رجل يهودى فقال :

لَا تَلُومَنَّ الْيَهُودِيَّ عَلَى أَنْ يَرَى الشَّمْسَ فَلَا يُنْكِرُهَا^(١)
إِنَّمَا اللُّومُ عَلَى حَاسِبِهَا ظُلْمَةٌ مِنْ بَقْدِمَا يُبْصِرُهَا^(٢)

وسئل عما ارتجله فيه من الشعر ، فأعاده ، فعجبوا من حفظه إياه فقال :

إِنَّمَا أَخْفَظُكَ دِيحَ بَعِيْنِي لَا بِقَلْبِي لِمَا أَرَى فِي الْأَمِيرِ^(٣)
مِنْ خِصَالٍ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظَّمْتُ لِي غَرَائِبَ الْمَشْهُورِ^(٤)

(١) و (٢) روى هذان البيتان برفع القافية ونصبها ، فالرفع على الاستثناف ، والنصب عطف على يرى ؛ وإذن : يروى البيت الثانى من بعد أن يصورها . يقول : لا يلام من رأى الشمس وقال : هذه شمس ، لا ، إنما اللوم على من رآها وقال : هذه ظلمة وضرب ذلك مثلاً . يقول : إن أباه شمس فلا يستطيع الاختفاء ، لأن الشمس لا تخفى ؛ ومثله للعكوك :

سما فوق الرجال فليس يخفى وهل فى مطلع الشمس التباس ؟
(٣ و ٤) من خصال : بيان لقوله لما أرى . يقول : لا أحتاج إلى حفظ مدائمه بقلبي لحضور معانيها أمام عيني ؛ وهى ما أراه من خصال الأمير ، فإني كلما نظرت إليها هيأت لى ما أنظمه فيها من غرائب المشور فأنتطق به ؛ أو تقول : أنا أشاهد بعيني ما أمدح به الأمير من خصال إذا نظرت إليها نظمت غرائب المشور ، فبيني تنظم فضائله لأنها تدركها وتشاهدها ، لا قلبي ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :
وحاكة شِعْرِ حَسَنُوا الْقَوْلَ مِنْهُمْ وَمِنْكَ وَأَفْعَالُكَ أَمْتَارُ حُسْنِهِ
ومثله لابن المعتز :

إذا ما مدحناه استمعنا بفعله لناخذ معنى مدحه من فعاله

وعاتبه أبو محمد على تركه مدحه فقال :

تَرَكَ مُدْحِيكَ كَالهَجَاءِ لِنَفْسِي وَقَلِيلٌ لَكَ اللَّدِيحُ الْكَثِيرُ^(١)
غَيْرَ أَنِّي تَرَكْتُ مُقْتَضِبَ الشَّعْرِ لِأَمْرِ مِنْهُ لِي بِهِ مَعْدُورٌ^(٢)
وَسَجَايَاكَ مَا دَحَانُكَ لَا لَفْظِي وَجُودٌ عَلَى كَلَامِي يُغَيِّرُ^(٣)
فَسَقَى اللَّهُ مَنْ أَحَبُّ بِكَفَيْكَ وَأَسْفَاكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ^(٤)

* * *

(١) مدحيك : أى مدحى إياك. وقوله: وقليل لك اللدیح الكثير ، من قول إسحاق ابن إبراهيم الموصلى :

إذا استكثر الحساد ما قيل فيكم فإن الذى يستكثرون قليل

(٢) المقتضب — هنا — مصدر بمعنى الاقتضاب ، وهو فى الأصل : الاقتطاع والمراد : ما أتى به بديها . هذا : ولم يبين للتبلى ذلك العذر الذى اعتذر به فى ترك الشعر ، كأنه كان عذرا واضحا قد عرفه المدوح فأهمل ذكره .

(٣) ينول : إنما بمدحك ما فيك من الأخلاق الحميدة التى أراها فأتعلم المدح منها ، والجود الذى يستغرق كلامى فى وصفه حتى كأنه يغير عليه وينبه ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :

ولا مدح ما لم يمدح المرء نفسه بأفعال صدق لم تشنها الخسائس

(٤) سقاء الله وأسقاء : أسطر بلاده ، لغتان نطق بهما القرآن الكريم ، قال تعالى :

« وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا » . وقال سبحانه : « وسقام ربهم شرابا طهورا » يقول : سقى الله أحبائى غيث كفيك حتى يخلصوا بجمودك ، وسقائك غيثه حتى تتاح لهم السقيا بسقيائك .

وقال عند منصرفه من مصر وقد وصل إلى البسيطة ، فرأى بعض غلمانه ثوراً فقال : هذه منارة الجامع ، ورأى آخر نعامة في البرية فقال : هذه نخلة ؛ مضحك أبو الطيب وقال :

بُسَيْطَةٌ مَهْلًا سَقِيتِ الْقَطَارَا تَرَكَتِ عُمُونَ عَبِيدِي حَيَارَى^(١)
فَظَنُّوا النَّعَامَ عَلَيْكَ النَّخِيلَ وَظَنُّوا الصُّوَارَ عَلَيْكَ الْمَنَارَا^(٢)
فَأَمْسَكَ صَحْبِي بِأَكْوَارِهِمْ وَقَدْ قَصَدَ الضُّحْكَ فِيهِمْ وَجَارَا^(٣)

وقال يمدح على بن أحمد بن عامر الأنطاكي :

أَطَاعِنُ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ
وَحِيدًا وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَيِّ الصَّبْرُ^(٤)
وَأَشْجَعُ مِنِّي كُلِّ يَوْمٍ سَلَامَتِي
وَمَا ثَبَّتَتْ إِلَّا وَفَى نَفْسِهَا أَمْرُ^(٥)

(١) بسيطة : موضع بقرب الكوفة ؛ والقطار : جمع قطرة ، أى قطر المطر ، وحيارى : جمع حيران .

(٢) عليك — فى الشطرين — حال من المنسوب قبله ، والصوار : القطيع من البقر ، والمنار : منارة الجامع — المثناة :

(٣) الأكوار : الرجال ، وقصد : اقتصد ، وجار : مال . يقول : أمسك أصحابي برحالم لأنهم لم يملكوا أنفسهم من الضحك وقد ذهب الضحك فيهم كل مذهب فمنهم من اقتصد ومنهم من أفرط فيه .

(٤) وحيدا حال من فاعل أطاعن ، وقوله : ما قولى ، استفهام ، وكذا مفعول قولى يقول : أنا أقاتل فرسانا الدهر أهدم : أى أتى أقاتل الدهر وأحداثه وحيدا لا ناصر لى ثم رجع عن هذا وقال : لم أقول لى وحيد والصبر مئى ؟ يريد مقاساته شدائد الدهر ونوبه وصبره على ذلك وهذا ينظر إلى قول ابن الرومى :

* فَإِنِّى مِنْ زَمَانِى فِي حُرُوبِ *

(٥) يقول : إن سلامتى وبقاها مئى فى هذه الطاعنة أشجع مئى ، وهذا مجاز ،

تَمَرَّسْتُ بِالْآفَاتِ حَتَّى تَرَكَتُهَا
تَقُولُ أَمَاتَ الْمَوْتُ أَمْ ذُعِرَ الذُّعْرُ^(١)
وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْآتِيِّ كَأَنِّي لِي
سِوَى مُهْجِي أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وَتَرُ^(٢)
ذَرِ النَّفْسَ نَحْذُ وَنُسَمَّا قَبْلَ بَيْنِهَا
مُفْتَرِقُ جَارَانِ دَارُهُمَا الْعَمْرُ^(٣)
وَلَا تَحْزَنَنَّ الْمَجْدَ زَقًا وَقَيْنَةً
فَا الْمَجْدُ إِلَّا السَّيْفُ وَالْفَتَكَةُ الْبَكْرُ^(٤)

يريد أنى اسم من هذه الأحداث فلا تصينى بسوء ، ثم قال : وما بقيت سلامتى إلا لأمر عظيم ، يعنى ليس بقاى وسلامتى إلا لأمر عظيم سيظهر على يدي .
(١) تمرس بالشئ : احتك به . والآفات : جمع آفة ، وهى فى الأصل العاهة والمراد هنا : ما يصيب من يتصدى للأخطار والمهلك من قتل وجراحة ونحوهما ، والذعر : الخوف . يقول : تمرست بالآفات فى الأسفار والحروب حتى تعجبت من سلامتى وتجلدى لها وقالت : هل مات الموت إذ لم يصب هذا التمرس بى ، أو خافت المخاوف فلا تخيفه ؟ يريد أن الآفات لو كانت ممن ينطق لقاتل هذا القول لكثرة ما ترانى أمارسها من غير خوف يلحقى ولا هلاك يصينى .

(٢) الآتى : السيل الذى لا يرد شئ ، والوتر : الذحل والثأر . يقول : أقدمت على الشدائد والأهوال إقدام السيل الذى لا يرد شئ ، حتى كأن لى سوى نفسى نفساً أخرى إن ذهبت نفسى كانت لى بدلاً أو كأن لى ثأراً عند نفسى فأنا أريد إهلاكها .
(٣) ذر : بمعنى دع ؛ وتروى : دع ؛ والوسع : الطاقة . ومفترق : مبتدأ ، سد المرفوع بعده مسد الخبر ، جرى فيه على مذهب من لا يلتزم اعتماد الوصف . جعل الجسم والروح جارين والعمر دارهما ، وصحبتهما تكون مدة العمر ، فإذا فنى العمر افترقا . يقول : دع نفسك تأخذ ما تطيق مما تصبو إليه نفسك من لذة أو مال أو سلطان فإنها غير باقية مع الجسد . قال العكبرى : وهذا من أحسن الكلام ، وهو من الحكمة . قال الحكميم : من قصر عن أخذ لذاته عدمها وعدم صحة جسمه .

(٤) الزق : وعاء الحجر . والقينة هنا : المغنية . والفتكة : المرة من الفتك وهو

وَتَضْرِبُ أَغْصَانِ الْمُلُوكِ
لَكَ الْهَبَوَاتُ السُّودُ وَالْعُسْكَرُ الْمَجْرُ^(١)
وَتَرْزُكُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا
تَدَاوُلُ تَمَعِ الْمَرْءِ أُنْمَلُهُ الْقَشْرُ^(٢)
إِذَا الْفَضْلُ لَمْ يَرْفَعَكَ عَنْ شُكْرِ نَاقِصٍ
عَلَى هَبَةٍ فَالْفَضْلُ فِيمَنْ لَهُ الشُّكْرُ^(٣)

البطش ، والبكر من كل شيء ، الذي لم يسبقه نظير . يقول : لا تظنن المجد والشرف أن تلهو بشرب الخمر وسماع القيان ، لا — فليس المجد إلا ضرب السيف والبطش بالأعداء بطشاً لم يسمع بمثله .

(١) وتضرب : عطف على السيف . والهبوات : جمع هبوة ، وهي الغبرة العظيمة والمجر : الجيش الكثير . وأن ترى لك الهبوات السود : أى أن تثير الغبار بمخوافر الحيل لدى الطعان والنزال .

(٢) الدوى : الصوت العظيم يسمع من الريح وخفيف الأشجار . وتداول — بجذف إحدى التائين — أى تداول ، ولك أن تقرأها على أنها فعل ماض ؛ والأتمل : رؤوس الأصابع . يقول : وأن تترك في الدنيا جلبة وصياحا عظيماً — جلبة المساعي الجسام وصياح الأفاعيل العظام — كأن المرء سد مسامعه بأنامله على وجه التداول : إذا أنأى واحدة أدنى أخرى ، وذلك أن الإنسان إذا سد أذنه سمع ضجيجاً وجلبة ، وعبرة الواحدى : يريد أنه لا يسمع إلا الضجة حتى كأنه سدمسامعه عن غيرها ونقل بعضهم هذا المعنى ، وجعل ذلك خريز دموعه فقال :

فَاخْشُ صِمَاخِيكَ بِسَبَابَتِي كَفَيْكَ تَسْمَعُ لِدُمُوعِي خَرِيرًا

قال العكبرى : وهكذا من يتعرض لمعانى التنبي يجمى شعره أبرد من الزمهرير (٣) يقول : إذا لم يرفعك فضلك عن أخذ هبة الناقص وشكره عليها ، فالفضل حينئذ له ، لا لك ، لأنه قد استوجب شكره ، فصار له عليك فضل الشكور على الشاكر . يشير إلى الترفع عن هبة الناقص والتزهد عن الأخذ منه حتى لا يحتاج إلى أن تشكره . وهذا المعنى يتضمن الحض على أن يحترم الأديب نفسه وأن يربأ بأدبه

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ
مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي قَعَلَ الْفَقْرُ^(١)

عن أن يسف به . قال العكبري : وهذا من كلام الحكمة . قال الحكيم : من لم يرفع نفسه عن قدر الجاهل ، يرفع قدر الجاهل عليه ، وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

عَيَّاشُ إِنَّكَ لِلثِّيمِ وَإِنِّي إِذْ صَرْتُ مَوْضِعَ مَطْلَبِي لِلثِّيمِ
وقد ذهب ابن جني في تفسير البيت مذهباً أثار عليه نقد سائر الشراح قال : إذا اضطرتك الحال إلى أن تشكر أصاغر الناس على ما يتبلغ به فالفضل فيك ولك لالدوح المشكور . . . قال العروضي — مشعباً — يقول أبو الطيب فالفضل فيمن له الشكر : ويقول أبو الفتح : فالفضل فيك ولك ؟ فتغير اللفظ وفسد المعنى ؛ والذي أراد التنبي أن الفضل والأدب إذا لم يرفعاك عن شكر الناقص على هبة فتمدحه طمعاً وتشكره على هبته ، فالناقص هو الفاضل لا أنت ، يشير إلى الترفع عن هبة الناقص والتزهد عن الأخذ منه حتى لا تحتاج إلى أن تشكره . . . وقال ابن فورجة : الذي أراد أبو الطيب أنه إذا كان الفضل لا يرفعك عن شكر ناقص على إحسان منه إليك ، فإن الفضل لمن شكرته لا لك لأنك محتاج إليه : يعني أن الغنى خير من الأدب ، يريد إذا كان الأديب محتاجاً إلى الغنى ، فالغنى أنه يحرض على ترك الانبساط إلى الثيم الناقص حتى لا يشكر فيكون له الفضل . وقال الواحدى : الذي أدخل الشبهة على أبي الفتح أنه تأول في قوله : فالفضل فيمن له يريد الشاكر ، فالشاكر له الشكر من حيث إنه يشكر ، فذهب إلى هذا فأفسد المعنى . وإنما أراد أبو الطيب بقوله من له الشكر : المشكور على إحسانه .

(١) يقول : من يجمع للمال خوف الفقر كان ذلك هو الفقر ، لأنه إذا جمع حرم ، والحرمان فقر . وعبرة الخطيب : إذا أفنيت دهرَكَ في جمع المال ولم تنفقه فقد مضى عمرَكَ في الفقر . فمضى يكون غناك ؟ فقد تعجلت الفقر . قال العكبري : وهذا البيت من أحسن الكلام وبديعه ، وهو من كلام الحكمة . قال الحكيم : من أفنى مدته في جمع المال خوف الفقر والعدم فقد أسلم نفسه للعدم . ويقول قائلهم :

أَمِنْ خَوْفِ فَقْرٍ تَعَجَّلْتَهُ وَأَخَّرْتَ إِفْثَاقَ مَا تَجَمُّعُ
فَصِرْتَ الْفَقِيرَ وَأَنْتَ الْغَنِيُّ فَمَا كَانَ يَنْفَعُ مَا تَصْنَعُ

وقال آخر :

عَلَى لِأَهْلِ الْجَمُورِ كُلِّ طَيْرَةٍ عَلَيْهَا غُلَامٌ مِنْ حَيْزُومٍ غَيْرِ^(١)
يُدِيرُ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمْ كُؤُوسُ الْمَنَآيَا حَيْثُ لَا تُشْتَهَى الْحَرُّ^(٢)
وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ جُبْتُ تَشْهَدُ أَنَّ جِبَالَ وَبَحْرٍ شَاهِدٌ أَنَّ الْبَحْرَ^(٣)
وَحَرْقٍ مَكَانُ الْعَيْسِ مِنْهُ مَكَانُنَا
مِنْ الْعَيْسِ فِيهِ وَاسِطُ الْكُورِ وَالظَّهَرُ^(٤)

يُخَوِّفُنِي بِالْفَقْرِ قَوْمِي وَمَا دَرَوْنَا أَنَّ الَّذِي فِيهِ أَفَاضُوا هُوَ الْعَسْرُ
فَقُلْتُ لِمَ لِمَا لَحُونِي وَأَكْثَرُوا أَلَا إِنْ خَوْفُ الْفَقْرِ عِنْدِي هُوَ الْفَقْرُ
وَقَالَ لَتَمَانِ الْحَكِيمِ : مَنْ دَافَعَ الْفَقْرَ بِالْقُلُوبِ قَبْلَ الْفَقْرِ قَدَّ تَجَبَلَ الْفَقْرُ .
(١) الْجَمُورُ : الظَّلم . وَالطَّيْرَةُ : الْفَرَسُ الْوَتَابَةُ نَشَاطٌ وَمَرَا حَا : وَالْحَيْزُومُ :
الصدر ، وَالغَمَرُ : الْحَقْدُ . يَقُولُ : يَحِقُّ عَلَيَّ أَنْ أُسَوِّقَ إِلَى أَهْلِ الظَّلمِ عَسْكَرًا لِحَا فِيهِ
كُلُّ فَرَسٍ نَشِيطٌ يَحْمِلُ فَارِسًا قَدْ امْتَلَأَ صَدْرُهُ حَقْدًا عَلَيْهِمْ وَغِيظًا وَحَقًّا فَلَا تَأْخُذْ بِهِمْ
رَافَةً . وَعِبَارَةٌ جَمِيعُ الشَّرَاحِ : أَنَا كَفِيلٌ بِغَيْلِ فَرَسَانِهَا هَؤُلَاءِ .
(٢) يَدِيرُ : أَيْ التَّلَامُ . يَقُولُ : يَدِيرُ عَلَيْهِمْ كُؤُوسُ الْمَوْتِ حِينَ لَا تُشْتَهَى الْحَرُّ وَلَا
تَرَادُ لَهْوُ مَا فِيهِ مِنَ الْقِتَالِ ، وَلِنَا الْحَرُّ تُشْتَهَى عِنْدَ وَقْتِ الْفَرَجِ وَالْأَرْهِيَّةِ وَالْفَرَاغِ .
(٣) جِبْتُ : قَطَعْتُ . يَقُولُ : كَمْ مِنْ جِبَالٍ تَشْهَدُ لِي بِالْأَنَاءَةِ وَالْوَقَارِ ، وَبِحَارٍ تَشْهَدُ
لِي بِسَعَةِ الصَّدْرِ وَالسَّخَاءِ ؟ وَلَهُ يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ .

فَقِي لَا يَرَاهُ الْبَحْرُ إِلَّا أَظْلَهُ خَوَاطِرُ فِكْرٍ أَنَّهُ زَاخِرُ الْبَحْرِ
(٤) وَحَرْقٍ : عَطَفَ عَلَى جِبَالٍ ؛ وَالْحَرْقُ : الْمَفَازَةُ الْوَاسِعَةُ ؛ وَمَكَانُ الْعَيْسِ مَبْتَدَأُ
وَمَكَانُنَا : خَبْرُهُ . وَوَاسِطُ الْكُورِ بَدَلٌ مِنْ مَكَانُنَا . وَالْعَيْسُ : الْإِبِلُ ، وَوَاسِطُ الْكُورِ
مَقْدَمُ الرَّحْلِ وَالضَّمِيرِ فِيهِ وَفِيهِ : لِلْحَرْقِ . وَقَالَ ابْنُ الْقَطَّاعِ : مَكَانُ الْعَيْسِ : مَبْتَدَأُ
وَمَكَانُنَا : ابْتِدَاءُ ثَانٍ ، وَوَاسِطُ الْكُورِ : خَبْرُ الْإِبْتِدَاءِ الثَّانِي ، وَالْجُمْلَةُ خَبْرُ الْأَوَّلِ .
يَقُولُ : لِسَعَةِ هَذَا الْحَرْقِ وَطُولِ مَسَافَتِهِ وَتَرَامِي أَطْرَافِهِ كَانَتْ إِبِلُنَا كَأَنَّهَا لَا تَنْتَقِلُ عَنْ
ظَهْرِهِ وَلَا تَزَالُ مَتَوَسِّطَةً لَهُ ، كَمَا أَنَّا كُنَّا عَلَى ظُهُورِ إِبِلِنَا لَا نَنْتَقِلُ عَنْهَا وَلَا نَزَالُ مَتَوَسِّطِي
ظُهُورِهَا ؛ وَهَذَا اللَّعْنُ مِنْ قَوْلِ ذِي الرِّمَةِ :

وَمَهْمَتُهُ فِيهِ السَّرَابُ يَلْسَحُ يَذَّابُ فِيهِ الْقَوْمُ حَتَّى يَطْلَحُوا
ثُمَّ يَظْلُونَ كَأَنَّ لَمْ يَبْرَحُوا كَأَنَّمَا أَمْسَوْا بِحَيْثُ أَصْبَحُوا

يَخْدُنَ بِنَا فِي جَوْزِهِ وَكَأَنَّمَا عَلَى كُرَّةٍ أَوْ أَرْضُهُ مَعَنَا سَفَرٌ (١)
وَيَوْمَ وَصَلْنَاهُ بِلِيلٍ كَأَنَّمَا عَلَى أَفْقِهِ مِنْ بَرْقِهِ حُلٌّ مُجَرٌّ (٢)

وقال ابن جني : الإبل كأنها واقفة لا تذهب ولا تجيء لسعة هذا الحرق ، فكأنها ليست تبرح منه ؛ فكما نحن في ظهور العيس لا نبرح منها في أوساط أكوارها : كذلك هي كأن لها من أرض هذا الحرق كورا وظهرا فقد أقامت به لا تبرحه . . . قال الواحدى — ناقدآ — : وقد غلط ابن جني فيما ذكر ، إنما يصف مفازة قد توسطها ، فهو على ظهر البعير في جوزه — وسطه — فكأنه من ظهر الناقة مكانها من الحرق ، والمعنى : أنا في وسط ظهور الإبل ، والإبل في وسط ظهر الحرق ! ولم يتعرض في هذا البيت لوقوفها ولا لبراحها ، ثم ذكر سيرها في البيت الثاني فقال : يخدن بنا الخ : فكيف يتجه قول ابن جني مع قوله يخدن بنا ؟ وهذا يحتمل معنيين : أحدهما : إنا وإن كنا نسير فكأننا لا نسير لطول المفازة ، وإنه ليس لها طرف كالكرة لا يكون لها طرف ينتهى إليه والثاني إنه يصف شدة سيرهم : والكرة توصف بشدة الحركة كقول بشار :

كَأَن فَوَادَى كُرَّةً تَنْزَى حِذَارَ الْبَيْنِ لَوْ نَفَعَ الْحِذَارُ

(١) يخدن : يسرن سيرا سريعا ، وجوزه : وسطه ، وسفر أى مسافرة . يقول : إن إبلنا كانت تسير بسرعة في هذا الحرق ولا تبلغ آخره فكأننا نسير على كرة — والكرة ليس لها طرف تنتهى إليه — أو كأن أرض هذا الحرق تسير معنا فلا تقطعها ولا نفوتها ، وهذا ، كما يقول السرى الرفاء :

وَحَرَقٌ طَالَ فِيهِ السَّيْرُ حَتَّى حَسِبْنَاهُ يَسِيرُ مَعَ الرَّكَّابِ

وإذا أسرع الإنسان في السير رأى الأرض كأنها تسير معه من الجانبين ، لهذا قال : أو أرضه معنا سفر ، يعنى نحن نسير بسرعة ولا نبليغ مدى هذا الحرق ، فكأنه يسير معنا ، كما قال أبو النجم :

فَكَأَن أَرْضَ اللَّهِ سَائِرَةٌ مَعَنَا إِذَا سَارَتْ كِتَابُهُ

(٢) ويوم : عطف على ما تقدم ، والضير في أفقه : ليل ، وليس ليل أفق ، وإنما أراد أفق السماء في ذلك الليل : أى ناحيتها . يصف إدآبهم السير ووصلهم فيه اليوم بالليل . وقوله : كأنما على أفقه الخ : مثله قول ابن ميادة :

وَأَلَيْسَ عُرْضُ الْأَفْقِ ثَوْبًا كَأَنَّهُ عَلَى الْأَفْقِ الْقَرْبَى ثَوْبٌ مُصْفَرٌّ

(١٧ — المتنبي ٢)

وَلَيْلٍ وَصَلْنَاهُ يَوْمَ كَأَنَّمَا
عَلَى مَتْنِهِ مِنْ دَجْنِهِ حُلَّ خُضْرٍ^(١)
وَعَيْثُ ظَنَنَّا تَحْتَهُ أَنَّ عَامراً
عَلَا لَمْ يَمُتْ أَوْ فِي السَّحَابِ لَهُ قَبْرٌ^(٢)
أَوْ ابْنُ ابْنِهِ الْبَاقِي عَلَى بَنِّ أَحْمَدِ
يَجُودُ بِهِ لَوْ لَمْ أَجْزُ وَيَدِي صِفْرٍ^(٣)

ومثله ليحيى بن الفضل :

حتى إذا ما الفجر لاح كأنه ثوب على أفق السماء مُعْصَفَرٌ
(١) متنه : ظهره ؛ والدجن : الظلمة . وأراد به الغيم ، والدجن : إلباس الغيم
السماء . يقول : كأن على متن ذلك اليوم من ظلمة السحاب حلالاً سوداء ، والسواد يسميه
العرب خضرة ، قال ذو الرمة :
في ظلٍّ أخضرَ يدعوهامهُ اليومُ *

أو يريد أنه سافر في أيام الربيع والأرض خضراء .
(٢) قوله تحت : حال من ضمير المتكلمين . يقول : ورب مطر ظنتاه ونحن تحت
أن عامراً - وهو جد الممدوح - في السحاب ارتفع إليه ولم يمُت ، فهذا المطر من جوده ،
أو أن قبره في السحاب فأعداه بجوده . وقبر : معطوف على خبر أن ، تقديره : علام لم يمُت
أو أن له قبراً في السحاب .
(٣) ابن : عطف على عامراً ، والباقي : نعت ابن ، وسكنه ضرورة ، وصفرت اليد
فهي صفر ، ولا يقال صفرة . يقول : لو لم أعبر هذا الغيث وبدي خالية لقلت : إن ابن
ابنه - يعني الممدوح - كان في السحاب ، وهو الذي يجود بذلك الغيث ، ولكن لما
عبرت وبدي خالية علمت أنه جود - بفتح الجيم : أي مطر - لا جود ، لأن عادته أن
يملا يدي بالهبات .

والبيتان من قول أبي تمام :

وراحة مُزَنَّةٍ هطلاء تهى مواهرها وهن على سكب
فقلت يد السماء أم ابن وهب تجلى للندى أم عاش وهب ؟

وَإِنْ سَحَابًا جَوَدَهُ مِنْهُ جُودِهِ سَحَابٌ عَلَى كُلِّ السَّحَابِ لَهُ فَخْرٌ^(١)
فَتَى لَا يَضُمُّ الْقَلْبُ هِمَاتِ قَلْبِهِ وَلَوْ ضَمَّهَا قَلْبٌ لَمَا ضَمَّهُ صَدْرٌ^(٢)
وَلَا يَنْفَعُ الْإِمْكَانُ لَوْلَا سَخَاؤُهُ
وَهَلْ نَافِعٌ لَوْلَا الْأَكْفُ الْقَنَّا السُّمُرُ^(٣)
قِرَانٌ تَلَاقَى الصَّلْتُ فِيهِ وَعَامِرٌ كَمَا يَتَلَاقَى الْهِنْدُوَانِيُّ وَالنَّصْرُ^(٤)

(١) الجود - بفتح الجيم - المطر . يقول : إن السحاب الذى يشبه مطره بسخائه يحق له أن يفخر على جمع السحب .

(٢) يقول : إن ما توافر فى قلبه من الهم لا يجمعه قلب غيره ، ولو ضمها قلب أحد لكان عظيماً مثلها ، ولو كان كذلك لما وسعه الصدر لعظم القلب قال الواحدى : وهذا مما أجرى فيه المجاز مجرى الحقيقة ، لأن عظم الهمة ليس من كثرة الأجزاء حتى يكون محلها واسعاً لسعتها ألا ترى أن قلب المدوح قد وسعها وصدره قد وسع قلبه وليس بأعظم من صدره غيره ؟ وقد قال ابن الرومى :

كَضَمِيرِ الْفَوَادِ يَلْتَهُمُ الدُّنْيَا وَتَحْوِيهِ دَقَّتْ حَزْزُومُ

فبين أن الفؤاد يستغرق الدنيا بالعلم والفهم ثم يحويه جانباً الصدر :

(٣) المراد بالإمكان : اليسر والغنى ؛ والقنا : الرماح . يقول : لولا سخاؤه لما اتبع الناس بغناه ، لانه قد يكون الغنى مع الشح فلا ينفع ، لأن المال لا ينفع إلا مع السخاء الذى يصرفه فى المنافع ؛ والمعنى أن الوجود لا ينفع بلا جود ، كالرماح لا تعمل ولا تنفع بدون الأيدي الطاعنة بها . كما يقول البحتري :

إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَامِلٌ فَلَا قَطْعَ إِنَّ الْكَفَّ لَا السَّيْفَ تَقَطَّعُ
ويقول أيضاً :-

فَلَا تَغْلِيَنَّ السَّيْفَ كُلَّ غَلَاثِهِ لِيَمْضَى فَإِنَّ الْكَفَّ لَا السَّيْفَ تَقَطَّعُ

(٤) الصلت جد المدوح لأمه ، وعامر جده لأبيه . وقوله قران : لك أن تجعله مرفوعاً بفعل مضمر تقدير أنجب به قران هذه حاله ، مثلاً ؛ والقران فى الأصل : اسم لقارنة الكوكبين . جعل جدية من الطرفين فى المصاهرة ونسب المدوح كقران الكواكب تعظيماً له ، ثم شبه اجتماعهما . باجتماع السيف الهندى مع النهر ، فإذا اجتمعا حسن أثرهما وعلا أمرهما وبلغا غاية العز والمجد ، ثم ذكر تمام المعنى فيما يلى .

فَجَاءَ بِهِ صَلَّى الْجَبِينِ مُعْظَمًا تَرَى النَّاسَ قُلًّا حَوْلَهُ وَهُمْ كَثُرُ^(١)
 مُغْدَى بِآبَاءِ الرِّجَالِ سَمِيذَعًا هُوَ الْكِرَامُ الَّذِي مَالَهُ جَزَرُ^(٢)
 وَمَا زِلْتُ حَتَّى قَادَنِي الشُّوقُ نَحْوَهُ يُسَايِرُنِي فِي كُلِّ رَكْبٍ لَهُ ذِكْرُ^(٣)
 وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ فَلَمَّا التَّقِينَا صَغَرَ الْخَبَرُ الْخَبَرُ^(٤)
 إِلَيْكَ طَعْنًا فِي مَدَى كُلِّ صَفْصَفٍ بِكُلِّ وَاقَةٍ كُلُّ مَا لَقِيتَ نَحْرُ^(٥)

(١) جَاءَ بِهِ : أى الجدان المذكوران ؛ ويروى فجاء : أى القران : وصلت الجبين وضحته أو الواسع المستوى الجميل وهو حال . يقول : ترى الناس حولك وهم كثيرون في العدد ، قليلون بالقياس إليه . والقل : القلة ، والكثُر : الكثرة ؛ والتقدير : ذوى قل ، أى فى المعنى ، وهم ذوو كثرة فى العدد ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

إِن الْكِرَامَ كَثِيرٌ فِي الْبِلَادِ وَإِنْ قَلَوْا كَمَا غَيْرُهُمْ قُلٌّ وَإِنْ كَثُرُوا
 (٢) مغدى : حال أخرى ، كما أن معظمًا - فى البيت السابق - حال أولى : أى يقول له الرجال : فدينك بآبائنا ، والسميزع : السيد الكريم ؛ والد : زيادة الماء ؛ والجزر : نقصانه ؛ وجعله كرمًا - وهو مصدر - مبالغة لكثرة وجوده منه : أى هو ذو الكرم ذى المد : يقول : هو كرم زائد لا نقصان له .

(٣) خبر مازلت : يسايرنى ؛ والركب : جماعة الراكبين . يقول : مازلت يسايرنى فى كل ركب ذكره حتى قادنى الشوق إليه : أى أننى قبل أن أصل إليه كنت أسمع ذكره ، وما صاحبت أحداً إلا وهو يذكره بمدح وثناء ، وهذا ينظر إلى قول أبى تمام :

لَأَشِيءُ أَحْسَنُ مِنْ ثَنَائِي سَائِرًا وَنَدَاكَ فِي أَفْقِ الْبِلَادِ يَسَايِرُهُ
 (٤) الخبر : الخبرة والاختبار . يقول : كنت استعظم ما أسمع من الناس من أخباره وذكره الشائع قبل أن ألقاه ، فلما لقيته وخبرته صغر الاختبار الخبر : أى وجدته خيراً مما كنت أسمع . وهذا من قوله صلوات الله وسلامه عليه لزيد الحنبل وقد وفد عليه : « ما وصف لى أحد إلا رأيته دون الوصف سواك ، فإنك فوق ما وصفت لى » . ويقول القائل :

كَانَتْ مُحَادَّةَ الرِّكْبَانِ تَخْبِرُنِي عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ طَيْبَ الْخَبَرِ
 ثُمَّ التَّقِينَا فَلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ أَذْنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصْرِي
 (٥) الصفصف : الفلاة المستوية ؛ والوأة : الناقة القوية . جعل سير الناقة فى الفلاة

إِذَا وَرِمَتْ مِنْ لَسَعَةٍ مَرَحَتْ لَهَا
 كَانَ نَوَالاً صَرَ فِي جِلْدِهَا النَّبْرُ^(١)
 فَجِئْنَاكَ دُونَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ فِي النَّوَى
 وَدُونَكَ فِي أَحْوَالِكَ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ^(٢)
 كَانَكَ بَرْدُ الْمَاءِ لَا عَيْشَ دُونَهُ وَلَوْ كُنْتَ بَرْدَ الْمَاءِ لَمْ يَكُنِ الْهَيْشُ^(٣)

طعناً ، وجعل ما يقطعه من الأرض نحرأ : أى كل ما مرت به كأنه صدر طعناه بها ،
 يقول : أينما قصدت من الأرض قطعه وجازته لا تبالي بسهل ولا وعراً : بمنزلة الطعنة
 إذا أصابت نحرأ فإتها تنفذ فيه نفاذاً ذا أثر بالغ . قال الوندى : ويجوز أن يكون
 المعنى : كل ما لقيه هذه الناقة من مشاق الطريق نجر لها : أى يفعل بها فعل النحر ،
 فكأنها تنحر فى كل ساعة .

(١) النبر : دوية تلسع الإبل فيرم موضع لسعها . يقول : إذا لسع النبر هذه
 الناقة فورمت من أثر اللسع مرحت - نشطت واحتدت - فى سيرها حتى لكأنه صر فى
 جلدها نوالاً - عطاء - شبه موضع اللسعة المتورم بصرة فيها دنائير ودرام ، فكأنها
 مرحت لذلك وقالوا : إن النبر إذا لسع الجمل ورم مكان اللسعة حتى يصير مثل الرمانة
 الصغيرة ، فلذلك حسن تشبيهه بالصرة فى جلدها : يقول : إن الشدائد لا تقل حد
 مراحمها : أى أنها لا تبالي فى طريقها إلى المندوح بشئ ينالها .

(٢) يقول : جئناك وأنت دونهما فى البعد : أى أقرب إلينا مطلباً منهما وهما -
 الشمس والبدر - دونك فى جميع أحوالك ، فأنت أعم نفعا وأشهر ذكرأ وأعلى منزلة
 وقدرأ : أى أنك - على بعدك - فإن الوصول إليك والإفادة منك أقرب وأيسر . وقوله
 دون الشمس : حال من المخاطب ؛ والنوى : البعد . قال الخطيب : ولم يعبر
 عبارة جيدة .

(٣) العشر : أبعد أطماء الإبل ، وهو أن ترها يوماً وتدعه ثمانية أيام وترد اليوم
 العاشر أعطش ما تكون . يقول : لو كنت برد الماء لما غادرت غلة إلا أطفأتها حتى
 تستغنى الإبل عن معاودة الشرب ، وقال الواحدى : لو كنت الماء لوسعت بطبع الجود
 كل حيوان فى كل مكان وفى ذلك ارتفاع الأطماء . وقال ابن جنى : أى كانت تجاوز المدة
 فى وردها العشر لغنائها بعذوبتك وبردك .

دَعَانِي إِلَيْكَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْحَجَى وَهَذَا الْكَلَامُ النِّظْمُ وَالنَّائِلُ النَّسْرُ (١)
وَمَا قُلْتُ مِنْ شِعْرِ تَكَادُ بَيُوتُهُ إِذَا كُتِبَتْ يَبْيِضُ مِنْ نُورِهَا الْحَبْرُ (٢)
كَأَنَّ الْمَعَانِي فِي فَصَاحَةِ لَفْظِهَا نَجْمُومُ الثَّرَيَا أَوْ خَلَائِقُكَ الزُّهْرُ (٣)
وَجَنَّبَنِي قُرْبَ السَّلَاطِينِ مَقْتَهَا وَمَا يَقْتَضِينِي مِنْ جَمَاجِمَا النَّسْرُ (٤)
وَلَأِنِّي رَأَيْتُ الضَّرَّ أَحْسَنَ مَنَظَرًا وَأَهْوَنَ مِنْ مَرَأَى صَغِيرٍ بِهِ كِبَرُ (٥)

(١) يقول: دعاني إلى أن أتجمعك وأصمد إليك ما آثرك الله به من العلم والحلم والحجى - العقل - وما أعدده لك من منظومى في مدحك وما عهدناه فيك من النائل - العطاء - الذى تنثره نثرا على قاصديك ، وقيل يعنى بالكلام النظم : كلام المدوح ونظمه .

(٢) يروى قلت - بضم التاء - فيكون ذلك تأييداً لما ذهبنا إليه من تأويل البيت السابق ؛ ويروى بفتح التاء فيكون المعنى ماذهب إليه الواحدى ، قال : يقال إن هذا المدوح حسن الشعر مليحه . وقوله بيوته : أى آيات الشعر . وقوله يبيض من نورها : أى من نور معانيها ، أو من نور ما تضمنته من محاسنك . وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :

وَلِمَذْحِيكَ قُلْتُهَا كَلِمَاتٌ هُذِّبَتْ فِيكَ أَبَماً تَهْذِيبُ

سَوَّدَتْ فِيكَ كُلَّ بِيضَاءٍ تَسْوِيْدًا تَرَاهُ الْعُمُيُونُ كَالْتَهْذِيبِ

(٣) الخلائق : الأخلاق ؛ والزهر : جمع أزهر ، وهو المضيء للشرق . شبه معاني شعره في فصاحة ألفاظه بنجوم الثريا في اتساقها وجمالها ، وبأخلاق المدوح الزاهرة المشرقة في إشراقها وسطوعها وشهرتها .

(٤) يقتضينى يطالبنى . يقول . تنكبت السلاطين وتنحيت عن قصديهم لأنى أجتوهم وأمقتهم ولأنه بوى أن أعصف بهم وأقتلهم حتى أقدم لحومهم للنسور التى تترقب أكلها ، فهى تطالبنى بمجاهمهم ، وهو المتنبي يقول ذلك وأكثر من ذلك لطموحه وبعد مرتقى همته ، وإن كان كثيرون يعدون مثل ذلك من حماقة .

(٥) الضر هنا : الفقر وسوء الحال . يقول : إن معاناة الفقر والحاجة أهون عندي وأحب إلى من أن أرى أو ألقى صغيراً - حقيراً - متكبراً ويروى بدل مرأى : لثيا ، قال المعبرى : وهذا من قول الحكيم : أعظم ما على النفوس : إعظام ذوى الدناءة .

لِسَانِي وَعَيْنِي وَالْفَوَادُ وَهَمَّتِي
 أَوْدُ اللَّوَاتِي ذَا اسْمُهَا مِنْكَ وَالشُّطْرُ^(١)
 وَمَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشُّعْرِ كَلَّهُ
 وَلَكِنْ لِشَعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شِعْرُ^(٢)
 وَمَاذَا الَّذِي فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ رَوْنَقًا
 وَلَكِنْ بَدَأَ فِي وَجْهِهِ تَحْوِكَ الْبِشْرِ^(٣)
 وَإِنِّي وَإِنْ نِلْتَ السَّمَاءَ لَمَآلِمُ
 بِأَنَّكَ مَا نِلْتَ الَّذِي يُوجِبُ الْقَدْرُ^(٤)

(١) تقول : رجل ود — بتثنية الواو — بمعنى ودود، والجمع أود. وقوله والشطر : الأوجه أنه عطف على لسانى . يقول : إن لسانى وعينى وفؤادى وهمتى تود لسانك وعينك وفؤادك وهمتك . وكذلك شطرى : أى أن كل شطر منى يود شطراً منك ؛ يعنى أن كلى يود كلك ، بقوله : أود اللواتى ذى اسمها منك : أى ودودة اللواتى تسمى منك بهذه الأسماء : أى اللسان الخ . قال الواحدى : والغرض من هذا البيت : التعمية فقط ، وإلا لما الفائدة من هذا البيت مع ما فيه من الاضطراب ؟ ! أقول : ومن ثم تخطب فيه الشراح أياً تخطب .

(٢) يقول : إني لم أستقل وحدى بهذا الشعر ولكن ظاهرنى عليه شعرى ، لأنه تهالك على مدحك ونزع إليه ورغب فيه كما رغبت . وللعنى : إن شعرى كان يطاوعنى ويؤاتينى فى مدحك حتى لكأنه كان ينظم معى ، والله قول أبى تمام فى هذا المعنى :

تَفَايَرَ الشُّعْرُ فِيهِ إِذَا رَقْتُ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَائِمَهُ سَتَقْتَتِلُ

(٣) ما : نافية ؛ وذا : اسم إشارة . ورونق : السيف والوجه وما إليهما ماؤه ونضرتة . والبشر : طلاقة الوجه وتهلله . يقول : ليس الذى يرى فى شعرى من الحسن رونقه هو : أى رونق فصاحته وبلاغته ، ولكن شعرى تهلل وجهه ابتهاجا بلقائك واستبشر ضاحكا ناضراً حين رآك ، فهذا الرونق إنما هو مستفاد منك .

(٤) الذى يوجب القدر : أى الذى يستدعيه قدرك ويستحقه ؛ ورواه قوم نلت بضم التاء — أى وإن نلت أنا وأنا من بعض خلمك ، وليس بشيء .

أَزَالَتْ بِكَ الْإِيَّامُ عَتْبِي كَأَنَّمَا بَنُوها لَهَا ذَنْبٌ وَأَنْتَ لَهَا عُذْرٌ^(١)

وقال يمدح أبا الفضل محمد بن العميد^(*) :

بَادٍ هَوَاكَ صَبْرَتْ أُمٌّ لَمْ تَصْبِرْ أَوْ بَكَكَ إِنْ لَمْ يَجْرِدْ مُعْكَ أَوْ جَرَى^(١)

(١) يقول : لما سمحت الأيام بلقائك أزالتي عتبي عليها لأنني رأيت من إحسانك ما أنساني سيئات أهلها ، فكان الأيام أنت بك عذراً عن ذنوب بنينا . والمصراع الأول من قول أبي تمام :

نَوَالِكَ رَدَّ حُسَادِي فُلُولًا وَأَصْلَحَ بَيْنَ أَيَّامِي وَيَنِينِي
والثاني من قوله أيضاً :

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِي وَقْدِ يُرَى بِنْدَاكَ وَهُوَ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبٌ
ويقول أبو نواس :

يَرِمِي إِلَيْكَ بِهَا بَنُو أَمَلٍ عَتَبُوا فَأَعْتَبَهُمْ بِكَ الدَّهْرُ
ويقول ابن الرومي :

أَتَمَّ أَنْاسٌ بِأَيَادِيكُمْ يَسْتَغْفِرُ الدَّهْرُ إِذَا أذْنَبَا
إِذَا جَنَى الدَّهْرُ عَلَى أَهْلِهِ وَزَادَ فِي عِدَّتِكُمْ أَعْتَبَا

(*) ذكر الخطيب التبريزي - في شرحه - : إن المتنبي لما قصد مصر ومدح كافوراً
مدح الوزير أبا الفضل جعفر ابن الفرات وزير كافور بقصيدته الرائية التي أولها :
* باد هواك صبرت أم لم تصبرا *

وجعلها موسومة باسمه ، فكانت إحدى قوافيها جعفرأ ، وكان قد قال فيها :

صَفَّتِ السَّوَارِ لَأَيِّ كَفٍ بَشَرَتْ بِابْنِ الْفَرَاتِ وَأَيِّ عَبِيدِ كَبَرَا

فلما لم يرضه صرفها عنه ولم ينشده إياها ، فلما توجه إلى عضد الدولة قصد أرجان -
وبها أبو الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة والد عضد الدولة ؛ والكاتب الأديب
الكبير المعروف - فحول القصيدة إليه ، وحذف منها لفظ جعفرأ ، وجعل ابن العميد
مكان ابن الفرات .

(٢) يقول - مخاطباً نفسه - : سواء أصبرت أم لم تصبر : هواك ظاهر للناس باد ،

كَمْ غَرَّ صَبْرُكَ وَأَبْتَسَامُكَ صَاحِبًا لِمَا رَأَاكَ وَفِي الْحَشَى مَا لَا يُرَى^(١)

وأى محب يستطيع أن يكتف حبه وهناك آياته من التحول والاصفرار وما إليهما وبكاؤك كذلك غير خاف على الناس : أجرى دمعك أم لم يجر ؟ لأن ما يبدو في صوت الحب من نعمة الحزن والزفير والشهيق والتهيو للبكاء شواهد على الدموع . وقال بعض الشراح : وبكاك : عطف على الضمير في قوله صبرت ، تقديره صبرت وصبر بكاءك فلم يجر دمعك أو لم تصبر فجري ، « هذا » : وقد قيل للتنبي خالفت في هذا البيت بين سبك الصراعين فوضعت في الصراع الأول إيجابا بعده نفى ، وفي الثاني نفيا بعده إيجاب ، فقال لأن كنت خالفت بينهما من حيث اللفظ فقد وقعت بينهما من حيث المعنى . وذلك أن من صبر لم يجر دمه ، ومن لم يصبر جرى دمه : يعنى أنه أراد : صبرت فلم يجر دمعك أو لم تصبر فيجرى . . . وقوله لم تصبرا : أراد تصبرن - بنون التوكيد الخفيفة - فأبدلها ألفا . قال العكبرى : ومثله كثير في الكلام كقوله تعالى « ألقيا في جهنم » الخطاب لملك وحده ، وإنما المعنى ألقين ، ومثله قول الحجاج : يا حرسى اضربا عنقه . والخطاب لواحد . والمعنى : اضربن عنقه ، ومثله لسويد بن كراع العقيلي :

فإن تزجرانى يا ابن عفان أنزجر وإن تتركانى أحمر عرضا ممنا
والخطاب لواحد . فهذا شاهد على ألقيا واضربا ، ومثله :

* فلا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا *

فقد جاء في الكتاب العزيز : النون الخفيفة بالألف خطأ في قوله تعالى « ليسجنن وليكونا » ومثله : « لنسفعاً بالناسية » وقول الراجز :

يحسبه الجاهل ما لم يعلم شيخاً على كرسية معما

(١) يقول : كم غر صبرك وابتسامك من نظر إليك حتى ليظن أنك غير عاشق لأنه يرى صبرا وضحا ظاهرين ولا يرى ما في الباطن من الاحتراق والوجد ؟ ورد في الصباح النبى : أنه لما أنشد هذا البيت قال ابن العميد : يا أبا الطيب أتعول ياد هواك ثم تقول كم غر صبرك ؟ فما أسرع ما نقضت ما ابتدأت به ! فقال المتنبي : تلك حال وهذه حال . . . وإني لأحسب المتنبي حين سمع هذا النقد من ابن العميد قد امتعض ، فاختصر الجواب أجراً اختصار . . . ومراده أن الحال التي يذكرها في البيت الثانى سابقة على الحال المذكورة في البيت الأول ، لأنه يريد أن صبره كان يغر الناظر إليه قبل أن أسقمه الهوى وغير منظره ، ولكنه لما اتحل جسمه بعد ذلك : استدل الناظر بنحوه على

نظر العبد العاصي

أَمَرَ الْفُؤَادُ لِسَانَهُ وَجُفُونَهُ فَكَتَمْنَهُ وَكَفَى بِجِسْمِكَ مُخْبِرًا^(١)
تَعَسَ الْمَهَارِيُّ غَيْرَ مَهْرِيٍّ غَدَا
بِمُصَوِّرٍ لَيْسَ الْحَرِيرُ مُصَوِّرًا^(٢)

كونه عاشقاً فبدا هوام ولم يعد صبره ولا ابتسامه يغنيان عنه شيئاً في كتم المهوى ؛ وقد زاد هذا المعنى بياناً في البيت الذي يلي .

(١) الفؤاد في الجسد بمنزلة الملك ، فلهذا جعله آمراً للسان والجفن . يقول : أمر القلب اللسان بالكتمان والجفون بإسك الدموع فأطعنه وكتمن ولكن جسمك بنحوه دل على ما في قلبك ؛ والضمير في قوله فكتمنه : عائد على قوله مالا يرى - في البيت السابق - وجسمك : فاعل كفى ؛ والباء : زائدة ، ومخبراً : خلف من موصوف يتميز . وهذا المعنى بسبيل من قول الآخر :

خَبَّرِي خُذِيهِ عَنِ الضَّنَى وَعَنِ الْأَمَى لَيْسَ اللَّسَانُ وَإِنْ تَكَلَّمْتُ بِمُخْبِرِ
(٢) تعس : كبا وعثر ، وقد يراد به الهلاك ، والمهاري : جمع مهري والبعير مهري والناقة مهري نسبة إلى مهرة بن حيدان : أبي قبيلة عرفت بحسن القومة على الإبل وتقول في الجمع : مهاري ومهار ومهاري . قال رؤبة :

بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلٌ كُلٌّ مِثْلَهُ بِنَا حَرَّاجِيجُ الْمَهَارِي الثَّنْفَةِ^(١)

وقوله غير مهري : استثناء ، وغدا : أي ذهب غدوة . يدعو بالتعس على الإبل كلها ما عدا ركوبة الحبيب لتسلم من العثار فيسلم الحبيب من الوقوع - هذا الحبيب الذي لبراعة حسنه كأنه صور تصويراً ، والذي يلبس الديباج منقشاً بالصور .

(١) قبله :

وَنَخْفِي مِنْ لَهْلِهِ وَلَهْلِهِ فِي مَهْمَةٍ أَطْرَافُهُ فِي مَهْمَةٍ
أَنْعَمِي الْمُدَى بِالْجَاهِلِينَ الْمَمَى بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلٌ كُلٌّ مِثْلَهُ
بِنَا حَرَّاجِيجُ الْمَهَارِي الثَّنْفَةِ يَجْذِبْنَهُ بِالْبُوعِ وَالنَّوْهِ

الحقق : الموضع الذي يخفق فيه السراب ، واللهل : المكان المستوى الذي ليس به علم ، وغول كل ميله : أي بعده يريد مكاناً بعيداً يغتال المشي فلا يستبين فيه ولا يكاد يقطع من بعده ، والميله الفلاة التي توله الناس وتغيرهم ، والحراجيج : جمع حرجوج ، والناقة الوقادة الحادة القلب أو الضامرة ، والثنف : جمع نافه

نَافَسْتُ فِيهِ صُورَةً فِي سِتْرِهِ لَوْ كُنْتُهَا تَخَفَيْتُ حَتَّى يَظْهَرَ^(١)
لَا تَتَرَبِّ الْأَيْدَى الْمُتَقَيِّمَةُ فَوْقَهُ

كَسَرَى مَقَامَ الْحَاجِبَيْنِ وَقَيَصَرَ^(٢)
يَقِيَانٍ فِي أَحَدِ الْهَوَاجِجِ مُثَلَّةً رَحَلَتْ فَكَانَ لَهَا فُؤَادِي مَحْجِرًا^(٣)

(١) يقول : إني أنفس لأجل الحبيب المصور على الصورة التي في ستره هو دجه وأحسدها لقربها منه ، ولو كنت تلك الصورة لحفيت حتى يظهر هو ، فأراه ويزول الحجاب وخفاء الصورة يستتبع خفاء الستر فمضى خفاء الصورة انكشاف الستر ، ومتى انكشف انكشف الحبيب فيراه المحب . وإليك عبارات سائر الشراح قال ابن جني : لو كنت الصورة التي في ستره لزلت حتى يظهر الذي فيه لرأى العين وذلك أن كل أحد يحب أن يراه ودونه ستر فلو كنت ذلك الستر لانكشف حتى يظهر للناس ويزول ذلك الحجاب . وقال الواحدي : أنا أحسد الستر لأجل الحبيب الذي في هودجه لقربها منه ، يعني الصورة ، ولو كنت الصورة لحفيت حتى يظهر الحبيب فتراه الأبصار . وقال ابن القطاع : إنما تمنى أن يكون صورة في سترها ليشاهدها كل وقت ، ثم قال : لو كنتها لحفيت من نحو لي فلم أسترها عن العيون وكانت تظهر للناظرين .

(٢) لا تترب : لا تفتقر ، ويقال ترب الرجل : افتقر وصار على التراب ، ولا تربت يدك : أي لا افتقر « أو مسكينا ذا مترية » صار على التراب لفقره . وكسرى : لقب ملوك العجم ، وقصر : لقب ملوك الروم . يريد أن صورة كسرى وقصر كانت على الستر وكأنهما أقما مقام حاجبين يحجبان هذا المصور . يدعو التنبي للأيدي التي نسجت ذلك الستر وصورت الملكين عليه بأن لا تترب . وفيه نظر إلى قول أبي نواس :

قَرَارَتَهَا كَسَرَى وَفِي جَنْبَاتِهَا مَهَى تَدْرِيبُهَا بِالْقَسَى الْفُؤَارِسِ

(٣) الهواجج : جمع هودج ، مركب النساء على الجمال ، والمحجر : ما حول العين ، يقول : إن هذين الحاجبين يصرفان السوء - من الغبار ، وحر الهواء وحر الشمس -

وهي اللعينة . وفي الحديث : نقيت نفسك : أعيت وكلت ، وقال أبو سعيد : لم يجد رؤية موضعها إنما يقال رجل منفوه الفؤاد إذا ضعف من صوم أو جهد ، ويجذبته يريد يجذب أنفسه فيه . وقوله والتأوه . هو مثل قول النقيب العبدى .

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بَلِيلٍ تَأَوَّهَ آهَةَ الرَّجُلِ الْحَزِينِ

قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ بَيْنَهُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَوْ كَانَ يَنْفَعُ حَائِنًا أَنْ يَحْذَرَا^(١)
 وَلَوْ اسْتَطَعْتُ إِذْ أَغْتَدْتُ رُؤُودَهُمْ لَمَنْعْتُ كُلَّ سَحَابَةٍ أَنْ تَقْطُرَا^(٢)
 فَإِذَا السَّحَابُ أَخُو غُرَابٍ فَرَأَاهُمْ جَعَلَ الصِّيَاحَ بَيْنَهُمْ أَنْ يُمَطِّرَا^(٣)
 وَإِذَا الْحُمَائِلُ مَا يَحْدُنَ يَنْفَنَفُ إِلَّا شَقَقْنَ عَلَيْهِ ثَوْبًا أَخْضَرَا^(٤)

عن مقالة أحد الهوارج - يعنى هودج الحبيب - وكفى عنه بالقلعة - العين - لعزته ، وجعل فؤاده محجراً لتلك القلعة ، والمعنى أنها كانت ضياء قلبي بمثابة عين القلب ، فلما ارتفعت عنى عمى قلبي والتبس على أمرى وهدت لى كمنقله ذهبت وبقي الحجير ، وينظر في هذا التشبيه إلى قول أبي تمام :

إِنْ الْخَلِيفَةُ حِينَ يُظْلِمُ حَادِثٌ عَيْنُ الْمَدَى وَلَهُ الْخِلَافَةُ مَحْجَرُ

(١) الحائئ : المالك . يقول : كنت أحذر بينهم - بعدهم وفراقهم - قبل حدوثه ولكن الحذر لا يدفع المحذور ، لأنه متى قدر وقع لا محالة .

(٢) الرواد : جمع رائد ، وهو الذى يرتاد لأهله السكلا والماء ، واحتدث مثل غدت : أى ذهبت غدوة . يقول : لو قدرت حين بعثوا روادهم لمنعت السحاب أن يمطر حتى لا يحدوا ماء ولا كلاً يرتحلون إليهما للاستباج .

(٣) قال الواحدى : هذا كلام فيه حذف لا يتم المعنى دون تقديره ، كأنه قال : لمنعت كل سحابة أن تمطر لأنى تأملت الحال ، فإذا السحاب - الذى هو أخو الغراب في التفريق - أبعدهم عنا . جعل السحاب أخوا الغراب ، لأنه سبب الافتراق عند الاستباج وتبع مساقط الغيث في الريح كمادة أهل العير السيارة ، ولما جعله أخوا الغراب جعل المطر كصياح الغراب ، لأن صياح الغراب سبب للافتراق على زعمهم ، كذلك سقوط الغيث من السحاب سبب للارتحال في تتبع الغيث . فالسحاب - في قوله : فإذا السحاب مبتدأ ؛ وأخو غراب فراقهم : نعت له ، وجمله جعل الصياح : خبر ، ولك أن تجعل أخو : خبر عن السحاب وجعل الصياح : خبراً آخر عنه .

(٤) الجمائل - بالحاء المهملة - جمع حمولة ، وهى الإبل يحمل عليها ؛ وهذه رواية ابن جني ؛ وروى غيره : الجمائل - بالجيم - جمع جمالة ، جمع جبل . ويحدن : من الوحد ، وهو ضرب من السير سريع ؛ والنفنف : المفازة والهوى بين جبلين . يقول : كلما مرت جمالهم بأرض محضرة بالسكلا بدت عليها آثار سيرها ، فكأنما شقت ثوباً أخضر . والمعنى : أنهم فارقونا أيام الريح عند اخضرار الأرض . أو تقول : كثر الحصب

أَرْجَانُ أَتَيْتَهَا الْجِيَادُ فَإِنَّهُ عَزَمِي الَّذِي يَذَرُ الْوَشِيحَ مُكَسَّرًا (١)
 لَوْ كُنْتُ أَفْعَلُ مَا اشْتَهَيْتَ فَعَالَهُ مَاشَقَّ كَوْ كَبُكَ الْعَجَاجَ الْأَكْدَرَا (٢)
 أُمِّي أَبَا الْفَضْلِ الْمُبَرِّ الْأَيْتِي لَا يُمَنَّ أَجَلٌ بِبَحْرِ جَوْهَرَا (٣)
 أَفْتَى بِرُؤْيَيْهِ الْأَنَامُ وَحَاشَ لِي مِنْ أَنْ أَكُونَ مُقْصَرًّا أَوْ مُقْصِرَا (٤)
 صُنْتُ السَّوَارَ لِأَيِّ كَفَّ بَشَرْتُ بِابْنِ الْعَمِيدِ وَأَيُّ عَبْدٍ كَبَّرَا (٥)

(١) أرجان : أى اقصدى أيتها الجياد أرجان ؛ وأرجان : بلد المدوح - بلد بفارس - بتشديد الراء فى الأصل ، إلا أنه خففه ضرورة - والضمير فى أنه : للشأن .
 والوشيح : شجر الرماح . يقول لحيله : اقصدى هذا البلد ولا يلقين فى روعك أن ثم شيئا يصدك عنه فإنه عزمى القوى الذى يكسر الرماح بقوة ؛ يعنى أن الرماح لا تعوقى عن هذه العزيمة ، وهى الوجه الذى تخيره على ما أشار إليه فى البيت السابق .

(٢) (الفعال : الفعل ؛ وكوكب الخيل : جماعتها المجتمعة ؛ والعجاج : الغبار ؛ والأكدر . الكدر : يقول لحيله : لو فعلت ما تريدن ماركضتك فى الغبار المظلم ، يعنى أن الخيل تريد الجلام والراحة ، وهو يتمها بالأسفار .

(٣) أُمِّي : اقصدى ؛ والألية . اليمين ؛ وأبريمينه وبر فى يمينه : صدق . يقول : اقصدى أيتها الخيل هذا المدوح الذى يبر قسمى إذا أقسمت أن أقصد أجل البحار جوهرا ؛ أى إذا قصدته برت يمينى هذه لأنه هو ذلك البحر .

(٤) (٤) يقال قصر عن الشيء إذا تركه عجزاً . وأقصر عنه : إذا تركه قادراً عليه يقول : أفتانى الناس فى إبرار هذا اليمين بقصده ورؤيته ، وأعوذ بالله أن أقصر فى إبرار هذا القسم أو أقصر عنه ، فإنى إذا فعلت ذلك كنت شاقاً لعصا الإجماع ، لأن الإجماع على أن قسمى لا تبر إلا برؤيته . هذا ويقال حاش لله : أى تنزيها له ؛ ولا يقال حاش لك قياساً عليه ؛ وإنما يقال حاشاك وحاشى لك ؛ وهى تعرب إعراب المصدر ؛ واللام لبيان المفعول ، كما تقول تنزيها لك ، وقال أبو إسحاق الزجاج فى قوله تعالى « وقلن حاش لله » اشتق من قولك : كنت فى حشا فلان ، أى فى ناحية فلان . والمعنى فى « حاش لله » براءة لله من هذا ؛ وإذا قلت حاشى لزيد فهذا من التحدى ، والمعنى قد تنحى زيد من هذا وتباعد عنه . وقال ابن الأنبارى فى قولهم حاشا فلانا : معناه قد استغنىته وأخرجته فلم أدخله فى جملة المذكورين .

(٥) يقول : أى كف أشارت إلى ابن العميد فبشرتنى به فلها عندى السوار أحلها

إِنْ لَمْ تُغْنِنِي خَيْلُهُ وَسِلَاحُهُ فَتَى أَتَوْتُ إِلَى الْأَعَادِي عَسْكَرًا^(١)
بَابِي وَأُمِّي نَاطِقٌ فِي لَفْظِهِ ثَمَّنُ تَبَاعٌ بِهِ الْقُلُوبُ وَتُشْتَرَى^(٢)
مَنْ لَا تُرِيدُ الْحَرْبُ خَلْقًا مُقْبِلًا فِيهَا وَلَا خَلْقٌ يَرَاهُ مُذْبِرًا^(٣)
خَنَى الْفُحُولَ مِنَ الْكِمَاةِ بِصَبْغِهِ مَا يَلْبَسُونَ مِنَ الْحَدِيدِ مُعْصَفَرًا^(٤)

به ؟ وكذلك أى عبد من عبيده كبر — قال الله أكبر — عند وقوع بصره على بلده وعلى داره سروراً يبر قسمي ؟ .

(١) قال الواحدى : هذه إشارة إلى أنه يمدد بالمال والعبيد فيقدر بذلك على محاربة الأعداء ؛ وعادة المتنبي طلب الولايات ممن يمدحه ، لا طلب الصلات .

(٢) بَابِي وَأُمِّي : أى أفتديه بهما ، يصفه بالبلاغة ، يقول : إنه يملك القلوب بحلاوة لفظه فيصير لفظه ثمناً للقلوب فيتصرف فيها كما يريد بما أوتى من بلاغة ، وإن شئت قلت إن ألفاظه عزيزة تحمل القلوب أثماناً لها لم توجد غيرها . وقوله : تباع وتشتري . أى إن الناس يبيعونها بهذا الثمن وهو يشتريها فيصير مالكمها ، وإن شئت جعلت الشراء يباع فيكون مكرراً بلفظين معناهما واحد . قاله الواحدى .

(٣) يقول : لا يقدم أحد على لقائه فى الحرب تهيأ له ، ولا يدبر هو عن قرن لشجاعته : وقوله « من » : بدل من ناطق .

(٤) خَنَى الْفُحُولَ : أى صيرهم خنائى ؛ والكماة : جمع كمي ، وهو المستتر فى الحديد ؛ والمعصر : المصبوغ بالصفر ، وما يلبسون : مفعول أول لصبغه ؛ ومعصفاً : مفعول ثان على تضمينه معنى التحويل . يقول : جعل أبطالهم الفحول خنائى حين صبغ ما يلبسون من الحديد بالدم ، فأشبهت الثياب المعصرة التى يلبسها النساء والمختشون « هذا » وقد قلنا : إن معنى خنى الفحول : أى جعلهم وصيرهم غثثين ، فهو فعل ماض . قال العكبرى : وزنه فعلل : مثل دحرج . وقال ابن القطاع : أصله خنث ، فكروها اجتماع التضعيف ، فأبدلوا من الأخير ألفاً ، كما قالوا فى خطي وغظي : أبدلوا ألفاً من حروف التضعيف ، فأبدلوا من الأخير ألفاً ، كما قالوا فى تقضى البازي وقصبت أظفارى . وتظنى : من الظن ؛ قال : وزعم النحويون أن حروف الزوائد تكون للإلحاق ، وأبى ذلك أهل اللغة العلماء بالتصريف والاشتقاق ، وقالوا : لاتدخل حروف الزوائد فى الإلحاق ألبتة . وإنما تدخل فى الإلحاق : الحروف الأصلية التى هى فاء الفعل وعينه ولامه ، فالفاء نحو قولهم : درج : للناقة المسنة ، تكررت فيه الفاء للإلحاق

يَتَكَسَّبُ الْقَصَبُ الضَّعِيفُ بِكُفِّهِ شَرَفًا عَلَى صُمِّ الرِّمَاحِ وَمَفْخَرًا^(١)
وَيَبِينُ فِيمَا مَسَّ مِنْهُ بَنَانُهُ تِيَهُ الدِّلُّ فَلَوْ مَشَى لَتَبَخَّرَا^(٢)
يَا مَنْ إِذَا وَرَدَ الْبِلَادَ كَتَابُهُ قَبْلَ الْجِيُوشِ ثَنَى الْجِيُوشَ تَحِيْرًا^(٣)

بجعتن ، وهى أصول الصليان^(١) والعين ، كقولهم حدرد : اسم رجل ، تكررت فيه العين للحاق بجعفر ؛ واللام كقولهم : تعدد ، تكررت فيه اللام للحاق بـرثن ؛ وقال النحويون : الألف فى مثنى للحاق وفى رضى وسلى للتأنيث ، ثم تقضوا قولهم فقالوا الألف فى بهى وعزهى : ليست للتأنيث ولا للحاق ، وهذا كلام فاسد لا يحتاج إلى إقامة دليل . وإنما أوقعهم فى هذا الغلط أنهم رأوا العرب قد جمعوا بين تأنيثين ، فقالوا بهمة وعلاقة وعزهاة ؛ فقالوا : لا يجوز أن يجمع بين تأنيثين ، وقد جمعت العرب بين تأنيثين فى أكثر كلامهم : فكيف يجعل ما وضعه النحويون للتقريب والتعليم مما لا أصل له ولا ثبات حجة على لسان العرب الفصحاء ؟ هذا لا يكون ولا يحتاج به إلا جاهل .

(١) بكفه : رواها ابن جنى : بخطه . يقول : إن الأقلام حين كتابته بها تفضل الرماح إذا باشرتها كفه . وعبارة ابن جنى : قلته أشرف من الرماح لأن كفه يباشره عند الخط فيحصل له الشرف والفخر على الرماح التى لم يباشرها . وهو من قول البحرى :

وأقلام كتاب إذا ما نصصتها إلى نسب صارت رماح فوارس
(نصصتها : من نص الحديث إلى فلان : رفعه) .

(٢) الضمير فى منه : للقصب ، والبنان : أطراف الأصابع ؛ والته : الكبر والإدلال جرأة الرجل على صاحبه لمزية يراها فى نفسه . يقول : إن القلم الذى يمس به بينانه يظهر فيه الكبر ، حتى لو مثنى ذلك القلم لتبختر تشرفا وعجبا بـمه إياه .

(٣) يقول : إذا ورد كتابه الأعداء يندرم ويتوعدم فعل كتابه فعل الجيش فردم حائرين متلذذين خوفا وذعرا بللاغة كلامه وشدة وعيده . وعبارة الواحدى : يسحرم يبيانه فينصرفون عنه حين عمل فيهم كلامه عمل السحر . وعبارة ابن جنى : إذا كتب إلى مخالف كتابا لم يحتج معه إلى لقاء الجيوش لانه يبلغ ما يريد بالكتاب ، فكتابه يرد الجيوش راجعة تحيرا من فعل الكتاب ، وهذا ينظر إلى قول ابن الرومى :

(١) الصليان : نبت .

أَنْتَ الْوَحِيدُ إِذَا أُرْتَكِبَتْ طَرِيقَةٌ
وَمَنْ الرَّدِيفُ وَقَدْ رَكِبْتَ غَضَنْفَرًا^(١)
قَطَفَ الرُّجَالُ الْقَوْلَ وَقْتَ نَبَاتِهِ
وَقَطَفْتَ أَنْتَ الْقَوْلَ لَمَّا نَوَّرَا^(٢)
فَهَوَّ الشَّيْعُ بِالمَسَامِيعِ إِنْ مَضَى وَهُوَ المَضَاعَفُ حُسْنُهُ إِنْ كُرَّرَا^(٣)

تكنى عن النبيل أحياناً مكايدهُ وربما خانت أعلامه الأسلا
ومثله لآخر :

في كلِّ يومٍ له جُنْدٌ مُوجَّهَةٌ من المكاييد تطوى في الطوامير
(الطوامير : جمع طامور ، وهو الصحيفة)

(١) الغضنفر : الأسد ؛ والرديف : الراكب خلفك ، وارتكبت طريقة : يروى
ركبت طريقة . يقول : أنت منفرد في كل طريقة تأتيا وتحاولها لا يقدر أحد أن يحذو
حذوك في طرائقك لصعوبتها وامتناعها . كراكب الأسد لا يقدر أحد أن يكون رديفاً
له . يعنى أن أفعالك صعبة لا يقدر عليها أحد فلا يتبعك ، عليها مخافة تقصيره فيفتضح ،
قال الواحدى : وعلى هذا المعنى يكون الغضنفر مركوباً - يريد أنه مفعول ركبت - ويجوز
أن يكون حالاً للممدوح : أى لا يقدر أحد أن يكون رديفاً لك وأنت غضنفر .
(٢) يقول : إن أقوال الناس كالثمرة تقطف قبل ينضج وإدراكها ففى خداج ليست
بخلوة ولا غناء فيها ، أما أنت فقولك كالنبات إذا نور - أزهى - وبلغ أناء فهو حلو
معسول قد بلغ الغاية فى الحسن والكمال ، ويروى : قبل نباته ، قال العكبرى : أى
قبل تمامه .

(٣) يقول : إن مسامع الناس تشيع قولك - أى تتبعه - فى مسيره إذا انفصل
من فيك بالإقبال عليه والإصغاء إليه جبا له وشغفا به . وإذا كرر ازداد حسنه ، طى
خلاف ما عهد من الكلام : فإنه إذا أعيد سمع ، وإذا تكرر تكرر^(١) وفى هذا نظر
إلى قول أبى نواس :

(١) من تكرر الطعام والخبر : فسد وتفنن .

وَإِذَا سَكَتَ فَإِنَّ أُنْبَغَ خَاطِبٍ قَلَمٌ لَكَ أَخَذَ الْأَصَابِعَ مِنْبَرًا^(١)
 وَرَسَائِلَ قَطَعَ الْأَعْدَاءَ سِحَاءَهَا
 فَرَأَوْا قَنًا وَأَسِنَّةً وَسَنَوْرًا^(٢)
 فَدَعَاكَ حُسْدَكَ الرَّئِيسَ وَأَمْسَكُوا
 وَدَعَاكَ خَالُفَكَ الرَّئِيسَ الْأَكْبَرَ^(٣)
 خَلَقْتَ صِفَاتِكَ فِي الْعُيُونِ كَلَامَهُ
 كَانْخَطٌ يَمْلَأُ مِصْرَ مَنْ أَبْصَرَ^(٤)

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا
 ويقول البحري :

مُشْرِقٌ فِي جَوَانِبِ السَّمْعِ لَا يُخْ لَقَهُ عَوْدُهُ عَلَى الْمُسْتَعِيدِ
 والملشح : يروى المتبع .

(١) يقول : إذا سكنت ناب عنك قلمك ، فكان أبلغ خاطب ، منبره الأصابع .
 (٢) ورسائل : عطف على قلم - في البيت السابق - والسحاء : ما يشد به الكتاب
 من آدم . والسنور : الحديد والدروع . وهذا البيت كالتفسير لقوله : ثني الجيوش تهيأ
 يقول : إن الأعداء إذا قطعوا سحاء كتبك ورسائلك رأوا من بلاغتك وجزالة ألفاظك
 وقوة وعيدك ما يقتلهم ذعرا ويأسون معه من الاقتدار عليك فيقوم ذلك مقام السلاح
 في دفع الأعداء . ومثل هذا ما يحكى أن الرشيد كتب في جواب كتاب ملك الروم :
 قرأت كتابك والجواب ما تراه لا ما تقرأه ، فانظر إلى هذا اللفظ الوجيز كيف يملأ
 الأحشاء نارا ، ويدع القلوب أعشارا ، ويشعر النفوس حذارا ، ويعقب أقدام ذوى
 الإقدام نكوصا وفرارا ؟ وجميل قول بعضهم مما ينظر إلى هذا المعنى :

هَلْ تَذْكُرِينَ إِذِ الرِّسَالِ بَيْنَنَا

تجري على الورق الذي لم يُغْرَسِ

أَيَّامَ أَسْرَارِي لَدَيْكَ وَسِرِّكُمْ يَهْدِي إِلَى مَعَ الْفَصِيحِ الْآخَرِ

« ويريد بالورق الذي لم يغرس : البردى ونحوه ؛ وبالفصيح الآخر : الكتاب » .
 (٣) و (٤) المسمع الأذن . يقول : إن ما يشاهده الناس فيك من الصفات الشريفة

أَرَأَيْتَ هِمَّةً نَاقَتِي فِي نَاقَةٍ نَقَلَتْ يَدًا مُرْحًا وَخُفًا مُجْمَرًا^(١)
تَرَكَتْ دُخَانَ الرَّمْثِ فِي أَوْطَانِهَا
طَلَبًا لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ الْقَنْبَرَا^(٢)

التي آثرك الله بها : تدل على أنه سبحانه قد فضلك على سائر الرؤساء وجعلك الأكبر بينهم وإن لم ينطق بذلك لفظاً ، فكأنما هذه الصفات الظاهرة فيك خلف لكلامه ، يفهم منها ما يفهم منه ، ثم مثلها بالخط ؛ فإن معناه إنما يتناول بالبصر فيستفيد منه القلب ما يستفيدة بسماع الآذان ، فكأنه لفظ مسموع . وعبارة سائر الشراح : سماك الأعداء الرئيس وأمسكوا وسماك الله الرئيس الأكبر ، وقد علمنا ذلك لما قامت صفاتك الشريفة مقام كلام الله ، وهى تلك التي خصك الله بها في الدلالة على أنك أفضل الناس فصار كأنه - جل شأنه - دعاك الأكبر قولاً من حيث دعاك فعلاً ، كالخط فإن من كاتب كمن شافه وخاطب ، ومن أعلم خطاً فكأنه أسمع فأفهم . وحاصل المعنى : أن الإنسان إذا رأى ما حصك الله به من كمال الفضل علم أنك مستحق عند الله أن تسمى الرئيس الأكبر ، فقوله خلفت صفاتك : تبين لقوله : ودعاك خالقك الرئيس الأكبر .

(١) السرح : السهولة السير ؛ والمجمر : الشديد الصلب ؛ ويقال أيضاً خف مجمر : أى خفيف سريع . قال الخوارزمي : أراد خفاً خفيفاً فلم يوافق اللفظ ، ولو وافقه لكان تجنيساً ظاهراً ، وإلا فإذا لم يوافق فهو تجنيس معنوي . يذكر المتنبي علو همة ناقته حين قصده وأنها استأثرت بذلك دون غيرها من النياق ، وهو إخبار عن علو همة هو لأنه يحمل ناقته في السير مالا يطيق أمثالها :

(٢) الرمث : نبت يوقد به . يشبه الغضا ، وهو من مراعى الإبل ؛ أما الرمث - بالفتح والتحريك - فهو خشب يضم بعضه إلى بعض ويركب عليه في البحر ، والجمع أرمات . قال أبو صخر الهذلي :

تَمَنَيْتُ مِنْ حَبِّي بُتَيْنَةَ أَنَا عَلَى رَمْثٍ فِي الْبَحْرِ لَيْسَ لَنَا وَفْرٌ
(وفر : مال) .

يقول : تركت الأعراب ووقودهم وأنت قوما ووقودهم الغبر ، يعنى المدحج . وهذا من قول البحترى :

نزلوا بأرض الزعفران وجانبوا أرضاً ترب الشيع والقيصوما

وَتَكْرَمَتْ رُكْبَاتُهَا عَنْ مَنِّكَ
تَقَعَانِ فِيهِ وَلَيْسَ مِنْكَ أَذْفَرُ^(١)
فَاتَتْكَ دَامِيَةً الْأَطْلُ كَأَنَّمَا
حُذِيتَ قَوَائِمُهَا الْعَقِيقُ الْأَحْمَرُ^(٢)
بَدَرْتُ إِلَيْكَ يَدَ الزَّيْتُونِ كَأَنَّمَا
وَجَدْتَهُ مَشْفُولَ الْيَدَيْنِ مُفَكَّرًا^(٣)
مَنْ مُبْلِغُ الْأَعْرَابِ أَنَّى بَعْدَهَا
شَاهَدْتُ رَسْطًا لَيْسَ وَالْإِسْكَندَرُ^(٤)

(١) الأذفر: أى الذكى الرائحة. يقول: تكرمت ناقى عن أن تبرك إلا على المسك الأذفر. يريد أن العنبر بحضرة المدوح يوقد به والمسك ممتن عنده بحيث يبرك عليه البعير؛ والركبات: جمع ركة، وإنما عنى اثنين بدليل قوله تقعان. قال العكبرى ركباتها جمع ركة، وإنما عنى اثنين وهو كقوله جل وعلا «قد صفت قلوبكما» وذلك أن أقل الجمع اثنان فجاز أن يعبر عنهما بالجمع، ودل على أنه أراد التثنية أنه أخبر عنهما بالتثنية فقال تقعان؛ ويجوز أن يكون أراد الجمع فسمى كل جزء منهما ركة، كقولهم: شابت مفارقة، وهو مفرق واحد، وإنما أراد كل جزء من الفرق، ثم رجع إلى الحقيقة فقال تقعان.

(٢) الأطل: باطن خف البعير؛ وحذيت: أى جعل لها حذاء، وهو النعل. يقول: أتت الناقة وقد دامت أخفافها لطول السير وحزونة الطريق حتى كأنها اتلعت العقيق الأحمر، كما قال الآخر:

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْمَوْتِ أَيْدِي جَوَارٍ بَيْنَ نَاعِمَاتٍ

أى تخضبت بالدم خضاب هؤلاء الجوارى.

(٣) بدرت: سبقت. يقول: سبقت إليك العوائق وصروف الزمان فكأنتها وجدت الزمان مشغولاً عنها فاتتهز الفرصة فى تصدك فإن الزمان موكل صرفه بدفع الحيرات.

(٤) بعدها: أى بعد الأعراب. يقول من الذى يبلغ الأعراب أنى بعد أن فارقتهم

وَمَلَّتْ نَحْرَ عِشَارِهَا فَأَضَافَ فِي
 مَنِ يَنْحَرُ الْبَدْرَ النَّضَارَ لِنَ قَرَى^(١)
 وَسَمِعْتُ بَطْلَيْمُوسَ دَارِسَ كُتْبِهِ
 مُتَمَلِّكًا مُتَبَدِّيًا مُتَحَضِّرًا^(٢)

رأيت عالماً هو في علمه وحكمته مثل أرسطوطاليس . وملكا هو في سعة ملكه كالإسكندر ؟ قال الواحدى : وأرسطوطاليس : اسم رومى ، لما أراد المتنبي استعماله : حذف بعضه ، فإن العرب تجترى على استعمال الأسماء الأعجمية ؛ فإن أمكن نقلها إلى أوزانهم : نقلوها ، وإن لم يمكن نقلها حذفوا بعضها ، ومثل هذا الاسم في كثرة حروفه لا يوجد في كلام العرب .

(١) العشار : جمع عشراء ، وهى فى الأصل : التى لعلها عشرة أشهر ، والمراد هنا : النياق الوالدات ، والبدر : جمع بدوة ، وهى كىس فىه سبعة آلاف دينار ، وقيل عشرة ؛ والنضار : الذهب . يقول : ملئت فى صجة الأعراب نحر الإبل ولحومها فأضافى من يجعل قراء بدر الذهب ، وإنما استعمل النحر فى البدر لذكوره نحر العشار ، ومعنى نحر البدر : فتحها لإعطاء ما فيها من الذهب . وهذا من قول البحترى :

مَلِكٌ بِبَالِيَةِ الْمِرَاقِ قِيَابُهُ
 يَقْرَى الْبُدُورَ بِهَا وَنَحْنُ ضُيُوفُهُ

(٢) بطليموس : هو الفلكى صاحب المجسطى ، يشبه ابن العميد بيطليموس فى علمه وحكمته . يقول : سمعت ابن العميد وهو يدرس كتب نفسه — أى يتكلم بالعلوم التى فيها — وقد جمع بين جلالة الملك ، وفصاحة اليد ، وظرافة الحضر . قال الواحدى : ويطليموس : يعنى ابن العميد ، سماه بهذا : للشابهة بينه وبين هذا الحكيم ؛ ونصب دارس كتبه : على الحال ، وكذلك ما بعده . ويجوز أن يريد أنه سمع من ابن العميد ما عفا ودرس من كتب بطليموس لأنه أحياء بذكائه وجوده قريحته . ويكون التقدير سمعت دارس كتب بطليموس ولكنه قدم ذكره ثم كنى عنه ، ويجوز أن يكون دارس كتبه : مفعولا ثانيا ، كما تقول : سمعت زيدا هذا الحديث .

وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا رَدَّ إِلَهُهُمُ نُفُوسَهُمْ وَالْأَعْصُرُ (١)
 نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمًا
 وَأَنَّى فَذَلِكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرًا (٢)
 يَالَيْتَ بَاكِيَةً شَجَانِي دَمْعُهَا
 نَظَرْتُ إِلَيْكَ كَمَا نَظَرْتُ فَتَقْذِرًا (٣)

(١) يقول : لقيت بلقائه كل من له فضل وعلم من المتقدمين ، فكان الله أحياءهم ورد عصورهم حتى لقيتهم كلهم : يعنى أن فيه من الفضل ما كان في جميع الفضلاء . وفي مثل هذا المعنى يقول ابن الرومي :

أَتَيْتُهُ وَأَنَا الْمَلُوءُ مِنْ غَضَبٍ عَلَى الزَّمَانِ فَسَرَى عَنِّي الْغَضَبُ
 فَلَوْ حَلَفْتُ لَمَا كُذِّبْتُ يَوْمَئِذٍ

أنى لقيت هناك العُجَم ، والعربا

(٢) نسقوا : سردوا . وقوله فذلك : فاعل أنى . وهى حكاية قول الحاسب إذا أجمل حسابه : فذلك كذا وكذا . يقول : إن هؤلاء الفاضلين قد تابعوا متقدمين عليك في الزمان ، فلما أتيت بعدهم جمعت ما كان فيهم من الفضائل فكنت منهم بمثابة إجمال الحسار : الذى تذكر تفاصيله أولا ، ثم تجمل تلك التفاصيل فيكتب في آخرها : فذلك كذا وكذا . وعبارة الواحدى : يقول : جمع لنا الفضلاء في الزمان ومضوا متتابعين متقدمين عليك في الوجود ؛ فلما أتيت بعدهم كان فيك من الفضائل ما كان فيهم : مثل الحساب تذكر تفاصيله أولا ، ثم تجمل تلك التفاصيل ، فيكتب في آخر الحساب ؛ فذلك كذا وكذا : فجمع في الجملة ما ذكر في التفصيل ، كذلك أنت : جمع فيك من الفضل ما فرقت فيهم . وهذا ينظر إلى قول القائل :

وَفِي النَّاسِ مِمَّا خُصِّصْتُمْ بِهِ

تَفَارِيقَ لَكِنْ لَكُمْ مُجْتَمِعٌ

(٣) يقول : ليت الباكية التى بكى على فراقى وأحزنى بكائها رأتك كما رأيتك ، لتعذرنى في فراقها وركوب الأهوال والأخطار في سفرى إليك . وقوله : فتعذرا قال العكبرى : نصبا على جواب التثنية بإضمار « أن » عند البصريين وبالفاء نفسها عندنا .

وَتَرَى الْفَضِيلَةَ لَا تَرُدُّ فَضِيلَةً
الْشَّمْسُ تُشْرِقُ وَالسَّحَابُ كَنُحُورًا^(١)
أَنَا مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَطْيَبُ مَنْزِلًا
وَأَسْرُ رَاحِلَةً وَأَرْبَحُ مَتَجَرًّا^(٢)

(١) ترى : أى الباكية ؛ ولا ترد فضيلة : مفعول ثان ل ترى ؛ والشمس : بدل من الفضيلة ؛ والسحاب معطوف عليها وتشرق حال من الشمس ؛ والكنهور : العظيم المتكاثف ، وهو حال من السحاب ، يقول : إن هذه الباكية ترى الفضيلة عندك لا ترد ضدها من الفضائل على ما عهدنا في المتضادين ، ثم فسر ذلك فقال : يريك الشمس مشرقة والسحاب كنهوراً : أى يريك المدح في حال واحدة هذين المتضادين ؛ فوجهه كالشمس إضاءة ، ونائله كالسحاب الكنهور فيضاً ، فقد اجتمعان في وقت واحد ، مع أن السحاب الكنهور في الحقيقة يستر الشمس فلا يجتمعان . والمراد : أنه يتدفق بالنوال ويتبلج عند السؤال . وقد قال في هذا المعنى محمد بن طلى بن بسام :

الْشَّمْسُ غَرَّتْهُ وَالْفَيْثُ رَاحَتُهُ . فَهَلْ سَمِعْتُمْ بَيْثَ جَاءَ مِنْ شَمْسٍ
وأوضحه ابن الرومي فقال :
يُلْقَى مُعِيماً مُشِيساً فِي حَالَةٍ هَاطِلِ الْإِغَامَةِ نَيْرِ الْإِشْشَاسِ
وقال أيضاً :

لِكُلِّ جَلِيسٍ مِنْ يَدَيْهِ وَوَجْهِهِ
مَدَى الدَّهْرِ يَوْمٌ غَاثٌ الْجَوْ شَامِسٌ

وتبعه البحرى فقال :

وَأَبْيَضَ وَضَاحٌ إِذَا مَا تَفَيَّيْتُ يَدَاهُ تَجَلَّى وَجْهُهُ فَتَقَشَّعَا
وقال الرضى :

أَمْطَرُوا الْجُودَ مُضِيئاً بِشَرِّهِمْ فَرَأَيْنَاهُمْ شُمُوساً وَغَمَامَا

(٢) يقول : طاب مكانى ومنزلى بقصده ، وسرتنى راحلق إذ أدنى إليه ، وتجارنى أربح من تجارة غيرى إذ اشترى شعري بأوفر الأثمان . فقد بلغت فى ذلك كله ما لم يبلغه أحد من الناس ؛ وقال الواحدى . قوله : وأسر راحلة : هو مبالغة من السر ؛ أى

زُحَلٌ عَلَى أَنَّ الْكَوَاكِبَ قَوْمُهُ
لَوْ كَانَ مِنْكَ لَكَانَ أَكْرَمَ مَفْشَرًا^(١)

أخفتي بسرّها لئلا حق أتيتك ؛ وإن كان من السرور فيكون سرور صاحبها هو المراد بسرورها . وقوله : منزلا وما بعده ، منصوب على التمييز ، والتجر : ما يتخذ للتجارة .
(١) جل الكواكب المحيطة بزحل : كالقزم له ، إذ أنه يسمى شيخ النجوم .
يقول : لو كان زحل من عشيرتك لكانت عشيرته حينئذ أكرم من عشيرته الآن مع أن عشيرته النجوم : يعني أن قوم للمدوح ورهطه أشرف من النجوم . هذا وقوله زحل : مبتدأ ، وقوله : لو كان منك الخ ، خبر ، والمشر والعشيرة : قوم الرجل وأهله .

قافية الزاى

وقال بدمشق يمدح أبا بكر على بن صالح الروذبارى الكاتب :
 كَفَرَنْدَى فِرَنْدُ سَتِينِ الْجَرَّازِ لَذَّةُ الْعَيْنِ عُدَّةٌ لِلْبَرَّازِ^(١)
 تَحْسَبُ الْمَاءَ خَطًّا فِي لَهَبِ النَّارِ
 رَأْدَقٌ أُخْطُوطٍ فِي الْأَحْرَازِ^(٢)
 كُلَّمَا رُمَتْ لَوْنُهُ مَنَعَ النَّارُ ظِلْمَ مَوْجٍ كَأَنَّهُ مِنْكَ هَازِي^(٣)

(١) الفرند : جوهر السيف ، وهى الخضرة التى تردد فيه ، معرب دخيل، والجراز : القاطع . والبراز : مبارزة الأقران فى الحرب . يقول : إن سيفى يشبهنى فى اللضاء ، وهو حسن فى امرأة العين ، عدة لمبارزة الأقران ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :
 فى كلِّ جوهرة فِرَنْدٌ مُشْرِقٌ وَهم الفِرَنْدُ لهؤلاء الناس
 (٢) الأحراز : جمع حرز . وهو العوذة يكتب فيها الرقى . سميت كذلك لأنها تحرز صاحبها من العين . شبه بريق سيفه باللهب وآثار الفرند فيه ودقته بخطوط من الماء دقيقة كأدنى الخطوط فى الأحراز وقد جرت العادة بتدقيق خطوط الأحراز . وهذا ينظر إلى قول القائل :

مَاضٍ تَرَى فى مَتْنِهِ مَاءٌ بِنَارٍ مُخْتَلِطٌ
 ومثله :

كَأَنَّهُ فى طَبَعِهِ واللونِ مَاءٌ وَلَقَى
 (٣) هازى : أصلها هازىء - بالهمز - خفف للقافية : يقول : كما حاولت أن تعرف لونه وأنعمت النظر : منع ناظرك من الوقوف عليه ماؤه وياضه الذى يتردد فيه كالوج فكأنه هزأ بك ، لأنه لا يستقر حتى ينفذ فيه شعاع عينيك . وهذا ينظر إلى قول الآخر :

وَكأن الفِرَنْدَ والروثَقَ الجَارِيَّ فى صَفْحَتَيْهِ مَاءٌ مَعِينٌ
 ولا بن أبى زرعة :

مَرْدُدٌ فىهِ الفِرَنْدُ تَرْدُدَ الْمَاءِ الزُّلَالِ

وَدَقِيقٌ قَدَى الْمَبَاءِ أُنِيقٌ مُتَوَالٍ فِي مُسْتَوٍ هَزَاهَاً ^(١)
وَرَدَّ الْمَاءَ فَالْجَوَابُ قَدْرًا شَرِبْتُ وَالَّتِي تَلِيهَا جَوَازِي ^(٢)

هذا : ويقال هزأ به يهزأ هزأ وهزؤا ومهزأ وتهزأ به واستهزأ : سخر، ورجل هزأ - بالتحريك - يهزأ بالناس ، ورجل هزأ بالتسكين - يهزأ به ، وقالوا إنما يقال هزئت بك ، ولا يقال هزئت منك . ويقال سخرت منك ، ولا يقال سخرت بك .
(١) دقيق : عطف على موج ، وهو نعت لحدوف : أى وفرد دقيق . والقذى فى الأصل : ما يقع فى العين . وقذى : فاعل دقيق ، أو مشبه بالفعل - على حد قولك : زيد حسن وجه الأب - والمباء : ما تراه فى الشمس إذا دخلت من موضع ضيق . والأنيق : الحسن اللجب . والمتوالى : المتتابع . ومستو : نعت لحدوف . أى فى صفح ، أو متن مستو . وهزهاز : مضطرب . أى ويمع الناظر من لونه فرند دقيق كأنه قذى يتطاير إلى عينه فيمنعه النظر . وهذا الفرند حسن متتابع الخطوط فى صفح مستو كثير الاضطراب والحركة يذهب ويحىء ، ويقال : سيف هزهاز وهزاهز : كأن ماءه يذهب عليه ويحىء ، وروى ابن جنى : قذى المباء : من قولم قذى رمح ، وقادرمح ، وقيد رمح : أى مقداره .

(٢) الجوازي : أصلها الهمز ، جمع جزئة : من قولم جزأت الإبل أو الوحش بالرطب - أى بالخضرة - عن الماء : أى استغنت به عنه ، قال الشاعر بن ضرار :

إِذَا الْأَرْضُ تَوَسَّدَ أَبْرَدِيهِ خَدُودُ جَوَازِيءٍ بِالرَّمْلِ عَيْنِ ^(١)

وقوله قدراً شربت : أى شربت قدراً ؛ قدراً مفعول شربت . يقول : إن هذا السيف أشربت جوانبه من الماء عند صنعه مقداراً يليها ، أما ما يليها من اللبن فلم يشرب لأنه لا يسقى جميع السيف ، بل تسقى شفرتاه ويترك اللبن ليكون أثبت عند الضرب . فلا يتقصف .

(١) الأرضى : مقصور ، شجر يدبغ به ، وتوسد أبرديه : أى اتخذ الأرضى فى أبرديه كالوسادة ، والأبردان : الظل والنقى ، سما بذلك لبردما ، والابردان أيضاً : الغداة والعشى ، واتصاب أبرديه : على الظرف ، والأرضى : مفعول مقدم لتوسد ، أى توسد خدود البقر الأرضى فى أبرديه ، والجوازي : البقر التى جزأت بالرطب عن الماء ، والعين : جمع عيناء وهى الواسعة العين

حَمَلَتْهُ حَمَائِلُ الدَّهْرِ حَتَّى هِيَ مُحْتَاجَةٌ إِلَى خَرَازٍ^(١)
وَهُوَ لَا تَلْحَقُ الدَّمَاءُ غِرَارِيَهُ وَلَا عِرْضَ مُنْتَضِيهِ الْمُخَازِي^(٢)

(١) الحمائل : جمع حمالة ، ما يحمل به ، والخراز : الذى يخز الحمايل وغيرها بالسيور . يقول : إن هذا السيف من قدمه وتداول الأيدي عليه قد أخلقت حمائله ، واحتاجت لذلك إلى الخراز لتجديدها ، وإضافة الحمائل إلى الدهر مجاز ، أراد أنه قديم قد أخلق طول الدهر حمائله ، فلما كثر حاملوه بطول الدهر كان كأن الدهر حامل له . وهذا ينظر إلى قول البحترى :

حَمَلَتْ حَمَائِلُهُ الْقَدِيمَةَ بَقْلَةً مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَةً لَمْ تَذْبُلْ

(٢) غراره : حده ، والعرض : ما يمدح ويذم من الإنسان ، واتضى السيف : سله ، والمخازى جمع مخزاة ، ما يخزى به الإنسان . يقول : إن سيفى لسرعة قطعه يسبق الدم فلا يلصق به ولا يتلطح . ولا تدرك المخازى عرض منتضيه . يعنى نفسه . لحسن بلائه عند الفوضى . وهذا من قول الأول :

بِكُلِّ حُسَامٍ كَالْعَقِيقَةِ صَارِمٍ إِذَا قَدْ لَمْ يَنْفَلِقْ بِصَفْحَتِهِ الدَّمَ

هذا ، ولذكر العرض نورد ما أورده المكبرى هنا من معانى العرض ، إذ اشترطنا على أنفسنا أن لا ندع شيئاً مما أورده سائر الشراح إلا أثبتناه فى هذا الشرح ، وإن كان الكثير منه لا ضرورة إليه .

قال - وقال معه أهل اللغة وعمدته دائماً فى اللغة الجوهري صاحب الصحاح : - والعرض النفس ، والعرض الحسب ، وفلان نقي العرض : برىء من أن يشتم ، والعرض : الجسد . وفى صفة أهل الجنة قال صلى الله عليه وسلم : « لا يتغوطون ولا يبولون ، إنما هو عرق يجرى من أعراضهم مثل ريح المسك » أى من أجسادهم ، والعرض كل واد فيه شجر ، قال الشاعر :

لِعِرْضٍ مِنْ الْأَعْرَاضِ يُسَمَّى حَمَامَةً وَيُضْحَى عَلَى أَفْنَانِهِ النَّيْنِ يَهْتَفُ
أَحَبُّ إِلَى قَلْبِي مِنَ الدِّيَكِ رَنَةٌ وَبَابٌ إِذَا مَا مَالَ لِلْفَلَقِ يَصْرِفُ

(١) النين : جمع غيناء ، أى خضراء كثيرة الورق ملتفة ، وصريف الباب : صريده .

يَا مَزِيلَ الظَّلَامِ عَنِّي وَرَوْضِي
يَوْمَ شُرْبِي وَمَقِيلِي فِي الْبَرَازِ^(١)
وَالْيَمَانِي الَّذِي لَوْ اسْطَعْتُ كَانَتْ
مُقَلَّتِي غِمْدُهُ مِنَ الْإِعْزَازِ^(٢)

(١) البراز : الحلاء أو الصحراء . يقول — سيفه — : أنت تزيل عني الظلام
بصفائك وروثك : يعني أنه يستصبح بريقه إذا اشتد سواد العيار فصار كالظلام ، وأنت
روضي يوم شربي : يريد كما أن شارب الراح يشربها على الرياض والبساتين : فروضي
يوم أشرب دماء الأعداء — أي يوم الحرب — هو أنت ، وذلك لخضرته ، والسيف
يوصف بالخضرة ، كما قال الحمصي في مقصورة له :

مُهَنْدٌ كَأَنَّمَا طَاعُهُ أَشْرَبُهُ بِالْهَنْدِ مَاءُ الْهِنْدَبَا^(١)
ومثله للبحري :

سَحَلَتْ حَمَائِلُهُ الْقَدِيمَةَ بَقْلَةً مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةٌ لَمْ تَذْبُلِ
ثم قال الثنبي : ويا حصى الذي أتخصن به وأذود عن نفسي في البراز : أي الصحراء
وما إليها من الفضاء .

(٢) يقول : لشدة إعزازي له وإبقائي عليه لو استطعت لجعلت عيني غمداً له ،
واليماني : أي النسب إلى اليمن ، والأفصح : يعني ويماني ، لأن الألف عوض من
ياء النسب ، فلا يجتمعان .

قال سيبويه : وبعضهم يقول يماني — بالتشديد — قال أمية بن خلف :
يَمَانِيًّا يَظَلُّ يَشْدُ كِبْرًا وَيَنْفُخُ دَائِمًا لَهَبَ الشَّوَاظِ
وقال العكبري : اليماني في موضع نصب بالنداء ، كأنه قال : يا مزيل الظلام ،
ويا اليماني ، ثم قال : وهو جائز عندنا — يريد الكوفيين — أن ينادى ما فيه التعريف
نحو : يا الرجل ، ويا الغلام ، وأبي البصريون ذلك . وحجتنا أنه قد جاء في أشعارهم
وكلامهم ، قال الشاعر :

(١) الهندبا — يعد ويقصر — بقلة من أحرار البقول .

إِنْ بَرَّقَ إِذَا بَرَّقَتْ فَعَالِي وَصَلِيلِي إِذَا صَلَّاتَ أَرْتَجَازِي^(١)
لَمْ أَحْمَلْكَ مُفْلَعًا هَكَذَا إِلَّا لِيَضْرِبِ الرُّقَابِ وَالْأَجَوَازِ^(٢)
وَلَقَطَعِي بِكَ الْحَدِيدَ عَلَيْهَا فَكَلَانَا لِنَجْسِهِ التَّيَوْمَ غَازِي^(٣)

فِي الْفُلَامَانِ اللِّدَانِ فَرَا إِيَّا كَمَا أَنْ تَكْسِبَانَا شَرًّا^(١)
وَقَالَ الْآخَرُ :

فَدَيْتُكَ يَا الَّتِي تَيَّمَّتْ قَلْبِي وَأَنْتِ بِخَيْلَةٍ بِالْوَصْلِ غَنَى^(٢)
وبدل على صحة قولنا : إجماعنا على أنه يجوز أن يقال في الدعاء : يَا اللَّهُ ، وَالْأَلْف
وَاللَّام فِيهِ زَائِدَتَانِ . وحجة البصريين أن الالف واللام للتعريف ، وحرف النداء يفيد
التعريف ، وتعريفان في كلمة لا يجوز .
(١) الفعال : الفعل الحسن ، والصليل : الصوت ، والارتجاز : قول الرجز من
الشعر . يقارن ما بين سيفه ونفسه ؛ يقول : إِذَا كَانَ لَكَ بَرَقٌ ، فَهَنَّاكَ فَعَالِي بِأَزَانِهِ ،
وَإِذَا ارْتَفَعَ صِلِيكَ — صَوْتُكَ — فِي الضَّرِيَّةِ . فَإِنْ صَلِيلِي هُوَ إِنْشَادِي الْأَرْجَازِ
مِنْ شَعْرِي .

(٢) المعلم : الذي قد شهر نفسه في الحرب بعلامة يعرف بها ، وهو مما كانت
تفعله الأبطال من العرب ؛ ومعلماً : حال من التكتل ؛ والأجواز : الأوساط ، جمع
جوز ، يقول : لَمْ أَحْمَلْكَ فِي الْحَرْبِ لَزِينَةً ، وَإِنَّمَا لَضَرْبِ الرُّقَابِ وَأَوْسَاطِ الرِّجَالِ .
وَيُرْوَى : وَلَمْ أَحْمَلْكَ . ، قَالَ الْعُسْكُرِيُّ : حَرَكَةُ السَّاكِنِ وَحَذْفُ الْهَمْزَةِ ، وَهِيَ لَفْظَةُ
جَيِّدَةٍ جَاءَتْ فِي أَشْعَارِهِمْ وَخُطْبَتِهِمْ وَكَلَامِهِمْ .

(٣) يقول : وَلَمْ أَحْمَلْكَ إِلَّا لِأَقْطَعَ بِكَ الْحَدِيدَ الَّذِي عَلَى الرُّقَابِ وَالْأَجَوَازِ

(١) هَذَا الْبَيْتُ وَالَّذِي بَعْدَهُ شَائِعَانِ فِي كُتُبِ النُّحُوِّ وَلَمْ يَعْرِفْ لَهَا قَائِلٌ وَلَا ضَمِيمُهُ
وَإِيَّا كَمَا : تَحْذِيرٌ ، وَأَنْ تَكْسِبَانَا : أَيُّ مَنْ أَنْ تَكْسِبَانَا ، وَمَاضِيَهُ كَسَبَ : يَتَعَدَّى إِلَى
مَفْعُولَيْنِ يُقَالُ كَسَبْتَ زَيْدًا مَالًا وَعِلْمًا : أَيُّ أَنْتَ . قَالَ ثَعْلَبٌ : كُلُّهُمْ يَقُولُ كَسَبَكَ فُلَانٌ
خَيْرًا إِلَّا ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : أَيْ كَسَبَكَ ، بِالْأَلْفِ .

(٢) قَوْلُهُ فَدَيْتُكَ : يُرْوَى مِنْ أَجْلِكَ . أَيُّ مَنْ أَجْلَكَ قَاسِيَتِ مَا قَاسِيَتِ مِثْلًا
وَقَوْلُهُ : تَيَّمَّتْ كَانَ الْقِيَاسُ أَنْ يَقُولَ تَيَّمَّتْ بِنَاءُ التَّأْنِيثِ عَلَى الْغَيَّةِ ، لَكِنْ جَاءَ عَلَى نَحْوِ

* أَنَا الَّذِي سَمَنْتَنِي أُمِّي حَيْدَرُهُ

وَالْقِيَاسُ : سَمَتْهُ ، وَجُمْلَةُ أَنْتِ بِخَيْلَةٍ : حَالُ عَامِلِهَا « تَيَّمَّتْ » .

سَلُّهُ الرِّكْضُ بَعْدَ وَهْنٍ بِنَجْدٍ فَتَصَدَّى لِلْفَيْثِ أَهْلُ الْحِجَازِ^(١)
وَتَمَنَيْتُ مِثْلَهُ فَكَأَنِّي طَالِبُ لَابْنِ صَالِحٍ مِنْ يُوَازِي^(٢)
لَيْسَ كُلُّ السَّرَاةِ بِالرُّوْذِبَارِ يَ وَلَا كُلُّ مَا يَطِيرُ يَبَازِ^(٣)

— الأوساط — يعنى الدروع والمغافر فأنا أغزو الناس وأنت تغزو الحديد ، فكلانا يغزو جنسه .

قوله : ولقطى : عطف على قوله لضرب الرقاب ، وعليها : حال من الحديد . هذا ، ويقال : رجل غاز ، والجمع غزاة كقماض وقضاة ، وغزى - بتشديد الزاى - مثل سابق وسبق ؛ وغزى ، على مثال فعل مثل حاج وحبيج وهاطن وفطيف . قال زياد الأعجم :

قل للقوافل والغزى إذا غزوا والباكرين وللمجبد الرامح
وغزاه أيضا بالمد : مثل فاسق وفساق ، قل تأبط شراً :

فيوماً يغزاه ويوماً يسريةً ويوماً بحشاش من الرجل هيضل
« سرية : اسم من الأسراء ، والحشاش : الجماعة الكثيرة ، والهيضل : الجيش الكثير ، والرجل : اسم جمع أو جمع راجل ، أى مشاة » والنسبة إلى الغزو غزوى ، وكله الذى يغزو العدو ، وأصله القصد .

(١) الركض : العدو السريع ، والوهن : هو نحو من نصف الليل ؛ ومثله الموهن ، وقيل : هو حين يبرد الليل ؛ وتصدى : تعرض ، والفَيْثُ : المطر . يقول : ركضنا الحيل فكان من شدة جريها أن انسل هذا السيف من غمده ونحن بنجد بعد صدر من الليل ، فظن أهل الحجاز لمعانه ضوء برق فارتقبوا نزول المطر . وهذا من قول على بن الجهم فى قبة للتوكل :

إذا أوقدت نارها بالمِراق أضاء الحجاز سنا نارها
والأصل قول الوائلى :

ماسله أهل الحجاز لحاجة إلا يُبشِّرُ بالسحاب الشاما

قال ابن جنى : خص أهل الحجاز لأن فيه طمعا ، أو لأن القافية جرت إليهم .

(٢) يوازى : يعادل ويمثل . وابن صالح : هو الممدوح . يقول : ها فريدان ، لا نظير لسيفى ولا لهذا الممدوح . وهذا من أحسن الخالص .

(٣) السراة : جمع سرى - الشريف - والروذبارى : الممدوح ، نسبة إلى بلد

فَارِسِيٌّ لَهُ مِنَ الْمَجْدِ تَاجٌ
كَانَ مِنْ جَوْهَرٍ عَلَى أَبْرَوازٍ^(١)
نَفْسُهُ فَوْقَ كُلِّ أَصْلٍ شَرِيفٍ
وَلَوْ أَنِّي لَهُ إِلَى الشَّسَنِ عَازِيٌّ^(٢)
وَكَاَنَّ الْفَرِيدَ وَالْذَّرَّ وَالْيَا
قُوتَ مِنْ لَفْظِهِ وَسَامَ الرِّكَازِ^(٣)
شَفَلْتُ قَلْبَهُ حِسَانُ الْمَعَالِي
عَنْ حِسَانِ الْوُجُوهِ وَالْأَعْجَازِ^(٤)

أيه « روذبار » بلد من بلاد العجم . يقول : هو من العلية الأشراف ، وهو بينهم كالبازي بين سائر الطير : أي ليس أحد مثل هذا المدوح الذي قد جمع ما تفرق في غيره من العلية . وهذا المعنى ينظر إلى قول الحماسي :

بُغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فَرَاخًا وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلَاتٌ نَزُورُ
(١) أبرواز : هو أبرويز أحد الأكاسرة ، ملوك العجم ، تصرف فيه كمادة العرب تتصرف في الأسماء الأعجمية ما شاءت . يقول : إنه من أولاد ملوك فارس ، وله تاج من المجد كان مثله من الجوهر على رأس أبرويز ، يريد أنه معرق له عظامي .

(٢) تقول : عزوته إلى فلان : إذا نسبته إليه ، أعزوه ، فأنا عاز . يقول : هو هو بنفسه أجل من كل أصل شريف ، حق لو نسبته إلى الشمس كان أشرف منها .

(٣) وسام الركاز : عطف على الفريد . والفريد : الدر إذا نظم وفصل بغيره ، أو هو الكبار من الدر . والسام : عروق الذهب ، وأضافه إلى الركاز لأن الركاز معدن الذهب . يقول : إن هذه الأشياء كأنها أخذت من لفظه لحسنه وانتظامه .

(٤) الأعجاز . جمع عجز ، وهو أسفل كل شيء . يقول : إن شغله الشاغل إنما هو للمعالي ، لا مغازلة النساء . وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

وَمِنْ كَانَ بِالْبَيْضِ الْكُوعُ ابْغَمَ مَغْرَمًا فَمَازَلَتْ بِالْبَيْضِ الْقَوَاضِبُ مَغْرَمًا
وَمِنْ تَيَمَّتْ سُمْرُ الْحَسَانِ وَأَذْمَهَا
فَمَا زَلَتْ بِالسَّمْرِ الْعَوَالِي مُتَمِيمًا

تَقْضِمُ الْجَمْرَ وَالْحَدِيدَ الْأَعَادِي
 دُونَهُ قَضِمَ سُكَّرِ الْأَفْوَازِ^(١)
 بَلَفَتْهُ الْبَلَاغَةُ الْجُهْدَ بِالْعَفْوِ وَنَالَ الْإِسْهَابَ بِالْإِيْجَازِ^(٢)
 حَامِلُ الْحَرْبِ وَالْدِيَاتِ عَنِ الْقَوْ مِ وَيَقِلُّ الدُّيُونِ وَالْإِغْوَازِ^(٣)

ويقول :

عَدَاكَ حَرُّ الثَّفُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ بَرْدِ الثَّفُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْخَصِيبِ^(١)
 (١) القضم : أكل الشيء اليابس . والآهوز : كور بين البصرة وفارس . يقول :
 لحق أعدائه عليه وشدة غيظهم من جراء قصورهم دونه يقضمون الجمر والحديد كما
 يقضم السكر . وهذا من قول الأعشى :

قَضِمَ حَدِيدَ الْأَرْضِ إِنْ كُنْتَ سَاخِطًا
 بِفَيْكَ وَأَحْجَارَ الْكَلَابِ الرَّوَاحِصِ^(٢)
 وقول أبي العتاهية :

كَأَنَّ الْمَطَايَا الْمُجْهَدَاتِ مِنَ الشَّرَى إِلَى بَابِهِ يَقْضِمْنَ بِالْجُهْدِ سُكَّرًا
 (٢) العفو : الليسور — من عفو المال : ما فضل عن النفقة فبذل بسهولة . والجهد :
 المشقة ، والإسهاب : الإكثار . يقول : إنه من البلاغة بحيث يبلغ باليسر والسهولة
 ما يبلغه غيره بالمشقة وجهد الروية . وينال بإيجازه . في انقول ما ينال غيره بالإسهاب
 وما أجمل قول البحرى :

فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَا شَكَ امْرُؤُ أَنَّهُ نِظَامٌ فَرِيدٌ
 حُزْنَ مُسْتَعْمِلِ الْكَلَامِ اخْتِيَارًا وَتَجَنُّبِ ظُلْمَةِ التَّعْقِيدِ
 (٣) الديات : جمع دية ، ما يؤخذ من القاتل عن القتال . والإعواز : الحاجة والفقرة .

(١) سلسالها : يريد ريقها ، والحب : الذى فيه الحصباء ، وهى صفار الحصى .
 (٢) عض : أمر ، من عض يعض ، والكلاب — بضم الكاف ، وتخفيف اللام —
 اسم ماء كانت عنده إحدى الوقائع ؛ والرواحص : صفة للأحجار ، وهى الثابتة
 المترفة المترافعة .

كَيْفَ لَا يَشْتَكِي وَكَيْفَ تَشْكُوا

- وَبِهِ لَا يَمْنُ شَاكِهًا الْمَرَاذِي^(١)
 أَيُّهَا الْوَاسِعُ الْفَنَاءُ وَمَا فِيهِ مَيِّتٌ لِمَالِكِ الْمُجْتَازِ^(٢)
 بِكَ أَضْحَى شَبَا الْأُسْنَةِ عِنْدِي كَشَبَا أُسُوقِ الْجِرَادِ النَّوَازِي^(٣)
 وَأَنْتَنِي عَنِّي الرَّؤْدَيْنِي حَتَّى دَارَ دَوْرَ الْخُرُوفِ فِي هَوَازِ^(٤)
 وَبَابَاثِكَ الْكِرَامِ النَّاسِي وَالْتَسَّلِي عَمَّنْ مَضَى وَالتَّعَاذِي^(٥)

(١) المرادى : الرزايا ، جمع مرزئة . فأصله المزد . وخفف للضرورة . وضمير تشكوا : للقوم . يقول : إني لأعجب كيف لا يشتكى ثقل ما يحمل عن قومه ، وكيف يشتكى رزية أحد من قومه وهو حاملها عنه ؟

(٢) فناء الدار . ساحتها ، والمجتاز : الذى يجوز بالمكان ولا يرجع عليه . يقول : إن فناء داره واسع ودوره كثيرة متوافرة ، ومع ذلك يجتاز به ماله فلا يقيم عنده ولا يجد مكانا يبيت فيه . يعنى أنه معطاء يذل ماله فلا يبتقى عنده .

(٣) شبا الأسنة : حدها . وأسوق : جمع ساق . والنوازي - من قولك نزا الجراد ينزو - وثب . يقول : لما صرت فى جوارك واعتصمت بك صرت لا أكثر لمدو ولا سلاح حتى صار سنان الرمح فى نظرى كساق الجراد لقله مبالاى به .

(٤) قوله فى هواز : أراد فى هوز . والعرب تنطق بهذه الكلمات على غير ما وضعت ، كما قال أبو حنن فى البرامكة :

أَبُوجَادُهُمْ بَذَلُ النَّسْوَى يُلْهَمُونَهُ وَمُعْجَمُهُمْ بِالسَّوْطِ ضَرْبُ الْفَوَارِسِ
 وإنما هو أبجد . يقول للثنى : ارتد الرمح عنى والتوى على نفسه التواء الحروف
 الدورية فى هوز ، وهى الهاء والواو والزاي ؛ والجيد فى تعطف الرماح قول أبى
 الصلاء للمرى :

وَتَعَطَفَتْ لِمَبِ الصَّلَالِ مِنَ الْأَسَى فَالزُّجُّ عِنْدَ الْلَهْدَمِ الرَّعَافِ
 (يقول المرى : تعطفت الرماح من الحزن كما تتعطف الحيات ، وتلوى إذا
 لعبت حتى تجمع رءوسها إلى أذيالها : أى تتأود الرماح من الحزن حتى تجتمع
 أسنتها وزجاجها) .

(٥) الناسى : التمزى ؛ والتمازى : جمع تمزية . يقول : إنما يعزى عمن مضى
 منا بذكر آبائك الكرام ، فإذا ذكرنا قدمهم : هان علينا قدم من بعدهم .

(١٩ - التنبى ٢)

تَرَكُوا الْأَرْضَ بَعْدَ مَا ذَلَّلُوهَا وَنَشَتْ تَحْتَهُمْ بِلَا مِهْمَازٍ^(١)
وَأَطَاعَتْهُمْ الْجِيُوشُ وَهَيَّبُوا فَكَلَامُ الْوَرَى لَمْ كَالْتَحَازِ^(٢)
وَهَجَانٍ عَلَى هَجَانٍ تَأَيَّتِكَ عَدِيدَ الْخُبُوبِ فِي الْأَقْوَازِ^(٣)

(١) للمهماز : حديدة تيجل في عقب الراكب ، ينخس بها بطن الدابة لتسرع في
الشي . يقول : ماتوا بعد أن ملكوا الأرض وانقادت لهم اقياد الدابة القلول التي
تمشى بغير مهماز .

(٢) النحاز : داء يصيب الإبل والغنم في صدورهما يشبه السعال . وهيبوا : أى
هابهم الناس . قال ابن جني : أى لما صاروا إلى هذه الحالة من علو الكلمة وإطاعة
الجيوش إياهم صاروا لا يعاؤون بكلام أحد . وقال الواحدى : وأجود من هذا أن
يقال : السعال يرقق الصوت ؛ والمعنى : لهيبتهم كان الناس لا يرفعون الصوت :

(٣) وهجان : أى ورب هجان ؛ والهجان من الإبل والناس : السكرام الخالصة
النسب ، وتأيتك وتأيتك : أنت إليك وقصدتك ، يقال تأيا الشيء وتأياه : أى
تعمد آيته ، أى شخصه ، وقصده ؛ وآية الرجل : شخصه ، قال :

الْحَصْنُ أَذْنَى لَوْ تَأَيَّيْتَهُ مِنْ حَنِيكِ التَّرْبِ عَلَى الرَّاكِبِ^(١)
وقال لقيط بن معمر الأيادي :

أَبْنَاءُ قَوْمٍ تَأَيَّوْكُمْ عَلَى حَنْقٍ لَا يَشْعُرُونَ أَضَرَ اللَّهُ أَمْ نَقَعًا
وقد استشهد بعض الشراح ببيت الأعشى :

إِذَا مَا تَأَيَّ يُرِيدُ الْقِيَامُ تَهَادَى كَمَا قَدَرَأَيْتَ الْبَهْرَ^(٢)

موردين إياه إذا ماتا ، وهذا خطأ منهم ، لأنه إذا ماتا ؛ وتأى للشيء : تهاى له
والأقواز : جمع قوز ، القطعة المستديرة من الرمل ، شبه الزاية . يقول : رب رجال
كرام على إبل كريمة قصدوك في مثل عدد حبات الرمل كثرة ،

(١) هذا البيت لا مرأة تخاطب ابتها ، وقد قالت لها :

يَا أُمِّي أَبْصُرْنِي رَاكِبٌ يَسِيرُ فِي مُسْحَنَفَرٍ لَاحِبٍ

مازلت أحشو التراب في وجهه عِداً وَأُحْيِي حَوْزَةَ الْغَائِبِ

فَقَالَتْ لَهَا أُنْهَا : الْحَصْنُ ... الخ ...

(٢) بهراً : أى مبهوراً ، أى أصابه البهر ، وهو انقطاع النفس من الإعياء .

صَفَهَا السَّيْرُ فِي الْعَرَاءِ فَكَانَتْ فَوْقَ مِثْلِ الْمَلَاءِ مِثْلَ الطَّرَازِ^(١)
وَحَكَى فِي اللَّحُومِ فِعْلَكَ فِي الْوَفْرِ فَأَوْدَى بِالْعَنْتَرِيسِ الْكِنَازِ^(٢)
كُلَّمَا جَادَتِ الظُّنُونُ بِوَعْدِ عَنْكَ جَادَتْ يَدَاكَ بِالْإِنْجَازِ^(٣)
مَلِكٌ مُنْشِدُ الْقَرِيضِ لَدَيْهِ
وَاضْمَعْ الثَّوْبَ فِي يَدَيَّ بَرَازِ^(٤)
وَلَنَا الْقَوْلُ وَهُوَ أَذْرَى بِفَحْوَا هُ وَأَهْدَى فِيهِ إِلَى الْإِعْجَازِ^(٥)
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ شُعْرَاءُ كَأَنَّهُا أَنْكَازِ بَازِ^(٦)

(١) العراء : الأرض الواسعة كالفضاء ؛ والملاء : جمع ملاءة ، الربطة ذات لفقين ، والإزار ؛ والطرّاز : ما يكون في الثوب من النقش ، فارسي معرب . شبه استواء الإبل وانتظامها صفوفاً في سيرها على سعة الفضاء بطراز - نقش - على ملاءة . وإذا كان هناك في هذه الحالة سراب كان التشبيه أوقع لياضه ، وهكذا سير الإبل إذا كان في بسيط من الأرض وكانت كراماً استقامت في السير كأنها صف فلم تتقدم واحدة على أخرى ، كما قال أبو نواس :

تَذَرُ الْمَطْيَ وَرَاءَهَا فَكَأَنَّهُا صَفَ تَقْدَمُهَا وَفِي إِمَامٍ
(٢) فاعل حكى : ضمير السير ؛ والوفر : المال الكثير ، وأودى : أهلك ، والعنتريس : الناقة الشديدة الصلبة ، والكناز : المكتنزة اللحم . يقول : إن السير ذهب بلحوم هذه الإبل وأفنى كل ناقة صلبة منها فحكي - مائل - في ذلك جودك في إهلاك المال .
(٣) يقول : كلما ظن إنسان أنك تعطيه شيئاً فوعده ظنونه بذلك عنك وعدا صدقت ظنونه وأنهجت ذلك الوعد ، وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

صَدَّقْتَ ظَنِي وَصَدَّقْتَ الظُّنُونَ بِهِ وَحَطَّ جُودُكَ عِنْدَ الرَّحْلِ عَنْ جَمَلِي
(٤) القريرض الشعر والبزاز : تاجر الثياب . يقول : انه عارف بالشعر معرفة البزاز بالثياب .

(٥) يقول : تقول القول وهو أدرى منا بمغزاه وأبصر بمواطن الإعجاز فيه . وقال ابن جني : أي ينسب إلينا القول وهو أعلم بمغناه وأولى منا أن يأتي في القول بالمعجز .
(٦) الحازباز - ببناء الجزأين على الكسر - حكاية صوت الذباب ، ثم سمي به الذباب

وَيَرَى أَنَّهُ الْبَصِيرُ بِهَذَا وَهُوَ فِي الْعَمَى ضَائِعُ الْكَازِ (١)

نفسه . يقول : أنت طب بالشعر ناقد له ، وغيره لا يعرف الشعر ولا يميز جيده من رديته ، فيجوز عليه شعراء يهدون بما لا حفل له كأنهم الذباب حين يطن . هذا ؛ وإليك عبارة اللسان في الخازباز توفية لهذه المادة ، وإن كان قد سبق لنا القول في ذلك ، قال :
والخازباز : ذباب ، اسمان جملا واحدا ، وبنيا على الكسر لا يتغير في الرفع والنصب والجبر ؛ قال عمرو بن أحمَر :

تَقَفَّأَ فَوْقَهُ الْقَلْعُ السَّوَارَى وَجُنَّ الْخَازِبَازُ بِهِ جَنُونَا

« الخازباز » وصي الذبان به - وهما صوتان جملا واحداً - لأن صوته خازباز ، ومن أعربه نزله بمنزلة الكلمة الواحدة فقال خازباز ؛ وقيل أراد النبت ، وقيل أراد ذبان الرياض ؛ وقيل : الخازباز ، حكاية لصوت الذباب فسماه به ، وأنشد أبو نصر تقوية لقوله :

أَرْعَيْتَهَا أَكْرَمَ هُودٍ هُودَا الصَّلَّ وَالصَّفْصَلَّ وَالْيَفْضِيْدَا

وَالْخَازِبَازِ السِّنِّمَ الْمَجُودَا بِحَيْثُ يَدْعُو عَامِرٌ مَسْعُودَا

« نبت سنم حرجع ، وهو الذي خرجت سنمته ، وهو ما يملو رأسه كالأكليل ، والمجود الذي أصابه المطر » وعامر ومسعود راعيان « وكل من الصل والصفل واليعضيد نبات » والخازباز - في غير هذا - داء يأخذ الإبل والناس في حلقها . أقول : « لعله من لسع ذباب بعينه » وقال ابن سيده : الخازباز : قرحة تأخذ في الحلق ، وفيه لغات ، قال :

يَا خَازِبَازِ أَرْسِلِ اللَّهَازِمَا إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ لَازِمَا

والخزباز : لغة وأنشدوا :

مِثْلُ الْكِلَابِ تَهَرَّ عَنْدَ دِرَابِهَا

وَرَمَتْ لَهَا زُمُهَا مِنْ الْخِزْبَازِ

« الدارب : جمع درب ، واللهازم : جمع لهزيمة ، وهي لحمة في أصل الحنك ، شبههم

بالكلاب النابحة عند الدروب »

(١) يقول : ويظن أنه طب بالشعر بصير بمعرفته مع أنه فيه كالأعمى الذي ضاعت

كُلُّ شِعْرِ نَظِيرُ قَائِلِهِ فِيكَ وَعَقْلُ الْمُجِيزِ عَقْلُ الْمُجَازِ^(١)

عصاه فهو لا يهتدى للطريق ، وقوله : وهو فى العمى الخ ، أى هو ضائع العكاز حال كونه فى جملة المبيان .

(١) المجيز : المدوح الذى يعطى الجائزة ، والمجاز : الشاعر الذى يأخذ الجائزة . وقوله : عقل المجاز ، أى مثل عقل المجاز : حذف المضاف .

يقول : إن الشعر حسب قارضه : فإن كان الشاعر مجوداً ذا قريحة بصيراً به كان شعره حسب طبقته هذه ؛ وكذلك المتخلف يكون شعره متخلفاً ، والمدوح الذى يحيز يشبه عقله عقل من يأخذ جائزته ، فهو إن أجاز على الشعر الجيد البارع كان عقله جيداً كعقل قارضه وإن أجاز على الشعر الدون كان عقله دوناً كذلك . والحاصل أن الشعر يحك للمادح والمدوح معاً ، فهو يدل على مكانة الشاعر من القدرة على التجويد والابتكار ، وعلى مكانة المدوح من البصر بالشعر وتقدمه ومعرفة ما يستحقه . وروى بدل « قائله فيك » قابله منك ، فيكون الخطاب للشاعر . يقول للشاعر : إذا مدحت أحداً قبل شعرك فهو نظيره : يعنى أن العالم بالشعر لا يقبل إلا الجيد ، والجاهل به يقبل الردىء .

قافية السين

وقال وقد أذن المؤذن ، فوضع سيف الدولة الكأس من يده ، فقال أبو الطيب
ارتجالاً :

أَلَا أذُنٌ فَمَا أَذْكَرْتَ نَائِي وَلَا كَيْنَتْ قَلْبًا وَهُوَ قَاسٍ ^(١)
وَلَا شُغْلٌ أَلَامِيدُ عَنِ الْمَعَالِي
وَلَا عَنْ حَقِّ خَالَتِهِ بِكَاسٍ ^(٢)

وقال يمدح عبيد الله بن خلكان الطرابلسي :
أَعْطَيْتَهُ الْوَحْشَ لَوْلَا ظَبْيَةُ الْإِنْسِ
لَمَّا غَدَوْتُ بِجِدَّةٍ فِي الْهَوَى تَمِيسٍ ^(٣)

(١) يقول - للمؤذن - أذن فلم تذكر بأذنانك نائياً : يعني أنه يحافظ على الصلوات
لا ينسى أوقاتها ، فهو غير محتاج إلى أن يتذكرها بالأذان ، وهو لين القلب خاشع ،
فلا يحتاج إلى ما يلينه . وكان حقه أن يقول نائياً ، ولكنها الضرورة ، أو على لغة من
يقول : رأيت قاض . وقوله : وهو قاس ، في موضع الحال ، كأنه قال : ولا كنت
قلباً قاسياً .

(٢) يقول : لم تكن الكأس لتشغله عن حق الله تعالى ، ولا عن مراعاة أسباب
المعالي ، فهو ليس بمن يستهلكون أوقاتهم فيفعل عما يلزمه من أداء فرض أو مراعاة
حق . وفي مثل هذا يقول أبو تمام :

وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنْ طَلَبِ الْمَعَالِي وَلَا لَذَائِهَا لَهْوٌ وَلَعِبُ

(٣) الأنس : جماعة الناس . تقول : رأيت بمكان كذا أنساً كثيراً ؛ أي ناساً
كثيراً ، والأنس أيضاً : الحمى المقيمون ؛ والأنس كذلك : لغة في الإنس . وأنشد
الأخفش على هذه اللغة لشمر بن الحارث الضبي :

نظر الراس من ١٩ ص ٢٢٤

أَتَوَا نَارِي ، فَقُلْتُ مَنْوَنَ أَتَمَ ؟ فقالوا : الجن ، قلتُ : عَمُوا ظلاماً
فقلتُ : إلى الطعام ؟ فقال مِنْهُمْ زَعِيمٌ : نَحْسُدُ الْآنَسَ الطَّعَامَ
لقد فَضَلْتُمُو بِالْأَكْلِ فِينَا ولكن ذاك يُفَقِّبُكُمْ سَقَامَا
والآنس . أيضاً : خلاف الوحشية ، وهو مصدر أنست به - بالكسر - أنساوأنسة .
وفيه لغة أخرى : هي أنست به أنساً ، مثل كفرت به كفرأ . والجد : الحظ والبخت ،
والتعس : الانحطاط والكب والعثور : ضد الاتعاش وقيل الهلاك ، وتعس - بالفتح -
يتعس تعساً ، وأتعسه الله . قال مجمع ابن هلال :

تَقُولُ وَقَدْ أَفْرَدْتُهَا مِنْ خَلِيلِهَا تَعَسْتُ كَمَا أَتَعَسْتَنِي يَا مُجْمَعُ
والمراد بالجد التعس : للنحوس المشوم . وقد عابوا قوله : تعس ، قائلين : إنما يقال
جد تاعس ، من تعس - بفتح العين - . ولا يجوز بكسرها إلا ما روى عن الفراء ، واحتج
أهد اللغة ببيت الأعشى :

بِذَاتِ لَوْثٍ عِفْرٍ نَامَ إِذَا عَثَرْتُ فَالتَّعَسُ أَذَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَمَأً^(١)
ولو جاز تعس - بالكسر - لكان المصدر تعساً ، فعلى هذا لا يقال : جد تعس .
وإنما يقال : تاعس . يخاطب الظبية الوحشية لأنها ألفت له لكثرة ملازمته الفياقي ومساءلته
الأطلال ، كما قال ذو الرمة :

أَخْطُ وَأَنْحُو الْخَطَّ ثُمَّ أَعِيدُهُ بِكَفٍّ وَالْفِزْلَانَ حَوْلِي تَرَنُّ
أَيُّ قَدْ أَلْفَنِي وَأَنْسَنِي لِكثْرَةِ مَا يَرِنُنِي . يقول : لولا شبيبتك من الإنسان أيتها
الظبية - يعني حبيبتك - لما صرت في الحب ذا جد منحوس .

(١) قوله بذات لوث : متعلق بكلفت - في بيت قبله - وهو :

كَلَّفْتُ مَجْهُولَهَا نَفْسِي وَشَايَعَنِي هِيَ عَلَيْهَا إِذَا مَا آلَهَا لَمَعَا

اللوث - بالفتح - القوة . وعفرناة ، شديدة قوة ، والعرب تدعو على العائر من
الدواب إذا كان جواداً بالتعس فتقول : تعساً له ، وإن كان بليداً كان دعاؤهم له إذا عثر :
لماً لك ، وهي كلمة يراد بها : أن يتعس .

- وَلَا سَقَيْتُ الثَّرَى وَالْمُزْنَ مُخْلِفَةً دَمْعًا يُنَشِّفُهُ مِنْ لَوْعَةٍ نَفْسِي^(١)
وَلَا وَقَفْتُ بِجِسْمٍ مُسَى ثَالِثَةً
ذِي أَرْسُمٍ دُرُسٍ فِي الْأَرْسُمِ الدُّرُسِ^(٢)
صَرِيحَ مُقْلَتِهَا سَأَلَ دِمْنَتِهَا
قَتِيلَ تَكْسِيرِ ذَاكَ الْجَفْنِ وَاللَّعْسِ^(٣)
خَرِيدَةً لَوْ رَأَتْهَا الشَّمْسُ مَا طَلَعَتْ
وَلَوْ رَأَاهَا قَضِيبُ الْبَانِ لَمْ يَمِسْ^(٤)

(١) الثرى : التراب ؛ والمزن : السحاب الأبيض ؛ ومخلفة : أى غير ماطرة من إخلاف الوعد . يصف حرارة وجده وكثرة دموعه ، وأن حرارة نفسه تنشف دموعه إذا جرت على الأرض . وهذا ينظر إلى قول الآخر :
لَوْ لَا الدَّمُوعُ وَفِيضُهُنَّ لَأَحْرَقَتْ أَرْضَ الْوَدَاعِ حَرَارَةُ الْأَكْبَادِ
وقول الآخر :

وتكاد نيران القلوب إذا التظلت يوماً تُنَشِّفُ فِي الْعَيُونِ الْمَاءَ
(٢) المسى : المساء ، مثل الصبح والصبح . وهو ظرف للوقوف ؛ ومسى ثالثة : أى مساء ليلة ثالثة . وذى أرسم : صفة لجسم . والأرسم جمع رسم : الآثار ، والدرس : جمع دارس ودارسة : أى التى انمحت . يقول : لولا هذه الظبية لما وقفت برسوم دارها مساء الليلة الثالثة من ظننها - أى لما وقفت بربعها مع قرب العهد ببقائها - بجسم دارس نازل قد أبلاه الحزن وأنعمله حتى آض مثل تلك الرسوم . ومثله للعكوك :

خَلَفْتَنِي نِصْوُ أَحْزَانٍ أَعَايِلُهَا بِالْجَزَعِ أَنْدُبُ فِي أَنْضَاءِ أَطْلَالِ
(٣) الدمنة : جمعها دمن - ما اسود من آثار الديار - ، واللّس : سمرة في الشفة مثل اللّمس ، وصريع ومآل : حالان . ومن خفضهما : فعلى أنهما نعتان لجسم . واللّمس : عطف على تكسير . وكاف ذاك : رويت بالكسر لأنه يخاطب الظبية . يذكر شدة وجده بها ، وأن مقتلها قد صرخته بسحرها وأنه يتسلى بسؤال آثار دارها عنها أين ذهبت . وأنه مقتول بما في جفنها من الانكسار وتور النظر وما في شفها من السمرة .
(٤) الحريرة : الحفرة الحية . وماس النصن يمس : مال وتنى . وليس : أصله

مَا ضَاكَ قَبْلَكَ خَلْخَالٌ عَلَى رَشَاٍ وَلَا سَمِعْتُ بِدِيَاكِجٍ عَلَى كَنْسٍ^(١)
إِنْ تَرَمِينِي نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْ كَنْبٍ
تَرَمِ أَمْرًا غَيْرَ رَغْدِيدٍ وَلَا نِكْسٍ^(٢)

التبختر . وهو للانسان ، واستعاره للقضيب من حيث إن حسن تمايله يشبه التبختر .
يقول : لأنها أحسن من الشمس حتى لو رأتها الشمس لم تطلع حياء منها . وهي أحسن
تشيا من ثنى غصن البان ، فلو رآها لم يتأيل . قال الواحدى : وفى هذا إشارة إلى أنها
فى غاية السر ، وأن الشمس لم ترها ولا النصف .

(١) الرشا : الظبي الصغير . والكنس والكناس الموضع الذى تتخذة الطباء من
أغصان الشجر تستظل به من الحر . يقول : إن الرشا دقيق القوائم لا يضيق الخلخال
على قوائمه ، وأنت رشا غليظ القوائم كثير اللحم يضيق عليك الخلخال ، ولم أسمع أن
كناس الرشا يسز بالديياج - ضرب من الثياب الحريرية - أما أنت فستورة الكناس
بالديياج - يريد هودجها . وفيه نظر إلى قول ابن ديد :

أَعَنِ الشَّمْسِ عِشَاءَ رُفَعْتَ تِلْكَ السَّجُوفُ
أُمِّ عَلَى أَذْنِي غِرَالٍ عُلِّقَتْ تِلْكَ الشُّنُوفُ

(٢) الكتب : القرب . والرعديد : الجبان . والنكس : الساقط الفشل ، وأصله
بكسر النون وسكون الكاف ، فلما احتاج إلى تحريكه نقله إلى فعل . بفتح فكسر ، أو
بكسرتين : على حد قول عبد مناف بن ربح الهذلى :

مَاذَا يَفْعِلُ ابْنَتِي رِبْعٍ عَوِيلُهُمَا لَا تَرْقَدَانِ وَلَا يُؤْسَى لِيَنَّ رَقْدَا
كِلْتَاهُمَا أَبْطَلَتْ أَحْشَاؤُهُمَا قَصْبًا مِنْ بَطْنِ حَلِيَّةٍ لَا رَطْبًا وَلَا نَقْدًا
إِذَا تَجَاوَبَ نَوْحٌ قَامَتَا مَعَهُ ضَرْبًا أَلِيمًا بِسَبْتٍ يَلْمِجُ الْجِلْدَا^(١)

(١) يقول هذه الأبيات فى أخيه وبكائهما على أبيهما . قوله : ماذا يغير الخ ، أى
لا يغيى بكاؤهما على أبيهما من طلب ثأره شيئاً . وقوله : كلتاها أبطلت الخ ، يقول : كأن فى
أجوافهما قصب للزأمر من شدة البكاء . وفى الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يبكى فى صلاته حتى يسمع لجوفه أزيز كأزيز المرجل . وقوله : ولا هداً ؛ أى لم يتأكل
والثاء فى «ترقدان» للمؤنث الغائب . والحلية : مأسدة بالعين والنوح : النساء يجتمعن
للنواح ؛ وقد كانت نساء العرب فى مناحتهن يلطمن خدودهن بالجلود .

يَفْدَى بِبَيْدِكَ عُبَيْدَ اللَّهِ حَاسِدُهُمْ
 بِجَبْهَةِ الْعَمِيرِ يُفْدَى حَافِرُ الْفَرَسِ^(١)
 أَبَا الْفَطَارِقَةِ الْحَامِينَ جَارَهُمْ وَتَارِكِي اللَّيْثِ كَلْبًا غَيْرَ مُفْتَرَسٍ^(٢)
 مِنْ كُلِّ أَبْيَضَ وَضَاحٍ عِمَامَتُهُ كَأَنَّمَا أُشْتَمَلَتْ نُورًا عَلَى قَبَسٍ^(٣)

[غير : ينفع . والسبت : جلود البقر المدبوعة . واللعج : الحرقه . أراد الجلود ، فرك اللام بالكسر لكسر ما قبله .] ومثله كثير . يقول المتنبي : إن رمانى الدهر بنوابه عن قرب - يعنى من حيث لا يخطئ - فأنى غير جبان ولا ساقط دنىء - يعنى لا أخاف ذلك ولا أجنب منه .

(١) عبيد الله : منادى وحاسد هم : فاعل يفدى . جعل العير - الحمار - مثلاً للدنىء . والفرس : مثلاً للكريم ، والمعنى : بأعز شيء فى اللثيم يفدى أحسن شيء فى الكريم : أى أن حاسد هم إذا فداهم كان كما يفدى حافر الفرس بوجه الحمار . ومثل هذا لأبى جعفر الأسكافى :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَهِيَ غَيْرُ عَزِيزَةٍ فِي جَنْبِ شَخْصِكَ وَهُوَ جِدُّ عَزِيزٍ
 فَلَقَدْ يَتَّقِي الْحَرَّ الْبَيْتِ أَذَاتَهُ فِي وَقْتِهَا كَفَتْ مِنَ الشُّونِيزِ
 » الشونيز والشينيز : الحبة السوداء ؛ ومثله لأبى نصر العتي :

اللَّهُ يَشْهَدُ وَالْمَلَأْتُكَ أَنْتَى لَجَلِيلٍ مَا أَوْلَيْتَ غَيْرُ كَفُورٍ
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ لَا لِقَدْرِي بَلْ أَرَى أَنَّ الشَّعِيرَ وَقَايَةَ الْكَافُورِ

(٢) أبى الفطارقة : نصب على البدل من عبيد الله ، الذى هو منادى . والفطارقة : جمع غطريف ، وهو السيد . والحامين : جمع حام ، وهو الذى يحمى قومه وجيرانه . يقول : يا أبى السادة الذين يحفظون جارهم ويتركون الأسد كلباً لا يصيد شيئاً ، يعنى أن الأسد - أى البطل الشجاع - عندهم كالكلب غير الصائد ، لجبنه عنهم .

(٣) الأبيض هنا : الكريم النقى العريض . والوضاح : المشرق الواضح الجبهة . والقبس : الشعلة من النار . وعمامته : مبتدأ . والخبر : الجملة التى بعده . أى أنه تحت عمامته كأنه شعلة نار لنور وجهه وإشراق لونه . وهو من قول عبد الله بن قيس الرقيات^(١) :

(١) إنما أضيف قيس إلى الرقيات ؛ قيل لأنه كان يشب بعبدة نسام يسمين جميعاً رقية .

دَانٍ يَمِيدٍ مُحِبٍّ مُبْفِضٍ بِهِجٍ أَغْرَ حُلُوِّ مِرَّةٍ لَيْنٍ شَرِسٍ^(١)
 نَدِيٍّ أَبِي غَرٍ وَافٍ أَخِي ثَقَةٍ
 جَعَدَ سَرِيٍّ نَهٍ نَذْبٍ رَضَى نَدُسٍ^(٢)
 لَوْ كَانَ فَيْضُ يَدَيْهِ مَاءَ غَادِيَةٍ
 عَزَّ الْقَطَأُ فِي الْغِيَا فِي مَوْضِعِ الْيَبَسِ^(٣)

إنما مُصْعَبُ شَهَابٍ مِنَ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
 (١) أمر الشيء : صار مرأ . يقول : هو دان - قريب - بمن يحبه ويقصده بعيد
 عمن ينازعه ، محب للفصل وأهله ، مبغض للنقص وأهله . بهج بالقصاد ، حلو لأوليائه
 مر على أعدائه ، لين في الرضا . شرس - صعب - على الأعداء . وروى الخوارزمي
 محب مبغض - بصيغة اسم المفعول . وبهج بالشيء وله ، بالكسر بهاجة : أى فرح به ،
 وسر ، فهو بهج وبهج قال الشاعر :

كَانَ الشَّبَابُ رَدَاءً قَدْ بَهَجْتُ بِهِ فَقَدْ تَغَايَرَ مِنْهُ لِلْبَلَى خِرْقُ
 (٢) ند : جواد ندى الكف . وأبى : أنوف يأبى الدنيا . وغر : مغرى بالفعل
 الجميل مولع به . واف : بالعهد والوعد . أخى ثقة : صاحب ثقة يوثق به . وروى ابن
 جنى : أخ - منونا - أى هو مستحق لإطلاق هذا الاسم - الأخ - عليه لصحة مودته
 لمن خالطه ، وثقة : موثوق به مأمون عند الغيب - وهو مصدر وصف به : كقولهم زيد
 عدل - وجعد جواد . قال الزمخشري : وأما قولهم جعد للجواد^(١) فمن الكناية عن
 كونه عرييا سخيا ، لأن العرب موصوفون بالجمودة . قال :

هَلْ يُرْوَيْنَ دَوْدَكَ نَزْعٌ مَقْدُ وَسَاقِيَانِ سَبِطٌ وَجَعْدُ
 أى عجمي وعربي ، لأنهما لا يتفاهان فلا يشتغلان بالكلام عن السقي . وسرى ؛
 شريف ، ونه : ذونمية ، وهى العقل . والندب : الخفيف فى الأمور يندب لها : أى
 يدعى فيندب . ورضى . أى مرضى . والندس - بضم الدال وبكسر ها - الفطن البحاث
 عن الأمور العارف بها .
 (٣) فيض يديه : أى الفائض من يديه . والغادية : السحابة تغدو بالمطر . والغيافى :

(١) لأن الأصل أن يقال : فلان جعد ، أى بخيل .

أَكْرَمَ حَسَدَ الْأَرْضِ السَّمَاءَ بِهِمْ
 وَقَصَّرَتْ كُلُّ مِصْرٍ عَنْ طَرَابُلُسٍ^(١)
 أَيْ الْمُلُوكِ - وَهُمْ قَصَدِي - أَحَافِرُهُ
 وَأَيْ قِرْنَ وَهُمْ سَبَنِي وَهُمْ تُرْمِي^(٢)
 وسأله صديق له يعرف بأبي ضبيس الشراب معه فامتنع وقال ارتجالاً :
 أَلَدُّ مِنَ الْمَدَامِ الْخَنْدَرِيسِ وَأَخْشَى مِنَ مُعَاطَاةِ الْكُثُوسِ^(٣)
 مُعَاطَاةُ الصَّفَائِحِ وَالْعَوَالِي وَإِفْحَايِ خَيْسًا فِي خَيْسِ^(٤)

جمع الثيفاء ، وهي اللقطة لا ماء بها . واليس : المكان اليابس . يقول : لو كان عطاؤه ماء سحابة لم الدنيا كلها حتى لا تجد القطا - وهو الطائر المعروف بالهداية - في الغلات موضعاً جافاً تتقط منه الحب أو تنام فيه ، ومن - هنا - أعبا . وأصله غلب وقهر ، ومنه بيت الحماسة :

قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ تَجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ

أى أعباها وجود موضع اليبس : أى للمكان اليابس وامتنع عليها .

(١) أكرم : جمع أكرم . كأفاضل وأفضل . يقول . بسببهم وكونهم في الأرض حسدتها السماء إذ لم يكن في السماء مثلهم ، وتأخر كل مصر - بلد - عن بلدهم طرابلس الشام لفضلهم على أهل سائر الأمصار .

(٢) هذا استفهام معناه الإنكار . ويقول : إذا قصدت هؤلاء لم أحذر أحداً من الملوك ، وإذا امتنعت بهم لم أحذر قرناً يقابلني . والقرن : كفتوك في الشجاعة : أما القرن من الناس : فهم أهل زمان واحد ، قال :

إِذَا ذَهَبَ الْقَرْنُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِمْ وَخُلِقَتْ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبٌ

والقرن : الوقت من الزمان ، يقال هو أربعون سنة ، وقيل ثمانون سنة ، وقيل مائة .

(٣) و (٤) الخندريس : الحجر القديمة . والصفائح : السيوف العريضة ؛ والعوالى : صدور الرماح ؛ والإقحام : دخول الشيء في الشيء ؛ والخييس : الجيش ؛ ومعنى معاطاة الصفائح : مد اليد بالسيوف إلى الأقران بالضرب : كد المتناول يده إلى من ناوله الشيء يقول : إن الحرب ألد عنده من الشرب : فقوله : ألد ، مبتدأ ؛ وخبره : معاطاة -

فَوَيْ فِي الْوَعَى أَرَبِي لَانِي رَأَيْتُ الْعَيْشَ فِي أَرَبِ النَّفْسِ^(١)
وَلَوْ سَقَيْتُهَا بِيَدِي نَدِيمَ أَسْرِهِ بِهٍ لَكَانَ أَبَا ضَيْيسٍ^(٢)

•••

وقال يمدح محمد بن زريق الطرسوسي :
هَذِي بَرَزْتُ لَنَا فَهَجَّتْ رَسِيْسًا مُمَّ أَنْتَنَيْتِ وَمَا شَفَيْتِ كَنَسِيْسًا^(٣)

في البيت الثاني — ومثل هذا يسميه العلماء : التضمين ، وهو عيب عندهم ، ومثله قول القائل :

لَسَلَّ السِّیُوفُ وَشَقَّ الصَّفُوفُ وَخَوَّضَ الْحَتُوفُ وَضَرَبَ الْقُلُلُ
أَلَذَّ إِلَيْهِ مِنَ الْأُسْمَاعِ وَشَرِبَ الْمَدَامَةَ فِي يَوْمِ طَلَنَ
(١) الوعى : الحرب ؛ والأرب : الحاجة . يقول : إذا قتلت في الوعى — الحرب —
فذلك هو حياتي ، لأن حقيقة الحياة ما يكون فيها تشبه النفس ، وأنا أشتى أن أموت
محارباً ، وإذا أدركت ما أشتى : فكأنني حيث .
(٢) يقول : لو رغبت في شرب الخمر لشربتها من يدي أبي ضبيس ، لأنني أسر
بمناعته .

(٣) هذي : أي يا هذه ، ناداها وحذف حرف النداء ضرورة ، وقال للمرى : هذه
موضوعة موضع الصدر وإشارة إلى البرزة الواحدة كأنه يقول : هذه البرزة برزت لنا
كأنه يستحسن تلك البرزة الواحدة ، وأنشد :

يَا إِلَهِي إِمَّا سَلَيْتِ هَذِي فَاسْتَوْسِقِي لَصَارِمٍ هَذَاذِ

أَوْ طَارِقِي فِي الدَّجْنِ وَالرَّذَاذِ

يزيد هذه الكرة ؛ والرسيس — في الأصل — مس الحصى وأولها ، وهو ما يتولد
عنها من الضعف . وللراد هنا : مارس في القلب من الهوى : أي ثبت ، قال ذو الرمة :
إِذَا غَبَرَ النَّأْيُ الْحَبِيْنُ لَمْ يَكْذُ رَسِيْسُ الْهَوَى مِنْ ذِكْرِ مَيَّةٍ يَبْرَحُ
والنسيس : بقية النفس بعد المرض والمزال . يقول : برزت لنا لحركت ما كان في
قلبنا من هوائك ثم انصرفت عنا مودعة وما شفيت ما أبقى عليه الهوى من نفوسنا —
بالوصال .

وَجَعَلْتَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي فِي الْكَرَى

وَتَرَكْتَنِي لِلْفَرَقْدَيْنِ . جَلِيساً^(١)
 قَطَعْتَ ذِيَّكَ الْخُمَارَ بِسَكْرَةٍ وَأَدْرَتِ مِنْ خَيْرِ الْفِرَاقِ كُؤُوساً^(٢)
 إِنْ كُنْتَ ظَاغِنَةً فَإِنَّ مَدَامِي تَكْنِي مَزَادَ كُفٍّ وَتُرَوِي الْعِيسَا^(٣)
 حَاشَى لِمَثْلِكَ أَنْ تَكُونَ بِخَيْلَةٍ وَلِمِثْلِ وَجْهِكَ أَنْ يَكُونَ عَبُوساً^(٤)
 وَلِمِثْلِ وَصْلِكَ أَنْ يَكُونَ مُنْعَمًا وَلِمِثْلِ نَيْلِكَ أَنْ يَكُونَ خَسِيساً^(٥)

(١) يقول : حلت بيني وبينك كما حلت بيني وبين النوم ، حظي منك ومن وصالك كحظي من النوم ، يعني لا حظ لي من الوصال ولا من النوم ، فهو ساهر طول الليل يراعى الفرقدين ، وهما نجمان لا يفترقان ، يضرب بهما الثقل في الاجتماع .

(٢) ذيك : تصغير ذاك ؛ والخمار : بقية السكر . يقول : كنا مع قربك في شبه الخمار لما كنا نقاسي من بخلك بالوصل ، فجاء ما طم على الخمار بإسكارك إيانا بفراقك ، يعني : بلينا من فراقك بأشد مما كنا تقاسيه من منعك مع قربك ، فشبّه بخلها في قربها بالخمار وفراقها بالسكر ، والخمار إذا قيس بالسكر : صغر .

(٣) الظمن : الارتمال . والدماغم : مجارى الدموع من العين ، والمراد : الدموع . والمزاد : جمع الزادة : القرية . والعيس : الإبل . يقول : إن كنت مرتحلة فإنني أكثر عليك من البكاء حتى إن دموعي تملأ ما معكم من أوعية الماء ، وتروى إبلكم فتكتفون بها عن نشدان الماء .

(٤) و (٥) حاشى : كلمة تنزيه ، تعرب إعراب المصادر المحذوفة العامل ، ولا تنون لأنها منقولة عن الحرف . وقد وفينا القول عليها فيما أسلفنا من هذا الشرح . و«أن تكون» في موضع جر بـ«من» مضمرة . واسم تكون : يرجع إلى مثل ، وهو يذكّر ويؤنث بحسب ما يقع عليه . وعبس : قطب وجهه ، والنيل : اسم لما ينال . والحسيس : القليل . يقول مثلك في حسنه وكرم أصله لا ينبغي أن يبخل على من يحبه بالوصال ، ومثل وجهك في توافر ملاحظته لا ينبغي أن يكون عبوساً للناظرين إليه ، وبودى أن تجودى بوصلك وأن لا تمنعه عنا . هذا : ولم يرد المتنبي ما قيل — في هذا البيت — أنه أراد أنها تكون مبذولة الوصال ، وإنما يحسن الوصال ويطيب إذا كان ممنماً ، وإذا كان مبذولاً مل ، وانحرفت النفس عنه ، وما أحسن قول القائل :

خَوْذْ جَفَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ عَوَازِلِي حَرْبًا وَغَادَرَتِ الْفَوَادَ وَطَيْسًا^(١)

ما أحلى الهوى ما لم تنل فيه المنى والحب أعدل ما يكون إذا اعتدى
وإذا اختبرت رأيت أصدق عاشق من لا يمد إلى مواصلة يدا
وقد قال كثير :

وإني لأسمو بالوصال إلى التي يكون نثيًّا وصلها وازديارها
أى إنما أرغب فى ذات القدر المصونة ، لا المبذولة ، وأنشد بعضهم قول الأعشى :
كَأَنَّ مِشْيَتَهَا فِي بَيْتِ جَارَتِهَا مَشَى السَّحَابَةُ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ
فقال هذه خراجة ولاجة ، هلا قال كما قال الآخر :

وتشتاقها جاراتها فيزرنها وتعتلّ عن إتيانهن فتعذر ؟
قال ابن فورجه : هذا اعتراض على التنبي بوصفه بحييته بأنّها مبذولة الوصال ،
ولم يتعرض لذلك بشيء ، وإنما قال لها حاشاك من هذا الوصف ، وليس فى اللفظ ما يدل
على أنّها مبذولة الوصل أو مئنة ، بل فيه أنه يريد أن يكون مبذولا وصلها له ، وأى
عجب لا يجب ذلك ؟ وإن كان لا يراد منه أنه يتمنى بذل حييته فهو محال ؟
قال أبو الفتح إنما أراد حاشى لك أن تمنى وصلك بالنية إن لم يكن بالفعل ، ألا ترى
إلى قول القائل :

أحب اللواتى هنّ فى رونق الصبا وفيهنّ عن أزواجهنّ طاحُ
مُسِرَّاتٌ وَدَّ مَظْهَرَاتٌ لُضْدَهُ تَراهنّ كالمرضى وهنّ صحاح ؟
أى هن يظهرن خلاف ما يكتمن . قال الخطيب : أما هذا الشاعر فقد أظهر
ما يحب وبينه ، وأنه يحب كل لعوب طامحة عن زوجها . وهذا مذهب بعض المحبين .
وأما قول المتنبي فهو مبين لهذا بقوله : أن يكون ممنا : فهو مهر صراح .

(١) الخود : — بفتح الحاء — الشابة الناعمة ، وجمعها : خود — ضمها —
وارتفاع خود على أنّها خبر مبتدأ محذوف . والوطيس : تنور من حديد ، ويقال حمى
الوطيس : أى اشتدت الحرب . يقول : لسكرة ما يلغنى — أى العوازل — فى هواها ،
ويراجعنى ويفضبنى صار كأن بينى وبينهن حربا من جرائمها ، ثم قال : وقد تركت
فؤادى مثل الوطيس : أى لمتهد بما فيه من حرارة الوجد .

يَيْضَاهُ يَمْنَعُهَا تَكَلَّمَ دَلَّهَا تَيْبًا وَيَمْنَعُهَا الْحَيَاءُ تَمَيِّسًا^(١)

(١) يقول : إنها يضاه — تقيّة المرض — يمنحها دلالتها أن تتكلم ويمنعها حياؤها أن تميس — تتثنى — فقوله تكلم ، يريد أن تتكلم ، خذف وأعمل ، وكذلك ؛ تميس ويروى بدل تكلم : التكلّم . وإليك ما قال العكبري الكوفي : قوله تكلم : أراد أن تتكلم ، خذف وأعمل ، وكذلك أن تميس ؛ وهو كثير في أشعارهم ، والبصريون لا يرون ذلك ؛ وحببتنا قول الشاعر :

انظرا قَبْلَ تَلَوْمَانِي إِلَى طَللِ بَيْنِ النِّقَا وَالْمُنْحَى

وقول طرفة :

أَلَا أَيُّهَاذَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرُ الْوَعَى

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي^(٢)

وقراءة عبد الله « لا تعبدوا إلا الله » فنصب بتقدير « أن » مع حذفها ؛ وقول عامر ابن الطفيل :

* وَنَهَنَتْ نَفْسِي بَعْدَ مَا كَلِمْتُ أَفْقَلَهُ *

وقد ألزمنهم بقولهم : إنها تعمل مع الحذف من غير بدل في جواب الستة بالفاء مقدرة وحببتهم أنها تصب الفعل ، وعوامل الأفعال ضعيفة ، فلا تعمل مع الحذف من غير بدل ، ولهذا بطل عملها في قوله تعالى « أفغير الله تأمروني أعبد » وقال الشاعر :

أَنْ تَقْرَأَنَّ عَلَى أَسْمَاءَ وَيَحْكُمَا مِنِّي السَّلَامَ وَأَنْ لَا تُشْعِرَا أَحَدًا^(٣)

(١) من مطلقه طرفة ، وبعده :

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَنِيِّي فَذَرْنِي أَبْلِذُهَا بِمَمْلَكَتِ يَدِي

يقول في البيت الأول : يا من يلومني في حضور الحرب لئلا أقتل . وفي أن أتفق مالي لئلا أفقر — ما أنت مخلدي إن قبلت منك ، فدعني أتفق مالي في الفتوة ولا أخلفه لغيري ثم قال في البيت التالي : إن كنت لا تقدر أن تدفع مودتي فذرني أسبق الموت بالتمتع بإتفاقي مالي : يعني أن للموت لا بد منه فلا معنى للبخل وترك اللذات .

(١) قبله :

يَا صَاحِبِي فَدَتْ نَفْسِي نُفُوسَكَ وَحِينَمَا كُنْتَمَا لَا قَيْتَمَا رَشَدَا

لَمَّا وَجَدْتُ دَوَاءً دَائِي عِنْدَهَا هَانَتْ عَلَيَّ صِفَاتُ جَالِينُوسَا^(١)
 أَبْنَى زُرَيْقٍ لِلثُّغُورِ مُحَمَّدًا أَبْنَى نَفِيسٍ لِلنَّفِيسِ نَفِيسًا^(٢)
 إِنْ حَمَلٌ فَارَقَتْ أَخْزَأْنَ مَالَهُ أَوْ سَارَ فَارَقَتْ الْجُسُومُ الرُّوسَا^(٣)
 مَلِكٌ إِذَا عَادَيْتَ نَفْسَكَ عَادِهِ
 وَرَضَيْتَ أَوْ حَشَّ مَا كَرِهْتَ أُنَيْسًا^(٤)

(١) دواؤه عندها : هو الوصال ، وصفات جالينوس — وهو الطبيب اليوناني المشهور — ما وصفه من الأدوية في تواليفه الطبية .

(٢) هذا اقتضاب ، فقد انتقل من التشبيب إلى الملايمة إليه بسبب ، وهو مذهب الجاهلية والمخضرمين ؛ وزريق : أبو المدوح ، ومحمد : اسم المدوح .

يقول : لما مات أبوه ورثه ولاية الثغور ، وهو نفيس وابنه نفيس وحفظ الثغور — مواضع المخافة من فروج البلاد — نفيس ، فقد أبى رجل نفيس لابن نفيس أمراً نفيسا ، وهو حفظ الثغور وذبح الأعداء عنها .

(٣) يقول : إن كان نازلاً في وطنه وهب أمواله حتى تفارق خزائنه ، وإن سار للحرب فرق بين جُسوم أعدائه وبين رؤوسهم ، يصفه بالكرم والشجاعة .

(٤) تقدير البيت هكذا : إذا عاديت نفسك ورضيت أوحش ما كرهت أنيسا فعاده ولكنه حذف الفاء ضرورة . قال الواحدى : ولا يجوز أن يريد بعاده التقديم كأنه قال ملك عاده إذا عاديت نفسك ، لأن ما بعد ملك من الجملة صفة له . وقوله : عاده . أمر والأمر لا يوصف به ، لأن الوصف لابد من أن يكون خبراً يحتمل الصدق والكذب ، والأمر والنهى والاستفهام لا تحتمل صدقاً ولا كذباً . يقول المتنبي : إن عاديته فقد

أن تحملاً حاجة لي خف تحملاً وتنعما نعمة عندي بها ويدا ولا يعلم قائل هذه الأبيات . وقوله : فدت نفسى الخ جملة دعائية ، وكذا قوله : لاقيتما الخ . والرشد — محركا — الاهتداء إلى الصواب . وقوله أن تحملاً : قيل أن « إن » هذه شرطية حذف جوابها لدلالة ما قبله عليه ، وقيل أن مفتوحة مصدرية ، وهى وما دخلت عليه منصوب بفعل مقدر . أى أسألكم ، وأن تقرأن : بدل منه . ومحملها : مصدر ميمي ، أى حملها . وقوله بها : أى بحملها ؛ ويدا : عطف مرادف على النعمة ، وويحكها معترض بين تقرأن وبين مقوله . وهو السلام ، وويح : كلمة ترحم .

(٢٠ — المتنبي ٢)

الْخَائِضَ الْغَمَرَاتِ غَيْرَ مُدَافِعٍ وَالشَّمْرَى الطَّلْنَ الدَّعِيسَا^(١)
كَشَفْتُ جَهْمَةَ الْعِبَادِ فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا مَسُودًا جَنْبُهُ مَرْهُوسًا^(٢)
بَشَرٌ تَصَوَّرَ غَايَةً فِي آيَةٍ تَنْفِي الظُّنُونَ وَتُفْسِدُ التَّقْيِيسَا^(٣)

عادت نفسك ورضيت أوحش الأشياء — وهو الموت — أنيسا ، أى أن من عاداه آتى عليه وقتله لقدرة .

(١) نصب الخائض بفعل مضمر : كأنه قال : أردت ، أو مدحت الخائض ولك أن تجعله بدلا من الهاء في «عاده» والغمرات : الشدائد ؛ والشمرى — بفتح الشين وكسرهما الجاد الشيخ في أمره ؛ والطلن : الجيد الطعن ؛ والدعيس : فيل ، من الدعس ، وهو الطعن ، يقول : هو الذى يخوض شدائد الحروب فلا يدافعه أحد للجز عنه .

(٢) جمهرة الشيء وجمهوره : أكثره ومعظمه ، ونصب جنبه : تشبيها بالظرف أراد أنه بالإضافة إليه مسود ومرؤوس ، كما يقال : هذا حقير في جنب هذا . والمسود : من ساد غيره : يقول : بلوت جمهور الناس فلم أجد أحداً إلا والمدوح فوقه في السيادة والرياسة ، يعنى هو رئيس على الناس ، سيد لهم .

(٣) غاية الشيء : انتهاء ، وحده الذى لا يعدوه ؛ والآية : العلامة ، وأكثر ما تستعمل الآية في العلامة على قدرة الله سبحانه ، كما قال أبو العتاهية :

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

يقول : إن الله صوره بشراً وجعله غاية للناس تنهى إليها كالاتهم بأسرها وكان ذلك الخلق في آية من خوارق العادات تنتفى بها ظنون الناس فيه ، فلا تقع على حقيقة كنهه ، ويفسد قياسهم له بغيره ، لأن الشئ إنما يقاس بمثله ولا مثل له . وقال ابن جني : أنت الذى صورك الله بشراً ينفي الظنون حتى لا يتم في حال ولا تسبق إليه ظنة . . . وليس هذا من ظن التهمة ، وإنما هو من الظن الذى هو الوم : أى أنه إنسان لا كالناس لما فيه من صفات ليست فيهم ، وقد وقع للناس الشبهة والشك في أمره وأفسد مقايستهم عليه ، وعبرة الواحدى : إن ظننته بجرأ أو بدرأ أو سيداً أو شمسا فليس على ما ظننت بل هو أفضل من ذلك ، وفوق ما ظننته : أى أنه غاية في الدلالة على قدرة الله تعالى حين خلق صورته بشراً آدمياً ، وفيه ما لا يوجد في غيره حين نفي ظنون الناس ، فلا يدرك بالظن ، وأفسد مقايستهم ؛ لأن الشئ يقاس على مثله ونظيره ، وهو لا نظير له فيقاس عليه . وفي معناه .

وَبِهِ يُضْنُ عَلَى الْبَرِيَّةِ لَا بِهَا وَعَلَيْهِ مِنْهَا لَا عَلَيْهَا يُوسَى ^(١)
 لَوْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَعْمَلَ رَأْيَهُ لَمَّا أَتَى الظُّلُمَاتِ صِرْنَ شُمُوسًا ^(٢)
 أَوْ كَانَ صَادَفَ رَأْسَ عَازَرَ سَيْفِهِ فِي يَوْمٍ مَفْرَكَةٍ لِأَغْيَا عِيسَى ^(٣)
 أَوْ كَانَ لُجُ الْبَحْرِ مِثْلَ يَمِينِهِ مَا أَنْشَقَّ حَتَّى جَارَ فِيهِ مُوسَى
 أَوْ كَانَ لِلنَّبَرَانِ ضَمُّهُ جَبِينِهِ عُبِدَتْ فَصَارَ الْعَالَمُونَ مَجُوسًا
 لَمَّا سَمِعَتْ بِهِ سَمِعَتْ بِوَاحِدٍ وَرَأَيْتُهُ فَرَأَيْتُ مِنْهُ خَيْسًا ^(٤)

أنت الذي لو يعاب فح ملأ ما عيب إلا بأنه بشر

(١) الضن : البخل بالشيء ؛ والبرية : الخليفة . وقوله منها : أى من بينها ، وهو في موضع الحال من الضمير في « عليه » ويوسى : يحزن . تقول : أسيت عليه أسى : حزنت عليه ؛ وأصله يؤسى ؛ فلين للقافية . يقول : إنه يضن به على الناس جميعا لا بالناس عليه . أى لو جعل هو فداء جميع الناس بأن يسلموا هم كلهم دونه لم يساوا قدره ، ولو جعلوا كلهم فداء له لم يخل عليه بهم ، لأنه أفضل منهم ، ففيه منهم خلف ولا خلف منه في جميع الناس ، وعليه يحزنون لو هلك لا على الناس كلهم . والمصراع الثانى كالتفسير للأول وقال ابن جنى : وجه الضن ههنا أن يكون فيهم مثله حسداً لهم عليه . قال الواحدي : وهذا محال باطل . لأنه إذا بخل به للتنبي على الناس فقد تمى هلاكه ، وأن يفقد من بين الناس حق لا يكون فيهم .

(٢) حديث الإسكندر ودخوله في الظلمات معروف . يقول : لو استعمل ذوالقرنين رأى للمدوح لأضامت له تلك الظلمات ؛ وهذا وما بعده من العلو للذموم . ومثله قول الآخر :

لو كان في الظلمات شغشع كاسها ما جاز ذو القرنين في الظلمات
 وقول الآخر :

لو أن ذا القرنين في ظلماته ورآه يضحك لاستضاء بشغره

(٣) عازر . رجل من بنى إسرائيل ، أحياء الله تعالى بدعاء سيدنا عيسى . يقول : لو كان قتل بسيفه في الحرب لأعجز عيسى إحياءه .

(٤) الخيس . الجيش العظيم يقول : إنه يقوم بنفسه مقام الجيش ويفنى غنائه ، وهو

وَلَخَطْتُ أَنْمَلَهُ فَسَلَنْ مَوَاهِبًا وَلَمَسْتُ مُنْصَلَهُ فَسَالَ نَفُوسًا^(١)
يَا مَنْ تَلَوْتُ مِنَ الزَّمَانِ بِظِلِّهِ أَبَدًا وَنَظَرْتُ بِأَنِّهِ إِبْلِيسًا^(٢)
صَدَقَ الْمَخْبِرُ عَنْكَ دُونَكَ وَصَفَهُ مِنْ بِالْعِرَاقِ يَرَاكَ فِي طَرَسُوسًا^(٣)

كما يقول ابن جني — ضد قولك أن تسمع بالمعدي خير من أن تراه ، والله أبو تمام حين يقول :

لَوْ لَمْ يَقْدُ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَغَى لَفَدَا مِنْ نَفْسِهِ وَحَدَّهَا فِي جَحْفَلٍ جَلْبٍ
ويقول :

ثَبَّتُ الْمَقَامَ يَرَى الْقَبِيلَةَ وَاحِدًا وَيُرَى فَيَحْسَبُهُ الْقَبِيلُ قَبِيلًا
ويقول ابن الرومي :

فَرَدُّ وَحِيدٌ يَرَاهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ كَأَنَّهُ النَّاسُ طَرًّا وَهُوَ إِنْسَانُ
(١) مواهباً ونفوساً ؛ تميزان ؛ والمراد بالأنمل . الأصابع ؛ والنصل : السيف . قال الواحدى . لحظ الأنامل كناية عن الاستمطار ، وليس النصل كناية عن الاستنصار . يقول : تعرضت لعطائه فبالت بالمواهب أنامله ، وتعرضت لإعائه إياى فسال سيفه بنفوس أعدائى وأرواحهم لأنه قتلهم . قال البحرى .

تلقاه يقطر حَيْفُهُ وَسِنَانُهُ وَبَنَانُ رَاحَتِهِ نَدَى وَنَجِيمَا
» نجيماً : دماً « ؛ ولدعبل .

وعلى أيماننا يجرى الندى وعلى أسيافنا تجرى المهج

(٢) يقول : إذا أصابتنا شدة من الزمان لجأنا إليه فكفانا ذلك ؛ أى نهرب إلى ظله وجواره من جور الزمان ، وإذا ذكرنا اسمه هرب الشيطان خوفاً ورعباً منه . قال العكبرى : ولأن اسم المدوح محمد — وهو اسم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه — والشيطان يطرده بذكر الله ورسوله .

(٣) وصفه : مبتدأ ؛ ودونك . الخبر . يقول : إن الذى أخبر عنك مادحاً مثنيا قد صدق ، ووصفه لك دون ما تستحقه ، وهنا تم الكلام ، ثم قال : من بالعراق يراك فى طرسوس : أى لأن آثاره ظاهرة . وذكره شائع ، فكان من بالعراق يراه وهو بطرسوس ؛ والمراد التعميم : أى إن آثاره قد عمت . وقال الواحدى : من بالعراق يراك فى طرسوس : أى ليله إليك ومحبه إياك كأنه يراك ، كما قال كثير :

بَلَدٌ أَقَمْتَ بِهِ وَذِكْرُكَ سَاثِرٌ يَشْنَأُ الْمَقِيلَ وَيَكْرَهُ التَّعْرِيسَ^(١)
فَإِذَا طَلَبْتَ قَرِيسَةً فَارْقَتْهُ وَإِذَا خَذَرْتَ تَحْدَثُهُ عَرِيسًا^(٢)

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ
وَمَا قَالَ أَبُو نَوَاسَ :

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فِي الْقُلُوبِ مِثَالَهُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَحُلْ مِنْ مَكَانٍ

(١) يشنا : أراد يشنا - من شنأت : أى أبغضت - والمقيل : القيلولة - النوم -
وقت القائلة - الظهيرة - والتعريس : النزول في آخر الليل للراحة ؛ والضمير في يشنا
ويكره : للذكر . يقول : إن طرسوس بلد أنت به مقيم وذكرك ساثر في البلاد كلها
ليلا ونهاراً لا يتوقف ولا يطلب المقيل ولا التعريس . وهو من قول أبي تمام :

جَرَرْتُ فِي مَدْحِيكَ حَبْلَ قَصَائِدٍ جَالَتْ بِكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُقِيمٌ

(٢) خدر الأسد وأخدر : غاب في أجته ولزمها ؛ ويقال أخدر فلان في أهله :
أى أقام فيهم : وأنشد الفراء :

كَأَنَّ تَحْتِي بِأَزْيَا رَكَضًا أَخْدَرَ خَسًا لَمْ يَذُقْ عَضَاضًا^(١)

وأسد خادر : مقيم في عرينه داخل في الحدر - أى الأجمة - وأسد مخدر أيضاً . قالت
ليلى الأخيلية :

فَتَى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيِّيةٍ وَأَشْجَعَ مِنْ لَيْثٍ بِخَفَّانٍ خَادِرٍ^(٢)

وتخذت : بمعنى اتخذت . والعريس والعريسة : أجمة الأسد وعرينه ، شبه المدوح
بالأسد فاستعار له هذه الأشياء . يقول : هذا البلد لك بمنزلة العرين للأسد تفارقه
عند طلب الهريسة : أى العدو ، وتأوى إليه بعد ذلك كما يأوى الأسد إلى عرينه ،
وفيه نظر إلى قول ابن الرومي :

هُوَ اللَّيْثُ طَوْرًا بِالْعِرَاقِ وَتَارَةً لَهُ بَيْنَ آجَامِ الْقَنَا مُتَأَجِّمٌ

(١) لم يذوق عضاضاً : أى ما يعض عليه . يريد أن هذا البازي أقام في وكره خمس
ليال مع أيامهن لم يذوق طعاماً ، ثم خرج بعد ذلك يطلب الصيد ، وهو قزم إلى اللحم
شديد الطيران ، ففبه ناقته به .

(٢) خفان : مأسدة .

إِنِّي نَثَرْتُ عَلَيْكَ دُرًّا فَانْتَقَذَ كَثُرَ الْمُدُنُ فَاحْذَرِ التَّدْلِيْسَ^(١)
حَجَبْتُهَا عَنْ أَهْلِ أَنْطَاكِيَّةِ وَجَلَوْتُهَا لَكَ فَاجْتَلَيْتَ عَرُوسًا^(٢)
خَيْرُ الطُّيُورِ عَلَى الْقُصُورِ وَشَرُّهَا يَاوَى الْخُرَابِ وَيَسْكُنُ النَّاوُوسَا^(٣)

(١) تقول : نقدت الرجل الدرام والدنانير : إذا أعطيته إياها فانتقدها : أى أخذها ؛ هذا هو الأكثر في كلام العرب ؛ وقد يستعملان في تمييز الجيد ونقي الزيف . يقال : نقد كلامه وانتقده ، وكذلك في الدرام والدنانير ، وهو المراد هنا . شبه شعره الذى مدحه به بدر نثره عليه . والتدليس إخفاء العيب في السلعة . يقول : كثر المدلسون من الذين يبيعون الشعر ، فاحذر تدليسهم عليك ، وانتقد ما نثرت من در الشعر عليك لتعرف جيد الشعر من رديئه . وصدر البيت من قول أبى نواس :

نَثَرْتُ عَلَيْكَ الدَّرَّ يَا دُرَّ هَاشِمٍ فَيَا مَنْ رَأَى دُرًّا عَلَى الدَّرِّ يُنْثَرُ
ومحجزه ينظر إلى قول ابن الرومي :

أول ما أسأل من حاجة أن يُقرأ الشعرُ إلى آخره
ثم كفاني بالذى ترتنى في جودَةِ الشعر وفي شاعره

(٢) الضمير في حجبها وجلوتها : للقصيدة ، وإن لم يجر لها ذكر ، وإنما ذكر الدر ، وجلا العروس على بعلها : عرضها عليه سافرة فاجتلاها هو : أى نظر إليها كذلك . جعل قصيدته التي مدحه بها كالعروس . يقول : حجبها عن أهل هذا البلد - أنطاكية - أى لم أمدحهم بها - يعرض بعض الأكابر - ثم أظهرتها لك وعرضتها عليك كما تعرض العروس وتجلى على الزوج فاجتليت منها عروسا ، وخصصتك بها دون غيرك ؛ وعروسا : حال من القصيدة . قال الواحدي : ويجوز أن يكون حالا من المدوح لأن العروس يقع على الذكر والأنثى ، وهذا إذا أراد فاجتليتها : أى قدر ضميراً ؛ وإذا لم يقدر فهي مفعول لاجتليت .

(٣) الناووس والناووس : مقبرة النصارى والمجوس ، دخيل ، ويطلق على حجر منقور تجعل فيه جثة الميت ؛ وهذا مثل . يقول : خير الشعر ما يمدح به الملوك كالطيور النفيسة - مثل البزاة - تطير إلى قصور الملوك ، وشعر الشعر ما يمدح به الثام والأراذل كالطيور التي تأوى إلى الخراب والمقابر يعنى : أنت خير الناس وكلاهما خير الكلام فأنت أولى به . يعرض بالذين لم يمدحهم من أهل أنطاكية . هذا ويقال : أويت منزلى وأويت إلى منزلى : أى عدت .

لَوْ جَادَتِ الدُّنْيَا فِدَتَكَ بِأَهْلِهَا أَوْ جَاهَدَتْ كُتِبَتْ عَلَيْكَ حَبِيسًا^(١)

* *

ودس عليه كافور من يستعلم ما في نفسه ، ويقول له قد طال قيامك عند هذا الرجل ، فقال :

يَقُلُّ لَهُ الْقِيَامُ عَلَى الرَّءُوسِ وَبَذَلُ الْمَكْرَمَاتِ مِنَ النَّفُوسِ^(٢)
إِذَا خَانَتْهُ فِي يَوْمٍ ضَحُوكِ فَكَيْفَ تَكُونُ فِي يَوْمِ عَبُوسٍ^(٣)

وقال يهجو كافوراً ، وقد خرج من عنده .

أَنُوكُ مِنْ عَبْدٍ وَمِنْ عَرْسِهِ مَنْ حَكَّمَ الْعَبْدَ عَلَى نَفْسِهِ^(٤)

(١) الحبيس : المحبوس ، وهو الوقف الذي لا يباع ولا يوهب . يقول : لو كانت الدنيا ذات جود لأبقيت عليك وفدتك بمن فيها ، أو لو كانت غازية مجاهدة في سبيل الله لجلعت نفسها وقفاً محبوساً عليك ، فكانت لا تغزو إلا لك وعنك وبأمرك . وإنما قال هذا : لأن المدح كان على الثغور في وجه الروم يجاهد في سبيل الله .

(٢) يقول : يقل له أن تقوم في خدمته ولو على الرؤوس وأن نبذل في خدمته النفوس المكرمة ؟ وتروى المكرمات - بفتح الميم وضم الراء - أى الأفعال السكرية . والله قول أبي تمام :

لَوْ يَقْدِرُونَ مَشَوْا عَلَى وَجَنَاتِهِمْ وَخَدِدِهِمْ فَضَلَا عَنِ الْأَقْدَامِ

(٣) الضمير في خاتته : للنفوس ؛ والعبوس : السكرية . يقول : إذا خانتها النفوس فلم تهم بحقه ولم تخدمه في السلم ، فكيف تخدمه في الحرب ؟

(٤) النوك : الحق ؛ والأنوك : الأحمق ؛ وعرسه : زوجته ، يريد بها الأمة . ومن حكم : مبتدأ ؛ خبره : ما قبله . يقول : الذي يجعل العبد حاكماً على نفسه أحمق من العبد ومن عرس العبد : أى أمته . ولك أن تقول : من يكون في طاعة العبد أحمق من العبد ومن المرأة ؛ فقله : من عرسه ، أى من عرس نفسه ، يعنى المرأة . وهذا عتاب يعاتب به نفسه حين قصد الأسود فاحتاج إلى أن يطيعه .

وَأَمَّا يُظْهَرُ تَحَكُّمُهُ تَحَكُّمُ الْإِفْسَادِ فِي حَبْسِهِ ^(١)
 مَا مَنْ يَرَى أَنَّكَ فِي وَعْدِهِ كَنْ يَرَى أَنَّكَ فِي حَبْسِهِ ^(٢)
 الْعَبْدُ لَا تَفْضُلُ أَخْلَاقَهُ عَنْ فَرْجِهِ الْمُتَيْنِ أَوْ ضَرْسِهِ ^(٣)
 لَا يُنْجِزُ لِلْعِبَادِ فِي يَوْمِهِ وَلَا يَبِىُّ مَا قَالَ فِي أَمْسِهِ ^(٤)
 وَإِنَّمَا تَحْتَالُ فِي جَذْبِهِ كَأَنَّكَ الْمَلَّاحُ فِي قَلْبِهِ ^(٥)

(١) يقول : إن من حكم العبد على نفسه : يدل تحكيمه هذا على سوء اختياره ، وسوء الاختيار يدل على تحكم الفساد في الحس . والحس ، أو الحس المشترك أو الحس الباطن - وهو الذي أطلق عليه بعض متأدبي عصرنا (العقل الباطن) خطأ - هو - كما جاء في تعريفات السيد الجرجاني - القوة التي ترسم فيها صور الجزئيات المحسوسة ، فالحواس الخمس الظاهرة كالحواس لها ، فتطلع عليها النفس من نعمة فتدركها . قال : ومحلّه مقدم التحديق - الأول من الدماغ كأنها عين تتشعب من خمسة أنهار . وقد عرفه أحد فلاسفة الفرنجة - كلود برنار - قال : هو جملة التغيرات الحاصلة في الجسم الحى بواسطة المهيجات ، أو هو تكيف في التأثير لكيفية في المؤثر ، ويسميه أهل اللغة : الإدراك .

(٢) أى الذى يرى أنك في وعده يحسن إليك ؛ والذى يرى أنك في حبسه يسئ إليك . يريد أنه مرهون فى مواعيد كافور ولكن كافوراً يعامله معاملة المحبوس عنده ؛ فلا هو يفيه ما وعده ، ولا هو يؤسسه فيجعل حبله على غاربه فيرتحل . وقال الخطيب التبريزى : إنما أراد أن العبد جاهل بحق مثله ، فهو يرى أنه في حبسه ، فليس له منه مخلص فما يبالى به . والحر الكريم يرى أنك في وعده فهو يضيق الإنجاز فيما وعد .
 (٣) يقول إن همة العبد مقصورة على فرجه وبطنه فلا فضل فيها عن هذين لمكرمة وبر وإحسان . يصفه بقصر الهمة عن المالى .

(٤) الضمير فى يومه : للعباد ؛ وفى أمسه : لكافور . يقول : لا ينجز للعباد فى يومه الذى وعد أن ينجزه فيه ولا يحفظ ما قاله بالأمس ؛ يعنى أنه لفلته وسوء فطته : ينسى ما يقوله .

(٥) القلس . حبل للسفينة ضخم تجذب به . يقول : إن كافوراً لا يأتى مكرمة بطبعه ، بل تحتال فتجذبه كما يجذب الملاح - البحار - السفينة لتجرى ؛ يعنى أنه يجر إلى فعل الخير بقوة وصعوبة كما تجر السفينة من الانحدار إلى الإصعاد ، وهو لا يتفق

فَلَا تُرْجُ الْخَيْرَ عِنْدَ امْرِئٍ
مَرَّتْ يَدُ الْفَخَّاسِ فِي رَأْسِهِ^(١)
وَأِنْ عَرَاكَ الشَّكُّ فِي نَفْسِهِ
بِحَالِهِ فَانْظُرْ إِلَى جَنْبِهِ^(٢)
فَقَلَّمَا يَلُومُ فِي تَوْبِهِ
إِلَّا الَّذِي يَلُومُ فِي غَرَسِهِ^(٣)
مَنْ وَجَدَ الْمَذْهَبَ عَنْ قَدَرِهِ
لَمْ يَجِدِ الْمَذْهَبَ عَنْ قَنْسِهِ^(٤)

وشنشتها ، لأنها تطلب جريان الماء لتتحدّر معه سريعة ؛ وإذا جذبت إلى الإصعاد أتعبت الجاذب لها ، وكذا كافور قد تعود البخل واللؤم ؛ فإذا جذب إلى فعل الخير صعب عليه لأنه ضدّ عادته .

(١) النحاس : الذي يبيع الدواب لأنه ينخسها لتنشط ، ويطلق على بائع الرقيق . ورجاء ورجاء - بالتشديد - ورجاء : بمعنى . وفي رأسه : أي على رأسه ومثله قوله تعالى « ولأصلبكم في جذوع النخل » . يقول : لا تأمل الخير من عبد قد رأى الهوان والذلة وسبق للبيع كما تساق الدواب .

(٢) عراك : اعتراك وغشيك وألم بك . يقول : إن شككت في حاله بالنظر إلى نفسه ولم تعرفه : فقسه بغيره من العبيد . فإنك لا ترى أحداً منهم له مروءة وكرم ، وبحاله : يروى بحالة .

(٣) الفرس : جلدة رقيقة تخرج على رأس الولد عند الولادة . يقول : إن اللؤم طبيعة ، طبع عليها اللثيم في غرسه ، فمن كان لثيماً في كبره فإنما كان مولوداً على اللؤم .

(٤) القنس - بفتح القاف وكسرهما - الأصل . يقول : من ذهب عن قدر استحقاقه في الدنيا فقال ملكاً أو ولاية أو غنى وهو لا يستحق ذلك لم يذهب عن أصله في اللؤم ، لأن الأشياء تعود إلى أصولها ، والعرق نزاع ، فمن كان لثيم الأصل فهو ينزع إلى ذلك اللؤم .

وأحضر أبو الفضل بن العميد بحجرة محشوة بالنرجس والآس حتى خفيت نارها والدخان يخرج من خلال ذلك ؛ فقال مرتجلا :

أَحَبُّ أَمْرِيءَ حَبَّتِ الْأَنْفُسُ وَأَطْيَبُ مَا شَمَّهُ مُفْطِسٌ^(١)
وَنَشْرٌ مِّنَ النَّدِّ لَكِنَّمَا مَجَامِرُهُ الْآسُ وَالنَّزْجِسُ^(٢)
وَلَسْنَا نَرَى لَهَا هَاجَهُ فَهَلْ هَاجَهُ عِرْكَ الْأَنْفُسِ^(٣)

(١) للعطس : الأنف : يقول : أنت أحب امرئ حبته النفوس ، وهذا الند أطيب رائحة شمها الأنف . وحذف الابتداء من الجملتين لأن المخاطبة والحال دللتا عليه ، هذا : والأكثر أن يقال أحبه فهو محب وهو محبوب - طى غير قياس - وقد قيل محب - طى القياس - وقال الأزهرى : وقد جاء المحب شاذاً فى الشعر ، قال عنتره :

ولقد نَزَلَتْ فَلَا تَظُنِّي غَيْرَهُ مَنِيَّ بِمَنْزِلَةِ الْحَبِّ الْمَكْرَمِ^(١)

قال الفراء : وجبته : لغة ، وقال غيره : وكره بعضهم حبيته ، وأنكر أن يكون هذا البيت لفصيح ، وهو قول عيلا بن شعاع النهشلى :

أَحِبَّ أَبَا مَرْوَانَ مِنْ أَجْلِ تَمْرِهِ وَأَعْلَمَ أَنَّ الْجَارَ بِالْجَارِ أَرْقُ
فَأَقْسَمَ لَوْلَا تَمْرُهُ مَا حَبَيْتُهُ وَكَانَ عِيَاضٌ مِنْهُ أَذْنَى وَمُشْرِقُ

وجه يحبه - بالكسر - فهو محبوب . قال الجوهري : وهذا شاذ ، لأنه لا يأتي فى المضاعف : يفعل - بالكسر - إلا ويشركه يفعل - بالضم - إذا كان متعدياً ، ما خلا هذا الحرف . هذا : وروى أحب وأطيب : بالنصب على النداء .

(٢) ونشر : عطف على خبر الابتداء المحذوف ، كأنه قال : وأطيب ماشمه الأنف هذا البخور ونشر من الند ؛ أو الواو زائدة - على حد قوله تعالى : « حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها » - والنشر : الرائحة ؛ والمجامر : الباخر . يقول : إن هذا البشر من الند إلا أن مجامره الآس والنرجس ، وليس بمعروف عنهما أن يخرج منهما الدخان .

(٣) الأقبس - ومنه العزة القعساء : اثبات ، وقيل : العالى المرتفع

(١) من ملقعة عنتره . ونزلت : خطاب مع محبوبته علة . وقوله : فلا تظنى غيره جملة معترضة بين نزلت ومنى . فإن منى : متعلقة بنزلت . يقول : ولقد نزلت من قلبى منزلة من يحب ويكرم . ومفعول ظن الثانى : محذوف : أى فلا تظنى غيره واقما : أى غير نزولك منى منزلة المحب .

وَإِنَّ الْفِتْنَامَ الَّتِي حَوْلَهُ لَتَحْسُدُ أَرْجُلَهَا الْأَرُوسُ^(١)

* * *

الذى لا يوضع ظهره على الأرض ، كالأقص الذي لا ينال ظهره الأرض . يقول : لا نرى نارا هيئت ربح هذا الند ، فهل هاجه عزك الأقص ؟ فهذه زفرات نار حسده لعزك .
(١) الفتام : الجماعات من الناس . ويروى القيام . جمع قائم . قال بعض الشراح : وليس بجائز إلا إن قال : الذين حوله . يقول : ليس بدعاً أن يحسد الند عزك ، فإن هؤلاء الطوائف اللتين حولك لخدمتك تحسد رءوسهم أرجلهم ، لأنها وقفت في خدمتك على الأرض ، وكان بود الرءوس أن تكون هي الواقفة مكانها . وقال ابن جني : لأنها تباشر الأرض التي باشرها المدبوح لسعيها إليه ، فهي كقوله أيضاً :
خير أعضائنا الرءوس ولكن فضلتها بقصدك الأقدام

قافية الشين

وقال يمدح أبا العشائر على بن الحسين بن حمدان ويذكر إيقاعه بأصحاب
بافيس ومسيره من دمشق :

مَبِيتِي مِنْ دِمَشْقَ عَلَى فِرَاشٍ حَشَاهُ لِي بِحَرِّ حَشَايَ حَاشٍ^(١)
لَقِيَ لَيْلٍ كَعَيْنِ الظَّنِّ لَوْ نَا وَهَمَّ كَالْحَمِيَّا فِي الْمَشَاشِ^(٢)

(١) مبيتى : اسم مكان ، ومن دمشق : بيان لمبيتى ؛ وعلى فراش : خبر مبيتى ؛
وحشاه الخ : فى موضع الصفة لفراش : يصف شدة هواء وحرارة قلبه من الحب ، يقول :
إني أتيت من دمشق على فراش حار حتى بخرارة قلبى من الهوى : يعنى حرارة الهوى
وأن فراشه صار حاراً لذلك . وأنه يبيت ساهراً من ثم .

(٢) لقي : حال ؛ أى أبيت على فراش حال كوني لقي ليل ا واللقى : الشيء الملقى .
والحميا : سورة الحجر . والمشاش : رءوس العظام الرخوة . وعين الظبي : يضرب بها
المثل فى السواد ، ولونا : تميز . يقول : إننى طريح ليل أسود ، وهم قد خالطه وتمشى
فيه تمشى الحجر فى العظام ، وفيه نظر إلى قول أبى نواس :

وتمشت فى مفاصلهم كتمشى البرء فى السقم
والمصراع الأول من قول أبى تمام :

* إِلَيْكَ تَجَرَّعْنَا دُجَى كَحِدَاقِنَا *

ومثله قول التنوخى :

وَاللَّيْلُ كَالنَّارِ كِلِ فِي إِحْدَادِهَا وَمُقَلَّةِ الظَّنِّ إِذَا الظَّنِّ رَنَا
والثانى من قول زهير :

فَظَلْتُ كَأَنِّي شَارِبٌ مِنْ مُدَامَةٍ مِنْ الرَّاحِ تَسْمُو فِي الْمَفَاصِلِ وَالْجَسْمِ
ومثله قول الأبيد :

عَسَا كُرُّ تَغَشَّى النَّفْسِ حَتَّى كَأَنَّيْ

أَخُو سَكْرَةٍ دَارَتْ بِهَامَتِهِ الْخَمْرُ

وَشَوْقٍ كَالْتَوْقَدِ فِي فُؤَادٍ كَجَفَرٍ فِي جَوَانِحِ كَالْمِحَاشِ^(١)
 سَقَى الدَّمَ كُلَّ نَضْلٍ غَيْرِ نَابٍ وَرَوَّى كُلَّ رُمَحٍ غَيْرِ رَاشٍ^(٢)
 فَإِنَّ الْفَارِسَ الْمَنْعُوتَ خَفَتْ لِمَنْضِلِهِ الْفَوَارِسُ كَالرَّيَاشِ^(٣)
 فَقَدْ أَضْحَى أَبَا الْغَمَرَاتِ يُكْنَى كَانَ أَبَا الْعَشَائِرِ غَيْرُ فَاشٍ^(٤)
 وَقَدْ نَمَى الْحُسَيْنُ بِمَا يُسَمَّى رَدَى الْأَبْطَالَ أَوْ غَيْثَ الْعِطَاشِ^(٥)
 لِقُوهِ حَاسِرًا فِي دِرْعٍ صَرَبٍ دَقِيقِ النَّسْجِ مُلْتَهَبِ الْحَوَاشِي^(٦)

(١) وشوق : عطف على ليل ، والمحاش - بضم الميم وكسرها - ما أحرقت النار ، تقول : امتحش الحبز ، أى احترق . ومحشته النار وامتحشته : أحرقت . شبه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء ، شوقه : بتوقد النار ، وقلبه - الذى هو محل الشوق - بحمر النار . وجوانحه - أضلاعه - بشواء أحرقت النار .

(٢) يدعو بالسقيا لكل فصل - سيف - لا ينبو عن الضريبة - أى لا يكل ولا يرتفع - ولكل رمح غير راش - أى غير ضعيف خوار .

(٣) المنعوت الموصوف : أى الذى توصف الناس شجاعته وسار بينهم ذلك وعرفوه بهذا الوصف ، يعنى به أبا العشار . وهذه رواية الخوارزمي : وروى ابن جنى المنعوت وهو الذى بقتة الشيء : أى فاجأه ، يريد ما كان قد عرض لأبى العشار من الجيش الذى كبسه بأنطاكية ، وكان قد أبلى ذلك اليوم بلاء حسنا ، وخفت لمنضله - سيفه - الفوارس : أى تطايرت الفوارس عن سيفه تطاير الريش .

(٤) يقول لكثرة خوضه الغمرات - الشدائد - والتباسه بالحرب وأهوالها : صار يكفى أبا الغمرات ، وعرف بذلك حتى كأن كنيته المعروفة - أبا العشار - غير فاشية ، إذ غمرتها هذه وأختلتها .

(٥) الردى : الهلاك ، وما - فى قوله بما يسمى - مصدرية : أى بتسميته ردى الأبطال ، والنيت : المطر . يقول : وقد نسى اسمه العلم - وهو الحسين بما سمى به من ردى الأبطال - أى هلاك الشجعان - أو غيث العطاش ، يعنى إن صفى الشجاعة والجلود غلبتا على اسمه للشهور حتى ترك ، فلا يسمى إلا بهذين .

(٦) الحاسر : الذى لا درع له ، وهو حال ، وفى درع ضرب : حال آخرى . يقول : لقوه ولا درع عليه ، لأنهم فاجأوه ، ثم قال : لكنه من ضربه الأعداء فى درع ،

كَانَ عَلَى الْجَمَاجِمِ مِنْهُ نَاراً وَأَيْدِي الْقَوْمِ أَجْنَحَةُ الْفَرَاشِ^(١)
كَانَ جَوَارِي الْمُهْجَاتِ مَاءً يُعَاوِدُهَا الْمَهْنَدُ مِنْ عَطَاشِ^(٢)
فَوَلَّوْا بَيْنَ ذِي رُوحٍ مَفَاتٍ وَذِي رَمَقٍ وَذِي عَقْلٍ مُطَاشِ^(٣)
وَمُنْعَفِرٍ لِنَصْلِ السَّيْفِ فِيهِ تَوَارِي الضَّبِّ خَافَ مِنْ احْتِرَاشِ^(٤)
يَدْمَى بَعْضُ أَيْدِي الْخَلِيلِ بَعْضًا وَمَا بِعُجَايَةِ أَثَرُ لَمْرَتِهَاشِ^(٥)

لأن ضربه بالسيف يحميه ، ثم شبه الآثار الدقيقة على سيفه بالنسج الدقيق ، وكفى عن بريقه بأنه ملتهب الحواشي . وللغنى : أن ضربه الأبطال يصد عنه كما يصد الدرع .
(١) يقول : كأنه يحرق الجمجم لشدة ضربه إياها ، ولأن سيفه يلمع كالنار عليها ، وكأن أيدى القوم أجنحة الفراش لأنها تطير بضربه إياها ، فشبه أيدى القوم المقطعة حوله بالفراش الذى يتهافت على النار .

(٢) المهجة : دم القلب ، والمهند : السيف ، والعطاش : شدة العطش ، وهو من باب فعال - الذى للأدواء : كصداع وزكام - شبه ما أجرى من دماء قلوب الأعداء بالماء وجعل سيفه يعاودها مرة بعد مرة : كالعطشان يعاود الماء ، يقول : إن سيفه لا يزال يعاود دماء أعدائه كأنه عطشان يعاود شرب الماء .

(٣) مفات : مفعول - من الفوت - أى حيل بينه وبين روحه ؛ يقال أفلته الشيء : أى جعله يفوته ؛ والروح ؛ يذكر ويؤنث ، وتذكيره أكثر ، والرمق : بقية الروح . يقول : فانهزموا عنه وهم بين مقتول قد فارقه روحه ، وآخر به رمق ، وثالث قد عقله : أى ذهب وتحير لما لاقى من الأحوال .

(٤) المنعفر : التلطف بالعفر ، وهو التراب ؛ ولنصل : خبر مقدم ، وتوارى : مبتدأ مؤخر ، والتوارى : الاختفاء . والاحتراش : صيد الضب . يقول : قد غاب السيف فى هذا المنعفر كما يغيب الضب فى جحره خشية الاحتراش : أى الصيد .

(٥) العجاية : عصبه فى اليد فوق الحافر ، والارتهاش : أن تصك الدابة إحدى يديها بحافر الأخرى ، حتى تدمى الرواهش وهى عصب الذراع . يقول : انهزمت الخيل بين يديها هاربة وهى تخاص فى دماء القتلى فيلطم بعض أيديها بعضاً بالدم فكأن بها ارتهاشا ولم يكن ثم ارتهاش لأن أيديها سليمة . وقال ابن القطاع فى قوله يدمى وفى البيت بعده : يريد أن المدوح لا نظير له فى شجاعته ولا له قرن يصادمه ، وضرب الثل بأيدى الخيل ، ويريد : لا يقاثل الرجال إلا أكفاؤها .

وَرَأَيْتُهَا وَحِيدَةً لَمْ يَرُهَا تَبَاعُدُ جَيْشِهِ وَالْمُسْتَجَاشُ^(١)
كَأَنَّ تَلَوَّى النَّشَابِ فِيهِ تَلَوَّى الْخُوصِ فِي سَعْفِ الْعِشَاشِ^(٢)

(١) راعها : مفزعها وخوفها ، والمستجاش : الذى يطلب منه الجيش ، يقول : إن الذى أفزع الحيل وحيد أغار عليها بنفسه لم يحفه بعد جيشه عنه وانفراده هو منه ، ولا بعد سيف الدولة الذى يستجيشه : أى يطلب منه الجيش ، لأن المدوح - وهو أبو العشار - كان عاملاً على أنطاكية من قبل سيف الدولة .

(٢) الخوص : ورق النخل ، والسعف : أغصانها ، والعشاش : جمع عشة ، النخلة إذا قل سفعها ودق أسفلها ، وقد عشت النخلة : قل سفعها ودق أسفلها ، وشجرة عشة : دقيقة القضبان ، لثيمة المنبت : قال جرير :

فَمَا شَجَرَاتُ عَيْصِكَ فِي قَرِيشٍ بِفَشَاتِ الْفُرُوعِ وَلَا ضَوَاحِي^(١)
وَامْرَأَةُ عِشَةٍ : قليلة اللحم : ورجل : مهزول . أنشد ابن الأعرابي :

* تَضَحَّكَ مِنِّي أَنْ رَأَيْتُنِي عِشًا^(٢) *

يريد أنه كان يرمى بالسهم فتلوى فيه كتلوى الخوص وأغصان النخل فلا تنال منه ولا تنفذ من درعه . فهو لشجاعته لا يكثر للطنف ولا الضرب ولا الرمي .

(١) العيص : منبت خيار الشجر . والعيص : الأصل . وفي المثل : عيصك منك وإن كان أشباً . يعنى أصلك منك ، وإن كان غير صحيح . وما أكرم عيصه ، وم أبأؤه وأعمامه وأخواله وأهل بيته ، والضواحي من الشجر القليلة الورق التى تبرز عيداتها للشمس .

(٢) بعده :

* لَبِستُ عَصْرِي عَصْرُ فَاْمَتَشَا *

بَشَاشَتِي وَعَمَلًا فَشَا وَقَدْ أَرَاهَا وَشَوَاهَا الْحُمَا

وَمُسْفَرًا إِن تَغْلَفَتْ أَرَشًا كَشَفَرِ النَّابِ تَلُوكُ الْفَرَشَا

قوله فامتشا : هو من امتش ما فى الضرع إذا حلب جميع ما فيه . وكذلك تقول فنى الضرع فشا : أى حلب جميع ما فيه . والشوى : الأطراف . والحش : الدقيقة ، وأرش : أى جاء بالرش ، والرش فى الأصل المطر اقليل والفرش الغمض من الأرض فيه العرفط والسلم ، وإذا أكلته الإبل : أرخت أفواها .

وَنَهَبُ نَفُوسِ أَهْلِ النَّهْبِ أَوَّلَى بِأَهْلِ الْإِخْدِ مِنْ نَهْبِ الْقُمَاشِ ^(١)
تُشَارِكُ فِي النَّدَامِ إِذَا نَزَلْنَا بِطَانٌ لَا تُشَارِكُ فِي الْجِحَاشِ ^(٢)
وَمِنْ قَبْلِ النَّطَاحِ وَقَبْلَ يَانِي تَبِينُ لَكَ النَّعَاجُ مِنَ الْكِبَاشِ ^(٣)
فَيَا بَحْرَ الْبُحُورِ وَلَا أُورِي وَيَا مَلِكَ الْمُلُوكِ وَلَا أَحَاشِي ^(٤)
كَأَنَّكَ نَاطِرٌ فِي كُلِّ قَلْبٍ فَمَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَحَلُّ غَاشٍ ^(٥)

(١) النهب : الغارة : وأهل النهب : الجيش : والقماش : متاع البيت . يقول :
إن الأعداء هجموا على أنطاكية يريدون نهب أمتعتها ، ولكن أبا العشار نهب نفوسهم ،
ونهب النفوس أليق بالأشراف من نهب الأمتعة ، وهذا من قول أبي تمام :

إِنَّ الْأَسُودَ أَسُودَ الْغَابِ هَمَّتْهَا

يَوْمَ الْكَرْبَةِ فِي الْمُسْلُوبِ لَا السَّلْبِ

(٢) الندام : النادمة على الشراب ، والبطان : جمع بطين ، وهو العظيم البطن
الريغب . والجحاش : المجاشعة . وهي المدافعة في القتال : يقول : إذا نزلنا عن الحبل
شاركنا في شرب الخمر رجال ذوونهم يكثرُونَ الأكل ولا يشاركون في
القتال ، ومثله :

يَفِرُّ مِنَ الْكَتِيبَةِ حِينَ يُلْقَى وَيَثْبُتُ عِنْدَ قَائِمَةِ الْخُلُوفِ

(٣) النطاح : مناطحة ذوات القرون ، ويستعمل في الحرب . و« قبل » رواه الخوارزمي
نصباً على الظرف ، ورواه غيره بالخفض عطفاً على ما قبله . ويأتي : يحين - من قولهم
أني الشيء يأتي إني - أراد قبل أن يأتي : لحذف ، يقول : قبل المناطحة وقبل أوانها
يتبين ما يناطح من الكباش مما لا يناطح ، ومن يقاتل ممن لا يقاتل من الأناسي ،
وذلك أن الكباش تتلاعب بقرونها وإن لم تزد الطعن بها ، وكذلك يتلاعب الناس
بالأسلحة فيعرف من يحسن استعمالها ممن لا يحسن .

(٤) أكثر الرواية : ويا ملك الملوك ، ويروي . ويا بدر الدور . ويروي الحديث
أخفاء وأظهر غيره . يقول : لا أستر قولي بل أجهر به . ولا أحاشي : أي لا أذع
أحدًا ولا أستتني إنساناً .

(٥) الغاش : الذي يغشاك ويזורك ؛ وغاشية الرجل : الذين يأتونه ويזורونه .
ومنه قول ذي الرمة يصف سفوداً :

أَصْبِرْ عَنْكَ لَمْ تَبْخُلْ بِشَيْءٍ وَلَمْ تَقْبَلْ عَلَى كَلَامٍ وَاشٍ^(١)
وَكَيْفَ وَأَنْتَ فِي الرُّؤْسَاءِ عِنْدِي عَتِيقُ الطَّيْرِ مَا بَيْنَ الْحَشَاشِ^(٢)
فَمَا خَاشِيكَ لِلتَّكْذِيبِ رَاجٍ وَلَا رَاجِيكَ لِلتَّخْيِيبِ خَاشِي^(٣)

وَذِي شَعَبٍ شَقَى كَسَوْتَ فَرُوجَهُ لِفَاشِيَةِ يَوْمًا مُقْطَعَةً مُحْرَا
وقال حسان :

يُفْشُونَ حَتَّى مَاتَهُرُ كَلَابِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ^(١)
يقول المتنبي : إنك من الفطنة والنفاذ وثقوب البصيرة بحيث ترى ما في قلوب الناس وتعلم ما يطلبون ، فليس يخفى عليك حال قاصد إليك وزائر يفساك . ومثل هذا في المعنى قوله الآتي :

وَيَمْتَحِنُ النَّاسَ الْأَمِيرُ بِرَأْيِهِ وَيَفْضِي عَلَى عِلْمٍ بِكُلِّ مُمَخْرِقٍ
(١) (٢) لم تبخل : أى وأنت لم تبخل ، فهي حيلة حالية ؛ والاستفهام إنكارى ؛
والواشى : الخمام ؛ وكيف : حال محذوفة العامل ؛ أى وكيف أصبر عنك ، والعتيق :
الكريم . والحشاش - بكسر الحاء ، وقد تفتح - صغار الطير نحو المصافير وأضرابها -
والحشرات . يقول - في البيت الثاني - : وكيف أصبر عنك وأنت بين الرؤساء
كالكريم من الطير بين صغارها ؟

(٣) يقول : ليس يرجو من يخشى بأسك أن تكذب خوفه لتقته باتقائك وقوة
بطشك ، فبأسك نازل به لا محالة ، وليس يخشى من رجا إحسانك أن تخيب رجاءه ،
لأنه على يقين من فيض سخائك ، فأنت موضع الخوف والرجاء ؛ وعبرة ابن جني : ليس
يرجو من يخشاك أن يلقي من يكذبه ويخطئه في خوفك ، لأن الناس مجمعون على خوفك
وخشيتك . وعبرة ابن فورجه : يريد : خاشيك نازل به بأسك وواقع به سخطك

(١) يشون - بالبناء للمفعول - أى يتردد إليهم - من غشيه : إذا جاءه - وهو
الكلب يهر - من باب ضرب - هريراً : إذا صوت ، وهو دون النباح . يعنى أن منازلهم
لا تخلو من الأضياف والعفاة ، فكلابهم لا تهر على من يقصد منازلهم لاعتيادها بكثرة
التردد إليها من الأضياف . وقوله لا يسألون الخ : أى هم في سعة لا يسألون كم
نزل بهم من الناس ولا يهولهم الجمع الكثير - وهو السواد - إذا قصدوا نفوهم .
(٢١ - المتنبي ٢)

تَطَاعِنُ كُلُّ خَيْلٍ كُنْتَ فِيهَا وَلَوْ كَانُوا النَّبِيطَ عَلَى الْجَحَاشِ^(١)
أَرَى النَّاسَ الظَّلَامَ وَأَنْتَ نُورٌ وَإِنِّي مِنْهُمْ لِأَلَيْكَ عَاشِ^(٢)
بُليْتُ بِهِمْ بَلَاءَ الْوَرْدِ يُلْقَى أُنُوفًا هُنَّ أُولَى بِالْحَشَاشِ^(٣)

واتقاكم ، فما رجو تكذسا لما خافه لشدة خوفه ، ولا راجيك بمعنى أن تخيه لفيض عرفك . وقال الواحدى : الصحيح في هذا البيت رواية من روى :

* فما خاشيك للتثريب راج *

أى من خشيك لا يخاف أن يثرب ويعير خشيتك ؛ فراج بمعنى خائف . قال : ومن روى للتكذيب : لم يكن فيه مدح ، لأن اللدح فى العفو - لا فى تحقيق الخشية - وإنما يمدح بتحقيق الأمل وتكذيب الخوف ، كما قال السرى الرفاء :

إذا وعد السراء أنجز وعده وإن وعد الضراء فالعفو مانعه

(١) النبيت : قوم بسواد العراق حرثون ؛ وكل خيل : فاعل تطاعن ؛ والمراد : كل أهل خيل - على حد قوله صلى الله عليه وسلم « يا خيل الله اركبى » ؛ يقول : إن القوم الذى تكون فيهم وتغزو بهم يتشجعون بك ويطاعنون ، ولو كانوا من أولئك الأنباط الحرثين الذين لا يعرفون ركوب الخيل ، وإنما يركبون الحمير : أى أن من كان معك كان شجاعا لشجاعتك .

(٢) يقال : عشا إلى النار يعشو فهو عاش : إذا أتاها ليل . هذا هو الأصل ، ثم صار كل قاصد عاشيا ، قال صاحب الصحاح : عشوت إلى النار إذا استدلت عليها يصير ضعيف . قال الخطيئة :

مَتَى تَأْتِيهِ تَفْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدٍ

وقوله « منهم » حال من ضمير المخاطب بعده . يقول : الناس فى قلة خيرهم كالظلام ، وأنت مشرق بينهم بفضلك وكرمك كالنور ؛ وقد قصدتكم من بينهم أطلب الخير كما توتى انوار فى الظلام .

(٣) الحشاش : عود يحمل فى عظم أنف البعير يشد فيه الزمام . أراد أنوف اللثام من الناس وأنها أولى بالحشاش من أن تشم الورد . شبه نفسه بالورد وشبه من رآه من الناس بأنوف الإبل . وقال ابن جنى : تأذيت بقاء غيرك من الرؤساء ولم يلقوا بى كما لا يلقى الورد بأنوف الإبل .

عَلَيْكَ إِذَا هُرِلْتَ مَعَ اللَّيَالِي وَحَوْلَكَ حِينَ تَسْمَنُ فِي هِرَاشٍ ^(١)
 أَتَى خَبَرَ الْأَمِيرِ قَتِيلَ كَرُوا فَقُلْتُ نَعَمْ وَلَوْ لَحِقُوا بِشَاشٍ ^(٢)
 يَقُودُهُمْ إِلَى الْمَيْجَا مُلْجُوجٌ يُسِنُ قِتَالَهُ وَالْكَرُّ نَاشِي ^(٣)
 وَأُسْرِجَتِ الْكَمِيتُ فَنَاقَلْتُ بِي عَلَى إِعْقَاقِهِمَا وَمَلَى غِشَاشِي ^(٤)

(١) يقول : هم عليك مع الدهر أعوانا له إذا كنت مهزولا . أى إذا افتقرت : فصرت كالمهزول الذى لا لحم له ، وإذا سمعت — أى أثريت وكثر مالك — التثؤنا حولك وتهاوشوا تهاوش الكلاب يطلبون نوالك ، وكذلك حال الناس ، فقوله : عليك أى هم عليك ؛ والمراد بالهرال والسمن : الفقر والغنى . والهراش : مأخوذة من مهارشة الكلاب . وقال الواحدى : المعنى : هم عيال فى الحرب فإذا رجعت بالقيمة خيموا لديك وتهاوشوا .

(٢) شاش : بلد فى ما وراء النهر . يقول : ورد خبر الأمير وأنه مع جيشه كروا على العدو ، فقلت : نعم — تصديقا لهذا الخبر — يكر الأمير وأصحابه ولو لحق جيش عدوه بشاش : أى ولو أمعن عدوه فى الحرب وكان بعيداً ، وهذا من قول البحترى :
 يُضْحِي مُطَلًّا عَلَى الْأَعْدَاءِ لَوْ وَقَفُوا

بِالصَّيْنِ فِي بُعْدِهَا مَا اسْتَبَعَدَ الصَّبِيْنَا

قال ابن جنى : كان أبو العشار قد استطرد الخيل ثم ولى بين أيديهم هاربا ثم جاء خبره أنه كره عليهم راجعا ، فيقول المتنبي : نعم يكرون — أى الأمير وأصحابه — ولو لحقوا من فرارهم بشاش . وقال ابن فورجه : الرواية بضم الكاف — كاف : كروا — والمعنى : أتى خبر الأمير بظفركه بالعدو ، فقلت لنا معشر المستمعيين : كروا ، فقلت : نعم نكر ، ولو لحقوا بشاش : أى ولو كان على البعد منا . والأولى أظهر .

(٣) أراد بالملجوج : أنه لا ينتشى عن أعدائه ولا يزال يهزوم . ويسن قتاله : أى يطول ، من أسن : أى طالت سنه — أى عمره . وناشى : هوى ناشئ — بالهمز — غفنف ، أى حديث السن ، يقول : إن هذا الممدوح يقود جيوشه إلى الميغا — الحرب — وهو ليجوع فى قتال أعدائه قد أطال قتالهم حتى أسن وكره لا يزال شابا ؛ فهو فى آخر القتال ، كما كان فى أوله ؛ وفيه نظر إلى قول البحترى .

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ إِقْدَامُ غِرَةٍ وَاعْتِرَازٌ مُجَرَّبٌ

(٤) الكميت : ما كان بين الأشقر والأدم من الخيل — يقال للذكر والأنثى —

قال الكلعة .

مِنَ الْمُتَمَرِّدَاتِ تَذَبُّ عَنْهَا بِرُوحِي كُلِّ طَائِرَةِ الرَّشَاشِ^(١)
وَلَوْ غُفِرَتْ لَبَلَّغَنِي إِلَيْهِ
حَدِيثٌ عَنْهُ يَحْمِلُ كُلُّ مَاشٍ^(٢)
إِذَا ذُكِرَتْ مَوَاقِفُهُ خِلَافٍ وَشَيْكَ فَمَا يُنْكَسُ لَا نِتْقَاشٍ^(٣)

كَيْتٌ غَيْرُ مُخْلَفَةٍ وَلَكِنْ كَلَوْنُ الصَّرَفِ عَلَى بَوِّ الْأَيْمِ
[يعنى أنها خالصة اللون لا يحلف عليها أنها ليست كذلك] .

وللناقلة أن تحسن نقل يديها ورجليها بين الحجارة : وأعقت الدابة إعقاقا ، انفتق
بطنها للحمل . والنشاش : العجلة ؛ يقال لقيته غشاشاً وعلى غشاش : إذا لقيته على هجلة
قالوا : وهى كنانة . وأنشدت عمودة الكلاية :

وَمَا أُنْدَى مَقَالَتَهَا غِشَاشًا لَنَا وَاللَّيْلُ قَدْ طَرَدَ النَّهَارَا
وَصَاتَكَ الْهُودُ وَقَدَرَأْنَا غَرَابَ الْبَيْنِ أَوْ كَبَّ نَمَّ طَارَا

[أو كب الطائر : نهياً للطيران] أى أنها أسرعت بى على ثقلها وعلى عجلتى .

(١) التمرد : تفعل ، من المارد ، والريد ، وهو الذى قد أعيا خبثاً ، وللمردة
اللمتعة . يصفحفرسه بالحبث وترك الاقياد لمن لا يحسن ركوبها ؛ وتذب : تدفع . وكل
نائب فاعل تذب ؛ وطائرة الرشاش : أى كل طعنة طائرة الرشاش ، وهو ما يترشش من
الدم . يقول : هى من الحيل الشديدة للراس وإنى أصونها برعى عن أن تطعن .

(٢) يقول : لو غفرت فرسى — قطع عصب رجلها ؛ وللراد : هلكت فلم تهملى
إليه ، بلغنى إليه حديث عنه — أى عن المدوح — يحمل كل ماش إليه فلا يحتاج إلى
للطية : أى يشوقه إلى قصده ما يسمع من الثناء عليه ؛ أو تقول : إنه إذا ذكرت أخباره
وما يكون منه لم يجد الماشى مس النصب والإعياء لاستطابته ذلك الحديث ، فكان الحديث
حملة إليه وهذا كما قيل : إن رجلين اصطحبا ، فقال أحدهما لصاحبه : تهملى وأحملك .
يريد تهمدنى وأحدثك حتى تقطع الطريق بالحديث لاستطابته يحمل الماشى ؛ هذا على
رواية كل ماش بالنصب ومن رواها بالرفع رد الضمير فى عنه للحديث : أى أن كل ماش
يحمل حديثه لاستفاضة أخباره وشيوعها .

(٣) شيك : أى دخلت الشوكة رجله ؛ والانتقاش : إخراج الشوكة من الرجل
يقول : إذا وصفت لشجاع مواقف المدوح فى الحرب تاق إليهم ورغب فى صحبته فأسرع

تَزِيلُ خَافَةَ الْمَصْبُورِ عَنْهُ وَتُلْهِى ذَا الْفَيَاشِ عَنِ الْفَيَاشِ^(١)
وَمَا وَجَدَ اشْتِيَاقُ كَاشِفِيَا
وَلَا عُرِفَ انكِمَاشُ كَانِكِمَاشِي^(٢)
فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَالِ وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَآشِ^(٣)

فيه لإعجابه حتى إنه - لدهوله - لو كان حافيا ودخلت شوكة في رجله إذ ذاك لم يكد يحس بها فلا ينكس رأسه - لا يبطأ طيء - لإخراجها . وقيل : للراد بمواقفه ، مواقفه في الجود والعطاء .

(١) للصبور : المحبوس على القتل ؛ يقال : قتل فلان صبرا وهو أن يحبس حتى يقتل والفياش : المفاتيحة - أى المفاخرة - يقول : إن مواقف المدوح في القتال واقتحامه المهالك تشجع أخبارها المصبور وتزيل عنه خوف القتل ؛ أو تقول : إن التاء - في تزيل وتلهى - للمخاطب : أى أنك أيها المدوح تستنقذ المصبور من القتل فتزيل خوفه وتشغل المفاخرة عن المفاخرة ؛ إذ يستخذى إليك حين يسمع بمفاخره ويقر بفضلك : وفي رواية « تزيل » و « يلهى » بالياء -

(٢) الانكماش : الإغاحة والجد في الأمر . يقول : لم يشتق أحد اشتياقي إليك ولم يسرع أحد سرعتي في قصدك .

(٣) هذا كقول أبي تمام :

وَمَنْ خَدَمَ الْأَقْوَامَ يَرْجُوا نَوَالَهُمْ
فَلَيْ لَمْ أَخْدُمُكَ إِلَّا لِأَخْدَمَا
وقد تقدم .

قافية الضاد

وأمر سيف الدولة بإفناذ خلعة إليه فقال :

فَعَلَّتْ بِنَا فَعَلَّ السَّمَاءَ بِأَرْضِهِ خَلَعَ الْأَمِيرَ وَحَقَّهُ لَمْ تَقْضِهِ ^(١)
فَكَانَ صِحَّةً نَسَجَهَا مِنْ لَفْظِهِ وَكَانَ حُسْنُ نَقَائِمَهَا مِنْ عَرْضِهِ ^(٢)
وَإِذَا وَكَلْتَ إِلَى كَرِيمٍ رَأْيَهُ فِي الْجُودِ بَانَ مَذِيقُهُ مِنْ تَحْضِيهِ ^(٣)

(١) يقول : أحيتنا خلق الأمير والبستنا الوشي ، كما يحيي المطر الأرض ويوشها بالنبات والأزهار وما إليها ، ولم تقض حقه كما يستحقه من الثناء . والضمير في أرضه : إما للممدوح ، أضاف الأرض كلها إليه تفخيماً لشأنه ، أو يريد أرض مملكته - إشارة إلى ما أفاض الله عليها من الحصب والتماء ؛ وإما راجع إلى السماء وذكره على إرادة المطر ، أو السقف ونصب حقه بإضمار ما فسر به ، ومثله :

والذئب أخشاه إن مرتُّ به وحدي وأخشى الرياح والمطرا

(٢) يقول : إن نسج هذه الخلع يشبه لفظ الأمير في جودته وسلامته من السفف ، وكان نقاءها من نقاء عرضه ؛ إذ سلم مما يعاب به ، وهذا من قول ابن الرومي في ثوب استهداه :

صَحِيحًا مِثْلَ رَائِكَ إِنَّهُ وَالْحَزَمَ فِي قَرَنِ
نَقِيًّا مِثْلَ عِرْضِكَ إِنَّ عِرْضَكَ غَيْرُ ذِي دَرَنِ

(٣) المذيق : المذوق ؛ أي الممزوج : والمخص : الخالص ، وهما من أوصاف اللين استعارهما للبعد . يقول : إذا فوضت الأمر في الجود إلى الكريم ولم تقترح عليه شيئاً وتركته إلى رأيه : بلغت ما تريد ؛ وبأن لك صحيح الرأي من معيه ، لأن صحيح الرأي لا يحتاج إلى سؤال ، بل يعطى بطبيعة الكرم ؛ ومعيب الرأي لا يعطى حتى يسأل مراراً . أو تقول : إن الكريم إذا ترك رأيه من غير سؤال بان جوده هل هو مشوب يأتيه تكلفاً وحياء أم أنه خالص يبعث به طبعه ونهيزته ؟

وقال لما مرض سيف الدولة :

إِذَا اعْتَلَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ اعْتَلَّتِ الْأَرْضُ
وَمَنْ فَوْقَهَا وَالْبَاسُ وَالْكَرَمُ الْخَضُّ^(١)
وَكَيْفَ انْتِفَاعِي بِالرُّقَادِ وَإِنَّمَا^(٢)
بِعَمَلَتِهِ يَفْتَلُّ فِي الْأَعْيُنِ الْغَمَضُ^(٣)
شَفَاكَ الَّذِي يَشْفِي بِجُودِكَ خَلْقَهُ
لَأَنَّكَ بِحَرِّ كُلِّ بَحْرٍ لَهُ نَبَضُ

* * *

وقال في بدر بن عمار ، وقد قام منصرفا في الليل :

مَضَى اللَّيْلُ وَالْفَضْلُ الَّذِي لَكَ لَا يَمْضِي
وَرُؤْيَاكَ أَحْلَى فِي الْعُيُونِ مِنَ الْغَمَضِ^(٣)

(١) البأس : الشدة والسطوة ؛ والمحض : الخالص . والمعنى ظاهر وهو من قول

أبي تمام :

لَا تَعْتَلِلْ إِنَّمَا بِالْمَكْرُمَاتِ إِذَا
أَنْتَ اعْتَلَلْتَ تَرَى الْأَوْجَاعُ وَالْعِلَلُ
وقوله :

إِنَّا جَهَلْنَا فَخَلْنَاكَ اعْتَلَلْتَ وَلَا
وَاللَّهُ مَا اعْتَلَّ إِلَّا الْمَلِكُ وَالْأَدَبُ
وقوله :

وإِنْ يَجِدْ عِلَّةً نَعَمْ بِهَا
حَتَّى تَرَانَا نَعَادُ مِنْ مَرَضِهِ

ومثله لسم بن الوليد :

نَالَتْكَ يَا خَيْرَ الْخَلَائِقِ عِلَّةٌ
يَفْدِيكَ مِنْ مَكْرُوهِهَا الثَّقَلَانُ
فِي كُلِّ قَلْبٍ مِنْ شَكَاتِكَ عِلَّةٌ
مَوْصُوفَةُ الشَّكْوَى بِكُلِّ لِسَانٍ

(٢) اعتلال الغمض : كناية عن امتناعه عن العين ، فجعل ذلك اعتلالا له .

(٣) قوله في العيون : يروى في الجفون : وكان يجب أن يقول : ولقياك ؛ لأن
الرؤيا تستعمل في المنام ؛ لكنه ذهب بالرؤيا إلى الرؤية لأنه كان بالليل : كقوله تعالى
« وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » لم يرد رؤيا المنام ، بل رؤيا اليقظة ،
وكان ذلك ليلا - ليلة الإسراء - . يقول : إن الليل قد مضى ، أما فضلك فهو ثابت باق
وعجز البيت من قول ابن الرومي :

وَلَطَعُمُ امْتِحَالَةٍ مِنْهُ بِالْأَزَا
ثُرْ أَحْلَى فِي عَيْنِهِ مِنْ رُقَادٍ

قَلَى أَنَّى طَوَّقْتُ مِنْكَ بِنِعْمَةٍ شَهِيدٌ بِهَا بَعْضِي لِغَيْرِي قَلَى بَعْضِي^(١)
سَلَامُ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ عَرْشُهُ تَخَصُّصٌ بِهِ يَا خَيْرَ مَا شِئَ عَلَى الْأَرْضِ

(١) قال الواحدى : أنصرف عنك ، مع أنك قلدتني نعمة يشهد بها بعضى على بعضى ؟ أى من نظر إلى استدلال بنعمتك على ، والمعنى أن القلب إن أنكر نعمتك شهد الجلد بما عليه . من الخلع . وقال ابن جنى : فى الكلام حذف تقديره : أمدحك وأثنى عليك بما طوقتنى به من نعمك ، لحذف للدلالة عليه ، ثم قال فى قوله شهيد بها الخ : لسانه يشهد على سائر جسده ، وهو من قول ابن بسام الكاتب .

وَقَدْ سَبَقَتْ مِنْهُ لِي نِعْمَةٌ تَقِيرَ عَلَىَّ وَإِنْ لَمْ أَقِرَّ

قافية حرف العين

وخرج يماك مملوك سيف الدولة إلى الرقة ؛ فخرج سيف الدولة بشيعه ، وهبت
رياح شديدة فقال :

لَا عَدِيمَ الْمَشِيعِ الْمَشِيعُ لَيْتَ الرِّيَّاحَ صَنَعَ مَا تَصْنَعُ^(١)
بَكْرُنَ ضَرًّا وَبَكْرَتَ تَنْفَعُ وَسَجَسَجَ أَنْتَ وَهْنُ زَعَزَعُ^(٢)
وَوَاحِدٌ أَنْتَ وَهْنٌ أَرْبَعُ وَأَنْتَ تَنْبَعُ وَالْمُلُوكُ خِرُوعُ^(٣)

وقال يمدحه ويذكر الوقعة التي نكب فيها المسلمون بالقرب من بحيرة الحدث ،
وذلك في جهادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة^(*) :

(١) الشيع — بصيغة اسم الفاعل — سيف الدولة ؛ والشيع — بصيغة اسم
المفعول — غلامه يماك ، يدعوله . يقول : لا عديمه غلامه ، ثم قال : ليت الرياح تصنع
ما تصنع أنت من نفع الناس .

(٢) بكرن ضرا : أراد بكرن — أى الرياح — يضررن ضرراً ، أو بكرن ذوات
ضر . والسجسج : السهل اللين الذى لا حر فيه ولا برد . والززعزع : الريح الشديدة
المؤذية . يقول : إن الرياح تضر الناس وأنت سهل تنفع الناس فليتها مثلك .

(٣) عنى بالأربع : الجنوب ، والتمال . والصبا ، والدبور . والتبع : شجر صلب
تتخذ منه القسي ، وهو عديم من جيد الشجر . والخروع : نبت ضعيف متثن ، وكل
شئ لين فهو خروع وخريع .

* مر سيف الدولة في هذه الغزوة بسندو وعبر آلس — وهو نهر عظيم على يوم
من طرسوس — ونزل على صارخة ، وهى مدينة هناك ، فأحرق ربهضاً وكنائسها
وربهض خرشنة وما حولها وأقام بمكانه أياماً ، ثم عبر آلس راجعاً فلما أسى ترك السواد
وأكثر الجيش ، وسرى حتى جاز خرشنة ، وانتهى إلى بطن لقان ظهر الغد ، فلقى

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ
إِنْ قَاتَلُوا جَبَنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجُمُوا^(١)

الدمستق في ألوف من الحيل ، فلما رأى الدمستق أوائل خيل المسلمين ظنها سرية لها ، فانتشب القتال بين الفريقين . فانهزم الدمستق ، وقتل من فرسانه خلق كثير ، وأسر من بطارقه ووزارزته نيف وثمانون ، وأفلت الدمستق وعاد سيف الدولة إلى عسكره وسواده حتى وصل إلى عقبة — تعرف بمقطعة الأنفار — فصادفه العدو على رأسها ، فأخذ ساقة الناس يحميهم ، ولما انحدر بعد عبور الناس ركبه العدو ، فخرج من الفرسان جماعة ، ونزل سيف الدولة على بردى — وهو نهر بطرسوس — وأخذ العدو عليه عقبة السير — وهي عقبة طويلة — فلم يقدر على صعودها لضيقها وكثرة العدو بها ، فعدل متياسراً في طريق وصفه بعض الأدلة ، وجاء العدو آخر النهار من خلفه ، فقاتل إلى المساء ، وأظلم الليل ، وتساند أصحاب سيف الدولة : أي أخذوا في سند الجبل يطلبون سوادهم . فلما خفت عنه أصحابه سار حتى لحق بالسواد تحت عقبة — قرية من بحيرة الحدث — فوقف وقد أخذ العدو الجبلين من الجانبين ، وجعل سيف الدولة يستنفر الناس فلم ينفر أحد ، ومن نجا من العقبة نهراً لم يرجع ، ومن بقي تحتهم تكن فيه نصرة ؛ وتخاذل الناس وكانوا قد ملوا السفر ، فأمر سيف الدولة بقتل البطارقة وبقية الأسرى ، فكانوا ماثات ، وانصرف ؛ واجتاز أبو الطيب آخر الليل بجماعة من المسلمين بعضهم نيام بين القتلى من التعب ؛ وبعضهم يحركونهم فيجهزون على من تحرك منهم ، فقال يصف ذلك .

(١) يقول : لا أنخدع بالناس فأتأول فيهم الخير وأظن فيهم الجليل لأنهم يجبنون عند القتال . ويشجعون عند الحديث ، فشجاعتهم بالقول لا بالفعل ، فلا أغتر بقولهم ؛ وإنما قال هذا الناس ولم يقل هؤلاء : لأنه ذهب إلى لفظ الناس ، لا إلى معناه . هذا : ويقال خدعه يخدعه خدعا — بالكسر — مثل سحره يسحره سحراً ؛ وخدعا — بالفتح أيضاً — وخديعة وخدعة : أي أراد به المكر وختله من حيث لا يعلم ، وتخاذع وانخدع أرى أنه قد خدع ؛ وخدعته فانخدع ورجل خدعة بالتسكين إذا كان يخدع كثيراً ، وخدعة : يخدع الناس كثيراً وأصله من خدع الضب يخدع خدعا ، وانخدع : إذا استروح ربح الإنسان ، فدخل في جحره لثلا يحترش ؛ ومن ذلك خدع الدهر : إذا تلون ،

أَهْلُ الْحَفِیْظَةِ إِلَّا أَنْ تُجَرَّبَهُمْ وَفِي التَّجَارِبِ بَعْدَ النَّفْسِ مَا يَزَعُ^(١)
وَمَا الْحَيَاةُ وَنَفْسِي بَعْدَ مَا عَلِمْتُ أَنَّ الْحَيَاةَ كَمَا لَا تَشْتَهِي طَبِيعُ^(٢)

وخذعت العين : لم تنم ؛ وما خدعت بعينه نفسه ؛ أى ما مرت بها . قال المزمق العبدى
أَرِقْتُ فَلَمْ تَخْدَعْ بِعَيْنِي نَعْسَةً وَمَنْ يَلْقَ مَا لَاقَيْتَ لَا بَدَّ يَأْرُقُ^(١)

(١) الحفيظة : الحمية والألتفة : والنفس : الانهماك في الجهل — خلاف الرشد . ويزع
يكف ويردع . يقول : هم أهل الحمية ما لم تجربهم ، فإذا جربتهم لم تجدهم كذلك ، وفي
تجربتهم بعد ظهور غيهم ما يمنعك عن مخالطهم . قال العكبرى : يشير إلى ما ظهر من
عجز أصحاب سيف الدولة في الفزاة التي جبنوا فيها ، وقال : هم يظهرون الحمية والجلد والإقدام
ويتزبنون بذلك ما لم تقع التجربة ، فإذا جربوا تركوا . وقال بعض الشراح : يريد بالنفس الاغترار :
أى وفي تجربة الشيء بعد الاغترار به ما يكشف عن دخلته ويكشف عن الاغترار به .

(٢) الطبيع : الدنس . وقوله ونفسي : في موضع رفع عطفا على الحياة أى مع الحياة
كما تقول ما أنت وزيد : أى مع زيد — وما : استفهامية . يقول : ما لنفسي والحياة ؟
أى لا أريدها بعد ما علمت أن الحياة غير المشتهة دنس ، وشين لها ، نعلام الحرص إذن
على هذه الحياة والركون إليها ؟ أى لا أريد حياة ولا أشتهاها إذا كانت كذلك ؛ وفيه
نظر إلى قول قطري بن العباد :

وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَا عُودَ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ
هَذَا : وأصل الطبع : الذى هو الدنس والشين ؛ من قولهم طبع السيف طبعاً فهو
طبع ؛ أى صدى . قال الفقهسى : وتروى لحكيم بن معية الربى وأنشدها الأصمى :
إِنَّا إِذَا قُلْتُ طَحَارِيرُ الْقَرْعِ وَصَدَرَ الشَّارِبِ مِنْهَا عَنْ جُرْعِ
نَفَحَلَهَا الْبَيْضَ الْقَلِيلَاتِ الطَّبِيعِ مِنْ كُلِّ عَرَاضٍ إِذَا هُزَّ اهْتَزَّعِ
مِثْلَ قَدَامَى النَّسْرِمَا مَسَّ بَصْعَ يَثُولُهَا تَرْعِيَةٌ غَيْرُ وَرَعِ

(١) أى لم تدخل بعيني نعسة ، ثم قال : ومن يلق ما لاقيت يارق لا بد : أى لا بد له
من الأرق .

ليس الجلال لوجهٍ صَحَّ مَارْنُهُ أَنْفُ التَّزْرِيزِ بِقَطْعِ الْيَزْ يُجْتَدَعُ^(١)
أَطْرَحُ الْجَدَّ عَنْ كَيْتِنِي وَأَطْلُبُهُ وَأَتْرُكُ الْغَيْثَ فِي غَمْدِي وَأَنْتَجِعُ^(٢)
وَالْمُشْرِفِيَّةُ لَا زَالَتْ مُشْرِفَةً دَوَاهُ كُلِّ كَرِيمٍ أَوْهَى الْوَجْعُ^(٣)

ليس يَفَانٍ كِبَرًا وَلَا ضَرَعٍ تَرَى بِرِجْلَيْهِ شَقُوقًا فِي كَلْبٍ
من بَارِيٍّ حَيْصٍ وَدَامَ مُنْسَلِعٌ^(١)

(١) للارن : ملان من الأنف . واجتدع أنفه : قطعه . يقول : ليس كل وجه صحيح للارن بجميل ، فإن العزير متى قطع عزه ذل ، فصار كمن جدد أنفه وإن كان صحيح الأنف وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

ليس جَدَّعَ الأنوفَ كَمَنْدَى جَدَّعَا إِنَّ ذُلَّ النفوسِ قَتْلٌ وَجَدَّعٌ
واختص الأنف لأن العرب تقصد الأنف من بين سائر الأعضاء ، فيقولون أرغم الله أنفه : أى أثرقه بالرغام ، وهو التراب . هذا هو الأصل ، ولكنهم يريدون الدل والعجز عن الانتصاف والالتقياد على كره .

(٢) الاتجاع — فى الأصل — طلب الكلاء ، ثم صار كل طلب استجاعا وللراد بالغيت : لازمه من الخصب وسعة العيش . يقول : إن المجد وسعة الرزق إنما يطلبان بالسيف . فلم أطلبها بئىء آخر ؟ يقول : أترك أن أحوز المجد بالسيف وأكسب المال من طريق الطعن والزال ، وأحاول ذلك بالطلب والسؤال ، فأكون بذلك كمن طرح عن كتفه ما يطلبه وترك فى غمده ما ينتجه ؟

(٣) للشرفية : السيوف ، والمشرقية : مبتدأ ؛ والحبر : دواء ؛ وجملة لازالت مشرفة : دعائية : ومن روى مشرفة — بكسر الراء — فغناه : لا كانت داء ، بل كانت دواء يقول : إن السيوف دواء الكريم أو دأؤه ، لأنه : إما أن يدرك بها طلبته فيملك فتكون دواء ، وإما أن يقتل بها دون غايته فيهلك فتكون داء . وهذا ينظر إلى قول البحترى :

وَعِنْدَ بُهْرَامَ دَلَالٌ لَوْ تَأَمَّلَهُ قَالَ الشَّفَاهُ بِمَحْدِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ

(١) القزع . جمع قزعة ، السحابة أو القطعة من النعم . والطخارير : سحابات متفرقة ويقال أخلت إلى : إذا أرسلت فيها غلا ؛ والبيض السيوف وتطحنها الخ يريد نزعها بالسيوف ، وهو مثل ، وأراد بالمراس : السيف البراق المضطرب ، واهزغ : اضطرب وكلمت رجله تكلم كلما وكلاعا تشققت واتسخت ، وترعية راع ، ويؤلها يجمعها من آل يثول فهو موئلها . ومنسلع متشقق .

وَفَارِسُ الْخَيْلِ مَنْ خَفَّتْ فَوَقَرَهَا
وَأَوْحَدْتُهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ قَلَقٌ
بِالْجَيْشِ تَمْتَنِعُ السَّادَاتُ كُلُّهُمْ
قَادَ الْمَقَانِبِ أَقْصَى شُرْبِهَا نَهْلٌ
لَا يَعْتَقِي بَلَدٌ مَسْرَاهُ عَنْ بَلَدٍ
كَالْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ رِيٌّ وَلَا شَبَعٌ^(١)
فِي الدَّرْبِ وَالْدَمُ فِي أُعْطَافِهَا دُفْعٌ^(٢)
وَأَغْضَبَتْهُ وَمَا فِي لَفْظِهِ قَذَعٌ^(٣)
وَالْجَيْشُ بَابُنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ يَمْتَنِعُ^(٤)
عَلَى الشَّكِيمِ وَأَذْنَى سَيْرِهَا سِرْعٌ^(٥)
كَالْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ رِيٌّ وَلَا شَبَعٌ^(٥)

(١) يريد يفارس الخيل : سيف الدولة ، لأن خيله أرادت الهزيمة ، فثبته في مضيق من مضايق الروم . فقله خفت : أى أسرع في الهزيمة فزعا : ووقرها : ثبتهما والدرب : المضيق والدخل إلى بلاد العدو ؛ والأعطاف : الجوانب ؛ والدم في أعطافها دفع : يعنى أن الدم منصب عليها دفعة بعد دفعة . وقال ابن جنى تعليقا على قوله : وفارس الخيل — يريد إذا اجتمعت الخيل موصوفة بالفروسية كان أفرسهم ؛ كقولك شاعر القوم ؛ فيحتمل أن يكونوا كلهم شعراء ؛ ويجوز أن يكون وحده شاعرا ؛ وإذا قلت هذا شاعر الرجلين لم يختص به الوصف دون الآخر ، بل تعمهما الصفة لأنه يجري مجرى أشعر الرجلين ، فلا بد من أن يكونا شاعرين . ولا تقول هذا غلام الرجلين وأحدهما الغلام والآخر صاحبه ، كما لا تقول : شاعر الرجلين ، وأحدهما شاعر دون صاحبه

(٢) أوحده : أى الخيل — أى تركته وحيدا . والقذع : الفحش . يقول فتركته وحيدا وتفرقت عنه فلم يقلق لشجاعته وأغضبه بانحيازها عنه فلم يك في لفظه فحش ولا خنى : أى أنه شجاع وإن كان وحده ، وحليم عند الغضب .

(٣) ابن أبي الهيجاء : هو سيف الدولة . يقول إن عز الملوك ومنعتهم بجيوشهم لأنهم بهم يقوون ويمتنعون على أعدائهم ، وعز جيشك بك لأنهم لا يمتنعون على عدوهم إذا تكن فيهم ، فأنت عزهم وبك منعتهم .

(٤) المقاب : جمع مقب ، جماعة الخيل زهاء الثلاثمائة ؛ والتهل : الشرب الأول . والشكيم : جمع شكيمة ، الحديدية المعترضة في فم الفرس من اللجام ؛ والسرع : السرعة مصدر سرع . يقول : قاد الجيوش مسرعا بها حتى كان أقصى شرب خيلهم مرة واحدة وهى ملعبة ولم يفرغوا — أشدة السير — أن يخلعوا اللجم ، وأقل سيرها إسراع . يصف ما كان عليه سيف الدولة من الإشاحة والجد في لقاء العدو .

(٥) لا يعتق : أى لا يعتاق ؛ يقال عاقه واعتاقه ، ثم يلقب ؛ ويقال : عناه واعتناه يقول : إن سيره إلى بلد لفتح لا يعوقه عن سيره إلى غيره ، كالوت الذى يم فلا يرتوى

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضٍ خَرَشْنَةَ تَشَقَّى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبَيْعُ^(١)
 لِّلْسِي مَا نَكَبَحُوا وَالْقَتْلَ مَا وَلَدُوا وَالنَّهْبَ مَا جَمَعُوا وَالنَّارَ مَا زَرَعُوا^(٢)
 مَحَلِّي لَهُ الْمَرْجُ مَنْصُوبًا بِصَارِخَةٍ لَهُ النَّابِرُ مَشْهُودًا بِهَا الْجَمْعُ^(٣)
 يُطَمِّعُ الطَّيْرَ فِيهِمْ طُولُ أَكْلِهِمْ حَتَّى تَكَادَ عَلَى أَحْيَائِهِمْ تَقَعُ^(٤)
 وَلَوْ رَأَاهُ حَوَارِيُّوهُمْ لَبَنَوْا عَلَى مَحَبَّتِهِ الشَّرْعَ الَّذِي شَرَعُوا^(٥)

ولا يشبع : أى لا يقنعه كثرة من يفنيه ، كذلك هو لا يقنع بفتح بلد من بلاد الأعداء أو بفتح غيره .

(١) خرشنة : بلد بالروم ؛ والأرباض : جمع ربض ، ما حول المدينة من العماره — الضواحي — . يقول : ما زال يسرع بجيوشه حتى نزل بأرباض خرشنة وقد شقبت به الروم ، لانه يقتلهم ويحرق صلبانهم ويخرب يعهم .

(٢) يقول : لما أقام على أرباض خرشنة نكل بالروم فسي نساءهم وأطفالهم وقتل أولادهم الكبار ونهب أموالهم وأحرق زرعهم : هذا : وقد أقام ما : مقام من في المصراع الأول ليوافق « ما » في المصراع الثانى ، على حد قوله تعالى « والسما وما بناها » ويجوز أن يكون حمل ما على المصدر . يريد للسبي نكاحهم والقتل ولادتهم ، قال العكبرى : واللام في قوله للسبي : لام العاقبة . كقوله :

لِدُوا لِمَوْتِ وَاثْنُوا لِلْخَرَابِ *

أى عاقبتما هذا وقد زاد المتن على أبى تمام في قوله :

لَمْ تَبْقَ مُشْرِكَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَتْ إِنَّ لَمْ تَنْبُ أَنَّهُ لِلْسَبْيِ مَا تَلَدُ

(٣) المرج : موضع ببلاد الروم ؛ وصارخة : مدينة من مدائنهم ؛ ومحلى ومنصوبا حالان من ضمير أقام — أى سيف الدولة — ومشهوداً : حال من صارخة ، وكان الوجه أن يقول : منصوبة ومشهودة . إلا أن التذكير جائز على حد قولك : نصب النابِر وشهد الجمع . يقول : إنه بلغ النهاية في النكابة بهم حتى أدخل له المرج ونصبت النابِر التى هى شعار الإسلام بصارخة وشهدت صلوات الجمع ، والجمع جمع جمعة كجمعات .

(٤) يقول : إن طول أكل الطير من لحوم قتلاهم أغرى الطير بهم ، فقد ألفت لحومهم حتى تكاد تقع على لحوم الأحياء وتختطفهم في غدواتهم ورواحاتهم .

(٥) الحواريون : أصحاب السيد المسيح ؛ وأضافهم إلى ضمير الروم لأنهم من أهل

هذا نظر السيد الأمام
 ٢٨٠ م ٩٩٦

ذَمُّ الدُّسْتَقُ عَيْنِيهِ وَقَدْ طَلَعَتْ سُدُّ الْقَمَامِ فَظَنُّوا أَنَّهَا قَزَعٌ (١)
فِيهَا الْكِمَاءُ الَّتِي مَقْلُومُهَا رَجُلٌ عَلَى الْجِيَادِ الَّتِي حَوْلِيهَا جَدَعٌ (٢)
تَذَرِي اللَّقَانَ غُبَاراً فِي مَنَاحِرِهَا وَفِي حَنَاجِرِهَا مِنْ آلِسٍ جُرْعٌ (٣)

دعوتهم . يقول لو رأى الحواريون سيف الدولة وشاهدوا عدله وإنصافه وكرمه لأوجبوا محبته وطاعته فيما يشرعون للمسيحيين من الشرع . هذا : وإنما سمي أصحاب السيد المسيح — صلوات الله عليه — بالحواريين : قيل لأنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب ؛ وقيل : الحواريون صفوة الأنبياء الذين قد خلصوا لهم ؛ ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « الزبير ابن عمتي وحواري من أمتي » أى خاصى من أصحابي وناصرى ؛ وتأويل الحواريين فى اللغة : الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب ؛ وكذلك الحواري من الدقيق : سمي به لأنه ينقى من لباب البر ، وتأويله فى الناس : الذى قد روجع فى اختياره مرة بعد مرة ، فوجد نقيا من العيوب . والحواريات من النساء : النقيات الألوان والجلود لياضهن ؛ ومنه الحور العين : لياض عيونهن ؛ والعرب نساء الأمصار حواريات لياضهن وبعدهن عن قشف الاعراب بنظافتهم . قال أبو جلدة :

فَقُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ يَبْكِينَ غَيْرَنَا وَلَا تَبْكُنَا إِلَّا الْكِلَابُ النَّوَاحِ
يَبْكِينَ إِلَيْنَا خِيفَةً أَنْ تَبْجَحَهَا رِمَاحُ النَّصَارَى وَالسُّيُوفُ الْجَوَارِحِ
[جعل أهل الشام نصارى لأنها تلى الروم ، وهى بلادها] .

(١) الدُستق : صاحب جيش الروم ، والقزع : المتفرق من السحاب واحدها قزعة . يقول : رأى الدُستق كتاب سيف الدولة فظنها سرازم قليلة ورأى سحابا متراكمة فظنها قطعاً متفرقة فلما وجد الأمر على خلاف ما أدركته عيناه ذم نظر عينيه . وعبارة ابن حنى : تخير حتى أنكر حاسة بصره ؛ وهذا يشبه قول البحترى :

فَلَمَّا التَّقَى الْجَمَاعَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُ يَدَاهُ وَلَمْ يَثْبُتْ عَلَى الْبَيْضِ نَازِلُهُ

(٢) فيها : أى فى سود القمام ، وهى عساكر سيف الدولة ؛ والكماة : جمع كمي ، وهو الشجاع المتسلح . والحولى الذى الذى آتى عليه حول . والجذع الذى آتى عليه حولان . يقول : فيها أبطال صبيهم رجل لدى الوغى وحولى خيلهم جذع ، يعنى الصغير فى جيشه ، كبير يعظم أمره .

(٣) اللقان : موضع يلاذ الروم . وآلس : نهر هناك . يصف سرعة جرى خيله ومواصلتها السير . يقول : شربت الماء من آلس وبلغت اللقان قبل أن تزدرد — تبتلع —

كَأَنَّهُا تَتَلَقَّاهُمْ لَتَسْلُكَهُمْ فَالطُّغْنُ يَفْتَحُ فِي الْأَجْوَافِ مَا تَسَعُ^(١)
تَهْدِي نَوَاطِرَهَا وَالْحَرْبُ مُظْلِمَةٌ مِنَ الْأَسِنَّةِ نَارٌ وَالْقَنَا شَمْعٌ^(٢)

ما شربته ، فإذ هذا النهر في حلقها وقد وصل إلى مناجرها تراب اللقان وبينهما مسافة بعيدة . وعبرة ابن الأقلبي : وصلت اللقان وحناجرها لم تحف من ماء النهر . يشير إلى ركض الخيل وشدة إسراعها ، وهذا مبالغة . وقال ابن جني : لا تستقر فتشرب ، إنما تختلس الماء اختلاسا بمواصلة السير . قال : ويجوز أن يكون شربت الماء قليلا لعلها بما يعقب في الركض ، وكذا يفعل كرام الخيل .

(١) يقول : كأن خيله تلتقي الروم لتدخل فيهم لأن طغن فوارسها يفتح في أجوافهم جراحات تسع الخيل . يصف سعة الطغن ، وهذا ينظر إلى قول قيس بن الخطيم :

طَمَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَفْنَةً ثَائِرٍ لَهَا نَفْدٌ لَوْلَا الشَّمْعُ أَضَاءُهَا^(١)
مَلَكَتْ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَعَهَا بَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءُهَا^(٢)
وعبرة ابن الإفللي : لتسلك أجسادهم وتتخذها طرقا ، وطغن فوارسها يفتح ما يسهم ويخرق ملايضيق بهم . وليس هذا الإفراط بأعجب من قول النابغة يصف السيوف :

تَقْدُ السَّلَوقِ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتَوَقِدُ بِالْصُّفَاحِ نَارَ الْحَبَابِ
[السلوق : الدرع للنسوبة إلى سلوق - قرية باليمن - والصفاح : الحجر العريض .
ونار الحباب : ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة . وقيل : الحباب ذباب يطير بالليل - كأنه نار ، له شعاع كالسراج] .

(٢) نار : فاعل تهدي . والقنا : الرماح ، وهو مبتدأ . خبره : شمع . والجملة : حالية . يقول : إذا أظلمت الحرب بالنقع - الغبار - هدت عيون الخيل فيها نار الأسنة ، ولما استعار للأسنة نارا جعل القنا شمعا ، والأسنة في رءوس القنا - كما هو معروف - قال ابن وكيع : ينظر فيه إلى قول النمرى :

لَيْلٌ مِنَ النَّقْعِ لَا شَمْسَ وَلَا قَمَرَ إِلَّا جَبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشَّرْعُ^(٣)
ولقد أحسن البحرى فيه بقوله :

مَدَّ لَيْلًا مِنَ الْعَجَاجِ فَأَيَّمْ شُونَ إِلَّا بِضَوْءِ السُّيُوفِ

(١) النفذ : الثقب ؛ والشعاع : حمرة الدم ؛ أى لولا الدم لأضاءها النفذ حتى تستبين .
(٢) ملكت : شددت وضبطت ، وأنهرت أوسعت .
(٣) للمذروبة الشرع : أسنة الرماح الحادة المشرعة .

دُونَ السَّهَامِ وَدُونَ الْقَرْ طَافِحَةً عَلَى نُفُوسِهِمِ الْمُقَوَّرَةُ الزُّرْعُ (١)
 إِذَا دَعَا الْعِلْجُ عِلْجًا حَالٌ بَيْنَهُمَا أَطْلَى تُفَارِقُ مِنْهُ أَخْنَهَا الضِّلْعُ (٢)
 أَجَلٌ مِنَ وَلَدِ الْفُقَاسِ مُنْكَتِفٌ إِذْ فَاتَهُنَّ وَأَمْضَى مِنْهُ مُنْصَرِعٌ (٣)
 وَمَا نَجَا مِنْ شِفَارِ الْبَيْضِ مُنْقَلِتٌ نَجَا وَمِنْهُنَّ فِي أَخْشَانِهِ فَرَعٌ (٤)
 يُبَاشِرُ الْأَمْنَ دَهْرًا وَهُوَ مُخْتَبِلٌ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ حَوْلًا وَهُوَ مُمْتَقِعٌ (٥)

(١) يقال لو هج الصيف وغبراه : سهام . بفتح السين . والسهام : حر السموم . وقد سهم الرجل - على ما لم يسم فاعله - إذا أصابته السموم . والقر : البرد . وطاحنة : حال - أى سرعة - يقال طفح يطفح : إذا ذهب يعدو . والمقورة : الضامرة : والزرع : السريعة - يقال مزع الفرس والظبي يمزع : إذا مر مسرعا خفيفا . يقول : قبل حمارة الصيف وصبارة البرد تأتتهم خيل سيف الدولة وتعدو على نفوسهم فطوؤم بهواقرها . وكان لسيف الدولة غزوتان في كل سنة : غزوة في الربيع ، وغزوة في الخريف . وروى ابن جني « دون السهام » بكسر السين - ودون القر : أى قبل أن تصل إليهم سهام الرماة ، وقبل أن يفروا تهجم عليهم هذه الخيل للسرعة الضامرة . قال ابن جني : سأله - أى المتنبي - فقال : هذه الخيل طفحت عليهم ، وقد صارت أقرب إلى نفوسهم من السهام ومن أن يفروا . يصف سرعة الخيل وأنها قد ركبتهم وغشيتهم . (٢) العليج : الرجل الغليظ من كفار العجم ، وأطلى : يعنى رمحا أسمر ، ومنه : تحليل . يقول : إذا استعان العليج بعلج آخر حال بينهما رمح أطلى يفرق بين الضلعين ، فكيف بين العليجين ؟

(٣) الفُقَاس : جد الدمستق . وقال ابن جني : هو الدمستق كأنه لقبه . وأجل وأمضى : مبتدآن . خبرهما : المرفوع بعدهما . يقول : إن هرب الدمستق وسبق الخيل بالفرار فلم تدركه فأجل منه وأعظم قدرا أسير منكثف - مشدود الكتفين - لأنه قاتل حتى أسر - وكان قد أسر من أصحابه نيف وخمسون رجلا - وأشجع منه قتيل مصروع لأنه قاتل حتى قتل ولم ينهزم .

(٤) شفار : جمع شفرة ، حد السيف . يقول : لم ينج من السيوف من نجا إلا وفي قلبه منها فرع لأن ذلك يقتله ولو بعد حين . والله أبو تمام إذ يقول :

إِنْ يَنْجُ مِنْكَ أَبُو نَضْرٍ فَمَنْ قَدَرٍ تَنْجُوا الرِّجَالُ وَلَكِنْ سَلَهُ كَيْفَ نَجَا
 (٥) المختبل : الداهل المضطرب ؛ والممتقع : للتغير اللون . يقول : يصير إلى مأمنه

كَمْ مِنْ حُشَاشَةٍ بِطَرِيقٍ تَضْمَنَهَا لِلْبَابِرَاتِ أَمِينٌ مَالَهُ وَرَعٌ^(١)
يُقَاتِلُ الْخَطَوُ عَنْهُ حِينَ يَطْلُبُهُ وَيَطْرُدُ النَّوْمَ عَنْهُ حِينَ يَضْطَجِعُ^(٢)
تَفْذُو الْمَنَايَا فَلَا تَنْفَكُ وَاقِفَةً حَتَّى يَقُولَ لَهَا عُودِي فَتَنْدَفِعُ^(٣)
قُلْ لِلدُّمُسْتَقِ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَكُمْ خَانُوا الْأَمِيرَ فَجَازَاهُمْ بِمَا صَنَعُوا^(٤)

فيعيش في الأمن حيناً من الدهر وهو ذاهل مغتبل العقل، لشدة ملحقه من الفزع، ويحتسب الخمر وهو ممتنع اللون لاستيلاء الصفرة عليه فلا تحيل الخمر لونه إلى الحمرة مع إدمانه عليها.

(١) الحشاشة : بقية الروح . والطريق الفارس من الروم أو القائد . وتضمنها : كفلها . والبابرات : السيوف . والورع : التقى والكف عن المحارم ، والمراد بالأمين : الذي لا ورع له : القيد . يقول : كم من بطريق أسر ليقول إذا دعت الحاجة إلى قتله ، فأرواحهم في ضمان القيد للسيوف ؛ قال العكبري : وقوله : أمين ماله ورع من أحسن الكلام ، لأن الأمين هو الذي يؤتمن على الأشياء فلا بد له من ورع .

(٢) يقاتل ويطرده : أي الأمين ، وهو القيد ؛ وعنه : أي عن القيد . يقول : إن القيد يمنعه الخطو إن أراد السير ويمنعه النوم عند الاضطجاع فإذا أراد الشئ قتله بتضييقه . يريفه أوجهه بالضيق على ساقه ، فكأنه يقاتله ؛ وإذا أراد النوم بمنه ؛ فكأنه يطرده عنه . ولعله ينظر إلى قول أبي نواس :

إِذَا قَامَ أَعْيَنَتْهُ عَلَى السَّاقِ حِلْيَةٌ لَهَا خَطْوُهُ وَسَطَ الْفَنَاءِ قَصِيرُ
(٣) يقول : إن المنايا تنتظر أمر سيف الدولة . فهي إن كفها ولت وإن أمرها بأن تعود إليهم تدفقت عليهم ، ومثله قول بكر بن النطاح :

كَأَنَّ الْمَنَايَا لَيْسَ يَجْرَيْنِ فِي الْوَعْيِ إِذَا التَقَّتِ الْأَبْطَالُ إِلَّا بِرَأْيِهِ
ويقول صريح الغواني :

كَأَنَّ الْمَنَايَا عَالِمَاتٌ بِأَمْرِهِ إِذَا خَطَرَتْ أَرْمَاحُهُ وَمَنَاصِلُهُ
(٤) المسلمين - بفتح اللام - الذين أسلمهم سيف الدولة للعقدوا لتخاذلهم عنه ، وذلك

أن سيف الدولة لما قتل من قتل وأسر من أسر : غادر ذلك الموضع وبقي فيه جماعة من جيشه يجهزون على من بقي فيه رمق من القتلى ، ومنهم من أخذه النوم فجاءهم العدو وأخذوهم وقتلوهم . يقول : إن هؤلاء الذين تركهم سيف الدولة وأسلمهم هم لكم ، فاصنعوا

وَجَدْتُمُوهُمْ نِيَامًا فِي دِمَائِكُمْ كَأَنَّ قِتْلَكُمْ إِيَّاهُمْ فَجَعُوا^(١)
 ضَعْفَى تَعْفَى الْأَيْدَى عَنْ مِثَالِهِمْ مِنَ الْأَعَادَى وَإِنْ هُمَا بِهِمْ نَزَعُوا^(٢)
 لَا تَحْسَبُوا مَنْ أَسْرَتُمْ كَانَ ذَارِمَقُ فَلَيْسَ يَا كُلُّ إِلَّا الْمَيِّتَ الضَّبْعُ^(٣)
 هَلَّا عَلَى عَقَبِ الْوَادِي وَقَدْ صَعِدَتْ أَسَدُ تَمْرُهُ فُرَادَى لَيْسَ يَجْتَمِعُ^(٤)

بهم ما شئتم ، خانوا الأمير بالانحياز عنه فجازاهم بأن أسلمهم إليكم ، ثم بين ما صنعوا في البيت التالى .

(١) فى دمائكم : أى فى دماء قتلاكم ، وذلك أنهم تخللوا القتلى فتلطخوا بدمائهم وألقوا أنفسهم بينهم تشبهاً بهم خوفاً من الروم . يقول : كأنهم كانوا مفعوعين بقتلاكم فهم فيما بينهم يتوجعون لهم .

(٢) ضعفى : جمع ضعيف ؛ ونزع عن الشيء : رغب عنه وأعرض . يقول : إن هؤلاء القدين فعلوا ذلك هم خساس عسكر سيف الدولة إن هموا بعدوم أعرض عنهم أنفة من ضعفهم وخستهم . وقد حقق هذا فيما يلى .

(٣) يقول : ليس لكم أن تفخروا بهؤلاء الذين أسرتهم ولا تظنوهم كان فيهم رمق - بقية حياة - وإنما هم أموات من الجبن والخوف ؛ وأنتم لحستكم ودناءة نفوسكم لا تقدرون إلا على أمثالهم ، كما أن الضبع لا تقترب إلا الجثث الميتة ، وقد عاب ابن وكيع هذا البيت وقال : كيف أطلق على الضبع هذا وأنها تأكل الميتة ؟ كأنه لم يقرأ كتاب الوحوش ، ولم يسمع وصفها فى أشعار العرب ؛ لأن الضبع تخفق عشرراً من الغنم حتى تأخذ واحدة ؛ وهى من أخبث السباع على الغنم . قال : ولو هو قال « ما كل من قد أسرتهم كان ذارمق » لكان أوضع وأحسن .

(٤) العقب : جمع عقبه وفردى : جمع فردان ؛ أى فرد . يقول : هلا وقفتم أو قاتلتم هناك وقد صعدت إليكم رجال أبطال يسرعون إلى الحرب أفراداً لا يتوقف بعضهم على بعض لشجاعتهم وثقتهم بقوتهم كما قال الحماسى :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيهِ لَمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا
 قال العكبرى : قوله ، هلا يريد هلا صرتم ، أو هلا وقفتم مثلاً ، لأن هلا للتحضيض ولا بد لها من الفعل - مظهرأ أو مضمرأ - ومنه قول جرير :

تَعْدُونَ عَقَرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنَى ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكُمَى الْمُقْتَعَا^(١)

(١) تعدون هنا بمعنى تجملون وتحسبون ، ولهذا عداه إلى مفعولين ، ويجوز أن

تَشَقُّكُمْ بِفَتَاهَا كُلُّ سَلَهَبَةٍ
وَالضَّرْبُ يَأْخُذُ مِنْكُمْ قَوْقَ مَا يَدَّعُ^(١)
وَإِنَّمَا عَرَضَ اللَّهُ الْجُنُودَ بِكُمْ
لِكَيْ يَكُونُوا بِلَا قَسَلٍ إِذَا رَجَعُوا^(٢)
فَكُلُّ غَزْوٍ إِلَيْكُمْ بَعْدَ ذَا فَلَهُ^(٣) وَكُلُّ غَازٍ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ التَّبَعِ^(٤)

أى هلا عددتم الكى المتفع

(١) السلهبة : الطويلة من الخيل . يقول : يشق صفوفكم كل فرس من خيل هؤلاء الرجال بفارسها ويمكن سيفه منكم حتى يكون من يأتي عليه الضرب أكثر ممن يدعه . وروى بقناها : أى برماحها ؛ أى تشقكم كل سلهبة برمحها ، والمراد كل صاحب سلهبة ، لان أصحاب السلاهب - الخيل - وفرسانها هم الذين يشقون بالطنن . هذا : ويدع : مضارع فعل ترك استعماله .

(٢) الفصل : الرذل الدنى العاجز . يقول : إنما عرض الله لكم الجنود - الذين انقطعوا عن عسكر سيف الدولة . . . وهم الأوباش الذين قتلتموهم - ليجرد الله عسكر الإسلام من أمثالهم فيعود إليكم سيف الدولة في الأبطال المنتخبين ليس فيهم قسل ولا دنى . قال الواحدى : كل الناس رروا « بكم » والصحيح فى المعنى لكم - باللام - لأنه يقال عرضت فلاناً لكذا فتعرض له . ويجوز أن تكون بكم : من صلة معنى التعرض ، لا من لفظه ، ومعناه : إنما ابتلى الله الجنود بكم : أى إنما خذلهم الله وجعلهم لكم عرضة .

(٣) يقول : فكل غزوة إليكم بعد اليوم تكون عاقبتها له - لا عليه - لأن الأوباش والضفاء من جنوده قد قتلوا ، ولم يبق إلا الإبطال المصطفين الأخيار وكل غاز تبع له . لأنه أمير الغزاة وسيدهم .

يكون من العد ، ويكون على إسقاط « من » الجارة ، تقديره : تعدون عقر النيب من أفضل مجدكم ؛ فلما أسقط الحافض : تعدى الفعل فصب ؛ وبنو ضوطرى : حتى معروف . وقال ابن سيده : يقال للقوم إذا كانوا لا يفنون غناء : بنو ضوطرى ؛ ومنه قول جرير مخاطب الفرزدق الخ . ومعنى البيت : إنكم تعدون عقر الإبل للسنة التى لا ينتفع بها ولا يرجى نسلها أفضل مجدكم ، هلا تعدون قتل الشجعان أفضل مجدكم ؟ وهذا تعرض بجبنهم عن مقارعة الشجعان ومنازلة الأقران :

يَمْشِي الْكِرَامُ عَلَى آثَارِ غَيْرِهِمْ
وَهَلْ يَشِينُكَ وَقْتُ كُنْتُ فَارِسَهُ
مَنْ كَانَ قَوْفِي مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ
لَمْ يُسَلِّمِ الْكَرُّ فِي الْأَعْقَابِ مُهْجَتُهُ
لَيْتَ الْمُلُوكَ عَلَى الْأَقْدَارِ مُعْطِيَةً
وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتِي وَتَبْتَدِعُ^(١)
وَكَانَ غَيْرُكَ فِيهِ الْعَاجِزُ الضَّرْعُ^(٢)
فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلَا يَضَعُ^(٣)
إِنْ كَانَ أَسْلَمَهَا الْأَصْحَابُ وَالشَّيْعُ^(٤)
فَلَمْ يَكُنْ لِدُنْيَا عِنْدَهَا طَبْعُ^(٥)

(١) يقول : إن أفعالك أباكرا لم يسبق إليها ، فأنت مبتدع في كل مأثرة لا متبع أحداً فيها ، أما غيرك من الكرام فإنهم يقتفون آثار غيرهم .

(٢) الضرع : الضعيف . يقول : إذا كنت الفارس الشجاع وغيرك الضعيف العاجز فلا يميلك عجز العاجز . يريد أن قتلهم وأسرم ضعاف أصحابك لا يشينك . قال الشراح : وفي نظم هذا البيت عيب عند الحذاق بصناعة الشعر لأنه كان ينبغي أن يقول في صدر البيت الاول : « كنت حازمه » لما قال في العجز العاجز الضرع ، لأن ضد الحازم العاجز . أو يقول فارسه وجبانه .

(٣) ولا يضع : أى ولا يضعه شيء . يقول : من بلغ الغاية في الرفعة فليس وراء الغاية موضع . وإذن لا يرفع بنصرة أحد ولا يتضع بخذلان أحد .

(٤) أسلمه : خذله : والكر : الرجوع إلى الحرب مرة بعد أخرى ، والأعقاب : جمع عقب ، وهو مؤخر كل شيء ، واسم كان : ضمير الشأن : والجملة بعدها خبرها : والشيع : الأتباع . يقول : إذا كان أصحابه قد خذلوه وأسلموه للأعداء بهذا التخاذل فإن كره على الأعداء في الأعقاب - أى أواخر الحيل - لم يخذله : يعنى أنه من شجاء : نفسه في منعة ، وبذلك دافعت نفسه عن نفسه ، ومثله لأبى تمام :

ما غاب عنه من الإقدام أشرفه في الرُّوعِ إن غابتِ الأنصارُ والشَّيْعُ

(٥) الدنى : مهموز ، وقال ابن جني قلت له - للفتي - : عند القراءة عليه ألهزمه ؟ قال : لا تهمزه ، قلت له : هو من باب المهموز . فقال لا : ألا ترى الإجماع على قوله تعالى « أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » بترك الهمزة ؟ أقول : والذى يؤخذ من كلام أهل اللغة أن الدنى بمعنى الحسيس : لايهمز - كما هنا - أما الدنى بمعنى الخبيث الماخن ، فإنهم يهمزونه . قال أبو زيد في النوادر : رجل دنى : هو الخبيث البطن والفرج دنؤ دناءة ، ورجل دنى ، وقد دنى يدنى ، ودنو يدنو دنوا ، وهو الضعيف الحسيس الذى لا غناء عنده ، المقصر في كل ما أخذ فيه ، وأنشد :

رَضِيتَ مِنْهُمْ بَأَن زُرْتَ الْوَغَى فَرَأَوْا
وَأَن قَرَعْتَ حَبِيكَ الْبَيْضَ فَاسْتَمْعُوا^(١)
لَقَدْ أَبَاحَكَ غِشًّا فِي مُعَامَلَةٍ
مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصَّدَقِ تَلْتَفِعُ^(٢)

فلا وأبيك ما خلّيتي بوغري ولا أنا بالدني ولا المدني^(١)
يقول: ليت الملوك يعطون الشعراء على أقدارهم في الاستحقاق بفضلهم، ولو هم فعلوا
لما طمع في نوالهم خسيس . وهذا تعريض بأنه يسويه مع غيره ممن لم يبلغ درجته
في الفضل .

(١) الحبيك : جمع حبيكة - كسفين وسفينة - وهي الطرائق تكون في السمام
وفي الماء الساكن أو الرمل ، إذا هبت عليهما الريح فيتجعدان ويصيران طرائق ،
والبيض . إما قراءتها بفتح الباء - جمع بيضة ، وهي الخوفة من حديد تجعل على
الرأس للوقاية في الحرب - وحبيكها طرائقها . وإما بكسر الباء : أي السيف ،
وحبيكها تلك الطرائق التي في السيف . يقول : رضيت من الشعراء بالنظر إلى قتالك
والاستماع إلى قراعتك في الوغى - الحرب - دون أن يباشروا القتال : يعني أنا الذي
أبشر القتال معك دون غيري من الشعراء

(٢) لعله يريد أن يقول : لقد غشك من انتفاعك منه بغير الصدق . يعني شعر هؤلاء
الشعراء : أي أن هؤلاء الشعراء إنما يتقربون إليك ويأخذون أموالك بذلك الشعر الكاذب الذي
لا يصحبه فعل إذ لا يباشرون معك القتال ، فكأنهم يشونك . أما أنا : فإني أصدقك إذ
أمدحك وأبشر معك القتال . وعبرة العكبري : من لم يصدقك بقوله فقد غشك ، فإنه يظهر
لك الشجاعة والجبن عنده ، ويظهر لك الجلد والضعف حقيقته ، فهو يتعاطى ما ليس
عنده . قال ابن وكيع : لو قال « من كان منك بغير الصدق » لسم من الاعتراض . وقال
الواحدى : معنى البيت : من لم يصدقك فقد غشك يعني أنى قد صدقتك فما ذكرت ،
لأنى لو لم أصدقك كنت قد غششتك . قال : ويجوز أن يكون المعنى : إن من غشك بتخلفه
عنك فقد أباحك أن تغشه في معاملتك إياه . وجعل ما يفعله سيف الدولة غشا لأنه
جزاء النفس . وقوله على هذا « بغير الصدق » أي بغير صدق اللقاء . يعني بالنظر والسماع .

(١) المدني : المقصر عما ينبغي أن يفعله .

الدَّهْرُ مُتَعَذِّرٌ وَالسَّيْفُ مُنْتَقِرٌ وَأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبِعٌ^(١)
وَمَا الْجِبَالُ لِنَصْرَانٍ بِحَامِيَةٍ وَلَوْ تَنَصَّرَ فِيهَا الْأَعْصَمُ الصَّدْعُ^(٢)
وَمَا حَمْدُكَ فِي هَوْلِ ثَبَتَ لَهُ حَتَّى بَلَوْتُكَ وَالْأَبْطَالُ تَمْتَصِعُ^(٣)
فَقَدْ يُظَنُّ شُجَاعًا مَنْ بِهِ خَرَقٌ وَقَدْ يُظَنُّ جَبَانًا مَنْ بِهِ رَمَعٌ^(٤)
إِنَّ السَّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْمِخْلَبِ السَّبْعُ^(٥)

• •

(١) المصطاف والمرتبع : النزل في الصيف والربيع . يقول إن الدهر معتذر إليك بما فعل - يعني من قتل الروم ضعفاء أصحابك - والسيف ينتظر كرتك عليهم فيشفيك منهم وأرضهم لك منزل صيفا وريعا تنزلها متى شئت، إذ هي ملك لك. وصدر البيت من قول أبي تمام :

عَضْبًا إِذَا سَلَّهُ فِي وَجْهِ نَائِبَةٍ جَاءَتْ إِلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَعْتَذِرُ
يعجزه من قوله أيضا :

وَأَمْتُ فِيهَا وَادِعًا مُتَمَهِّلًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا لَكَ دَارُ

(٢) نصران ونصراني : واحد ؛ والأعصم : الوعل الذي في إحدى يديه بياض ، والصدع : الوعل لا بالسن ولا بالصغير : أى الفقى . يقول : إن اعتصامهم بجبالهم لا ينفعهم لأنها لا تحميمهم ؛ ولو أن أو عاها تنصرت لم تحمها الجبال .

(٣) الامتصاع والماصة : القتال والتجالد بالسيوف ؛ وامتصع في الأرض ذهب فيها هاربا . يقول : لم أحمذك على شجاعتك وثباتك في الحرب إلا بعد أن بلوتك - خبرتك - وجربتك - لئلا قتال الأبطال ، أو والأبطال تهرب فارة منك .

(٤) الخرق : الحفة والطيش ، والزمع : الرعدة . يقول : الظن قد يخطيء ، فالأخرق قد يظن شجاعا ، والشجاع الذي تغتره الرعدة من الغضب قد يظن جبانا ؛ وإنما يتحقق الأمر عند التجربة : يعني إني قد مدحتك بعد الخبرة ولم أخطيء ولم أكذب .

(٥) كل : مبتدأ ؛ والنسب : خبر ؛ والجملة خبر ليس ؛ واسمها ضمير الشأن ؛ والمخلب : للطير والسباع : بمنزلة الظفر للانسان . وهذا مثل ضربه . يقول : ليس كل من يحمل السلاح شجاعا ، كما أنه ليس كل ذى مخلب أسدا يفترس .

وقال في صباه يمدح على بن أحد الطائي :

حُشَاشَةُ نَفْسٍ وَدَعَتْ يَوْمَ وَدَّعُوا فَلَمْ أَذْرِ أَىَّ الظَّاعِنِينَ أَشْبَحَ^(١)
أَشَارُوا بِتَسْلِيمٍ فَجَدْنَا بِأَنْفُسٍ نَسِيلُ مِنَ الْأَمَاقِ وَالسَّمِ أَدْمَعُ^(٢)
حَشَاىَ عَلَى جَمْرٍ ذِكْرِي مِنَ الْهَوَى

وَعَيْنَاىَ فِي رَوْضٍ مِنَ الْحُسْنِ تَرْتَعُ^(٣)

(١) الحشاشة : بقية الروح في الرضى ؛ والظاعنين : المرتحلين . يقول : لى بقية نفس ودعنى وفارقتى يوم ودعنى الأحباب فذهبت البقية والحبيب فبقيت حائرآ لأدرى أى المرتحلين أودع ؟ يعنى الحشاشة والحبيب المودع فى جملة من ودعو . قعوله : الظاعنين بلفظ التثنية - وروى بلفظ الجمع على إرادة الحشاشة ، والأحبة الذين ذكرهم فى قوله ودعوا . وهذا المعنى ينظر إلى قول بشار :

حَدَا بَعْضُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَبَعْضُهُمْ شِمَالًا وَقَلْبِي بَيْنَهُمْ مُتَوَزِعُ
(٢) اللؤق : طرف العين مما يلى الأنف ؛ والجمع : آماق ؛ وهو مهموز العين ، ويقلب : فيقدم الهمز ، فيقال : آماق ؛ مثل بئر وآبار ، والسَم : لغة فى الاسم - بكسر السين ، وضمها ، وفتحها - يقول : أشاروا إلينا بالسلام علينا فجدنا عليهم بأرواح سالت من الاماق تسمى دموعا : أى أنها كانت أرواحنا سالت من عيوننا فى صورة دموع ؛ ومثله :

خَلِيلِي لَا دَمْعًا بَكَيْتُ وَإِنَّمَا هِيَ الرُّوحُ مِنْ عَيْنِي نَسِيلٌ عَلَى خَدِّي
ويقول بشار :

وَلَيْسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ مَاءُهَا وَلَكِنَّهَا رُوحِي تَذُوبُ فَتَقْطُرُ
ويقول ديك الجن :

لَيْسَ ذَا الدَّمْعِ دَمْعَ عَيْنِي وَلَكِنْ هِيَ نَفْسِي تَذِيبُهَا أَنْفَاسِي
ولابن دريثر :

لَا تَحْسِبُوا دَمْعِي تَحَدَّرُ إِنَّهَا رُوحِي جَرَتْ فِي دَمْعِي الْمُتَحَدِّرِ
(٣) الحشا : مافى داخل الجوف ؛ والمراد به . هنا : القلب . يقول بقلبي على جمر شديد التوقد من الهوى لأجل توديعهم وفراقهم ، وعيناي ترتعان من وجه الحبيب فى روض من الحسن ، والله أبو تمام حين يقول :

أَفَى الْحَقِّ أَنْ يُضْحِي بَقَلْبِي مَا تَمُّ مِنْ الشُّوقِ وَالْبَلَوَى وَعَيْنَاىَ فِى هُرَيْسٍ

وَلَوْ حُمِّلَتْ مُمْ الْجِبَالِ الَّذِي بَنَّا
غَدَاةَ افْتَرَقْنَا أَوْ شَكَّتْ تَتَصَدَّعُ^(١)
بِمَا بَيْنَ جَنبَيْهِ الَّتِي خَاضَ طَيْفُهَا إِلَى الدِّيَارِجِي وَالتَّحْلِيلِيُونَ هُجَّعُ^(٢)

والأصل في هذا المعنى قول ابن الدمينه :

غَدَّتْ مُقْلَتِي فِي جَنَّةٍ مِنْ جَاهِلَا وَقَلْبِي غَدَاً مِنْ هَجْرَهَا فِي جَهَنَّمَ
هذا : وإنما لم يقل ترتعان لأن حكم العينين حكم حاسة واحدة ، فلا تكاد تنفرد
إحداهما برؤية دون الأخرى ، فاكتمى بضمير الواحد . قال العكبري : وأفرد الخبر
لأن العينين - وهما عضوان مشتركان في فعل واحد مع اتفاقهما في التسمية - يجرى
عليهما ما يجرى على أحدهما ؛ ألا ترى أن كل واحدة من العينين لا تكاد تنفرد بالرؤية
دون الأخرى باشتراكهما في النظر : كاشتراك الأذنين في السمع ، والقدمين في المشي ؟
وقد استعمل هذا الباب على أربعة أوجه : أحدها على الحقيقة في الخبر والخبر عنه ،
فتقول : عيناى رأته ، وأذنأى سمعته . والثاني : أن تخبر عن اثنين وتنفرد الخبر -
كبيت أبي الطيب - فتقول : عيناى رأته . والثالث : أن تعبر عن اثنين بواحد وتنفرد
الخبر ، فتقول : عيني رأته ، وأذنى سمعته . والرابع أن تعبر عن اثنين بواحد ، وتثنى
الخبر حملا على المعنى ، فتقول : عيني رأته وأذنى سمعته ، كقول الشاعر :

إِذَا ذُكِرْتَ عَيْنِي الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى بِصَحْرَاءَ فَلَجَّ ظِلَّتَا تَكْفَانِ

(١) الصم : الصلاب ؛ وتتصدع : تتشقق ؛ وهذا من قول البحترى :

وَلَوْ أَنَّ الْجِبَالَ فَقَدْنَ الْفَأَّ لَأَوْشَكَ جَامِدٌ مِنْهَا يَذُوبُ

(٢) بما بين جنبي : أى أفنديها بما بين جنبي ؛ يعنى قلبه أو روحه . فالباء للتفدية ؛

وقال ابن القطاع : يريد هى مطالبة بتلاف روحى التى بين جنبي . والدياجي : جمع
ديجوج ، وكان القياس دياجيج ، ولكنهم خففوا الكلمة بحذف الجيم الأخيرة ، كما قالوا :
مكوك ومكاكى . والحلى : الذى يخلو قلبه من الهوى والمم ، والمجعج : النيام . يقول :
أفدى بقلبي المرأة التى أتانى خيالها فى ظلام الليل فقطع الظلمة إلى والذين خلوا من الحب
كانوا نياما ، قال الواحدى : وهذا كالتضارب لأنه أيضاً كان نائماً حين رأى خيالها ،
لكن يجوز أن يكون نومه نعسة خفيفة ، فرأى خيالها فى تلك النعسة ؛ وغيره من التحليلين
نام جميع ليته .

أَنْتِ زَائِرًا مَا خَامَرَ الطَّيِّبُ ثَوْبَهَا وَكَالِمَسْكَ مِنْ أَرْضَانِهَا يَتَضَوُّعٌ^(١)
فَمَا جَلَسَتْ حَتَّى انْتَفَتْ نُوسِعُ انْطَاطًا كَفَاطِمَةٍ عَنْ دَرَّهَا قَبْلَ تَرْضِيعٍ^(٢)
فَشَرَّدَ لِإِعْطَامِي لَهَا مَا أَتَى بِهَا مِنَ النَّوْمِ وَالتَّاعِ الْفَوَادُ لِلْفَجْعِ^(٣)
فِيَا لَيْلَةَ مَا كَانَ أَطْوَلَ نَبْهَا وَسُمُّ الْأَفَارِ عَذْبُ مَا أُتَجَرَّعُ^(٤)
تَذَلَّلَ لَهَا وَأَخْضَعَ عَلَى الْقُرْبِ وَالنَّوَى
فَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَا يَذَلُّ وَيَخْضَعُ^(٥)

(١) زائراً : حال من فاعل أنت : أى أنت خيالاً زائراً ؛ وخامر : خالط ؛ والكاف - فى «كالمسك» اسم ، بمنزلة مثل ، مبتدأ ؛ والحبر : الجملة بعدها . والأردان : جمع ردن أصل الكم . ويتضوع : يفوح : يقول : أنت زائرة ما خالط الطيب ثوبها : أى لم تغطر ، ومثل المسك يفوح من ثيابها ، لأنها طيبة الرائحة طبعاً - لا تطبعاً - كما قال امرؤ القيس :
ألم ترائنى كلما جئت طارقاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيب ؟
أى أن طيبها خلقة فيها لا تتكلمه .

(٢) قبل ترضع : أى قبل أن ترضع :

(٣) أعظمه إعظاماً : استعظمه ، وما : موصولة ، وهى مفعول شرد . ومن - فى قوله من النوم - بيانية . والتاع : احترق ، واللوعة . الحرقه ، والتجع : الموضع . يقول : لما رأيت خيالها استعظمت رؤيتها ، فنفى ذلك نوى الذى أتى بها ، واحترق قلبى لفقد رؤيتها .

(٤) تجرعة : شربه على تكلف واستكراه ، يقول : ما كان أطول تلك الليلة التى فارقنى فيها خيالها فتجرجعت من حرارة فراقها ما كان السم بالقياس إليه عذبا . فقوله ما كان أطول . أى ما كان أطولها ، فحذف الضمير للوزن .

(٥) يقول : ارض بما تحكم متفاداً مطيعاً لها ، والخضوع فى القرب : الطاعة والاعتقاد ؛ وفى البعد : الرضا والتسليم لقطبها ، وذلك آية الحب ، كما قال أبو نواس :

أَيَا كَثِيرِ النَّوْجِ فِي الدَّمَنِ لَا عَلَيْهَا بَلْ عَلَى السَّكَنِ
سُنَّةُ الْمُشَاقِّ وَاحِدَةً فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَكَنِ

ويقول :

كُنْ إِذَا أَحْبَبْتَ عَبْدًا لِلَّذِي تَهْوَى مُطِيعًا
لَنْ تَنَالَ الْوَصْلَ حَتَّى تُلْزِمَ النَّفْسَ الْخَفُوعَا

وَلَا تَوْبُ تَجْدُ غَيْرَ تَوْبِ ابْنِ أَحْمَدٍ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بُلُومٍ مُرَقَّعٍ^(١)
وَأَنَّ الَّذِي حَابَى جَدِيلَةَ طَيِّءٍ بِهِ اللَّهُ يُعْطَى مِنْ بَشَاءٍ وَيَمْنَعُ^(٢)

ويقول العباس بن الأحنف :

تَحْمَلُ عَظِيمَ الذَّنْبِ مِمَّنْ تَحِبُّهُ وَإِنْ كُنْتَ مَظْلُومًا قَتَلَ أَنَا ظَالِمٌ
فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَحْمِلِ الذَّنْبَ فِي الْهَوَى يَفَارِقُكَ مَنْ تَهَوَّى وَأَنْفَكَ رَاغِمٌ

(١) يقول : إنه لم يسلم المجد لأحد خالصاً غير مشوب باللؤم إلا للمدوح . ولا توب : روى بالرفع عطفاً على عاشق - في البيت السابق - وبالنصب : على جعل لا : نافية للجنس . وغير : منصوب على الاستثناء ، وابن أحمد : المدوح ؛ وعلى أحد : صلة توب الأول . واللؤم الحسة ، ضد الكرم . ومرقع : خبر ، ورواها ابن جني ، يرفع .

(٢) جديلة : رهط المدوح من طيء . قال ابن جني : حابي : بمعنى حبا : أى أعطى ، وعلى هذا يكون المعنى : إن الذى أعطى بنى جديلة هذا المدوح فجعله منهم هو الله تعالى يعطى من يشاء ويمنع من يشاء . ونص عبارة ابن جني : حابي : بمعنى حبا . مأخوذ من الحباء . وهو العطية ؛ واسم الله : مرفوع به ؛ والجملة - التى هى يعطى وفاعله - خبر إن ؛ واسم إن : الذى قال . المكبرى : وخولف فى هذا قليل : معنى حابي بارى ، تقول : حابيت زيدا : إذا باريته - مثل باهيته - فى العطاء ؛ وليس بمعروف أن المعنى حابيته بكذا : حبوته به . قال الشريف هبة الله بن محمد بن على بن محمد للشجري : فلى هذا يكون فاعل حابي : مضمرأ فيه ، يعود على الذى ؛ واسم الله : مرتفع بالابتداء ؛ وخبره : الجملة ، تقديره : إن الذى حابي به جديلة فى الحباء الله يعطى من يشاء ، ومفعول يمنح : محذوف : دل عليه مفعول يعطى ؛ وكذلك مفعول يشاء المذكور ، والمحذوفان تقديرهما : يعطى الله به من يشاء أن يعطيه ، ويمنع من يشاء أن يمنعه ، والضميران : يعودان للمدوح . وقال المكبرى : أصل حابي : فاعل ، ولا يكون إلا : ن اثنين إلا فى أحرف يسيرة : طارقت النمل ، وغابت اللص ، وعافاه الله ، وقاتلهم الله . وأبو الفتح ذهب بها مذهب هذه الأحرف وقال : حابي : بمعنى حبا ، كما فى قول أشجع يمدح جعفر بن يحيى حين ولاء الرشيد خراسان :

إِنَّ خُرَاسَانَ وَقَدْ أَصْبَحَتْ تَرْفَعُ مِنْ ذِي الْهَمَةِ الشَّانَا
لَمْ يَحْبُ هُرُونُ بِهَا جَعْفَرًا وَإِنَّمَا حَابَى خُرَاسَانَا

بَذَى كَرِّمَ مَا مَرَّ يَوْمٌ وَشَمْسُهُ عَلَى رَأْسِ أَوْفَى ذِمَّةٍ مِنْهُ تَطْلُعُ^(١)
فَارْحَامُ شِعْرِ يَتَصِلْنَ لَدُنْهُ وَأَرْحَامُ مَالٍ لَا تَنِي تَنْتَقِعُ^(٢)

وقد جاء حابي : بمعنى بارى فى قول سيرة بن عمرو الفقى :

نَحَابِي بِهَا أَكْفَاءُ نَا وَنُهَيْنَا وَنَشْرَبُ فِي أُمَانِهَا وَنَقَامِرُ
وقد جاء حابي بمعنى : اختص ، قال :

اضْبُرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا ثِقَةٍ وَاشْكُرْ حَبَاءَ الَّذِى بِالْمَلِكِ حَابَا كَا
وقال الواحدى : وحابى لا يكون بمعنى حبا ، وإنما المعنى : إن الذى بنى جديلة :
أى غالهم وباهام فى العطاء - يعنى الممدوح - به الله يعطى من يشاء ويمنع لأنه ملك
قد فوض الله تعالى إليه أمر الخلق فى النفع والضرر ، فقوله : به الله ، خبر «إن» .
(١) بذى كرم : بدل من قوله به - فى البيت المتقدم - ، يقول : لم يمر يوم وشمس
ذلك اليوم تطلع على رأس إنسان أوفى بالدم من هذا الممدوح ؛ يريد أنه أكثر الناس
وفاء وأكرمهم عهداً ؛ فالواو - فى قوله وشمسه - واو الحال ؛ وشمسه : مبتدأ ؛ وجملة
تطلع : خبر ؛ وعلى رأس : متعلق بتطلع ؛ وذمة : تمييز ، وأوفى : صفة لمحذوف أى على
رأس إنسان أوفى .

(٢) يريد أن الأشعار الكثيرة التى يمدح بها تتلاقى لديه فتصل اتصال الأرحام ،
وأن أمواله التى يثيب بها الشعراء وكانت مجتمعة عنده تتفرق بالعطاء فكأنها تقاطع
أرحامها . فقوله : لا تنى : أى لا تزال . وقال الواحدى : هو من الونى ، وهو الضعف ،
فوضعه موضع لا تزال ، لأنها إذا لم تفتقر عن التقطع يكون المعنى لا تزال تقاطع . وشدد
النون - فى لدنه - للضرورة ، ويرى : يتصلن ببابه . وقال ابن جنى : قوله لدنه : فيه
قبح وشناعة ، وليس هو معروفاً فى كلام العرب ، وليس يشدد إلا إذا كان فيه نون
أخرى : نحو لدنى ولدنا . هذا كلامه . وقد يحتج لأبى الطيب فىقال : شبه بعض
النحويين بعضها ببعض فكما يقال لدنه : يقال لدنه ، يحمل أحد الضميرين على الآخر ،
وإن لم يكن فى الهاء ما يوجب الإدغام من زيادة نون قبلها ، كما قالوا يعد ، فحذفوا الواو
لوقوعها بين ياء وكسرة ، ثم قالوا أعد ، ونعد ، وتمعد ، فحذفوا الفاء أيضاً ، وليس
هناك ما يوجب حذفها ، ويجوز أن يكون ثقل النون ضرورة ، كما قالوا فى القطن :
القطن ، وفى الجبن : الجبن . وأنشد أبو زيد يقول .

إِنَّ شَكْلِي وَإِنْ شَكْلَكَ شَتَّى فَالزَّيْمِ الْخُلُصَّ وَاخْفَضِ تَنْبِيْضِيْ

فزاد ضادا ، وقال منجيم :

وما قرية من قرى ميسنا نَ مُعجبة نظرا واتصافا^(١)

أراد : ميسان ، لحذف وزاد نونا . وقال الأسدى .

وجاشت من جبال الصُّفد نفسى وجاشت من جبال خوارزيم
أراد خوارزم فقيرها . وقال الجرجاني : لما كانت الماء خفيفة ، والنون ساكنة ،
وكان من حقها أن تبين عند حروف الحلق : حسن تشديدها لتظهر ظهورا شافيا ،
فهذه علة وقرينة محتمل للشاعر تغيير الكلام عندها ، والنون أقرب الحروف إلى حرفي
العة - الواو والياء - لأنها تدغم فيهما ، وتبدل منها الألف في الوقف إذا كانت خفيفة
نحو : يا حرسى اضربا عنقه ، وجعلت إعرابا في الأفعال الخمسة . نحو : يفعلان وأخواتها
كما جعلت إعرابا في التثنية والجمع وتحذف إذا كانت ساكنة لا لتقاء الساكنين في نحو :
اضرب الغلام - بفتح الباء - فلما حلت هذا المحل احتملت ما تحمله من الزيادة .
وحروف العلة أوسع الحروف تصرفا . ولهذا أجازوا زيادة الياء في الصياريف في قوله :
تَنفِي يداها الحصى في كل هاجرة نَفَى الدراهم تنقاد الصياريف^(٢)
وزيادة الواو في قوله :

* من حينما سلكوا أدنوا فأنظور *^(١)

(١) ميسان : بلد من كورة دجلة ، أو كورة بسواد العراق
(٢) الدراهم : روى الدراهم ، وروى : الدنانير . ونفى : مضاف إلى تنقاد - من
إضافة المصدر إلى فاعله - والدراهم : مفعول ، ففصل بالمفعول - وهو الدراهم - بين
التضامين . وروى أيضاً : بإضافة نفى إلى الدراهم ، ورفع تنقاد ، فيكون من إضافة
المصدر إلى مفعوله . قال الأعمى : وصف الفرزدق ناقته بسرعة السير في المواجر . يقول
إن يديها لشدة وقهما في الحصا ينفيانه فيقرع بضه بضه ويسمع له صليل كصليل الدنانير
إذا اتجدها الصيرفى فينفى رديثها عن جيدها ، وخص المهاجرة لتعذر السير فيها .
(١) عجز بيت ثان أنشداهما الفراء وهما :

الله يعلم أننا في تلفتنا يوم الفراق إلى أحبابنا صُورُ
وأنتى حينما ينفى الهوى بصرى من حينما سلكوا أدنوا فأنظور

يريد : فأنظر وزيادة الألف في منترج من قول ابن هرمة :

فَأَنْتَ مِنَ الْغَوَائِلِ حِينَ تُرْمَى وَمِنْ ذَمِّ الرِّجَالِ بِمُنْتَزَاحٍ

يريد بمنترج . وقد ذكرنا لهذا التشديد كل وجه شديد ، كما ذكرنا العلة في إدغام النون في الجيم . في قراءة عبد الله بن عامر وأبي بكر بن عباس في كتابنا الموسوم بالروضة المزهرة في شرح كتاب التذكرة . وقال أبو الفتح : استعمل لدن بغير من ، وهو قليل ، ولا يستعمل إلا معها ، كما جاء في القرآن « مَنْ لَدُنِّي وَمَنْ لَدُنْهُ ، وَمَنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ » وقد غاب عن أبي الفتح قول الشاعر فيما أنشده يعقوب :

فَإِنَّ الْكَثْرَ أَعْيَانِي قَدِيمًا وَلَمْ أَقْتِرْ لَدُنْ أُنَى غَلَامٌ^(١)

وقول كثير :

وَمَا زِلْتُ مِنْ لَيْلٍ لَدُنْ إِنْ عَرَفْتُهَا لِكُلِّهَا أَمِ الْقَصَى بِكُلِّ سَبِيلٍ^(٢)

والصور : جمع أصور ، وهو المائل من الشوق . ويجوز أن يكون جمع صورة ، أى إذا تلفتنا إلى الأحباب عند رحيلهم ، فكأننا أشكال وأشباح ليس فيها أرواح وحيثما تروى حوث ما ، وحوث : لغة في حيث ، وهو خبر أن ، وثناه : أماله : أى أنا في الجهة التى يميل الهوى بصرى إليها ، ومن حيثما : متعلق بأدنو وبأنظر : أى أدنو فأنظر إليهم من الجهة التى سلكوا فيها . وقوله أدنو فأنظور : روى أننى فأنظور : أى أننى عنق فأنظر نحوهم : من ثناه ، بمعنى لواء .

(١) الكثر من المال : الكثير . وعيى بأمر : إذا لم يهتد لوجهه ، وأعيانى هو ، قال ابن السيرافى فى قوله فإن الكثر الخ : أى طلبت الغنى فى أول أمرى وخين شبابى فلم أبلغ ما فى نفسى منه ، ومع ذلك فلم أكن فقيراً ، فلا تأمرنى بطلب المال وجمعه وترك بذله فإنى لا أبلغ نهاية الغنى بالمنع ولا أفقر بالبذل .

(٢) من قصيدة كثير التى أولها :

أَلَا حَيًّا لَيْلَى أَجَدَّ رَحِيلَى وَأَذْنَ أَصْحَابِي غَدَا بِقُفُولِ

ومنها :

أُرِيدُ لِأَنَسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ

وروى هذا البيت : بكل مزاد ، وروى : بكل مراد ، والصواب : بكل سبيل

فَتَى أَلْفُ جُزْءٍ رَأْيُهُ فِي زَمَانِهِ أَقَلُّ جُزْئِيهِ بَعْضُهُ الرَّأْيُ أَجْمَعُ^(١)
 غَمَامٌ عَلَيْنَا مُمَطَّرٌ لَيْسَ يُقَشِّعُ وَلَا الْبَرْقُ فِيهِ خُلْبًا حِينَ يَلْمَحُ^(٢)
 إِذَا عَرَضَتْ حَاجٌ إِلَيْهِ فَنَفْسُهُ إِلَى نَفْسِهِ فِيهَا شَفِيعٌ مُشَفِّعٌ^(٣)

وقول القطامي :

صَرِيحٌ غَوَانٍ رَاقِهِنَ وَرُقْنَهُ لَدُنْ شَبَّ حَتَّى شَابَ سَوْدُ الدَّوَائِبِ^(١)
 (١) ترتيب البيت هكذا : فتى رأيه في زمانه ألف جزء ، أقل جزئ من هذه
 الأجزاء الألف بعضه - أى بعض جزئ من رأيه - الرأى الذى فى أيدى الناس كله ،
 فقوله فتى : خبر عن محذوف ، أى هو فتى ، وألف جزء خبر مقدم ورأيه مبتدأ مؤخر
 وأقل جزئ مبتدأ ، والجزئى : تصغير الجزء وبعضه : مبدأ ثان ، وهو مضاف إلى ضمير
 المبتدأ الأول ، والرأى : خبر للمبتدأ الثانى - وهو بعضه - والجملة : خبر الأول - وهو
 أقل - وأجمع : تأكيد للرأى . والمعنى : أن هذا الممدوح فتى رأيه فى أحوال زمانه
 يقدر بألف جزء ، وأقل جزء من هذه الأجزاء يعادل جزء منه كل مالى الناس من
 الرأى : قال العسكبرى : وفيه نظر إلى قول أبى تمام .

لَوْ تَرَاهُ يَا أَبَا الْحَسَنِ قَمَرًا أَوْفَى عَلَى غُصْنِ

كُلِّ جُزْءٍ مِنْ مُحَاسِنِهِ فِيهِ أَجْزَالُ مِنَ الْفَتَنِ

(٢) المطر : مثل الماطر ، يقال مطرت السحابة وأمطرت ، وأقشع السحاب :
 أطلع وتفرق ، يقال أقشع وأقشع وتقشع ، والبرق الخاب : الخلف الذى لا مطر فيه
 وخلبا : خبر لا ، كأنه قال : وليس البرق فيه خلباً . يقول : هو غمام يطر علينا المطايا
 دائماً ، وليس هو كالغمام الذى يطر مرة وينقشع أخرى ، وإذا رجونا بلفنا منه أوفى
 ما نرجو ، وإذا وعد أنجز الوعد . وضرب الغمام والبرق مثلاً ، ولما جعله غماماً جعل
 له المطر ، وبرقا جعل برقه صادقا بموعوده ، وهذا عكس ما يقول البحرى :

رَأَيْتَكَ إِنْ مَنَيْتَ مَنِيَّتَ مَوْعِدًا جَهَامًا وَإِنْ أَبْرَقْتَ أَبْرَقْتَ خُلْبًا

(٣) الحاج : جمع حاجة ، ويقال فى جمعها أيضاً : حاجات ، وحوج وحاج

(١) الصريع : المصروع ، وهو المطروح على الأرض غلبة ، والغوانى : جمع غانية
 وهى التى غنيت بحسنها عن الزينة ، وراقهن أعجبن ، والدوائب : جمع ذؤابة ، وهى
 الحصلة من الشعر ، ولدن : تنازع فيه صريع وراقهن ورقنه ، يقول : إنه صريع
 مغلوب على أمره من جراء الحسان اللاتى تعلق بهن منذ نشأ وتعلقن به حتى شاب

وحوائج - على غير قياس - كأنهم جمعوا حائجة ، وكان الأصمى ينكره ، ويقول هو مولد . قال الجوهري : وإنما أنكره لخروجه عن القياس ، وإلا فهو كثير في كلام العرب ، وأنشدوا :

نَهَارُ الْمَرَّةِ أَمْثَلُ حِينَ تُقْضَى حَوَائِجُهُ مِنَ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ
وأنشد ابن الأعرابي :

مَنْ عَفَّ خَفَّ عَلَى الْوَجْهِ لِقَاؤُهُ وَأَخُو الْحَوَائِجِ وَجْهُهُ مَبْذُولُ
والحوجاء : الحاجة . يقال : مالى فيه حوجاء ولا لوجاء . قال قيس بن رفاعه :
مَنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ حَوْجَاءً يَطْلُبُهَا عِنْدِي فَإِنِّي لَهُ رَهْنٌ بِأَصْحَارِ
أَقِيمْ نَحْوَتَهُ إِنْ كَانَ ذَا عِوَجٍ كَمَا يُقَوْمُ قِدْحَ النَّبْعَةِ الْبَارِي^(١)
والشفع : الذى تقضى الحاجة بشفاعته . يقول : إذا سئل حاجة شفعت نفسه إلى
نفسه فى قضائها ، وإذا كان المسئول شفيعاً إلى نفسه فإن الحاجة مقضية ألبته . ومثل
هذا قول الحريرى :

شَفَعْتُ مَكَارِمَهُ لَمْ فَكَّفْتَهُمْ جَهْدَ السُّؤَالِ وَلَطْفَ قَوْلِ الْمَادِحِ
وقول أبى تمام :
طَوَى شَيْئاً كَانَتْ تَرَوْحُ وَتُغْتَدِي وَسَائِلَ مَنْ أَعَيْتَ عَلَيْهِ وَسَائِلَهُ
وقال الخطيئة :

وَذَاكَ أَمْرٌ إِنْ تَأْتَتْهُ فِي نَفْسِهِ إِلَى مَالِهِ لَا تَأْتِهِ بِشَفِيعٍ
ولأبى التماهية :

فَيَا جُودَ مُوسَى نَاجِرِ مُوسَى بِحَاجَتِي فَالَى سِوَى مُوسَى إِلَيْهِ شَفِيعُ
ولابن الرومى :

أَبَا الصَّقَرِ مَنْ يَشْفَعُ إِلَيْكَ بِشَافِعِ فَالَى سِوَى شِعْرِى وَجُودِكَ شَافِعُ

(١) قوله بإصحار : ففى حديث لعللى رضى الله عنه « فأصحر لعدوك وامض على بصيرتك » أى كن منه على أمر واضح منكشف ، من أصحر الرجل إذا خرج إلى الصحراء ، والقدح : السهم قبل أن ينصل ويراش .

خَبَتِ نَارُ حَرْبٍ لَمْ تَهْجَمَا بَنَانَهُ وَأَسْمَرُ عُرْيَانٍ مِنَ الْقِشْرِ أَصْلَعُ^(١)
نَحِيفُ الشَّوَى يَفْدُو عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ

وَيَحْفَى فَيَقْوَى عَدُوَّهُ حِينَ يُفْطَعُ^(٢)
يَمُجُّ ظَلَامًا فِي نَهَارٍ لِسَانَهُ وَيُفْهَمُ عَنْ قَالَ مَا لَيْسَ يَسْمَعُ^(٣)
ذُبَابُ حُسَامٍ مِنْهُ أَنْجَى ضَرِيئَةً وَأَعْصَى لِمَوْلَاهُ وَذَا مِنْهُ اطْوَعُ^(٤)
فَصِيحٌ مَتَى يَنْطِقُ يَجِدُ كُلَّ لَفْظَةٍ أُصُولَ الْبَرَاعَاتِ الَّتِي تَنْفَرَعُ^(٥)

(١) خبت النار : سكن لها ؛ والبنان : الأصابع ؛ وأسمر عطف على بنان : أى وقلم أسمر الخ . وجعل القلم أصلع : للينه وملاسته ، كالرأس الأصلع . يقول : إن كل حرب تشب بغير قلبه وأنامله لا بد أن تنطفئ ولا تطول مدتها ؛ أما الحرب التى يشبها هو فإنها لا تنطفئ لقوة عزمه وشدة نفسه .

(٢) الشوى : الأطراف ؛ أى اليدان والرجلان والرأس ، ونحيف : دقيق ، ويعدو : يجرى ، وأم الرأس : أعلاه ، وقيل وسطه ، ويحفى : يكل . يقول : إن هذا القلم دقيق الأطراف — يريد دقة خلقته — وهو يعدو على رأسه ، فإذا حفى — أى كل عن الشئ — قطع — أى قط — فيقوى عدوه : أى يعضى فى الكتابة ويحسن به الخط . ومن قولهم : القلم أنف الضمير ، إذا رعى : كشف أسرار ، وأبان آثاره .

(٣) يمج : يقذف ، ويريد بالظلام : الداد ، وبالنهار : القرطاس ، ولسانه طرفه المحدد . وقوله : ويفهم الخ : أى أنه يعبر عما يريده الكاتب دون أن يسمع منه لفظا ، وهو من قول أبى تمام :

أَحَدُ اللَّفْظِ يَنْطِقُ عَنْ سِوَاهُ فَيُفْهَمُ وَهُوَ لَيْسَ بِذِي سَمَاعٍ

(٤) ذباب السيف : طرفه المحدد ، ومنه متعلق بأنجى ، والضرية : اسم للمضروب ، كالرمية للرمى ، وضريبة : تميز . يفضل القلم على السيف ، يقول : إن المضروب بالسيف قد ينبو إذ ينبو عنه ، وقد يعصى صاحبه الذى يضرب به لأنه قد لا يقطع ، أما المضروب بالقلم — وهو المكتوب بقلته — فإنه لا ينبو والقلم أطوع من السيف ، لأنه لا يرجع عن مراد الكاتب به ، وإذن : فالقلم أفضل من السيف . قال ابن الرومى .

لَعَمْرُكَ مَا السِّيفُ سِيفُ الْكَمِيِّ بَأْنَفَذَ مِنْ قَلَمِ الْكَاتِبِ

(٥) يقول : إن كل لفظة من ألفاظه أصل من أصول البراعة — وهى الكمال فى الفصاحة — والناس يبنون كلامهم عليها ويرجعون فى استعمال الفصاحة إليها .

(٢٣ — المتن ٢)

بَكَفٌ جَوَادٍ لَوْ حَكَمَهَا سَحَابَةٌ

لَمَّا قَاتَهَا فِي الشَّرْقِ وَالْقَرْبِ مَوْضِعٌ^(١)

وَلَيْسَ كَبَحْرِ الْمَاءِ يَشْتَقُّ قَمَرُهُ

إِلَى حَيْثُ يَفْنَى الْمَاءُ حُوتٌ وَضُفْدَعٌ^(٢)

أَبْجَرُ يَضُرُّ الْمُعْتَفِينَ وَطَعْمُهُ زُعَاقٌ كَبَحْرِ لَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ^(٣)

بَيْنَهُ الدَّقِيقُ الْفِكْرُ فِي بُعْدِ غَوْرِهِ وَيَفْرَقُ فِي تَيَّارِهِ وَهُوَ مِصْقَعٌ^(٤)

(١) يقول : إن هذا القلم الموصوف يجرى بكف جواد لو كانت السحابة مثل كفه في عموم النفع لعمت الشرق والغرب بالمطر ، وقال ابن الرومي :

خِرْقٌ يَعْْمُ وَلَا يَخْصُ بِفَضْلِهِ كَالْفَيْثِ فِي الْإِطْبَاقِ كُلِّ مَكَانٍ
[الحرق : السخى الكريم] .

(٢) اسم ليس : ضمير يعود إلى الجواد في البيت السابق - يشتق : يشتق ، وحوت فاعل يشتق . يقول : ليس بحر جوده كبحر الماء الذي يفوس فيه الحوت والضفدع حتى ينتهي إلى قمره ، وإنما هو بحر لا يبلغ منتهاه ؛ يعني أن جوده لا ينقطع ، وقال ابن القطاع قوله : يفنى الماء ، هي بنصب الماء لا برفعها : أي يتخذها فناء ؛ يقال فنيته المكان وبالمكان : إذا أمت به . ولطفن : فالعلمان - يشتق ويلقى - للحوت . والضفدع .

(٣) المعنى : السائل . عفاه واعتفاه : أناه سائلا ؛ والزعاق : المر . يريد أن يفضل المدوح على البحر . فالاستفهام إنكارى . يقول : ليس البحر الذي يضر من ورده بالفرق ، وهو مع ذلك حر الطعم لا يمكن شربه ، مثل بحر ينفع الواردين بالعطاء ولا يضرهم . فقوله : وينفع ، معطوف على « لا يضر » وقد تقد ابن جني البيت قائلا : إن المعروف عندهم أن ينسب المدوح إلى النفع لأوليائه والضر لأعدائه ، كما قالوا :

وَلَكِنْ فَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ وَاعْتَدَى لَضَرَّ عَدُوٌّ أَوْ لَنْفَعُ صَدِيقٌ وَقَالُوا :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ فَضَرَّ فَإِنَّمَا يُرْجَى الْفَتَى كَمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ

ولكن فاته أن المتنبي أراد كبحر لا يضر المعتفين ، فلا ينافي ذلك أنه يضر الأعداء .

(٤) الغور : المنتهى والقمر ؛ وضميره : للبحر ؛ والتيار : الموج . والمصقع : الصبيح البليغ ، لأنه يأخذ في كل صقع من القول ؛ والدقيق الفكر : الفهم الفطن الذي يدق يدق فكره وخطره حين يفكر . يقول : إن المدوح بحر بعيد الغور لا يصل أحد

أَلَا أَيُّهَا الْقِيلُ الْمُقِيمُ مِمَّنْجِ . وَهَمَّتْهُ فَوْقَ السَّمَاءِ كَيْنِ تُوَضِعُ^(١)
 أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنَّ وَصَفَكَ مُعْجِزٌ^(٢) وَأَنَّ ظُنُونِي فِي مَعَالِيكَ تَظْلَعُ^(٣)
 وَأَنَّكَ فِي تَوْبٍ وَصَدْرِكَ فِيكُمْ
 عَلَى أَنَّهُ مِنْ سَاحَةِ الْأَرْضِ أَوْسَعُ^(٤)

إلى قصره فتيه في صفاته الواصفون . ولا يبلغون نهايته ولا يستطيعون وصفه مهما
 علت منزلتهم من البلاغة . هذا : وقد قال العكبري : الرواية الصحيحة في الدقيق :
 بلام التعريف ، وهو حسن في الإضافة : كالجمل الوجه ، والطويل الذيل : لأن الدقيق :
 نعمت لحدوف . تقديره : يتيه الرجل الدقيق الفكر . ألا تراه يقول : وهو مصقع ،
 وهو نعمت للرجل ؟ ومن رواه دقيق الفكر : جملة نعمتاً للفكر ، تقديره : يتيه الدقيق
 من الأفكار : والأول أبلغ في المعنى .

(١) القيل — في الأصل — الملك من ملوك حمير : ومنجج : بلد بالشام :
 والسما كان : نجران ، وهما السماك الرامع والسماك الأعزل : والإيضاع : السير السريع ،
 من أوضعت الناقة : إذا أسرعت وهذا من قول العطوي :

إِنْ كُنْتُ أَصْبَحْتُ لَابِسًا سَمَلًا فَهَمَّتِي فَوْقَ هَامَةِ الْمَلِكِ
 وَلِلتَّوْحَى :

وَأَنْفُسُ مَسْكَنُهَا مَا يَبْنِيهَا وَهَمَّاهَا فَوْقَ السَّمَاءِ وَالشَّهَى

(٢) ظلمت الناقة : عرجت من يدها أو رجلها . يقول : أليس من العجب أني مع
 جودة خاطري وبلاغة كلامي أعجز عن وصفك ولا تبلغ ظنوني معاليك فلا أدركها
 لو فرتها ؟ !

(٣) وصدرك — بالرفع — استئناف . والضمير — من فيكما — للمدح
 والثوب . يقول : أليس عجباً أن صدرك على أنه أوسع من الأرض — قد اشتمل عليك
 ثوب وهو — الصدر — فيك وفي الثوب قد اشتملتا عليه . ومثله لابن الرومي :
 كَضَمِيرِ الْفَوَادِ يَلْتَمِهُمُ الدُّنْيَا وَتَحْوِيهِ دِفْئًا حَبِيزُومَ
 وَلَا بِي تَمَام :

وَرَحْبُ صَدْرِي لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ

كَوْسَعِهِ لَمْ تَضِقْ عَنْ أَهْلِهَا بَلَدُ

وَقَلْبِكَ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ دَخَلْتَ بِنَا
وَبِالْجَنِّ فِيهِ مَا دَرْتَ كَيْفَ تَرْجِعُ^(١)
أَلَا كُلُّ سَمَحٍ غَيْرِكَ الْيَوْمَ بَاطِلٌ * * *
وَقَالَ فِي صَبَاهِ عَلَى لِسَانٍ مِنْ سَأَلَهُ ذَلِكَ :

شَوْقِي إِلَيْكَ نَفْيَ لَذِيذِ هُجُوعِي فَأَرَقْتَنِي فَأَقَامَ بَيْنَ ضُلُوعِي^(٢)
أَوْ مَا وَجَدْتُمْ فِي الصَّرَاةِ مُلَوَّحَةً يَمَّا أُرْقِرُقُ فِي الْفَرَاتِ دُمُوعِي^(٣)
مَا زِلْتُ أَحْذَرُ مِنْ وَدَاعِكَ جَاهِدًا حَتَّى أَغْتَدِّي أَسْنَى عَلَى التَّوْدِيْعِ^(٤)
رَحَلَ الْعَزَاءُ بِرَحْلَتِي فَكَأَنَّهَا أَتْبَعْتُهُ الْأَنْفَاسَ لِلتَّشْيِيْعِ^(٥)

* * *

(١) يقول : أو ليس عجيباً أن قلبك قد أحاطت به الدنيا وهو من السعة بحيث لو دخلت الدنيا بمن فيها من الإنس والجن فيه لضلت وما اهتدت للرجوع ؟
(٢) السمع : الذي يسمع به . يقول : كل جواد سواك باطل — أى بالإضافة إليك — وكل مدح مدح به غيرك مضيع لأنه ليس فيمن يستحقه : وهو من قول ابن الرومي :

وَكُلُّ مَدِيحٍ لَمْ يَكُنْ فِي ابْنِ صَاعِدٍ وَلَا فِي أَبِيهِ صَاعِدٍ فَهُوَ هَابِطٌ
وَقَوْلُهُ غَيْرُكَ : هُوَ مَنْصُوبٌ ، لِأَنَّهُ تَقْدِمُ عَلَى السُّنْتَنِ ، كَقَوْلِ الْكَيْتِ :

فَالِي إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شَيْعَةً وَمَالِي إِلَّا مَذْهَبَ الْحَقِّ مَذْهَبٌ

(٣) المهجوع : النوم . وأقام : أى الشوق .

(٤) الصرأة : نهر يأخذ من الفرات فينسكب في دجلة ماراً بالموصل ، وكان حبيبه على جانب الصرأة . هذا : ورقرق الدمع : صبه . وما — من قوله يَمَّا أُرْقِرُقُ — مصدرية . يقول : أو ما وجدتم طعم ملوحة من دموعي في مائكم لبكائي في الفرات ؟ وهم يقولون : إن دمع الحزن ملوح ، ودمع الفرح حلو .

(٥) يقول كنت أحذر من وداعك خوف الفراق ، أما الآن وقد فارقني فإني اشتاق إلى الوداع وأنأسف عليه ، لأنني لقيتك عند الوداع ، فبودي أن أودعك لأتفأك . وقال ابن جني : كنت أكره الوداع ، فلما تطاول البين أسفت على التوديع ، لما يصحبه من النظر والشكوى والبث .

(٦) يقول : ارتحل العزاء — الصبر — عني بارتحالي عنكم ، فكأن أنفاسي

وقال يمدح على بن إبراهيم التنوخي :

مُلِثَ الْفَطْرِ أُعْطِشَهَا رُبُوعًا وَإِلَّا فَاسْقِهَا السَّمَّ النَّقِيعَا^(١)
أَسْأَلُهَا عَنِ الْمَتَدِيرِ بِهَا فَلَا تُدْرِي وَلَا تُدْرِي دُمُوعَا^(٢)
كَلَاهَا اللَّهُ إِلَّا مَاضِيْنَهَا زَمَانَ اللَّهْوِ وَالْخَوْدِ الشَّمُوعَا^(٣)

تبعث الغراء مشبعة له ، فهي صاعدة متصلة دائمة . قال ابن جني : وقال برحلي أي مع ارتحالي . كما تقول سرته بمسرك : أي معك — أي فكما لا ترجع إلى أنفاسي لا يرجع إلى صبري . فمعناه : ارتحل الصبر عني بارتحالكم .

(١) المثلث : الدائم القيم . والقطر : المطر . وربوعاً : تميز : أي من ربوع . والنقيع والنقع : الرطب . يقول : يا أيها السحاب الدائم المطر أعطش هذه الربوع أي لا تسقيها — وإن لا تعطيها فاسقيها السم النقيع في الماء . وإنما دعا عليها لأنه لما وقف بها وسألها لم تجبه ، ولم تنك من رحل عنها ، قال ابن وكيع : لم يسبق أبا الطيب أحد في الدعاء على الديار بالسم ، ولو قال حجارة أو صواعق : لكان أشبه ، إلا أن جريراً قال بعد ما استأنف لها ذنباً :

سُقِيتِ دَمَ الْحَيَاتِ مَا بَالُ زَائِرٍ يُبْلِمُ فَيُعْطَى نَائِلًا أَنْ يَكَلِمَا
والعرب من عادتها أن تدعو بالسقيا للديار ، كقول القائل :

يا منزلاً ضنَّ بالسلام سُقِيتَ صَوْبًا مِنَ الْغَامِ
ما ترك المُرْنَ منك إلا ما ترك السقم من عظامي

(٢) للتدري بها : أي المتخذها داراً . وتذري دموعاً . أي تلقيها — من إذراء الحب للزرع . يريد تعليل ما في البيت السابق . يقول : إنما طلبت إلى السحاب أن يعطيها أو يسقيها السم النقيع لأنني أسألتها عن أهلها أين ذهبوا ؟ فلا تدري ذلك ولا تجيب ولا تساعدني على البكاء .

(٣) الحاء — في الأصل — قشره : من لحوت العود : إذا قشرته ، ثم صار يستعمل في الدعاء على الشيء : أي لعنه وقبحه : وزمان : بدل تفصيل من قوله ماضيها والحدود — بفتح الحاء — الجارية الناعمة ، وجمعها خود — بضم الحاء — والشموع : اللعوب الضحك . قال الواحدى : قوله : إلا ماضيها استثناء من غير الجنس ، ويجوز أن يكون جنساً ، لأن زمان اللهو والحدود ربع الأنس ، فاستثنى ربع الأنس من ربع الأنس لاشتراكه عليه ، فدعا على الدار إلا ما كان له بها من زمن الأنس ووصل الحد . قال ابن وكيع : ماضيها يوجبان لها الدعاء بالسقيا كقول البحتری :

مُنْعَمَةٌ مُنْعَمَةٌ رَدَّاحٌ يُكَلِّفُ لَفْظَهَا الطَّيْرُ الْوُقُوعَ^(١)
تَرْفَعُ ثَوْبَهَا الْأَرْذَافُ عَنْهَا قَيِّبَتِي مِنْ وَشَاحِنَهَا شَسُوعًا^(٢)
إِذَا مَاسَتْ رَأَيْتَ لَهَا أَرْجَاحًا لَهُ لَوْلَا سَوَاعِدُهَا نَزُوعًا^(٣)

فإذا ما السحاب كان رُكَّامًا فسَقَى بالربابِ دارِ الربابِ

(١) امرأة رداح : ضخمة العجيزة ثقيلة الأوراك ، وكذلك ناقة رداح وكبش رداح : ضخمة الألية ، ودوحة رداح : عظيمة : وجفنة رداح عظيمة قال أمية بن أبي الصلت :

إلى رَدَّحٍ مِنَ الشَّيْزَى مِلَاءَ لِبَابِ الْبَرِّ يُبَلِّكُ بِالشَّهَادِ^(١)

وكتيبة رداح : ضخمة مليلة كثيرة الفرسان ثقيلة السير لكثرتها ، ثم وصفها بحسن اللفظ وعذوبة الكلام . يقول : إذا سمعت الطير لفظها وقعت وسقطت لحسنه ، ومثل هذا قول كثير :

وَأَذْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَتَنِي بِقَوْلٍ يَحِلُّ الْعَصْمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ^(٢)
وَقَالَ أَيْضًا :

بَعَيْنَيْنِ نَجْلَاوَيْنِ لَوْ رَقَرْتَهُمَا لِنَوْءِ الثَّرْيَا لَا سَتَهَلَ سَحَابُهَا
وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي مَقْصُورَتِهِ :

لَوْ نَاجَتِ الْأَعْصَمَ لَانْحَلَّ لَهَا طَوْعَ الْقِيَادِ مِنْ شِمَارِيخِ الذُّرَا
(٢) أراد بالوشاحين : قلادتين توشع بهما المرأة ترسل إحداهما على جنبها الأيمن والأخرى على الأيسر . والشسوع : البعيد : يقول : إن أَرَادَهَا عَظِيمَةً شَاحِصَةً عَنْ بَدْنِهَا تَرْفَعُ ثَوْبَهَا وَتَمْنَعُهُ عَنْ أَنْ يَلَامُقَ جَسَدَهَا حَتَّى يَكُونَ بَعِيدًا عَمَّا تَوْشَعَتْ بِهِ مِنْ الْقَلَائِدِ : وهذا من قول بعض الكلايين :

أَبَتْ الْفَلَائِلُ أَنْ تَمْسَ إِذَا مَشَتْ مِنْهَا الْبَطُونُ وَأَنْ تَمْسَ ظَهْرَهَا

(٣) ماست : مشت متبخرة . والضمير في له : للثوب . ونزوعا : صفة لارتجاجا . يقول : إذا ماست رأيت لروادفها اضطرابا وحركة يكادان يزعجان ثوبها عنها لولا أن سواعدها تمسك عليها ثوبها لدخولها في الكين . وفيه نظر إلى قول الآخر :

(١) يقال للجفان التي تسوى من شعرة الشيزى : شيزى . قال الجوهري : الشيزى خشب أسود تتخذ منه القصاع .
(٢) العصم : جمع الأعصم ، وهو الوعل .

تَأْلَمُ دَرْزَهُ وَالْدَرْزُ لَيْنٌ كَمَا تَتَأْلَمُ الْعَضْبُ الصَّنِيْعَا (١)
ذِرَاعَاهَا عَدْوًا دُمْلَجِيْهَا يَظُنُّ ضَجِيْعُهَا الرَّنْدَ الضَّجِيْعَا (٢)
كَأَنَّ نِقَابَهَا غَيْمٌ رَقِيْقٌ يُضِيءُ بِمَنْعِهِ الْبَدْرَ الطَّلُوعَا (٣)

لولا التمنطق والسوار معاً والحجل والدملوج في العصد
لتزايلت من كل ناحية لكن جملن لها على عبد

(١) الدرز : موضع الخياطة من الثوب : والعضب : السيف ، والصنيع المحكم : الصقال والصنعة . يصف نعومة بدنها وأنها تتوجع إذا أصابها موضع الخياطة من ثوبها مع لينه كما تتوجع من السيف . يقول : إن الدرز في بدنها تأثيراً كتأثير السيف ، فقوله تألم — بخذف إحدى التائين — أى تألم ، والتألم : كالتوجع ، لازم ، يقال تألم به أوله أو منه ، وعدها ههنا : ضرورة . ومما يستظرف في هذا الباب ما روي أن سابور لما حضر صاحب الحصن بعثت بنت صاحب الحصن إليه — وكانت من أجمل النساء — إن عاهدتني أنك تزوج بي أسلمت إليك المفاتيح ، فعاهدتها على ذلك ، فسكر أبوها ليلة ونام ، فدفعت المفاتيح إلى سابور . فأخذ المدينة وزوج بها ، فبينما هي معه ذات ليلة على فراش الحرر تأملت وتوجعت وقلقت ، فدعا بالشمع ونظر إلى مضجعها ، فرأى ورقة ورد على الفراش قد نالت جسمها فأثرت فيه فقلقت لذلك ، فقال لها : ما كان يفتيك به أبوك ؟ فقالت له : لب البر بالعسل والحجر ، فقال : وكان جزاؤه منك ما جزيته فأخذها وشد صفائرها إلى أذنان الخيل ولم يزل يطرد الخيل حتى قطعها أرباً أرباً .

(٢) يقول : إن دملجها يضيقان عن ذراعها ، فهما مملكان بهما يكادان لذلك يفصانهما ويكسرانهما ، وإذا ضاجعها إنسان ظن أن زندها — لسمنه — هو ضجيعه ، لا هي .
(٣) شبه النقاب على وجهها : بالغمم الرقيق ، ووجهها : بالبدر . يقول : سترت وجهها بالنقاب فأضاء بضوء وجهها تحته كما يضيء الغيم الرقيق بضوء البدر . فقوله يضيء : لازم ، لا يتعدى ؛ والبدر : مفعول أول لثمة ؛ والطلوع : مفعول ثان . وقد إلى هذا المعنى عبد الله بن المدينة ، قال :

مُبْرَقَةٌ كَالشَّمْسِ تَحْتَ سَحَابَةٍ وَكَالْبَدْرِ فِي جَنَحٍ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمٍ
وقال بشار :

بدا لك ضوء ما احتجبت عليه بدو الشمس من خلل الغمام

أَقُولُ لَهَا أَكْشِفِي ضُرِّي وَقَوْلِي
أَخَفْتُ اللَّهَ فِي إِحْيَاءِ نَفْسِي
غَدَا بِكَ كُلُّ خَلْوٍ مُسْتَهَامًا
أُحِبُّكَ أَوْ يَقُولُوا جَرًّا تَمَلُّ
بَعِيدُ الصَّيْتِ مُنْبَتُّ السَّرَايَا
بِفَضِّ الطَّرْفِ مِنْ مَكْرٍ وَدَهِي
بَأَكْثَرٍ مِنْ تَدَلُّهَا خُشُوعًا^(١)
مَتَى عَمِيَ إِلَهُهُ بَانَ أَطِيمًا^(٢)
وَأَصْبَحَ كُلُّ مَسْتَوِرٍ خَلِيمًا^(٣)
ثَبِيرًا وَأَنْزَلَ إِبْرَاهِيمَ رِيَمًا^(٤)
يُسَيِّبُ ذِكْرُهُ الْفُطْلَ الرِّضِيمًا^(٥)
كَانَ بِهِ وَلَيْسَ بِهِ خُشُوعًا^(٦)

(١) قوله وقولي الخ ؛ أى أن خضوعي لها في قولي هذا أكثر من تدللها على كثرة قولي : مبتدأ . وبأكثر : خبر وخضوعا : تمييز .
(٢) يقول . إن إحياء النفس مما يتقرب به إلى الله ، وليس مما يخاف منه : يعنى أنك إذا واصلتني كنت كأنك قد أحيتني ، وإحياء النفس طاعة لله ، والله سبحانه لا يعصى بالطاعة ، ومثله قول القائل :

ما حرامٌ لإحياءِ نفسٍ ولكن قتلَ نفسٍ بغيرِ نفسٍ حرامٌ

(٣) الخلو : الخالي من الهوى . والمستهام : الذي يصيره الهوى هائما ذاهب اللب . والحليع : الذي خلع العذار وترك الحياء وتهتك في الهوى ، قال ابن وكيع ، لوقال :

غدا بك كلُّ خلوٍ في اشتغالٍ وأصبح كل ذى نسلٍ خليما
لكان أحسن .

(٤) أو يقولوا : أى إلى أن يقولوا ، غذف أن وأعملها ، وثير : جبل بالحجاز معروف . وريع : أخيف . وابن إبراهيم : هو المدوح . علق زول حبه بما لا يمكن وجوده . يقول : لا أزال أحبك ، لأن العيل لا يجره النمل ، والمدوح لا يرتاع ولا يروعه شيء . وهذا من حسن التخلص .

(٥) الصيت والصات : ذهاب الذكر الحسن بين الناس . والسرايا : جمع سرية ، الطائفة من الجيش . يقول : إنه كثير الغارات ، سراياه مبشورة في الآفاق ، فإذا ذكر اسمه للطفل الرضيع شاب خوفا ورعبا .

(٦) الدهى والدهاء : النكر وجودة الرأى . والخشوع : الاستكانة والتذل . وخشوعا : اسم كان . واسم ليس : ضمير الخشوع . والجملة : اعتراض . يقول : يخفى مكروه ودهاءه بفض الطرف كأن به خشوعا ، وليس به ذلك الخشوع ، والله قول ابن الرومي في هذا المعنى :

إِذَا اسْتَفْطَيْتَهُ مَا فِي يَدَيْهِ فَقَدْكَ سَأَلَ عَنْ حِرْمَانِهِمَا^(١)
 قَبُولِكَ مِنْهُ مَنْ عَلَيْهِ وَإِلَّا يَبْتَدِي بِرَهُ فُطِيماً^(٢)
 لَهُونَ الْمَالِ أَفْرَشُهُ أَدِيمًا وَلِلتَّفَرِيقِ يَكْرَهُ أَنْ يَضِيحاً^(٣)
 إِذَا ضَرَبَ الْأَمِيرُ رِقَابَ قَوْمٍ فَأَلْكَرَامَةٍ مَدَّ لِلنُّطُوعِ^(٤)
 فَلَيْسَ بِوَاهِبٍ إِلَّا كَثِيرًا وَلَيْسَ بِقَاتِلٍ إِلَّا قَرِيباً^(٥)

سأله وما تُتسقى في رأيِ سَطَطَتُهُ دأبه وما يَنْطَوِي مِنْهُ عَلَى رِيْبٍ
 فَذَهَبَ لِلدَّوَاهِي الرُّبْدُ بِكَامِنٍ وَسَهْوَهُ عَنْ عِيُوبِ النَّاسِ وَالْغَيْبِ
 (١) قدك : أى حسبك وكفاك ، وقوله مذيباً - أى مفشياً - مفعول سألت يقول :
 إذا سألته جميع ماله كفاك ذلك السؤال كالرجل المذيع للأسرار إذا سألته عن سر
 أقشاه ولم يكتمه . كذلك هو يعطيك ما يملكه ولا يضمن به لأريحته .
 (٢) المن : النعمة . يقول : لأريحته واستلذذه العطاء بعد قبولك عطائه منه -
 نعمة - مننت بها عليه ، وإن لم يبتدئ بالعطاء قبل السؤال رأى ذلك أمراً منكراً
 قبيحاً . ومثله لأبى تمام :

يُعْطَى وَيَشْكُرُ مَنْ يَأْتِيهِ بِسَأَلِهِ فَشَكَرَهُ عِوَضُ وَمَالُهُ هَذَرٌ
 (٣) قالوا : إن المدحوح كان قد حمل إليه مال عجي ، فأمر أن يفرش له أديم -
 جلد - ويطرح عليه فاعتذر له التني وقال : إنه لم يفعل ذلك لكرامة المال عليه وإنما لهونه -
 أى هوانه - لأنه يريد أن يفرقه على القعود والشعراء وهو لم يفعل هذا ليحفظه من
 الضياع ويدخره في خزائنه ، ولكن يفرقه على السؤال . وقد مثل لهذا بالبيت التالى ،
 وهذا قريب من قول على بن الجهم :

وَلَا يَجْمَعُ الْأَمْوَالُ إِلَّا لِبَذْلِهَا كَمَا لَا يَسَاقُ الْهَدْيُ إِلَّا إِلَى النَّحْرِ
 (٤) النطوع : كالأنطاع ، جمع نطع ، وهو الجلد الذى يبسط تحت من يراد قتله .
 يقول : ليس بسط النطوع لضرب الرقاب كرامة ، وإنما ذلك ليسان المجلس عن تلطيخه
 بالدم ، فكذلك بسطه النطع - الجلد - للمال ليس ذلك كرامة للمال وادخاراً له وإنما
 لتفريقه وإتلافه .

(٥) القريع - فى الأصل - الفعل الكريم ؛ سعى بذلك لأنه يفرع الإبل ؛

وَلَيْسَ مُؤَدِّبًا إِلَّا بِنَصْلِ كَفَى الصَّمَامَةَ الثَّعْبَ الْقَطِيعًا^(١)
 عَلَى لَيْسَ يَمْنَعُ مِنْ حِجْيٍ مُبَارِزُهُ وَيَمْنَعُهُ الرُّجُوعَا^(٢)
 عَلَى قَاتِلِ الْبَطْلِ الْمَقْدَى وَمُبْدِلُهُ مِنَ الزَّرْدِ النَّجِيمَا^(٣)
 إِذَا اعْوَجَّ الْقَنَا فِي حَامِلِيهِ وَجَازَ إِلَى ضُلُوعِهِمِ الضُّلُوعَا^(٤)
 وَنَالَتْ ثَأْرَهَا الْأَكْبَادُ مِنْهُ فَأَوَّلَتْهُ ائْتِقَاقًا أَوْ صُدُوعَا^(٥)

والمراد به هنا : السيد الشريف . يصفه بأنه غاية في كرم النفس وعلو الهمة فهو لا يهب إلا المال الكثير ، ولا يقتل إلا الشريف العظيم ؛ ولعله من قول مسلم بن الوليد :
 خَذَارٍ مِنْ أَسَدٍ ضِرْغَامَةٍ شَرِسٍ لَا يُؤْلُغُ السَّيْفَ إِلَّا هَامَةً الْبَطْلِ
 وبيت المتنبي أشمل ، لأنه ذكر الكرم والهمة

(١) النصل : شفرة السيف ، والصمصامة : السيف الذي لا ينثنى ، والقطيع : السوط الذي يقطع من جلد البعير . يصف شدته على المذنبين وأهل الريب يقول : أقام سيفه مقام سوطه في التأديب ، فأغنى الديف السوط عن الثعب .

(٢) يقول : إن علياً - وهو اسم الممدوح - لا يمنع أحداً يأتي لمبارزته في الحرب ، ولكن يمنع من بارزه أن يرجع سالماً ، لأنه لا يكون إلا قتيلاً أو أسيراً

(٣) المقدي : الذي يقول له الناس فدتك نفوسنا ، لما يرون من شجاعته وهدوءه بأسه ، والزررد : حلق الدرع ، والنجيع : الدم الطيرى . يقول : يسلب البطل المقدي درعه ويكسوه بدله دماً ، أى أنه يخضبه بدمه حتى يصير عليه الدم درعاً مكان الدرع .

(٤) جواب إذا : قوله الآتي غداً . واعوجج : يعنى انحنى والتوى ، لأن الرمح إذا طعن به اعوجج والتوى . وقوله في حامله : يعنى أهل الحرب الذين حملوا الرماح إلى الحرب . وقوله وراز إلى ضلوعهم الضلوعا : أى نفذ من هذه إلى هذه كأنه شق الضلع من الجانبين قال الواحدى : قال المتنبي : كنت قلت :

* وَأَشْبَهَ فِي ضُلُوعِهِمِ الضُّلُوعَا *

ثم أنشدت بيتاً لبعض المولدين يشبه فرغبت عنه ، يعنى بيت البحترى :

فِي مَا زَقِ ضَنْكَ تَحَالُ بِهِ الْقَنَا بَيْنَ الضُّلُوعِ إِذَا انْحَنَى ضُلُوعَا

(٥) منه : أى من القنا ؛ وأولته : أنالته ، والصدوع : الشقوق ، جمع صدع

فَحِذْ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلَيْنِ عَنْهُ وَإِنْ كُنْتَ الْخَبِئَةِ الشَّحِيمَا^(١)
 إِنْ اسْتَجَرَّتْ تَرْمَقُهُ بَعِيدَا فَأَنْتَ اسْطَفْتَ شَيْئًا مَا اسْتَطِيعَا^(٢)
 وَإِنْ مَارَيْتَنِي فَارْكَبْ حِصَانَا وَمِثْلُهُ تَخِرُّ لَهُ ضَرِيْعَا^(٣)
 غَمَامٌ رُبَّمَا مَطَرَ اُنْتِقَامَا فَأَقْحَطَ وَدَقَهُ الْبَلَدَ الْوَرِيْعَا^(٤)
 رَأَى بَعْدَ مَا قَطَعَ الْمَطَايَا تَيْشُمُهُ وَقَطَعَتِ الْقُطُوعَا^(٥)

يقول : واندقت الرماح - انكسرت - وتصدعت في الأكباد لشدة الطعن فكان الأكباد أدركت بذلك منها ثأراً .

(١) هذا جواب : إذا اعوج القنا ، والتقدير : إذا اعوج القنا وجاز الضلوع إلى ضلوعهم ونالت ثأرها الأكباد منه : فخذ عنه ، والخبئية : من أسماء الأسد ، ويقال للنمر - والشجيع : الشجاع . يقول : إذا كان كذلك والتقى الجمعان فخذ - أى مل وتباعد عنه - وإن كنت شجاعاً قوى القلب كالأسد ، وإلا هلكت .

(٢) قال ابن جني : استجراً الرجل بمعنى جرؤ ، أى صار جريئاً ، وترمقه أى أن ترمقه ، فخذف ورفع الفعل . يقول : إن قدرت على النظر إليه في الحرب من بعيد فقد قدرت على شيء عظيم لم يقدر عليه أحد ، وهذا من قول أبي تمام :

أَمَا إِذَا عَشْتَ يَوْمًا بَعْدَ رُؤَيْتِهِ فَاذْهَبْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْفَارَسُ النَّجِدُ

(٣) يقول : إن جادلتني ولا جئتني في قولي هذا فاركب فرساً وصوره في نفسك كأنك تحاربه ، فإنك إذا فعلت ذلك سقطت على الأرض ضريعاً قبل أن تلاقيه لهيبته وخوفك منه .

(٤) الودق : المطر ؛ وللمريع المريع : أى المخصب . يقول : هو غمام يمطر النعم فيحيي بها البلاد ولكن الغمام قد يكون فيه صواعق مهلكة وبرد وأحجار ، كذلك هو ربما أمطر نعمة على الأعداء ، نصير مطره البلد المريع قحطاً مجدباً لما يلم به من الدمار .

(٥) القطوع : جمع القطع ، وهو الطنفسة تحت الرحل تغطي كتفي البعير . يقول : رآني بعد ما طال سفرى حتى قطع تيممه - أى قصدى إياه - مطايى - أى إلى - أى أنضأها وأعجزها عن السير ، وقطعت الإبل ما عليها من الطنافس : أى ألبتها بكثرة السير وطول المسافة .

فَصَيَّرَ سَيْلُهُ بَلَدِي غَدِيرًا وَصَيَّرَ خَمِيرُهُ سَنِي رَيْبَعًا^(١)
وَجَاوَدَنِي بَأْنَ يَعْطِي وَأَخْوِي فَأَغْرَقَ نَيْلُهُ أَخَذِي سَرِيبًا^(٢)
أُمْنِسِي الشُّكُونَ وَحَضْرَمَوْنَا وَوَالِدِي وَكِندَةَ وَالسَّبِيبَا^(٣)

(١) الغدير : القطعة من السيل يغادرها المطر . يقول : أعطاني حتى ملأني بالعطاء كما يملأ السيل الغدير ، وأصلح دهرى حتى صار كالربيع فصل الخصب والأمطار . وقد نحا في هذا منحى ابن الرومي في قوله .

فَضِيْفُهُ فِي رَيْبِعٍ طُولَ مُدَّتِهِ وَجَارُهُ كُلَّ حِينٍ مِنْهُ فِي رَجَبٍ
وَابْنُ هَفَانٍ فِي قَوْلِهِ .

لِرَيْبِعِ الزَّمَانِ فِي الْحَوْلِ وَقْتُ وَابْنُ يَحْيَى فِي كُلِّ وَقْتٍ رَيْبِعُ
وَكَذَلِكَ الْبَحْرِيُّ :

فَكَمْ لَيْسَتْ الْخَفَضُ فِي ظِلِّهِ عُغْرَى شَبَابٍ وَزَمَانِي رَيْبِعِ
(٢) جعل الأخذ منه جوداً عليه كما في قوله :

* قَبُولُكَ مِنْهُ مِنْ عَلَيْهِ *

يقول : جاودني ، أى غالبني في الجود ، فكان يجود على بالعطاء وأنا أجود عليه بالأخذ فغلبني ؛ إذ لم أتمكن من استيعاب كل ما يعطينيه لتوافره حتى طفع عطاؤه على أخذى فأغرقه : أى كان في الإعطاء أسرع مني في الأخذ .

(٣) هذه أسماء أما كن بالكوفة سميت بأسماء قبائل كانوا يسكنونها . يقول : إن إحسانه ألهمه عن بلده وأهله ، وهذا من قول البحري :

جَفَوْتُ الشَّامَ مُرْتَبِعِي وَأَنْسِي وَعَلَوَةَ خَلَوْتِي وَهَوَى فَوَادِي
وَمِثْلُ نَدَاكَ أَذْهَلَنِي حَبِيبِي وَأَكْسَبَنِي سُلُوءًا عَنْ بِلَادِي
ومثله للراعي :

رَجَاؤُكَ أَنْسَانِي تَذَكَّرَ إِخْوَتِي وَمَالُكَ أَنْسَانِي بَوْهَيْنَ مَالِيَا^(١)

(١) وبهين : اسم موضع ، وجبل من جبال الدهناء .

قَدْ اسْتَقْصَيْتَ فِي سَلْبِ الْأَعَادِي فَرَدُّ لَهُمْ مِنَ السَّلْبِ الْهَجُوعُ^(١)
 إِذَا مَا لَمْ تُسِرْ جَيْشًا إِلَيْهِمْ أَسَرْتَ إِلَى قُلُوبِهِمُ الْهُلُوعُ^(٢)
 رَضُوا بِكَ كَالرَّضَا بِالشَّيْبِ قَسْرًا وَقَدْ وَخَطَ النَّوَاصِي وَالْفُرُوعُ^(٣)
 فَلَا عَزْلٌ وَأَنْتَ بِلَا سِلَاحٍ لِحَاظِكَ مَا تَكُونُ بِهِ مَنِيعًا^(٤)
 لَوْ اسْتَبَدَّلْتَ ذِهْنَكَ مِنْ حُسَامٍ قَدَدْتَ بِهِ الْمَغَافِرَ وَالذُّرُوعُ^(٥)

(١) استقصى في الأمر : بالغ ؛ والسلب الأول : - بسكون اللام - مصدر ؛ والثاني - بفتحها - المسمى للسلب ؛ والمهجوع : النوم . يقول : بالغت في سلب الأعداء فسلبتهم كل شيء حتى النوم ، فرد ذلك النوم عليهم فإنهم لا يجدون النوم خوفا منك .
 (٢) الهلوع . الجزع والخوف الشديد . يقول : إذا لم تغزم بجيشك غزوتهم بالخوف ، فهم لا يزالون خائفين منك جزعين ، وهذا قريب من قول أبي تمام :
 لم يَغْزُ قوما ولم يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ
 (٣) وخط الشيب الشعر : خالطه ؛ والنواصي : جمع ناصية : مقدم الرأس ؛ والفروع : جمع فرع : الشعر . يقول : إنهم صبروا على الذل لك كارهين كما يصبر المرء على الشيب إذا جلل رأسه .

(٤) العزل : مصدر الأعزل ، وهو الذي لا سلاح معه ؛ واللاحاظ - بفتح اللام وبكسرهما - مؤخر العين ومنع الرجل يمنع مناعة : فهو منيع . والضمير في به : يعود إلى ما : أي لحاظك الشيء الذي تكون به منيعا . يقول : إذا كفت بلا سلاح قام لحاظك مقام السلاح ، لأنك إذا نظرت إلى عدوك قتلتهم هبة لك ، فقام لحاظك مقام سلاحك فصرت به منيعا . وفي مثل هذا المعنى يقول الآخر :

لِحَظَاتٍ طَرَفِكَ فِي الْوَعْيِ تُغْنِيكَ عَنْ سَلِّ السُّيُوفِ
 وَعَزِيمُ رَأْيِكَ فِي النُّهَى يَكْفِيكَ عَاقِبَةُ الصُّرُوفِ
 وَسَيُولُ كَفِّكَ فِي الْوَرَى بِحَرْثٍ يَفِيضُ عَلَى الضَّعِيفِ

(٥) المغافر : جمع مغفر : زرد ينسج من الدرع يوضع على رأس الفارس . يصفه هنا بالذكاء وحدة الذهن حتى لو أخذ ذهنه بدلا من السيف لقطع به المغافر والدروع على الأعداء .

لَوْ اسْتَفْرَغْتَ جُهْدَكَ فِي قِتَالٍ أَتَيْتَ بِهِ عَلَى الدُّنْيَا جَمِيعاً^(١)
تَمُوتَ بِهِمَّةٍ تَسْمُو فَتَسْمُو فَمَا تُلَفِّي بِمَرْتَبَةٍ قَنُوعاً^(٢)
وَهَبَكَ تَمَحَّتَ حَتَّى لَا جَوَادٌ فَكَيْفَ عَلَوْتَ حَتَّى لَا رَفِيعاً^(٣)

(١) الجهد : الطاقة ، وأتيت على الدنيا : أى أهلكك من فيها جميعاً .

(٢) تلفى : توجد ؛ وقوله فتسمو : يجوز أن تكون خطاباً للمدح : أى كلما سميت همتك ازددت علواً ، ويجوز أن تكون خبراً عن الهمة . يقول : يموت بهمة ، وتلك الهمة تسمو بك أبداً فتسمو ولا تقنع بنيل مرتبة .

(٣) يقول : أحسب أن جودك مما اسم الجواد عن الناس ، فكيف مما علاؤك اسم الرفيع عن كل شيء ؟ وجواد : مرفوع ، على أن لا : بمعنى ليس ، والألف - فى رفيفاً - ليس بدلا عن التنوين ، لأن لا : تنصب النكرة بغير تنوين ، وإنما هى للوصل والإطلاق .

﴿ نم - بحمد الله - الجزء الثانى ؛ وبليه - إن شاء الله - الجزء الثالث ﴾

فهرس

قوافى الجزء الثانى من ديوان المتنبى

تابع قافية الدال

صفحة	مطلع القصيدة
٣	لكل امرئ من دهره ما تعودا ... في العدا
١٦	فارتكم فإذا ما كان عنكم ... يد -
١٧	أهلا بدار سبائك أعيدها ... خردها
٣٨	كم قتيل كما قتلت شهيد ... الحدود
٤٩	أقصر فلست بزائد ودا ... الحدا
٥١	اليوم عهدكم فأين الوعد ... غد
٦٣	أيا خدد الله ورد الحدود ... القدود
٦٩	إن القوافي لم تتمك وإنما ... يوجد
٦٩	محمد بن زريق ما ترى أحداً ... سدا
٧٠	ما الشوق مقتنعاً مني بهذا الكمد ... كجد
٧٤	أحاد أم سداس في أحاد ... بالتناد
٨٦	أجلأ نرى أم زمانا جديدا ... أعيدا
٩١	يستعظمون أياتا نأمت بها ... الأسدا
٩١	أقل فعالي بله أكثره مجد ... جد
١٠٢	أما الفراق فإنه ما أعهد ... يولد
١٠٣	لقد حازني وجد بمن حازه بعد ... وجد
١١٢	وزيارة عن غير موعد ... للسهد
١١٣	يامن رأيت الحليم وغدا ... عبدا
١١٣	أمن كل شيء بلغت المرادا ... العبادا
١١٤	وشامخ من الجبال أقود ... الأصيد
١١٦	ماذا الوداع وداع الوامق الكمد ... للجسد

صفحة

مطلع القصيدة

- ١١٧ وبينة من خيزران ضمنت . . . في يد
١١٨ وسوداء منظوم عليها لآلى . . . من الند
١١٨ أتنكر ما نطقت به بديها . . . الجواد
١١٩ أود من الأيام مالا توده . . . جنده
١٣١ حسم الصلح ما اشتته الأعادى . . . الحساد
١٣٩ عيد بأية حال عدت يا عيد . . . تجديد
١٤٨ جاء نيروزنا وأنت مراده . . . زناده
١٥٩ بكتب الأنام كتاب ورد . . . يد
١٦١ نسيت وما أنسى عتابا على الصد . . . الحد
١٧٣ أزار يا خيال أم عائد . . . راقد
١٨٢ وشاذن روح من يهواه في يده . . . مقلده

قافية الذال

- ١٨٥ أمساور أم قرن شمس هذا . . . الأستاذا

قافية الراء

- ١٩٠ سرحل حيث تحلج النوار . . . المقدار
١٩٣ اخترت دهماءتين يامطر . . . الخير
١٩٤ رضاك رضاي الذي أوثر . . . أظهر
١٩٦ أرى ذلك القرب صار ازورارا . . . اختصارا
١٩٩ الصوم والفطر والأعياد والعصر . . . والقمر
٢٠١ ظلم لهذا اليوم وصف قبل رؤيته . . . النظر
٢٠٢ طوال قنا تطاعنها قصار . . . بحار
٢١٧ بقية قوم آذنوا بيور . . . عقار
٢١٧ إذا لم تجد ما يتر الفقرا قاعدآ . . . العمرآ
٢١٨ حاشى الرقيب غفاته ضمائر . . . بوادره
٢٢٦ أريقك أم ماء الغامة أم خمر . . . جمر
٢٣١ إني لأعلم واللييب خير . . . غرور

صفحة	مطلع القصيدة
٢٣٥	غاضت أنامله وهن مجور سغير
٢٣٨	آلال إبراهيم بعد محمد وزفير
٢٣٩	مرتك ابن إبراهيم صافية الحجر السكر
٢٤٠	أصبحت تأمر بالحجاب لخلوة بقادر
٢٤١	نال الذى نلت منه منى الحبور
٢٤٢	وجارية شعرها شطرها أمرها
٢٤٣	إن الأمير أدام الله دولته مضر
٢٤٤	زعمت أنك تنفى الظن عن أدبى مقداراً
٢٤٤	برجاء جودك يطرد الفقر العمر
٢٤٥	لا تنكر رحيلى منك فى عجل مختار
٢٤٥	عذبرى من عذارى من أمور الحدور
٢٤٩	ووقت وفى بالدهم لى عند واحد كثيراً
٢٤٩	أنشر الكباء ووجه الأمير الحبور
٢٥٠	لا تلومن اليهودى على فلا ينكرها
٢٥٠	إنما أجمع المديح بعينى فى الأمير
٢٥١	ترك مدحيك كالهجاء لنفسى الكثير
٢٥٢	بسيطة مهلا بقت القطارا حيارى
٢٥٢	أطاعن خيلا من فوارسها الدهر الصبر
٢٦٤	باد هواك صبرت أم لم تصبرا جرى
	قافية الزاى
٢٨١	كفرندى فرند سيني الجراز للبراز
	قافية السين
٢٩٤	ألا إذن فما أذكرت ناس قاس
٢٩٤	أطبية الوحش لولا ظبية الأنس تعس
٣٠٠	أله من اللدام الخندريس الكثوس
٣٠١	هذى برزت لنا فهبت رسيماً نسيماً
٣١١	يقل له القيام على الرؤوس النفوس

صفحة	مطلع القصيدة
٣١١	أنوك من عبد ومن عرسه . . . نفسه
٣١٤	أحب امرئ حبب الأنفس . . . معطس
	قافية الشين
٣١٦	مببق من دمشق على فراش . . . حاش
	قافية الضاد
٣٢٦	فعلت بنا فعل السماء بأرضه . . . نقضه
٣٢٧	إذا اعتل سيف الدولة اعتلت الأرض . . . المحض
٣٢٧	مضى الليل والفضل الذي لك لا يمضى . . . الغمض
	قافية العين
٣٢٩	لا عدم الشيع الشيع . . . تصنع
٣٣٠	غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع . . . شجعوا
٣٤٤	حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا . . . أشيع
٣٥٦	شوق إليك نفي لذيد مجوعى . . . ضلوعى
٣٥٧	ملث القطر أعطشها ربوعاً . . . النقيعاً